# المؤتمر العلمي الدولي الثالث

## عَنْ سَيِّدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِيْنَ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ عليها السلام

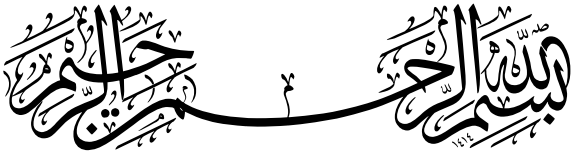


وَلَهُ الحَمْدُ وَالشُّكْرُ وَبِهِ نَسْتَعِينُ

فَاطِمَةُ الزَّهراءُ عليها السلام

جُرْحٌ فِي قَلْبِ الإِسْلَامِ لَمْ يَنْدَمِلْ بَعْدُ

## بُحوثُ المُؤْتَمَرِ العِلْمِيِّ الدَّوْلِيِّ الثَّالِث

## عَنْ سَيِّدَةِ نِساءِ الْعالَمِينَ فَاطِمَةَ الزَّهْراءِ عليها السلام بِشِعار

# فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءِ عليها السلام

# (مِشْكَاةُ الْأَنْوَارِ وَمُسْتَوْدَعُ الأَسْرَارِ)

## الجزءُ الثَّالِثُ / ٢

بِرِعَايَةِ العَتَبَتَين الحُسَينِيَّةِ والعَبَّاسِيَّةِ المُقَدَّسَتَين

بِمُناسَبَةِ المَوْلِدِ المُبَارَكِ لِلسَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ عليها السلام

أَقَامَهُ قِسْمُ الشُّؤُونِ الْفِكْرِيَّةِ فِي مَقَامِ مُعْجِزَةِ رَدِّ الشَّمْسِ

لِلْإِمَامِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِب عليه السلام

بِالتَّعَاوُنِ مَعَ مَرْكَزِ تُرَاثِ الحِلَّةِ التَّابِعِ لِلعَتَبَةِ العَبَّاسِيَّةِ المُقَدَّسَةِ

وكُلِّيَّةِ التَّربِيَةِ لِلعُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ / جَامِعَةِ بَابِلَ

مِنْ ٢٠-٢١ جُمَادَى الآخِرَةَ ١٤٤٥هـ/٣-٤ كَانُونُ الثَّانِي ٢٠٢٤م

المُشْرِفُ العَامُّ عَبْدُ الرَّسُولِ المُوسَوِيُّ

مُرَاجَعَةُ وَضَبْطُ

مَرْكَزُ تُرَاثِ الحِلَّةِ

وَثُلَّةٌ مِنْ فُضَلَاءِ الحَوْزَةِ العِلْمِيَّةِ

العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة
قسم شؤون المعارف والاستاذ والاستشهاد
مركز تراث الحلة
موبايل: 009647602320073
E-mail: hilla@alkafeel.net

العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة. قسم الشؤون الفكريَّة والثقافيَّة في مقام معجزة ردِّ الشمس. المؤتمر العلميّ الدوليّ عن سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء عليها السلام (الثالث : ٢٠٢٤ : الحِلَّة، العراق)، مؤلِّف.

بحوث المؤتمر العلميّ الدوليّ الثالث عن سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء عليها السلام : بشعار فاطمة الزَّهراء عليها السلام مشكاة الأنوار ومستودع الأسرار. الجزء الثالث/ ٢.-الطبعة الأولى.- الحِلَّة، العراق : العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة، قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة، مركز تراث الحِلَّة، ١٤٤٦ هـ. = ٢٠٢٤.

٦ مجلَّد: إيضاحيَّات ؛ ٢٤ سم

يتضمَّن ملاحق.

يتضمَّن إرجاعات ببليوجرافيَّة.

أغلب النص باللغة العربيَّة مع نصوص باللغة الإنجليزيَّة والفارسيَّة ؛ ومستخلصات باللغة العربيَّة والإنجليزيَّة.

١. فاطمة الزَّهراء، فاطمة بنت محمَّد بن عبد الله عليها السلام، ٨ قبل الهجرة-١١هجريّ--مؤتمرات. أ. العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة. قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة. مركز تراث الحِلَّة، مؤلِّف. ب. جامعة بابل. كليَّة التربية للعلوم الإنسانيَّة، مؤلِّف. ج. العنوان.

LCC : BP80.F36 . A833 2024

مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة

فهرسة أثناء النشر

٢٢٤/ ٨٠١

ح/ مركز تراث الحِلَّة - قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة - العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة

بحوث المؤتمر العلميّ الدوليّ الثالث عن سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء عليها السلام

الجزء الثالث (٢)

E-mail: hilla@alkafeel.net

الحِلَّة/ مركز تراث الحِلَّة/ العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة

١٧,٥ × ٢٤سم

بحوث - دراسات

م/ و

٧٤٥/ ٢٠٢٥م

المكتبة الوطنيَّة/ الفهرسة

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٧٤٥) لسنة ٢٠٢٥م

الكتاب: بحوث المؤتمر العلميّ الدوليّ الثالث عن سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء عليها السلام. بشعار: فاطمة الزَّهراء مشكاة الأنوار ومستودع الأسرار (الجزء الثالث ٢).

جهة الإصدار: العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة، قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة، مركز تراث الحِلَّة.

الطَّبعة: الأُولى. المطبعة: دار الكفيل للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع.

سنة الطَّبع: ١٤٤٦هـ/ ٢٠٢٥م.

# محورُ الدِّراساتِ التاريخيَّة والسياسيَّة/ ٢

# غَضَبُ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام
# تأسيس لمنهج المعارضة المتَّزن بإقامة الحجَّة ومواجهة التضليل
# (في مصادر المذهب السُّنِّيّ)

م.د. محمَّد منصور حسين البياتيّ

المديريَّة العامَّة لتربية بابل

## ملخَّص البحث

تحظى عقيدة الدين الإسلاميّ بثوابت كُثُر تمثِّل مشتركًا بين مذاهبه المختلفة، ومن ذلك المكانة السامية لأهل البيت عليهم السلام، التي لا يدانيهم بها أحد من المسلمين، ولا ريب أنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، قد نالت تلك المكانة؛ لما تتمتَّع به من كمالات عالية، جعلت لها الصدارة في امتثال ما فرض الله تعالى من أحكام شرعيَّة؛ فلم تتوانَ في ذلك قطّ، وفي أصعب المواقف وأشدِّ الظروف، وبخاصَّة عندما أُنيط بها الموقف الرياديّ بعد وفاة أبيها الرسول الأعظم محمَّد صلى الله عليه وآله، فما كان بدٌّ لها إلَّا مواجهة الظلم بحزم وثبات، فقاطعت أبا بكر وهجرته ولم تكلِّمه حتَّى ماتت، وهذا الأمر أثبتته أمَّهات المصادر المختلفة في مدوَّنات جمهور المسلمين، بنصوص قطعيَّة الصدور والدلالة، مُوثِّقةً موقف السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، الحازم والمعارض لأحداث السقيفة، وما أنتجته من قرارات.

لم يقتصر المحدِّثون برواية حادثة غضب السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، على طبقة من دون أُخرى، بل تسالم كبار الرواة بمختلف عصورهم على تناقل هذه الأخبار وتوثيقها

من دون الخدش بها؛ لما تتمتَّع به من سند معتبر، وطرق متعدِّدة أجبر أكبر المتشدِّدين أمثال البخاريّ ومَن على شاكلته على روايتها من دون تردُّد، وعلى الرغم من ذلك كلِّه ظهرت محاولات بائسة لإثارة الشبهات والتشكيك في جزئيَّات تلك الحادثة، بافتعال تأويلات مجانبة لدلالة النصوص الصريحة، أو من خلال ادِّعاءات واهية من نسج الخيال لا يمكنها الصمود أمام تلك الأخبار والنصوص القطعيَّة.

بناءً على ذلك سيكون البحث منصبًّا على بيان تلك الأحداث وتحليلها وفق المنهج التاريخيّ بمبحثَين:

**المبحث الأوَّل**: الاتِّزان والحكمة عند السيِّدة الزهراء عليها السلام، في بيان رفضها للباطل، ويكون ذلك بمطلبين:

**المطلب الأوَّل**: السعي الحثيث والثبات عند السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، في بيان موقفها الرافض للباطل.

**المطلب الثاني**: الحجَّة وعامل الإقناع عند السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، في بيان موقفها الرافض للباطل.

**المبحث الثاني**: صناعة التدليس والتشكيك لمواجهة السيِّدة الزهراء عليها السلام، ويكون ذلك بمطلبين أيضًا:

**المطلب الأوَّل**: توظيف اعتباطيَّة التأويل لتحريف موقف السيِّدة الزهراء عليها السلام، الرافض للباطل.

**المطلب الثاني**: افتعال ثغرات الإسناد لتضعيف موقف السيِّدة الزهراء عليها السلام، الرافض للباطل.

## المبحث الأوَّل

# الاتِّزان والحكمة عند السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في بيان رفضها للباطل

### مهاد

يمتاز خطاب السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، بالاتِّزان والحكمة، والمبنيّ على الحجج المنطقيَّة المتينة المنمازة بالبناء اللغويّ المتوائم شكلًا ومضمونًا، ونابعًا من روح الوحي وخطابه الخالد؛ فلذلك يجد المتابع في مواطن كثيرة اندماج جلّ خطاب السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، بالآيات القرآنيَّة والأحاديث النبويَّة تصريحًا أو تلميحًا، ما يُحتِّم على الباحث استعمال أدوات متنوِّعة قد تتداخل مع علوم أخرى في موضوع واحد.

## المطلب الأوَّل: السعي الحثيث والثبات عند السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، في بيان موقفها

لا شكَّ في أنَّ موقف السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، الرافض للظلم، نابعٌ من روح المسؤوليَّة الملقاة على عاتقها تجاه مسار الأمَّة الإسلاميَّة القويم الذي اختاره الله تعالى؛ ليكون خاتم الأديان والشرائع، فعند تصوُّر حجم التحدِّي يستنتج المتلقِّي إصرار السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وسعيها الدؤوب في مواجهة الظلم فكان تكليفًا شرعيًّا يقتضي الفوريَّة، وعدم التراخي في أدائه، وهذا الدور قامت به السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، بتفانٍ وثبات، حيث أثبتت أمَّات المصادر ذلك، ومنه ما رواه البخاريّ ومسلم، وغيرهما، عن عائشة أنَّها قالت: «إنَّ فَاطِمَةَ عليها السلام ابْنَةَ رسولِ الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، سألَتْ أبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ بَعْدَ وفَاةِ رَسُولِ الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، أنْ يَقْسِمَ لَهَا مِيْرَاثَها ما تَرَكَ رسُولُ الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، مِمَّا أفَاءَ الله عليْهِ، فقالَ لَهَا أبُو بَكْرٍ: إنَّ رسُولَ الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، قال: لاَ نُورَثُ ما تَرَكْنَا صَدَقَةٌ، فغَضِبَتْ فاطِمَةُ بِنْتُ رسُولِ الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، فَهَجَرَتْ أبَا بَكْرٍ، فَلَمْ تَزَلْ مُهَاجِرَتَهُ حتَّى تُوُفِّيَتْ، وعاشَتْ بَعْدَ رسُولِ الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، سِتَّةَ أشْهُرٍ. قالَتْ: وكانَتْ فاطِمَةُ تَسْألُ أبَا بَكْرٍ نَصِيبَهَا مِمَّا تَرَكَ رَسُولُ الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، مِنْ خَيْبَرَ وفَدَكَ وصَدَقَتَهُ بالمَدِينَةِ، فأبَى أبُو بَكْرٍ عَلَيْهَا ذَلِكَ، وقال: لَسْتُ تارِكًا شَيْئًا كانَ رَسُولُ الله يَعْمَلُ بِهِ إلَّا عَمِلْت بِهِ فإنِّي أخْشَى إنْ تَرَكْتُ شَيْئًا مِنْ أمْرِهِ أنْ أزِيغَ، فأمَّا صَدَقَتُهُ بالمَدِينَةِ فَدَفَعَها عُمَرُ إلى عَلِيٍّ وعَبَّاسٍ، فأمَّا خَيْبَرُ وفَدَكٌ فأمْسَكَهُمَا عُمَرُ، وقال: هُمَا صَدَقَةُ رسُولِ الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، كانَتا لِحُقُوقِهِ الَّتِي تَعْرُوهُ ونَوَائِبِهِ، وأمْرُهُمَا إلى مَنْ ولِيَ الأمْرَ. قال: فَهُمَا علَى ذَلِكَ إلى اليَوْمِ»[1].

(١) صحيح البخاريّ، محمَّد بن إسماعيل البخاريّ، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ، ج٤، ص٤٢، ومسلم بن الحجَّاج، صحيح مسلم، دار الفكر، بيروت، ج٥، ص١٥٥.

يُظهِر النصُّ سعي السيِّدة الزَّهراءعليها السلام الحثيث لإظهار موقفها الرافض والمعارض لسياسة أبي بكر اتِّجاه أهل البيتعليهم السلام، بخطى ثابتة بعد وفاة الرسول محمَّدصلى الله عليه وآله، من دون تماهل بمطالبة أبي بكر تصحيح مساره المجانب لصريح الكتاب والسنَّة، وهذا المعنى ظاهر في النصِّ بعدَّة دلالات، منها: مفردة (بعد)، الواردة في النصِّ: «إنَّ فَاطِمَةَعليها السلام ابْنَةَ رسولِ الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، سألَتْ أبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ، بَعْدَ وفَاةِ رَسُولِ الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)»؛ لأنَّ (بعد)، ظرفُ غايةٍ «إذا أُضيفت، كانت غايتها آخر المضاف إليه؛ لأنَّ به يتمُّ الكلام، وهو نهايته»[١]، وحيث أضيفت إلى تركيب: «وفَاةِ رَسُولِ الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)»، فهذا يدلُّ على أنَّ المطالبة حصلت بعد الوفاة من دون تماهل؛ لأنَّها آخر المضاف إليه، كما أنَّ بعض النصوص صرَّحت كون تحرُّك السيِّدة الزَّهراءعليها السلام، حصل مباشرةً بعد وفاة رسول اللهصلى الله عليه وآله، وبيعة أبي بكر بيومٍ واحدٍ، كما أثبته عدد من الرواة والمحدِّثين، وفي ذلك قيل إنَّه: «لـمَّا كان اليوم الذي توفِّي فيه رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، بويع لأبي بكر في ذلك اليوم، فلمَّا كان من الغد، جاءت فاطمة إلى أبي بكر ومعها عليّ، فقالت: ميراثي من رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، أبي، قال: أمن الرِّثَة[٢] أو من العِقد؟ قالت: فدك وخيبر وصدقاته بالمدينة أرثها كما ترثك بناتك إذا متَّ»[٣]. إلَّا أنَّ الأمر الغريب، قوبلت السيِّدة الزَّهراءعليها السلام، بامتناع أبي بكر عن إجابة طلبها، إلَّا أنَّ هذا الرفض لم يثنها عن المطالبة بحقِّها، بل عملت السيِّدة الزَّهراءعليها السلام، بوتيرة متصاعدة للمطالبة بحقِّها، وهذا المعنى ظاهر بنحوَين:

(١) شرح المفصل، ابن يعيش، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ٢٠٠١، ج٣، ص١٠٤.

(٢) الرِّثة: تقول: ورثت أبي، وورثت الشيَّء من أبي أرِثه بالكسر فيهما، ورثًا ووراثةً وإرثًا، الألف منقلبة من الواو، ورثة الهاء عوض من الواو، وأمَّا العِقد: بالكسر، فهو القلادة.

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد، دار صادر، بيروت، ج٢، ص٣١٥، وكنز العمَّال، المتَّقي الهنديّ، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٩، ج٥، ص٦٢٢.

**النحو الأول**: بالقرينة الداخليَّة للتراكيب في النصِّ: «وكانَتْ فاطِمَةُ تَسْأَلُ أَبَا بَكْرٍ نَصِيبَهَا مِمَّا تَرَكَ رَسُولُ الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)»؛ حيث تظهر دلالة تكرار سؤال السيِّدة الزَّهراء عليها السلام ومطالبتها لإرثها بالفعل المضارع (تسأل)، المسبوق بـ(كان)، «فسبق الفعل المضارع بـ(كان)، له دلالتان: تكرر الحدث ووقوعه أكثر من مرّة، والدلالة الأخرى أنّ الحدث كان مستمرًّا في ذلك الأخبار»[1].

أمَّا **النحو الثاني** الدالُّ على تكرار طلب السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، المعارض لأبي بكر، فهو ظاهر بالقرينة الخارجة عن النصِّ؛ وذلك بالدور المتعدِّد للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام؛ فتُظهر الأخبار أنَّها بيَّنت موقفها الرافض لمخرجات أبي بكر بمواقف متعدِّدة، منها: في حادثة إحراق دارها؛ حيث أظهرت الأخبار أنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، أعلنت موقفها بوجه أبي بكر ومَن معه في تلك الحادثة؛ فيُروى أنَّ أبا بكر «تفقَّد قومًا تخلَّفوا عن بيعته عند عليّ كرَّم الله وجهه، فبعث إليهم عمر، فجاء فناداهم وهم في دار عليّ، فأبوا أن يخرجوا؛ فدعا بالحطب، وقال: والذي نفس عمر بيده، لتخرجنَّ أو لأحرقنَّها على مَن فيها، فقيل له: يا أبا حفص، إنَّ فيها فاطمة؟ فقال: وإن. فخرجوا فبايعوا إلَّا عليًّا فإنَّه زعم أنَّه قال: حلفت أن لا أخرج ولا أضع ثوبي على عاتقي حتَّى أجمع القرآن، فوقفت فاطمة (رضي الله عنها) على بابها، فقالت: لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم، تركتم رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، جنازة بين أيدينا، وقطعتم أمركم بينكم، لم تستأمرونا، ولم تردُّوا لنا حقًا، فأتى عمر أبا بكر، فقال له: ألا تأخذ هذا المتخلِّف عنك بالبيعة؟ فقال أبو بكر لقنفذ: وهو مولًى له، اذهب فادع لي عليًّا، قال: فذهب إلى عليّ، فقال له: ما حاجتك؟ فقال: يدعوك خليفة رسول الله، فقال عليّ: لسريع ما كذبتم على رسول الله!»[2]؛

(١) معاني النحو، فاضل السامرَّائيّ، دار الفكر، عمان، ط١، ٢٠٠٠م، ج٣، ص٣١٩.
(٢) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة، تحقيق: طه الزينيّ، مؤسَّسة الحلبيّ، ج١، ص١٩.

حيث يُظهر النصُّ بصراحة موقف السيِّدة الزَّهراءعليها السلام، الرافض لسياسة أبي بكر المجانبة لأُسس الدين القويم.

لقد أغفلت مصادر جمهور المسلمين التحديد الدقيق لتاريخ الهجوم على دار السيِّدة الزَّهراءعليها السلام، إلَّا أنَّ الظاهر أنَّها حصلت بعد وفاة الرسول محمَّدصلى الله عليه وآله، بمدَّة قصيرة جدًّا؛ وذلك بعد إعلان السيِّدة الزَّهراءعليها السلام، موقفها الرافض للسقيفة، ويمكن الاستدلال على ذلك بعدَّة إشارات ظاهرة في النصِّ، منها: قوله: «تفقَّد قومًا تخلَّفوا عن بيعته»، حيث يشير ذلك إلى أنَّ الحادثة وقعت بعد السقيفة مباشرة؛ لأنَّ بيعة خاصَّة المهاجرين والأنصار لـ«أبي بكر يوم الاثنين»[١]، والبيعة العامَّة للناس حدثت يوم الثلاثاء، وفي هذه الأثناء كانت جنازة رسول اللهصلى الله عليه وآله، لم تُدفَن بعد[٢]، وبعد إتمام البيعة العامَّة للناس في المسجد، صلّوا الظهر، «ثمَّ دُفن رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، من وسط الليل ليلة الأربعاء»[٣]، «وأمَّا عليّ والعبَّاس ابن عبد المطَّلب ومن معهما من بني هاشم، فانصرفوا إلى رحالهم ومعهم الزبير بن العوَّام، فذهب إليهم عمر في عصابة فيهم أسيِّد بن حضير وسلمة بن أسلم، فقالوا: انطلقوا فبايعوا أبا بكر، فأبوا، فخرج الزبير بن العوَّام بالسيف، فقال عمر: عليكم بالرجل فخذوه، فوثب عليه سلمة بن أسلم، فأخذ السيف من يده، فضرب به الجدار، وانطلقوا به فبايع، وذهب بنو هاشم أيضًا فبايعوا»[٤]، فعلى هذه الرواية يكون الهجوم على بيت السيِّدة الزَّهراءعليها السلام، مباشرة بعد دفن جنازة رسول اللهعليه السلام، بساعات قليلة ولِعلَّه حصل في صبيحة يوم الأربعاء. وأمَّا بناءً على رواية اليعقوبيّ،

(١) تاريخ اليعقوبيّ، اليعقوبيّ، دار صادر، بيروت، ج٢، ص١٢٦.

(٢) الثقات، ابن حبَّان، مجلس دائرة المعارف، الهند، ط١، ١٣٩٣، ج٢، ص١٥٧.

(٣) السيرة النبويَّة، ابن هشام، تحقيق: محمَّد محيي الدين، المدنيّ، القاهرة، ١٩٦٣، ج٤، ص١٠٧٧.

(٤) الإمامة والسياسة، ج١، ص١٨.

فإنَّ مدَّة الهجوم قد تزيد يومًا أو يومَين؛ لأنَّه بعد تخلُّف بني هاشم عن البيعة، «أرسل أبو بكر إلى عمر بن الخطاب وأبي عبيدة ابن الجراح والمغيرة بن شعبة، فقال: ما الرأي؟ قالوا: الرأي أن تلقى العبَّاس بن عبد المطَّلب، فتجعل له في هذا الأمر نصيبًا يكون له ولعقبه من بعده، فتقطعون به ناحية عليّ بن أبي طالب حجَّة لكم على عليّ، إذا مال معكم، فانطلق أبو بكر وعمر وأبو عبيدة ابن الجرَّاح والمغيرة حتَّى دخلوا على العبَّاس ليلًا»[1]، وحاولوا استمالته بوعودهم، إلَّا أنَّ العبَّاس رفض ذلك بقوله: «فأمَّا ما قلت إنَّك تجعله لي، فإن كان حقًّا للمؤمنين، فليس لك أن تحكم فيه، وإن كان لنا، فلم نرضَ ببعضه دون بعض، وعلى رسلك، فإنَّ رسول الله من شجرة نحن أغصانها وأنتم جيرانها، فخرجوا من عنده»[2]، «واجتمع جماعة إلى عليّ بن أبي طالب يدعونه إلى البيعة له، فقال لهم: اغدوا على هذا محلِّقين الرؤوس، فلم يغدُ عليه إلَّا ثلاثة نفر، وبلغ أبا بكر وعمر أنَّ جماعة من المهاجرين والأنصار قد اجتمعوا مع عليّ بن أبي طالب في منزل فاطمة بنت رسول الله، فأتوا في جماعة حتَّى هجموا الدار»[3].

كما يظهر من النصوص المختلفة أنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، اتَّخذت أساليب متعدِّدة في بيان رفضها لقرارات أبي بكر، وبخاصَّة في مسألة منعها إرثها من أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، ويمكن بيان ذلك بالنحو الآتي:

بيَّنت طائفة من الأخبار أنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، في صبيحة اليوم التالي من دفن رسول الله صلى الله عليه وآله، حضرت بنفسها إلى أبي بكر، برفقة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، للمطالبة بحقِّها، وفي ذلك روى غير واحد من المحدِّثين أنَّه: «لـمَّا كان اليوم الذي توفِّي فيه رسول

(١) تاريخ اليعقوبيّ، ج٢، ص١٢٤.
(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص١٢٦.
(٣) المصدر نفسه.

الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، بويع لأبي بكر في ذلك اليوم، فلمَّا كان من الغد، جاءت فاطمة إلى أبي بكر، معها عليّ، فقالت: ميراثي من رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، أبي، قال: أمن الرِّثة أو من العِقد؟ قالت: فدك وخيبر وصدقاته بالمدينة أرثها كما ترثك بناتك إذا متَّ»(١).

وأثبتت عدَّة نصوص إرسال السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، مندوبًا عنها إلى أبي بكر يبلِّغه رفضها قراره المزعوم بشأن الإرث، وفي ذلك روت عدد من المصادر عن عائشة: «أنَّ فاطمة عليها السلام بنت النبيّ (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، ممَّا أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خُمس خيبر، فقال أبو بكر: إنَّ رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، قال: لا نورث ما تركنا صدقة، إنَّما يأكل آل محمَّد في هذا المال وإنِّي والله لا أغيِّر شيئًا من صدقة رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، عن حالها التي كان عليها في عهد رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، ولأعملنَّ فيها بما عمل به رسول الله صلَّى الله عليه[وآله] وسلَّم، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئًا، فوَجَدَتْ فاطمة على أبي بكر في ذلك، فهجرته فلم تكلِّمه حتَّى توفِّيت، وعاشت بعد النبيّ صلَّى الله عليه[وآله] وسلَّم، ستَّة أشهر، فلمَّا توفِّيت دفنها زوجها عليّ[عليه السلام] ليلًا، ولم يؤذِّن بها أبا بكر وصلَّى عليها»(٢).

بيَّنت طائفة أخرى من النصوص أنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، أتت إلى أبي بكر برفقة عمِّها العبَّاس بن عبد المطَّلب للمطالبة بحقِّهما من الإرث، فعن عائشة أنَّها

(١) الطبقات الكبرى، ج٢، ص٣١٥، وكنز العمَّال، ج٥، ص٦٢٢.

(٢) صحيح البخاري، ج٥، ص ٨٥، ومسلم، صحيح مسلم، ج٥، ص١٥٣، ومسند أبي يعلى، أبو يعلى الموصلي، تحقيق: حسين سليم، دار المأمون للتراث، دمشق، ج١، ص٤٠، والتمهيد، ابن عبد البر، تحقيق: مصطفى أحمد ومحمَّد عبد، وزارة الأوقاف، المغرب العربي، ج٨، ص١٦٧، وابن حجر، فتح الباري، دار المعرفة، بيروت، ج٦، ص١٣٩.

قالت: «إنَّ فاطمة والعبَّاس (رضي الله عنهما)، أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، وهما حينئذٍ يطلبان أرضه من فدك، (وسهمه) من خيبر، فقال لهما أبو بكر: إنِّي سمعت رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم) يقول: لا نورث، ما تركنا صدقة، إنَّما يأكل آل محمَّد من هذا المال، وإنِّي والله لا أغيِّر أمرًا رأيت رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، يصنعه إلَّا صنعته، قال: فهجرته فاطمة رضى الله عنها، فلم تكلِّمه في ذلك المال حتَّى ماتت»[1].

وروي في خبر آخر مجيء أمير المؤمنين عليّ عليه السلام معها عليها السلام، ولا معارضة في ذلك مع الخبر الأوَّل: «جاءت فاطمة إلى أبي بكر تطلب ميراثها، وجاء العبَّاس بن عبد المطَّلب يطلب ميراثه، وجاء معهما عليّ، فقال أبو بكر: قال رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، لا نورِّث، ما تركناه صدقة [وما] كان النبي يعول، فقال علي: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾[2]، وقال زكريا: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾[3]، قال أبو بكر: هو هكذا، وأنت والله تعلم مثل ما أعلم، فقال عليّ: هذا كتاب الله ينطق. فسكتوا وانصرفوا»[4].

أثبتت طائفة أخرى من النصوص أنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، جاءت إلى أبي بكر بجمع من نساء قومها وحفدتها؛ حيث بيَّنت في خطبة طويلة رفضها لقرارات السقيفة، والتي منها إقصاء أمير المؤمنين عليه السلام، ومنعهم حقّهم من إرث رسول الله صلى الله عليه وآله، وفي ذلك روى غير واحد من الرواة والمحدِّثين، لعلَّ أقدمهم الخليل، بقوله: «وفي الحديث:

(١) تاريخ المدينة، ابن شبّة، تحقيق: فهيم محمَّد، دار الفكر، قمّ، ج١، ص١٩٧.
(٢) النمل: ١٦.
(٣) مريم: ٦.
(٤) كنز العمال، ج٥، ص٦٢٥.

جاءت فاطمة إلى أبي بكر في لميمة من حَفَدَتها ونساء قومها»[١]؛ والزمخشريّ أثبت ذلك بقوله: «وفي حديث فاطمة رضي الله تعالى عنها: إنَّها خرجت في لـمَّة من نسائها، تتوطَّأ ذيلها، حتَّى دخلت على أبي بكر»[٢]، وابن حمدون بقوله: «لـمَّا بلغ فاطمة عليها السلام، ما أجمع عليه من منعها فدكًا، لاثت خمارها على رأسها، واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لـمَّة من حفدتها ونساء قومها تطأ ذيولها، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله (صلَّى الله عليه [وآلـه] وسلَّم)، حتَّى دخلت على أبي بكر، وهو في حشد من المهاجرين والأنصار»[٣].

تُظهر النصوص المتقدِّمة بنحوٍ صريح السعي الحثيث للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، في بيان موقفها الرافض بمختلف السُّبل والأساليب؛ لقطع الطريق أمام أبي بكر وكلّ من يدَّعي تسليم السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، للقرارات المجحفة اتِّجاه أهل البيت عليهم السلام؛ فلذلك اعتمدت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، في بيان موقفها الرافض لمخرجات السقيفة وقراراتها إستراتيجيَّة ثابتة ترتكز على عناصر متعدِّدة، منها: السعي الحثيث والمتواصل في بيان موقفها بالحجَّة الواضحة المستمدَّة من آيات القرآن الكريم والسنَّة النبويَّة ومنطق العقل السليم، مستثمرة المواقف والأوقات المميَّزة لإعلان رفضها على رؤوس الأشهاد، على الرغم من فقدها سيِّد الأكوان محمَّد صلى الله عليه وآله، فإنَّ ذلك لم يجعلها منكسرة الهمَّة في الدفاع عن نهجه القويم، وتطبيق أحكامه.

(١) معجم العين، الفراهيديّ، تحقيق: مهدي المخزوميّ وإبراهيم السامرَّائيّ، دار الهجرة، قم المقدَّسة، ط٣، ج٨، ص٣٢٣.

(٢) الفايق في غريب الأثر، الزمخشريّ، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ج٣، ص٢١٢.

(٣) التذكرة الحمدونيَّة، ابن حمدون، تحقيق، إحسان عبَّاس وبكر عبَّاس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ج٦، ص٢٥٥.

## المطلب الثاني: الحجَّة وعامل الإقناع عند السيِّدة الزَّهراء عليها السلام

امتاز خطاب السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، بالحجَّة الواضحة النابعة من صريح القرآن الكريم، والسنَّة النبويَّة، ومنطق العقل القويم؛ حيث وثَّقت المصادر المختلفة ذلك بمواضع كثيرة، يمكن بيان عدد منها بالنحو الآتي:

روى أحمد بن حنبل أنَّه: «لـمَّا قُبض رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، أرسلت فاطمة إلى أبي بكر: أنت ورثت رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، أم أهله؟ قال فقال: لا بل أهله، قالت: فأين سهم رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)،؟ قال فقال: أبو بكر إنِّي سمعت رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، يقول: إنَّ الله عزَّ وجلَّ إذا أطعم نبيًا طعمة، ثمَّ قبضه، جعله للذي يقوم من بعده، فرأيت أن أردَّه على المسلمين، فقالت: فأنت وما سمعت من رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، أعلم»[1].

تضمَّن النصُّ استدلالًا للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، بسؤال بديهيّ مقدَّر يُظهر بطلان زعم أبي بكر، وتقدير الكلام: «أ أنت ورثت رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، أم أهله؟»؛ حيث تحمل همزة الاستفهام المقدَّرة دلالة التوبيخ والإنكار لفعل المخاطب المخالف للنصِّ القرآنيّ الصريح، ولثوابت الدين الحنيف وأحكامه؛ ولذلك اضطرَّ أبو بكر الإجابة بحقيقة تخالف مدَّعاه: «فقال: لا بل أهله»، وهذا الجواب هو انعكاس لتراكمات الموروث الإسلاميّ المتأصِّل في نفوس جمهور المسلمين، والمتمثِّل بعدد من الآيات القرآنيَّة والأحاديث المتواترة المعارضة لزعم أبي بكر، منها قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ (النمل: ١٦)، وقوله تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ (مريم: ٥، ٦)، وقوله تعالى: ﴿وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ

(١) أحمد بن حنبل، مسند أحمد، دار صادر، بيروت، ج١، ص٤.

بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴾ (الأنفال: ٧٥)، وقوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ ﴾ (النساء: ١١)، ومنها قوله صلى الله عليه وآله: «ومن ترك مالًا فلِوَرَثتِهِ»(١)، وقوله صلى الله عليه وآله: «من ترك مالًا فلأهله»(٢)؛ فلذلك للوهلة الأولى استطاعت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام انتزاع الحقيقة التي يحاول أبو بكر إخفاءها، وإن تعقَّبها زعم واضح البطلان، كما سيُبيَّن في المبحث الثاني، إلَّا أنَّ هذه الحقيقة التي انتزعتها السيِّدة الزَّهراء عليها السلام من أبي بكر صارت فيما بعد شاهد حقٍّ يلاحق زعمهم الباطل، ومحيِّرًا أتباعهم في توجيه كلام أبي بكر المتناقض، كما صرح ابن حجر بذلك: «ثمَّ مع ذلك ففيه لفظة منكَرة، وهي قول أبي بكر: بل أهله، فإنَّه معارض للحديث الصحيح: إنَّ النبيّ لا يورث»(٣).

روى ابن شبَّة: «أنَّ فاطمة رضي الله عنها قالت لأبي بكر: مَن يرثك إذا متَّ؟ قال: ولدي وأهلي، قالت: فما لك ترث رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، دوننا؟ قال: يا بنت رسول الله، ما ورثت أباك دارًا ولا مالًا ولا ذهبًا ولا فضَّة، قالت: بلى، سهم الله الذي جعله لنا، وصافيتنا التي بفدك، فقال أبو بكر: سمعت النبيّ (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، يقول: إنَّما هي طعمة أطعمنا الله، فإذا متُّ كانت بين المسلمين»(٤).

يُظهر النصُّ الحجَّة الواضحة عند السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، باستدراج الخصم وإلجائه إلى قول جملة من الحقائق المخالفة لمدَّعاه؛ فأوقعته في دائرة التناقض والاضطراب، كما هو ظاهر جليًّا في النصِّ؛ لأنَّ جوابه للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام: «من يرثكَ إذا متَّ؟ قال: ولدي وأهلي»، يناسب القاعدة الثابتة للإسلام: «من ترك مالًا

(١) صحيح البخاري، ج٨، ص٥.
(٢) صحيح مسلم، ج٣، ص١١.
(٣) فتح الباري، ج٦، ص١٣٩.
(٤) تاريخ المدينة، ج١، ص٩٨.

فلأهله»[1]، وعليه يكون الوارث للرسول الله صلى الله عليه وآله أهله، وهذه النتيجة مخالفة لمدَّعى أبي بكر بأنَّ الرسول لا يورث؛ لذلك جاء ردُّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام: «فما لك ترثُ رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، دوننا؟»، وهذا الردُّ أيضًا ألجأه إلى الوقوع في التناقض؛ حيث قال: «يا بنت رسول الله، ما ورثت أباك دارًا ولا مالًا ولا ذهبًا ولا فضَّة»؛ إذ نفيه امتلاك رسول الله صلى الله عليه وآله لما يورث ظاهر البطلان؛ لأنَّه كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله «ثلاث صفايا: بنو النضير، وخيبر، وفدك»[2]، هذا بالإضافة إلى الدُّور التي تسكن كلُّ واحدة من أزواجه فيها، وعليه كيف لم يخلِّف دارًا ولا مالًا؟.

روى اليعقوبيّ في ذلك: «وأتته فاطمة ابنة رسول الله تطلب ميراثها من أبيها، فقال لها: قال رسول الله: إنَّا معشر الأنبياء لا نورث، ما تركنا صدقة، فقالت: **أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي؟ أما قال رسول الله: المرء يحفظ في ولده؟**»[3]، ورواه غيره باختلاف يسير: «**أفي الكتاب أن ترث أباك ولا أرث أبي؟ لقد جئت شيئًا فريًّا**»[4].

يظهر النصُّ بمختلف صيغه الأداء الحجاجيّ المتميِّز عند السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، المنطلق من مقدِّمات بديهيَّة لا يمكن للخصم إنكارها؛ لأنَّ «حكم الأمثال واحد»[5]، فيما يجوز، وما لا يجوز، فكما هو ورث أباه في كتاب الله، فكذلك السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، ترث أباها في كتاب الله؛ لأنَّ «الأحكام عامَّة إلَّا حيث يرد التخصيص»[6]، والمخصِّص

(١) صحيح مسلم، ج٣، ص١١.
(٢) فتح الباري، ج٦، ص١٤٣.
(٣) تاريخ اليعقوبيّ، ج٢، ص١٢٧.
(٤) بلاغات النساء، أحمد بن طيفور، مكتبة بصيرتيّ، قم، ص١٤.
(٥) شرح المقاصد، التفتازانيّ، دار المعارف، باكستان، ج١، ص١١١.
(٦) البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشيّ، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ٢٠٠٠، ج٢، ص٣٣٩.

في المقام لم يثبت عند السيِّدة الزَّهراءعليها السلام؛ إذ أثبتت ذلك في عدَّة مواطن منها: «لـمَّا بلغ فاطمةعليها السلام ما أجمع عليه من منعها فدكًا، لاثت خمارها على رأسها، واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لـمَّة من حفدتها ونساء قومها، تطأ ذيولها، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، حتَّى دخلت على أبي بكر، وهو في حشد من المهاجرين والأنصار»[١]، فكان من قولها: «**أَفعلى عَمدٍ ترَكتُم كِتَابَ اللهِ وَنَبذْتُمُوه وراءَ ظُهُورِكُم؟ إِذْ يَقُول اللهُ تَبَارك وَتَعَالى**: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾[٢]، **وقالَ فِيمَا اقْتَصَّ مِنْ خَبرِ يحيى بنِ زَكَرِيَّا**: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾[٣]، **وقال عزَّ ذِكره**: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾[٤]، وقال: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾[٥]، وقال: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾[٦]»[٧]، وهذا الأمر لم يقصر على السيِّدة الزَّهراءعليها السلام فقط، بل كان أمير المؤمنينعليه السلام، أيضًا يرى عدم تخصيص عموم الآيات القرآنيَّة، وفي ذلك روى ابن سعد وغيره أنَّه لـمَّا «جاءت فاطمة إلى أبي بكر تطلب ميراثها، وجاء العبَّاس ابن عبد المطلب يطلب ميراثه، وجاء معهما عليّ، فقال أبو بكر: قال رسول الله: لا نورث ما تركنا صدقة، وما كان النبي يعول فَعليَّ، فقال عليٌّ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾[٨]، وقال زكريا: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾[٩]، قال أبو بكر: هو هكذا وأنت والله تعلم

(١) التذكرة الحمدونيَّة، ج٦، ص٢٥٥.
(٢) النمل: ١٦.
(٣) مريم: ٥، ٦.
(٤) الأنفال: ٧٥.
(٥) النساء: ١١.
(٦) البقرة: ١٨٠.
(٧) بلاغات النساء، ص١٧.
(٨) النمل: ١٦.
(٩) مريم: ٦.

مثلنا[1] أعلم، فقال عليّ: هذا كتاب الله ينطق، فسكتوا وانصرفوا»[2]، وروي عن عمر ابن الخطاب «قال: لـمَّا قُبض رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، جئت أنا وأبو بكر إلى عليّ فقلنا: ما تقول فيما ترك رسول الله (صلَّى الله عليه [وآلـه] وسلَّم)؟ قال: نحن أحقُّ الناس برسول الله وبما ترك، قال: فقلت: والـذي بخير؟ قال: والذي بخير، قلت: والـذي بفدك؟ فقال: والـذي بفدك، قلت: أما والله، حتَّى تحـزُّوا رقابنا بالمناشير، فلا والعذرات»[3]، وبناء على ما سبق يظهر موقف السيِّدة الزَّهراء وأمير المؤمنين عليهما السلام، الثابت، وعـدم قبولهم فكرة تخصيص عموم الآيـات القرانيَّة مطلقًا.

روى ابن طيفور وغيره أنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، خطبت في المهاجرين والأنصار قائلة: «**وزَعمتُم أَنْ لا حقّ ولا ارْثَ لِي مِن أَبِي، ولا رَحِمَ بينَنَا، أَفخصَّكُم اللهُ بآية أخرجَ نبيَّه صلى الله عليه وآله، مِنها ؟ أَم تقولونَ إنَّ أهلَ ملَّتينِ لا يتوارثونِ؟ أَو لستُ أَنَا وأَبِي مِن أَهلِ ملَّةٍ واحدةٍ؟ أَمْ أَنتُم أَعلَمُ بخصوصِ القرآنِ وعمومهِ مِنْ النبيّ صلى الله عليه وآله؟**»[4].

تضمَّن النصُّ عدَّة موارد للاستدلال المنطقيّ، منها قولها: «**أَم تقولونَ إنَّ أهلَ ملَّتينِ لا يتوارثانِ**»، حيث يتكوَّن من مقدِّمَتين (صغرى وكبرى)، مبنيَّتَين على افتراض سابق يمثِّل قاعدة فقهيَّة، وهي المقدِّمة الكبرى التي يسير وفقها الفقه الإسلاميّ، وهي ما يروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله، أنَّه قال: «لا يتوارث أهل ملَّتين»[5]، وعليه يمكن تقريب الاستدلال بالنحو الآتي:

(١) الظاهر فيها تحريف، والصحيح (مثلها).
(٢) الطبقات الكبرى، ج٢، ص٣١٥.
(٣) المعجم الأوسط، الطبرانيّ، دار الحرمَين للنشر، الرياض، ج٥، ص٢٨٨.
(٤) بلاغات النساء، ص١٧.
(٥) مسند أحمد، ج٢، ص١٧٨.

**مقدِّمة كبرى**: كلُّ أهل ملَّة يتوارثان.

**مقدِّمة صغرى**: (أنا) فاطمة، (وأبي) رسول الله صلى الله عليه وآله، من أهل ملَّة واحدة.

**نتيجة**: فاطمة ورسول الله صلى الله عليه وآله يتوارثان.

يسمَّى هذا الاستلزام المنطقيّ مضمر النتيجة؛ وذلك عند ذِكر المقدِّمة الكبرى والصغرى، ولم تذكر النتيجة «اعتمادًا على وضوحها أو ذكاء المخاطب»[1]، الذي يؤهلِّه إلى استنتاج الملازمة الدلاليَّة بين المقدِّمَتين؛ للوصول إلى النتيجة بشكلٍ واضحٍ وجليّ.

(١) المنطق، محمَّد رضا المظفر، جماعة المدرسين، قمّ المقدسة، ص٢٩٥.

## المبحث الثاني

## صناعة التدليس والتشكيك لمواجهة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام

### مهاد

دأبت المجتمعات البشريَّة على مرِّ التاريخ إيجاد قوانين وقواعد عقليَّة ومنطقيَّة مشتركة نابعة من فطرة الإنسان السليمة؛ لتكون مشتركات يُحتكم إليها، وفيصلًا يدحض مغالطات المدلِّسين الذين يحاولون تشويه الحقيقة، والتاريخ الإسلاميّ غير بعيد عن ذلك، فقد مُنِي منذ بواكيره الأولى بهذا النمط المقيت، فكانت ظلامة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، لها النصيب الأوفر من ذلك التحريف والتدليس والتشويه.

## المطلب الأوَّل: صناعة التدليس لتحريف موقف السيِّدة الزَّهراء عليها السلام

جوبه موقف السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، الرافض لسياسة السقيفة بمواقف متعدِّدة، كان منها إيجاد تأويلات مجانبة لظاهر الخطاب؛ بغية تشويه مراد النصِّ، وإخفاء الحقيقة، وتجلَّى ذلك بموارد متعدِّدة يمكن بيان ذلك بشاهدَين، هما:

**الشاهد الأوَّل**: على فرض صحَّة حديث: «لا نورث ما تركنا صدقة»[١]، فإنَّ الفهم المستقيم لدلالته، والمنسجم مع عموم الآيات القرآنيَّة، والأحاديث النبويَّة الدالَّة على توريث الأنبياء، إنَّما هو «بمعنى: لا نورث الذي تركنا صدقة؛ لأنَّ النبي (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، لم يخلِّف شيئًا يورث عنه»[٢]، وهذا المعنى ظاهر باحتجاج السيِّدة الزَّهراء عليها السلام على أبي بكر، بقولها: «إنَّ الله يقول عن نبيٍّ من أنبيائه: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾[٣]، وقال: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾[٤]، فهذان نبيَّان، وقد علمت أنَّ النبوَّة لا تورَّث، وإنَّما يورَّث ما دونها، فما لي أُمنع إرث أبي؟ أ أنزل الله في الكتاب إلَّا فاطمة بنت محمَّد، فتدلَّني عليه فاقنع بـه؟»[٥]، ولم يكن لديهم أيَّة حجَّة يُرَدُّ بها كلام السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، سوى تأويلهم المخالف لظاهر عدد من النصوص الآيات القرآنيَّة والأحاديث النبويَّة؛ لذلك أوقعهم هذا التأويل بدوَّامة من التناقضات المتتالية، منها:

(١) مسند أحمد، ج١، ص٤.
(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبيّ، تحقيق: إبراهيم إطفيش، دار إحياء التراث العربيّ، ط١، ١٩٨٥، ج١١، ص٨١.
(٣) مريم: ٥، ٦.
(٤) النمل: ١٦.
(٥) بلاغات النساء، ص١٩.

روايتهم منع أبي بكر السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، من الإرث[1]، واستمرار الحال إلى خلافة عمر ابن الخطَّاب، فعمل بها كما عمل صاحبه قرابة سنتَين، إلَّا أنَّه بعد ذلك أعاد فدكًا وخيبر إلى أهل البيت عليهم السلام؛ وذلك عندما جاءه العبَّاس بن عبد المطلب وأمير المؤمنين عليّ عليه السلام، كما يروى ذلك عن عمر بقوله: «أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض، هل تعلمون أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم قال لا نورث ما تركنا صدقة، يريد رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم) نفسه؟ قال الرهط: قد قال ذلك، فأقبل عمر على عليّ وعبَّاس فقال: أنشدكما الله أتعلمان أنَّ رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم) قد قال ذلك؟ قالا قد قال ذلك.. ثمَّ توفَّى الله أبا بكر فكنت أنا ولي أبي بكر، فقبضتها سنتَين من إمارتي أعمل فيها بما عمل رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، وما عمل فيها أبو بكر، والله يعلم أنِّي فيها لصادق بار راشد تابع للحقِّ، ثمَّ جئتماني تكلِّماني وكلِمتكما واحدة وأمركما واحد، جئتني يا عبَّاس تسألني نصيبك من ابن أخيك، وجاءني هذا يريد نصيب امرأته من أبيها، فقلتُ لكما: إنَّ رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، قال: لا نورث ما تركنا صدقة، فلمَّا بدا لي أن أدفعه إليكما، قلت: إن شئتما دفعتها إليكما على أنَّ عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيها بما عمل فيها رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم، وبما عمل فيها أبو بكر، وبما عملت فيها منذ وليتها، فقلتما: ادفعها إلينا، فبذلك دفعتها إليكما، فأنشدكم بالله، هل دفعتها إليهما بذلك؟ قال الرهط: نعم، ثمَّ أقبل على عليّ وعبَّاس فقال: أنشدكما بالله، هل دفعتها إليكما بذلك؟ قالا: نعم»[2].

في النصِّ يظهر عدم التوافق واضح بشكلٍ جليّ بين العبَّاس وأمير المؤمنين عليه السلام من جهة، وعمر بن الخطَّاب من جهة أخرى؛ لأنَّ كلَّ واحد منهما جاء يطالب بنصيبه: «ثمَّ

(١) صحيح البخاريّ، ج٤، ص٤٢.
(٢) صحيح البخاريّ، ج٤، ص٤٤.

جئتماني تكلّماني وكلمتكما واحدة، وأمركما واحد، جئتني يا عبَّاس تسألني نصيبك من ابن أخيك، وجاءني هذا- يريد عليًّا- يريد نصيب امرأته من أبيها»، وهذا ينافي ردَّ عمر ابن الخطاب عليهما: «إن شئتما دفعتها إليكما على أنَّ عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيها بما عمل فيها رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم، وبما عمل فيها أبو بكر، وبما عملت فيها منذ وليتها»؛ لأنَّ ردَّ عمر عليهما يعني: «تفويض النظر إليهما، والله أعلم، هو أن يقسم بينهما النظر فيجعل لكلِّ واحد منهما نظر ما كان يستحقّه بالأرض لو قُدِّر أنَّه كان وارثًا»[١]، إلَّا أنَّ هذا التوجيه لا ينسجم مع صريح كلام عمر بأنهَّما جاءا يطلبان حقَّهما؛ ولذلك اضطرَّ ابن حجر إلى الاعتراف بـ«أنَّهما أرادا أن يقسم بينهما على سبيل الميراث»[٢]، كما أنَّ مضمون النصِّ السابق يبطل زعم من تقوَّل على السيِّدة الزَّهراء عليها السلام: «وأنَّها لـمَّا بلَّغها الحديث وبيَّن لها التأويل، تركت رأيها، ثمَّ لم يكن منها ولا من ذريَّتها بعد ذلك طلب ميراث»[٣].

زُعم في النصِّ السابق أنَّ العباس وأمير المؤمنين عليّ عليه السلام، وافقا عمر ابن الخطَّاب على رواية حديث: «لا نورث ما تركنا صدقة»، بقوله لهما: «أنشدكما الله أتعلمان أنَّ رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، قد قال ذلك؟ قالا: قد قال ذلك»، إلَّا أنَّ هذا على فرض صحَّته، لا يعني أنَّهما وافقا تأويل أبي بكر وعمر للحديث، بكون المقصود عدم توريث التركة؛ لأنَّ هذا المعنى يناقض استمرار مطالبة أهل البيت عليهم السلام، بالإرث سواء في عهد أبي بكر أو بعده، كما ينافي تمسُّكهم بعموم الآيات القرآنيَّة، ورفضهم الصريح للتخصيص كما أثبته النصُّ السابق، وغيره من النصوص، والتي منها: «جاءت فاطمة

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: عليّ شيري، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط١، ١٩٨٨، ج٥، ص٣٠٩.

(٢) فتح الباري، ج٦، ص١٤٥.

(٣) شرح صحيح مسلم، النوويّ، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط١، ١٩٨٧، ج١٢، ص٧٣.

إلى أبي بكر تطلب ميراثها، وجاء العبَّاس بن عبد المطَّلب يطلب ميراثه، وجاء معهما عليّ، فقال أبو بكر: قال رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم): لا نورث، ما تركناه صدقة، [وما] كان النبي يعول. فقال عليّ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾[1]، وقال زكريا: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾[2]، قال أبو بكر: هو هكذا، وأنت والله تعلم مثل ما أعلم. فقال عليّ: هذا كتاب الله ينطق. فسكتوا وانصرفوا»[3].

بل يبدو أنَّ هذا الأمر واضح عند أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله؛ إذ روى البخاريّ عن عائشة قولها: «إنَّ أزواج النبيّ صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم، حين توفِّي رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، أردن أن يرسلن عثمان إلى أبي بكر يسألنه ميراثهنَّ من رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، فقالت لهنَّ عائشة: أوَ ليس قد قال رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم): لا نورث ما تركناه فهو صدقة؟»[4].

**الشاهد الثاني**: تأويل غضب السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، ومقاطعتها لأبي بكر بعد منعها من الإرث الوارد بنصوص متعدِّدة، منها ما رواه البخاري: «فوَجَدَت فاطمة على أبي بكر في ذلك؛ فهجرته، فلم تكلِّمه حتَّى توفِّيت»[5]، وفي حديث آخر: «فغضبت فاطمة بنت رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرته حتَّى توفِّيت»[6]، فحاول أتباع المذهب السنِّي التكلُّف بإيجاد مختلف الحجج لتوجيه دلالات الألفاظ؛ بغية إخفاء موقف السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، الرافض للظلم، على الرغم من صراحة تلك الدلالات ووضوحها؛ حيث أوَّل شرَّاح الصِّحاح، ومنهم ابن حجر، كلام السيِّدة

(١) النمل: ١٦.
(٢) مريم: ٦.
(٣) الطبقات الكبرى، ج٢، ص٣١٥، وكنز العمَّال، ج٥، ص٦٢٥.
(٤) صحيح البخاريّ، ج٨، ص٥.
(٥) المصدر نفسه، ج٥، ص ٨٥.
(٦) المصدر نفسه، ج٤، ص ٤٢.

الزَّهراء عليها السلام، بما نصُّه: «إنَّما كانت هجرتها انقباضًا عن لقائه والاجتماع به، وليس ذلك من الهجران المحرَّم»[١]، وهذه الدعوى واضحة البطلان؛ لأنَّها مخالفة لدلالة النصِّ الصريحة؛ حيث وردت ألفاظ النصِّ وتراكيبه بدلالات واضحة لا لبس فيها، وبخاصَّة: (فغضبت، فهجرته، فلم تكلِّمه حتَّى توفِّيت)، حتَّى أجبرت بعضهم على القول: «بأنَّ قرينة قوله غضبت يدلُّ على أنَّها امتنعت من الكلام جملة، وهذا صريح الهجر»[٢]، كما أنَّه مخالف للأخبار الدالَّة على امتناع السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، من استقبال أبي بكر وعمر، والسلام عليهما قبل وفاتها، فقد روي أنَّ عمر ابن الخطَّاب قال لأبي بكر: «انطلق بنا إلى فاطمة، فإنَّا قد أغضبناها، فانطلقا جميعًا، واستأذنا على فاطمة، فلم تأذن لهما، فأتيا عليًّا فكلَّماه، فأدخلهما عليها، فلمَّا قعدا عندها، حوَّلت وجهها إلى الحائط، فسلَّما عليها، فلم تردَّ عليهما السلام، فتكلَّم أبو بكر، فقال: يا حبيبة رسول الله، والله إنَّ قرابة رسول الله أحبُّ إليَّ من قرابتي، وإنَّك لأحبُّ إليَّ من عائشة ابنتي، ولوددت يوم مات أبوك أنِّي متُّ، ولا أبقى بعده، أفتراني أعرفك وأعرف فضلك وشرفك وأمنعك حقَّك وميراثك من رسول الله؟ لا، إنِّي سمعت أباك رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، يقول: لا نورث ما تركنا فهو صدقة، فقالت: أرأيتكما إن حدَّثتكما حديثًا عن رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، تعرفانه وتفعلان به؟ قالا: نعم، فقالت: أنشدتكما الله، ألم تسمعا رسول الله يقول: رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحبَّ فاطمة ابنتي فقد أحبَّني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟ قالا: نعم، سمعناه من رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، قالت: فإنِّي أُشهِد الله وملائكته أنَّكما أسخطتماني، وما أرضيتماني، ولئن لقيتُ النبيَّ لأشكونَّكما إليه، فقال أبو بكر: أنا عائذ بالله تعالى، من سخطه وسخطك يا فاطمة، ثمَّ انتحب أبو

(١) فتح الباري، ج٦، ص١٣٩.

(٢) المصدر نفسه، ج٦، ص١٣٩.

بكر يبكي، حتَّى كادت نفسه أن تزهق، وهي تقول والله، لأدعونَّ الله عليك في كلِّ صلاة أُصلِّيها»[1]، حيث يحمل هذا النصّ دلالات كثيرة، يمكن بيان أبرزها بالنحو الآتي:

١. مقاطعة السيِّدة فاطمة عليها السلام، للشيخين طوال حياتها يدلُّ على شدَّة الأذى الذي لحقها من قبل القوم، وإلَّا لو كان الموضوع بسيطًا كما يصوِّره بعضهم، فلماذا هذا الإصرار الشديد من قِبل السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، على استمرار غضبها وعدم تكليمها القوم طوال حياتها؟ وهي العالمة بالقرآن وسنَّة الرسول صلى الله عليه وآله، وما يؤكِّدانه على العفو عن المسيء، وإقالة عثرته، وأنَّ من أقال عثرة أخيه، أقال الله عثرته يوم القيامة، إلى غير ذلك من المعاني السامية الداعية إلى التحابّ والتوادّ، ونبذ الخصام بين المسلمين، وبذلك المعنى جاءت آيات قرآنيَّة كثيرة منها، قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[7]، وقوله تعالى:

(١) الإمامة والسياسة، ج١، ص٢٠.
(٢) الشورى: ٤٠.
(٣) البقرة: ٢٣٧.
(٤) آل عمران: ١٣٤.
(٥) النور: ٢٢.
(٦) المائدة: ١٣.
(٧) الأعراف: ١٩٩.

﴿وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١]، وكما حمل القرآن الكريم هذه المعاني السامية، كذلك جاءت السنَّة النبويَّة مؤكِّدة عليها، وحاثَّة المسلمين إليها، فممَّا يروى عنه صلى الله عليه وآله: «**وما زاد الله عبدًا بعفوٍ إلَّا عزًّا**»[٢]، وعنه صلى الله عليه وآله: «**لا يحلُّ للمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، يلتقيان فيصدُّ هذا، ويصدُّ هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام**»[٣]، وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**قال لي النبيّ (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم): ألا أدلُّك على أكرم أخلاق الدنيا والآخرة؟ أن تصل من قطعك، وأن تعطي من حرمك، وأن تعفو عمَّن ظلمك**»[٤]، وغيرها من الروايات، التي لا يمكن للمسلم تجاهلها، فضلًا عن سيِّدة نساء العالمين، إلَّا أنَّه يبدو من ظاهر الأحاديث أنَّ العفو عن المسيء يكون للفرد حسنًا وممدوحًا في حدود حقِّه الشخصيّ، أمَّا عندما ترتبط الإساءة بالجانب الدينيّ، فالعقل قبل النقل يحكم بقُبح العفو عن المسيء؛ لأنَّ الحقَّ حينها لا يكون شخصيًّا أو خاصًّا بالفرد، وإنَّما يكون عامًّا؛ فلذلك لا يحقُّ للفرد عندها التنازل أو العفو عنه، وبذلك يروى عن النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله: «**تقرَّبوا إلى الله ببُغض أهل المعاصي، والقوهم بوجوه مكفهرَّة، والتمسوا رِضا الله بسخطهم، وتقرَّبوا إلى الله بالتباعد منهم**»[٥]، ولا ريب في أنَّ موقف السيِّدة الزَّهراء عليها السلام جاء من هذا المنطلق الثابت اتِّجاه القوم وعدم مسامحتهم؛ لأنَّ اعتداءهم عليها لا يمثِّل حقًّا شخصيًّا، بل حقًّا عامًّا؛ لأنَّه

(١) التغابن: ١٤.

(٢) صحيح مسلم، ج٨، ص٢١.

(٣) سنن الترمذيّ، الترمذيّ، تحقيق: عبد الرحمن محمَّد، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٣، ج٣، ص٢١٩.

(٤) المعجم الأوسط، الطبرانيّ، دار الحَرَمَين، القاهرة، ط١، ١٤١٥، ج٥، ص٣٦٤.

(٥) كنز العمال، ج٣، ص٦٥.

مرتبط بالعقيدة والدين؛ فلذا هجرت القوم ولم تكلِّمهم، بل لم تردَّ السلام عليهم، إلى أن التحقت بالرفيق الأعلى، وكأنَّها انطلقت من قوله تعالى: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا﴾[1]، في مقاطعتها للقوم؛ فلذلك جعلت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام غضبها مشهورًا واضحًا ومتواترًا بين عامَّة المسلمين، وذا بُعد إعلاميّ كبير.

٢. إنَّ السيِّدة فاطمة عليها السلام، لم تردَّ السلام على الشيخين، وهذا الكلام لا يخلو من عدَّة احتمالات، منها:

- عدم علم السيِّدة فاطمة عليها السلام، بوجوب ردِّ التحيَّة[2] الثابت بالنصِّ القرانيّ ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾[3]، ولكن هذا الاحتمال باطل قطعًا؛ إذ لا يُعقل أن تكون سيِّدة نساء العالمين غير عالمة بأبسط الأحكام الشرعيَّة، فصيرورتها سيِّدة نساء أهل الجنَّة ما هو إلَّا لتقدُّمها على النساء جميعًا في تطبيق الأحكام الشرعيَّة بكلِّ دقَّة، وعليه هذا الاحتمال لا يمكن الالتزام به.
- إنَّها عالمة بوجوب ردِّ التحية، ومع ذلك لم تردَّها؛ لأنَّها كانت غاضبة عليهما، فغضبها منعها من ذلك، وهذا الاحتمال أسوأ من الأوَّل؛ لأنَّه يجعل السيِّدة فاطمة عليها السلام مرتكبة للإثم عمدًا، وهذا الاحتمال لا يمكن قبوله أيضًا؛ لأنَّه لا يصمد أمام النصِّ القرآنيّ المطلق الذي شهد لأهل البيت عليهم السلام بطهارتهم من كلِّ العيوب والنقائص[4].

(١) الممتحنة: ٤.
(٢) المجموع، دار الفكر، بيروت، ج٤، ص٥٩٤.
(٣) النساء: ٨٦.
(٤) تفسير الثعالبيّ، الثعالبيّ، تحقيق: أبو سنَّة وآخرون، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ، ج٤، ص٣٤٦.

- إنَّ السيِّدة فاطمة عليها السلام عالمة بعدم وجوب ردِّ التحية عليها؛ وذلك إمَّا لكونها هازلين وغير قاصدين إلقاء التحيّة، وهذا الاحتمال بعيد؛ لأنَّ الأصل يبنى على جديَّتها وكونها قاصدين ذلك، إلَّا إذا نصَّت قرينة تدلُّ على خلاف ذلك، ولا يوجد ما يدلُّ على عدم جديَّتها، أو يُحتمل أنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام حكمت بكفرهما؛ لكونها أصرَّا على أذيَّة رسول الله صلى الله عليه وآله، بابنته الوحيدة الثابتة حرمتها بالنصِّ القرآنيّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[1]؛ وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2]، فلذلك قيل: «إنَّ ما قُصِد به أذى النبيّ (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، فهو موجب للقتل»[3]؛ لأنَّه بحكم المرتدِّ، وقد صرَّح الرسول صلى الله عليه وآله، في مواطن كثيرة أنَّ أذيَّة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، تستلزم أذيَّته صلى الله عليه وآله، بروايات مشهورة متواترة، منها: «فاطمة بضعة منِّي فمن آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله، وزاد أبو نعيم والدليمي: فعليه لعنة الله ملء السماء وملء الأرض»[4]، أو يحتمل أنَّها عليها السلام، لم تردَّ عليها تحيَّة السلام؛ لافترائها على رسول الله حديث (لا نورث)، الذي أنكرته الزَّهراء عليها السلام، بقولها: «**وأنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا، أفحكم الجاهليَّة تبغون؟ ومن أحسن من الله حكمًا لقوم يوقنون، ويهًا معشر المهاجرين، أأبتز إرث أبي؟ أفي الكتاب أن ترث أباك ولا أرث أبي؟ لقد جئت شيئًا فريّا، فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله والزعيم محمَّد والموعد القيامة،**

(١) الأحزاب: ٥٧.

(٢) التوبة: ٦١.

(٣) فتاوى السبكي، ج٢، ص٥٧٣.

(٤) فيض القدير، ج٦، ص٢٤.

**وعند الساعة يخسر المبطلون**»[1]، فالسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، تصف ما جاء به أبو بكر من حديث بالفريا؛ أي: باطل وكذب[2]، ومن كذَّب متعمِّدًا على رسول الله «فليتبوَّأ مقعده من النار»[3]؛ ولذلك شدَّد المسلمون على رواية الحديث الشريف، وحرصوا بالفحص عن الراوي قبل الرواية؛ لخطورة الدور الذي يقوم به الراوي؛ فلذلك حكم بعضهم بـ«قتل من يتعمَّد الكذب على رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، كما قتل النبيّ (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، الذي كذَّب عليه في حياته»[4]؛ لأنَّه بحكم المرتدِّ.

٣. صوَّرت السيِّدة فاطمة عليها السلام، غضبها بصورة مؤلمة وشديدة اللوعة؛ فعندما جاء الشيخان إليها، وحاولا الإذن للدخول لم تأذن لهما، وعندما أذن لهما الإمام عليّ عليه السلام، ودخلا، أدارت بوجهها نحو الحائط، ولم تنظر إليهما، ولم تكلِّمهما، وبعد أن شهدا أمامها بالحديث الذي سمعاه عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وأثبتت الحجَّة عليهما، أشْـهَـدَت الله وملائكته: أنَّهما قاموا بإسخاطها وإغضابها، وأنَّها غير راضية عنهما، وأنَّها شاكيتهما للرسول محمَّد صلى الله عليه وآله، يوم القيامة، فكلُّ هذه الأشياء التي قامت بها السيِّدة فاطمة عليها السلام، تحمل دلالة واضحة على عظيم غضبها، وعمقِ الجرح والألم الذي تلقَّته منهما، وأمَّا ما قيل: إنَّه «لـمَّا مرضت فاطمة رضي الله عنها، أتاها أبو بكر الصدِّيق، فاستأذن عليًّا، فقال عليّ رضي الله عنه: يا فاطمة، هذا أبو بكر يستأذن عليك. فقالت:

(١) بلاغات النساء، ص١٤.
(٢) العين، ج٣، ص٤٤٣، مادَّة: (فرى).
(٣) صحيح مسلم، ج١، ص٧.
(٤) المستدرك على فتاوى ابن تيمية، ابن تيمية، مكتبة مدرسة الفقاهة الإلكترونيَّة، ط١، ١٤١٨، ج٥، ص١١٥.

تحبُّ أن آذن له؟ قال: نعم، فأذنت له؛ فدخل عليها يترضَّاها، وقال: والله، ما تركت الدار والمال والأهل ولا العشيرة إلَّا ابتغاء مرضاة الله ومرضاة رسوله ومرضاتكم أهل البيت. ثمَّ ترضَّاها حتَّى رضيت»[١]، فذيل الخبر واضح البطلان من عدَّة جهات:

أ. إنَّ هذا الخبر مرسل يُعارَض بأخبار صحيحة ومُجمَع عليها من قِبَل رواة الحديث، ومنهم مسلم والبخاريّ، اللذان أثبتا أنَّ السيِّدة الزَّهراءعليها السلام، ماتت وهي غاضبة على أبي بكر، بأحاديث متعدِّدة، وبمضامين متقاربة:

- روى البخاريّ عن عائشة قالت: «إنَّ فاطمةعليها السلام، ابنة رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، سألت أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، أن يقسم لها ميراثها ما ترك رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، ممَّا أفاء الله عليه، فقال لها أبو بكر: إنَّ رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، قال: لا نورث ما تركنا صدقة، فغضبت فاطمة بنت رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرته حتَّى توفِّيت»[٢].

يظهر من هذا الحديث استمرار غضب السيِّدة الزَّهراءعليها السلام، على أبي بكر بعدَّة قرائن في النصِّ، منها:

**أوَّلًا: تركيب (لم تزل)**، والذي يدلُّ على استمرار الفعل عندما يتقدَّمه النفي[٣]، وهذا يعني أنَّ السيِّدة الزَّهراءعليها السلام، استمرَّت بمقاطعة أبي

(١) السنن الكبرى، ج٦، ص٣٠١.
(٢) صحيح البخاريّ، ج٤، ص٤٢.
(٣) شرح المفصَّل، ج٧، ص١٠٦.

بكر والغضب عليه طيلة حياتها.

**ثانيًا: مفردة (مهاجرته)**، والتي جاءت بصيغة (مفاعل)، وهي صيغة يستوي فيها المذكَّر والمؤنَّث، وعندما تُزاد فيها التاء تدلُّ على المبالغة[1]، وهذه الصيغة أيضًا فيها دلالة على المبالغة في شدَّة مقاطعة وغضب السيِّدة الزَّهراء عليها السلام على أبي بكر.

**ثالثًا: مفردة (حتَّى)**، الدالَّة على انتهاء الغاية[2]، وهذا يعني: أنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، قاطعت أبا بكر ولم تكلِّمه إلى آخر لحظة في حياتها، وعليه كيف رضيت عنه؟ فاستنادًا لما سبق يكون مجموع هذه الدلالات معارضة بشكل قطعيّ خبر رِضا السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، عن القوم.

- روى مسلم عن عائشة قولها: «أنَّ فاطمة بنت رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، أرسلت إلى أبي بكر الصدِّيق تسأله ميراثها من رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، ممَّا أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إنَّ رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، قال: لا نورث ما تركنا صدقة إنَّما يأكل آل محمَّد (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم) في هذا المال، وإنِّي والله لا أغيِّر شيئًا من صدقة رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم) عن حالها التي كان عليها في عهد رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، ولأعملنَّ فيها بما عمل به رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، فأبى أبو

(١) أبنية الأسماء والأفعال والمصادر، ابن القطَّاع، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ص٢٨٥.
(٢) مُغني اللبيب، ابن هشام، تحقيق: محمَّد محيي الدين، مكتبة المرعشيّ، قم المقدَّسة، ١٤٠٤، ج١، ص١٢٢.

بكر أن يدفع إلى فاطمة شيئًا؛ فوَجَدَت فاطمة على أبي بكر في ذلك، قال: فهجرته فلم تكلِّمه حتَّى توفِّيت، وعاشت بعد رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، ستَّة أشهر، فلمَّا توفِّيت دفنها زوجها عليّ بن أبي طالب ليلًا، ولم يؤذِّن بها أبا بكر، وصلَّى عليها عليّ»[١]، حيث يحمل هذا الحديث دلالات جديدة بالإضافة إلى الدلالات المطابقة لحديث البخاريّ السابق، منها:

**أوَّلًا: دلالة الحزن**، وهذه الدلالة تظهر بمفردة (فوَجَدَت)، وهذا يعني أنَّ السيِّدة الزَّهراءعليها السلام، كانت حزينة وغاضبة على أبي بكر[٢]؛ لما جرى عليها وعلى أهل بيتهاعليهم السلام، من إقصاء وسلب للحقوق.

**ثانيًا: دلالة التشديد** في مقاطعة السيِّدة الزَّهراءعليها السلام لأبي بكر، وهذا المعنى يظهر من الفعل المضارع المجزوم (فلم تكلِّمه)، فحرف الجزم (لم)، قد وسَّع دلالة الفعل المضارع؛ بالإضافة إلى دلالته على الحال والاستقبال ينطبق على الماضي، وبذلك قيل: إنَّ حرف الجزم (لم) ينقل الفعل المضارع إلى الماضي[٣]، فالسيِّدة الزَّهراءعليها السلام، لم تكلِّم أبا بكر منذ مقاطعتها له مباشرة ومن دون فاصل أو مدَّة زمنيَّة؛ فلذلك اقترن حرف الجزم (لم)، بـ(الفاء)، التي تدلُّ على الترتيب والتعقيب في وقوع المتعاطفين من دون فاصلٍ زمنيّ[٤].

(١) صحيح مسلم، ج٥، ص١٥٣.
(٢) العين، ج٦، ص١٦٩، مادَّة: (وجد).
(٣) شرح المفصَّل، ج٧، ص٤١.
(٤) شرح ابن الناظم على ألفيَّة ابن مالك، ابن الناظم، ناصر خسرو، طهران، ج١، ص٢٠٥.

**ثالثًا: مقاطعة** السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، لأبي بكر حتَّى بعد وفاتها، وهذا المعنى يظهر بالتركيب اللغويّ (ولم يؤذِّن بها أبا بكر)؛ وهذا يعني أنَّ أهل البيت عليهم السلام، منعوا أبا بكر من المشاركة في تشييع السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، ومن الحضور للصلاة عليها، وهذا يُظهِر غضبهم الشديد على أبي بكر وأنَّه غير مختصٍّ بالسيِّدة الزَّهراء عليها السلام فقط.

ب. اشتراك الخبرين بقدر متيقَّن، وهو استئذان أبي بكر على السيِّدة فاطمة عليها السلام؛ لطلب رضاها، بيد أنَّه لم يحصل على ذلك الرضا، وهذا ثابت صراحة بخبر ابن قتيبة، أمَّا خبر البيهقيّ فعدم رضا السيِّدة الزَّهراء عليها السلام على أبي بكر، يظهر من مفردة (ترضَّاها)، وما تفيده من دلالات متعدِّدة، والتي منها التكرار بطلب الفعل في مهلة[1]، وهذا يعني أنَّ أبا بكر طلب رضا السيِّدة الزَّهراء عليها السلام عدَّة مرَّات، إلَّا أنَّها لم ترضَ عنه؛ فلذلك ألحَّ في طلب رضاها بكثرة، واستنادًا لهذه الدلالة تكون المرَّات الأُوَل التي طلب أبو بكر بها رضا السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، ولم تستجب له هي قدر متيقَّن مشترك دلالته مع خبر ابن قتيبة، إضافة إلى ذلك، فإنَّ هذا القدر المتيقَّن، وهو عدم رضا السيِّدة الزَّهراء عليها السلام عن أبي بكر، يتوافق مع الخبر القطعيّ المنصوص عليه بحديث عائشة المذكور سابقًا، من أنَّ السيِّدة فاطمة عليها السلام، ماتت وهي غاضبة على أبي بكر، وأمَّا المقدار الزائد على القدر المتيقَّن؛ أي رضا السيِّدة الزَّهراء عن أبي بكر، فيجب طرحه بحكم العقل؛ لمعارضته النصَّ القطعيّ الصريح والأصل.

(١) شرح شافية ابن الحاجب، الرضيّ، تحقيق: محمَّد محيي الدين، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ج١، ص١٠٤.

ج. عدم اختلاف خبر البيهقيّ كثيرًا عن خبر ابن قتيبة، إلَّا من جهتَين: الأولى في الإجمال والتفصيل، فخبر البيهقيّ مُجمل ومقتضَب، في حين أنَّ خبر ابن قتيبة مفصَّل، أمَّا الجهة الثانيَّة: ففي ذيل الخبرَين؛ إذ يثبت البيهقيّ في ذيل خبره رضا السيِّدة الزَّهراء عليها السلام على أبي بكر، بقوله: «ثمَّ ترضَّاها حتَّى رضيت»، في حين يثبت خبر ابن قتيبة خلاف ذلك «فإنِّي أُشهد الله وملائكته أنَّكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيتُ النبيّ لأشكونَّكما إليه، فقال أبو بكر: أنا عائذ بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة، ثمَّ انتحب أبو بكر يبكي، حتَّى كادت نفسه أن تزهق، وهي تقول والله لأدعونَّ الله عليك في كلِّ صلاة أُصلِّيها»، فلو لم يكن الشيخان يعلمان بخطورة الموقف الذي قاما به اتِّجاه السيِّدة فاطمة عليها السلام، لَـمَا شغلهما هذا الأمر، ولَـمَا قال أبو بكر: «أنا عائذ بالله من سخطه وسخطك يا فاطمة»، ولَـمَا انتحب باكيًا حتَّى تكاد تزهق نفسه، فلا بدَّ من كون الظلم الصادر منهما أكبر من ذلك، والحال أنَّ المسلمين كلَّهم أو جلَّهم يحفظون الحديث المشهور والمتواتر للرسول صلى الله عليه وآله: «**فاطمة بضعة منِّي يؤذيني ما آذاها**»[1]، والذي استدلَّ به المسلمون على أنَّ من أغضب السيِّدة فاطمة عليها السلام، أو سبَّها فقد كفر وخرج عن الإسلام[2].

(١) صحيح البخاريّ، ج٢ ص٦٦٣.

(٢) فتح الباري، ج٧، ص٨٢، وعمدة القاري، ج١٦، ص٢٤٩.

## المطلب الثاني: صناعة التشكيك لتضعيف موقف السيِّدة الزَّهراء عليها السلام

تعدَّدت مزاعم أبي بكر لمواجهة موقف السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، الرافض لسياسته المتَّبعة تجاه أهل البيت عليهم السلام، والأمَّة الإسلاميَّة، فكان من تلك المزاعم تكذيبه السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، في مسألة امتلاكها فدكًا؛ حيث أثبتت مصادر مختلفة أنَّ السيِّدة فاطمة أتت أبا بكر «فقالت: إنَّ رسول الله أعطاني فدكًا، فقال: هل لك بيِّنة؟ فشهد لها عليٌّ وأمُّ أيمن»(١)، «والحسن والحسين وأمُّ كلثوم»(٢)، «ومولى للرسول عليه [وآله] السلام»(٣)، «فلم يقبل منها؛ لمكان الزوجيَّة، والبنوَّة، وعدم كفاية المرأة الواحدة في الشهادة في هذا الباب»(٤)، وهذا الكلام غير تام من عدَّة جهات:

١. ردُّ شهادة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، للزوجيَّة فهو غير تامّ؛ لأنَّه بناءً على أحد القولَين: «تُقبَل شهادة أحد الزَّوجَين للآخر»(٥)، وعليه يكون قول المنع ظنِّيًّا؛ لأنَّه معارَض بقولٍ آخر.

٢. ردُّ شهادة الحسن والحسين وأمُّ كلثوم عليهم السلام، غير تامٍّ أيضًا؛ لذهاب كثير من فقهاء المذهب السنِّيّ إلى قبول شهادة البنوَّة؛ لعموم قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡ﴾(٦).

٣. ردُّ شهادة مولى رسول الله محمَّد صلى الله عليه وآله، فهو غير صحيح؛ لأنَّ «شهادة المولى

(١) الصواعق المحرقة، ص٣٧.
(٢) المواقف، الإيجيّ، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٧، ج٣، ص٥٩٨.
(٣) تفسير الرازي، ج٢٩، ص٢٨٤.
(٤) تفسير الآلوسيّ، ج٢١، ص٤٥.
(٥) المجموع، ج٢٠، ص٢٣٥.
(٦) المصدر نفسه، ج٢٠، ص٢٣٤.

جائزة»[١] بالإجماع في مثل هذه المواطن، وعليه يكون ردُّ الشهادات المتعدِّدة غير تام، ولا يمكن قبوله؛ كونه كيلًا بمكيالَين، إذ كيف تردُّ شهادة ستَّة من الصحابة وأهل البيت عليهم السلام، لشبهة مفتعلة؟ وقبول رواية أبي بكر لحديث: «لا نورث»، الذي يعدُّ محلَّ تهمة جلب المنفعة لنفسه؛ لأنَّ ظاهر الحديث، وإن اقتضى حرمان ورثة رسول الله صلى الله عليه وآله جميعهم من الإرث، بما فيهم عائشة، فإنَّ الواقع خلاف ذلك؛ حيث استولى أبو بكر على خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله، واستولى بروايته هذا الحديث على إرث النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله، كلِّه، ومن الطبيعيّ ما حصل عليه أبو بكر يرجع نفعه لعائشة؛ لأنَّها ابنته، وعليه تكون مسألة جلب النفع ظاهرة جليًّا؛ ولذلك أفتى علماء الفقه بردِّ شهادة جار المغنم أو المنفعة لنفسه[٢]، ودعوى أنَّ رواية أبي بكر لحديث: «لا نورث» قطعيَّة تفوق التواتر؛ لأنَّه سمع مباشرة من الرسول محمَّد صلى الله عليه وآله، فهذه من باب أولى انطباقها على السيِّدة الزَّهراء عليها السلام؛ لأنَّ أبا بكر «ما كان محتاجًا إلى معرفة هذه المسألة البتَّة؛ لأنَّه ما كان ممَّن يخطر بباله أنَّه يرث من الرسول عليه الصلاة و[آله] السلام، فكيف يليق بالرسول عليه الصلاة و[آله] السلام، أن يبلِّغ هذه المسألة إلى من لا حاجة به إليها؟ ولا يبلِّغها إلى من له إلى معرفتها أشدّ الحاجة؟»[٣].

٤. أثبتت أمَّات المصادر أنَّ أرض فدك وهبها النبي محمَّد صلى الله عليه وآله، للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، في حياته، وفي ذلك روى كثير من المحدثين أنَّه «لما نزلت ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ

(١) المدوَّنة الكبرى، مالك، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ج٥، ص١٥٤.

(٢) على سبيل المثال، ينظر: المبسوط، السرخسيّ، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٩٨٦، ج٢٦، ص١٦٥، بدائع الصنائع، والكاشانيّ، المكتبة الحبيبيَّة، باكستان، ط١، ١٩٨٩، ج٧، ص٣٩١، والمجموع، ج٢٠، ص٢٥٠، وغيرها من المصادر.

(٣) تفسير الرازي، ج٩، ص٢١٠.

حَقَّهُ﴾[1]، قال النبيّ صلَّى الله عليه و[آله] سلَّم: يا فاطمة لك فدك»[2]، وعليه يكون منع السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، من فدك تعدِّيًا واضحًا.

وأمَّا ما قيل: «وهذا الحديث مُشكل لو صحَّ إسناده؛ لأنَّ الآية مكيَّة، وفدك إنَّما فُتِحت مع خيبر سنة سبع من الهجرة، فكيف يلتئم هذا مع هذا؟»[3]، فيمكن ردُّ هذا الاعتراض: بأنَّه لا توجد معارضة في ذلك البتَّة؛ لأنَّ نزول الآية قبل فتح خيبر وفدك، لا يعني كذب الحديث أو ضعفه؛ فـ«قد ينزل الشيء مرَّتَين تعظيمًا لشأنه، وتذكيرًا به عند حدوث سببه خوف نسيانه؛ وهذا كما قيل في الفاتحة نزلت مرَّتَين: مرَّة بمكَّة، وأخرى بالمدينة؛ وكما ثبت في الصَّحيحَين عن أبي عثمان النهديّ عن ابن مسعود: أنَّ رجلًا أصاب من امرأة قبلة، فأتى النبيّ (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم) فأخبره، فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[4]، فقال الرجل: إليَّ هذا ؟ فقال: بل لجميع أمَّتي. فهذا كان في المدينة، والرجل قد ذكر الترمذيّ أو غيره أنَّه أبو اليسر، وسورة هود مكيَّة بالاتِّفاق، ولهذا أشكل على بعضهم هذا الحديث مع ما ذكرنا، ولا إشكال؛ لأنَّها نزلت مرَّة بعد مرة، ومثله ما في الصَّحيحَين عن ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾[5]، أنَّها نزلت لـمَّا سأله اليهود عن الروح وهو في المدينة، ومعلوم أنَّ هذه في سورة (سبحان)، وهي مكيَّة بالاتِّفاق؛ فإنَّ المشركين لـمَّا سألوه عن ذي القرنين، وعن أهل الكهف، قيل ذلك بمكَّة، وأنَّ اليهود أمروهم أن يسألوه عن ذلك؛ فأنزل الله الجواب كما قد بسط في موضعه. وكذلك ما ورد

(١) الإسراء: ٢٦.
(٢) كنز العمَّال، ج٣، ص٧٦٧، ومجمع الزوائد، ج٧، ص٤٩، ومسند أبي يعلى، ج٢، ص٣٣٤، وغيرها من المصادر.
(٣) تفسير ابن كثير، ابن كثير، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٩٩٢، ج٣، ص٣٩.
(٤) هود: ١١٤.
(٥) الإسراء: ٨٥.

في ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[1]، أنَّها جواب للمشركين بمكَّة، وأنَّها جواب لأهل الكتاب بالمدينة.

وعليه، وبعد كلِّ هذه الشواهد القرآنيَّة المتكرِّر نزولها، لا مانع أن تكون آية ذي القربى قد تكرَّر نزولها أيضًا، وبذلك لا تعارض ولا إشكال في حديث هبة الرسول صلى الله عليه وآله للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وخاصَّة أنَّه أثبته جهابذة رواة الحديث عند المذهب السنِّيّ.

## خاتمة البحث

خلص البحث إلى عدد من النتائج، يمكن بيانها بالنقاط الآتية:

١. بيَّن البحث توظيف السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، غضبها على أبي بكر ومقاطعتها له بحزم وثبات؛ رفضًا للظلم الحاصل اتِّجاه أهل البيت عليهم السلام، بمصادرة حقِّهم بالخلافة، وحرمانهم من تركة رسول الله صلى الله عليه وآله.

٢. أثبتت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام موقفها المعارض بشكلٍ واضحٍ من دون تردُّد أمام خاصَّة الناس وعامَّتهم، وبطرق وأساليب علميَّة متعدِّدة؛ لقطع الطريق أمام التدليس والتشكيك.

٣. استطاع البحث جمع الحجج والبراهين التي تثبت حقانيَّة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بفدك، وكونها خارجة عن معادلة الإرث المزعومة؛ لكونها نِحلة خصَّ بها رسول الله صلى الله عليه وآله السيِّدة فاطمة عليها السلام، بموجب آية القربى، وحلِّ الإشكال المثار حول مكيَّة الآية ومدنيَّة فدك، بأسلوبٍ علميٍّ غير مُنحَاز.

(١) الإخلاص: ١.

## مصادر البحث ومراجعه

* القرآن الكريم.

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمَّد أبو الفضل، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٩٩٦م.

٢. ابن القطَّاع، أبنية الأسماء والأفعال والمصادر، دار الكتاب العربيّ، بيروت.

٣. ابن الناظم، شرح ابن الناظم على ألفيَّة ابن مالك، ناصر خسرو، طهران.

٤. ابن تيمية، المستدرك على فتاوى ابن تيمية، مكتبة مدرسة الفقاهة الإلكترونيَّة، ط١، ١٤١٨.

٥. ابن حبَّان، الثقات، مجلس دائرة المعارف، الهند، ط١، ١٣٩٣.

٦. ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاريّ، دار المعرفة، بيروت، ط٢.

٧. ابن حمدون، التذكرة الحمدونيَّة، تحقيق: إحسان عبَّاس وبكر عبَّاس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

٨. ابن سعد، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت.

٩. ابن شبَّة، تاريخ المدينة، تحقيق: فهيم محمَّد، دار الفكر، قم.

١٠. ابن عبد البرِّ، التمهيد، تحقيق: مصطفى أحمد ومحمَّد عبد، وزارة الأوقاف، المغرب العربيّ.

١١. ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، تحقيق: طه الزينيّ، مؤسَّسة الحلبيّ.

١٢. ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: عليّ شيري، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط١، ١٩٨٨.

١٣. ابن هشام، السيرة النبويَّة، تحقيق: محمَّد محيي الدين، المدنيّ، القاهرة، ١٩٦٣.

١٤. ابن هشام، مغني اللبيب، تحقيق: محمَّد محيي الدين، مكتبة المرعشيّ، قم المقدَّسة، ١٤٠٤.

١٥. ابن يعيش، شرح المفصل، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ٢٠٠١.

١٦. أبو يعلى الموصلِّيّ، مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم، دار المأمون للتراث، دمشق.

١٧. أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبيّ، دار صادر، بيروت.

١٨. أحمد بن الحسين البيهقيّ، السنن الكبرى، دار الفكر، بيروت.

١٩. أحمد بن طيفور، بلاغات النساء، مكتبة بصيرتيّ، قم.

٢٠. بدائع الصنائع في ترتيب الشرايع، علاء الدين الكاسانيّ الحنفيّ، المكتبة الحبيبيَّة، باكستان، ط١، ١٤٠٩هـ.

٢١. بلاغات النساء، أبو الفضل بن طيفور، مكتبة بصيرتي، قم المقدَّسة.

٢٢. تاريخ الأمم والملوك، محمَّد بن جرير الطبريّ، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، د.ط، د.ت.

٢٣. التفتازانيّ، شرح المقاصد، دار المعارف، باكستان.

٢٤. الثعالبيّ، تفسير الثعالبيّ، تحقيق: أبو سنَّة وآخرون، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

٢٥. الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزوميّ والسامرَّائيّ، دار الهجرة، إيران، ط٢، ١٤٠٩هـ.

٢٦. رضيّ الدين الاسترآباذيّ، شرح الرضي على الكافية، مؤسَّسة الصادق، طهران.

٢٧. الرضي، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق: محمَّد محيي الدين، دار الكتب العلميَّة، بيروت.

٢٨. الزركشيّ، البحر المحيط في أصول الفقه، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ٢٠٠٠.

٢٩. الزركشيّ، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتاب العربيّ، بيروت، ط١.

٣٠. الزمخشريّ، الفايق في غريب الأثر، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

٣١. شمس الدين السرخسيّ، المبسوط، دار المعرفة، بيروت.

٣٢. الطبرانيّ، المعجم الأوسط، دار الحرمَين، القاهرة، ط١، ١٤١٥.

٣٣. عبد الكريم السمعانيّ، الأنساب، دار الجنان، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

٣٤. العينيّ، عمدة القاري، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت.

٣٥. فاضل السامرَّائيّ، معاني النحو، دار الفكر، عمان، ط١، ٢٠٠٠م.

٣٦. القرّطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: إبراهيم إطفيش، دار إحياء التراث العربيّ، ط١، ١٩٨٥.

٣٧. مالك بن أنس، المدوَّنة الكبرى، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت.

٣٨. المتَّقي الهنديّ، كنز العمَّال، مؤسَّسة الرسالة، بيروت.

٣٩. محمَّد بن إسماعيل البخاريّ، صحيح البخاريّ، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.

٤٠. محمَّد رضا المظفَّر، المنطق، جماعة المدرِّسين، قم المقدَّسة.

٤١. مسلم بن الحجَّاج، صحيح مسلم، دار الفكر، بيروت.

٤٢. مسند أحمد، أحمد بن حنبل، دار صادر، بيروت.

٤٣. النوويّ، شرح صحيح مسلم، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٧.

# إيديالِيَّة الزَّهراء عليها السلام ورؤيتها الرِّساليَّة الثَّاقبة
# خطبة فدك أنموذجًا

د. ريما حسين أمهز

الجامعة اللُّبنانيَّة/ كليَّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة

**الملخَّص**

إنَّ من أشرف الخطب وأعلاها رتبة في البلاغة، وأسناها ذروة في الاشتمال على المعارف الإلهيَّة، ما صدرت عن مشكاة النبوَّة ومغرس الإمامة، بضعة المصطفى صلى الله عليه وآله، وحليلة المرتضى عليه السلام، وأمُّ الأئمَّة النُّقباء عليهم السلام، سيِّدة النِّساء، فاطمة الزَّهراء سلام الله عليها، الخطبة المشهورة الغرَّاء، الَّتي عجزت عن إنشاء مثلها أو ما يدانيها ألسن الأدباء والبلغاء، خطبة فدك الَّتي تعتبر منشورًا متكاملًا، وميثاقًا مهمًّا للحقِّ والعدل والحريَّة عبر التاريخ، تلك الخطبة الَّتي أنشأتها في مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله، حين بلغها منع أبي بكر لها فدك، وإخراج وكلائها منها، واستيلاؤه عليها تغلُّبًا ومصادرةً، فخرجت إلى المسجد وفي نفسها مبادئ محمَّد صلى الله عليه وآله، وروح خديجة عليها السلام، وبطولة عليّ عليه السلام، وإشفاق عظيم على هذه الأمَّة من مستقبل مظلم، تحاجُّ أبا بكر، وتدافع عن فدكها الَّذي كان يتضمَّن في حقيقة الأمر الدِّفاع عن قضيَّة كبرى تتمثَّل بأولويَّة المنصب الإلهيّ بعد الرَّسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وأنَّه حقٌّ ثابت لزوجها وابن عمِّها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه أفضل الصَّلاة والسَّلام، فالمسألة ليست مسألة ميراث ونِحلَة، وليست مطالبة بعقار أو دار، بل هي في نظر الزَّهراء مسألة إسلام وكفر، ومسألة إيمان ونفاق، ومسألة نصٍّ وشورى.

من هنا جاء البحث للإضاءة على قضيَّة فدك، وتأثير الزَّهراء عليها السلام فيما صدعت به في خطبتها، وليتتبَّع ذلك السَّيل المنحدر من الأعالي في معارضتها الَّتي تحوَّلت ثورةً عارمةً هزَّت عروش الظَّالمين، وكشفت اللِّثام عن وجه الطَّواغيت، وبيَّنت الحقائق النَّاصعة، ووضعت النقاط على الحروف، حتَّى صارت رمز الانتصار والخلود للسَّائرين على دربها القويم.

**الكلمات المفتاحيَّة**: فاطمة عليها السلام، فدك، معارضة، رؤية، خلود.

## المقدِّمة

تبلور الفيض الإلهيّ الأتمّ في جوهرتَين وضيَّتين من عالمي الرِّجال والنِّساء، تمثَّلت الجوهرة الأولى في الذَّات المحمَّديَّة العلويَّة الَّتي هي ذروة الرِّفعة للأعيان مادَّةً وروحًا، وقائدة مسيرة السَّلام نحو غاية الغايات، قيادة بعيدة عن الأوهام الرُّهبانيَّة، ودناءة الحجب الماديَّة لتحقيق السَّعادة الأبديَّة.

وتمثَّلت الجوهرة الثَّانية في الطَّلعة الفاطميَّة الَّتي كانت شاهدًا لجمع مراتب الفيض، وتجسيمًا لروح الإسلام، وكانت خطَّ وصلٍ من الطُّهر والعَفاف زنَّر الأرض فخفَّف إرهاقها، وعانق الأجيال فلوَّن آفاقها.

فالزَّهراء عليها السلام إذًا جوهرة نوريَّة من عالم الغيب، تجسَّدت في عالم الشُّهود حوراء بشريَّة، وشجرة زيتونة أضاءت فأشرقت السَّماوات والأرض بنورها، وامتلأت الأقطار بطيبها، وتظلَّل الأنبياء والأوصياء في ظلِّ فنائها الواسع، فهي قطعة درِّيَّة انفلق نورها الأزهر وسط هذه الدُّنيا المرتقبة للهدى، فحملت صكَّ الوصاية، وتفتَّقت خاصرتها عن سلالة هي ديمومة النبوَّة في خطِّها الصَّاعد مع الأجيال.

عاشتِ الكِير في انتساب الكبر إلى سماواته، فهي ومضة من نور عين المصطفى، ألمع جبين رفع الأرض على منكبيه، واستنزل السَّماء على راحتيه، ابنة رجل هزَّ جذور الفكر في الإنسان، وقفز به فوق الأجيال، وهي حليلة المرتضى الَّذي كمل بحبِّه الدِّين، وقال بولايته أهل اليقين، ورجحت به الموازين، أعزّ بطل في الإسلام، رفع الإسلام بسيفه وبيانه، وأنتج للنَّاس فكرًا هو من منطق الخير نقطة الدَّائرة.. عبَّت من الأوَّل كما

عبَّت من الثَّاني، فإذا هي قبس من ذكم الضِّياء النَّبويّ العلويّ المتلألئ، وإذا نهجها في الحياة امتداد لنهج مرسوم، يمثِّل الذَّروة والأساس لتجلِّي العظمة والسُّؤدد في تاريخ البشريَّة.

ودار الزَّمان، ودارت المحاورات الكثيرة من أهل الشِّرك والضَّلال، الَّذين لم يرق لهم أن يروا هذه العزَّة والمنعة في هذا البيت القدسيّ، فقرَّروا بعد وفاة الرَّسول صلى الله عليه وآله، تجريد فاطمة وعليّ عليهما أفضل الصَّلاة والسَّلام ممَّا يتمسَّكون به بكلِّ ما كانت تجود به الأساليب. وكان التَّصرُّف بالخلافة على النَّحو الَّذي انتقلت فيه إلى يد أبي بكر هو ما برَّز فاطمة إلى السَّاحة المكشوفة بروزًا أضفى عليها هالة من البطولات، وكانت فدك مفتاحًا للبوَّابة الَّتي أطلَّت منها فاطمة على رحابة التَّاريخ، ورمزيَّة ارتفعت بالمنازعة من مخاصمة عاديَّة منكمشة في أفقها، محدودة في دائرتها، إلى ثورة واسعة النِّطاق، رحيبة الأفق، فكانت خطبة فدك الَّتي ألقتها في مسجد أبيها صرخة على أسس الحكم، أرادت أن تقتلع بها الحجر الأساس الَّذي بنى عليه التَّاريخ بعد يوم السَّقيفة. كما أردات أن تُفهِم النَّاس بأنَّ اللَّحظة الَّتي عدلوا فيها عن عليّ عليه السلام إلى أبي بكر كانت لحظة هوس وشذوذ، وأنَّهم بذلك أخطأوا وخالفوا كتاب ربِّهم، ووردوا غير شربهم.

ولأنَّ ولاءنا لرسول الله صلى الله عليه وآله يتجسَّد بشخص فاطمة، فلا بدَّ من التَّأكيد على قضيَّتها الَّتي تعتبر قضيَّة مركزيَّة في حياتنا الفكريَّة والإيمانيَّة، ولها ارتباط بأمر أساسيّ في هذا الدِّين، فلا ينبغي الاستهانة بها، أو التَّقليل من أهميَّتها.

من هنا كان هذا البحث للإضاءة على قضيَّة فدك، وتتبُّع معارضة الزَّهراء عليها السلام الَّتي تحوَّلت ثورةً عارمة هزَّت عروش الظَّالمين، وكشفت اللِّثام عن وجه الطَّواغيت، وبيَّنت الحقائق النَّاصعة، ووضعت النِّقاط على الحروف حتَّى صارت رمز الانتصار والخلود للسَّائرين على دربها القويم. وكان المنهج التَّاريخيّ سبيلنا إلى المنهج التَّحليلي في هذه الدِّراسة.

وقد قسَّمنا هذا البحث على مقدِّمة ومبحثَين محوريَّين وخاتمة. ذكرنا في المقدِّمة أهميَّة الموضوع وأسباب اختياره، وتناولنا في المبحث الأوَّل نفحات موجزة من عبير سيرة فاطمة عليها السلام وإشعاعات من نورها، وأشرنا في المبحث الثَّاني إلى تاريخها الجهاديّ المشرق، وقيادتها للمعارضة السِّليمة، وصدارتها في النَّكير الهادف من خلال خطبة فدك، لعلَّ بحثنا يحمل فكرة جديدة عن هذه الشَّخصيَّة الإيديواليَّة المدهشة الَّتي ضربت أروع الأمثال لأسمى الأفكار في أسمى النُّفوس من دنيا البشريَّة، وعجز الدَّهر أن يزعزعها أو يغيِّر شيئًا من جوهرها.

أمَّا الخاتمة، فقد كانت لذِكر أهمِّ النَّتائج الَّتي توصَّل إليها البحث.

## المبحث الأوَّل

### إشعاعات من نور فاطمة عليها السلام

إنَّ تملِّي أبعاد هذا الشَّخصيَّة الشَّاهقة يتطلَّب طاقة لا تحتملها حتَّى الجبال الرَّواسي، ويحتاج إلى لغةٍ أُخرى؛ لغة تتناهى في امتدادها حتَّى تبلغ الوجود سعةً، عساها عندئذ أنْ تؤلِّف كلامًا يرتقي إلى مدى هذا النُّور القدسيّ، ويكون جديرًا به.

فمنذ أن بزغ إشعاع هذه الروح الملائكيَّة الطَّاهرة، عمَّت البهجة بيت النبوَّة، وانتشرت أعلام الهداية خفَّاقة، وامتدَّ نورها الدُّرِّيّ نحو علياء السَّماء، فصارت ندى الفجر في الأنداء، وإشراقة الضُّحى في الأضواء، وائتلاف النُّجوم في السّماء..

ترعرعت عليها السلام في بيت يعيش الجهاد من أجل العقيدة منطلقًا لنداء التَّوحيد بعد هبوب غيوم الظُّلمات، وفي أجواء الصَّبر والصمود وتحمُّل المشاقِّ؛ ويَنَعت بين خمائل الوحي الَّذي كان يتنزَّل على خاتم المرسلين، فكان لها القائد والمولى والمقتدى.

أحاطتها أشواق الوالدين بهالة قدسيَّة، فنشأت في غمار العواطف الصَّادقة والحبِّ الطَّاهر المتبادَل بين رسول الرَّحمة وبين خديجة الَّتي ما نسي النبيّ صلى الله عليه وآله عواطفها وإخلاصها طوال حياته، فنبتت فاطمة عليها السلام كشجرة درِّيَّة تغتذي الإيمان من أبوَين طاهرَين يواجهان عالم الشِّرك، بعد أن سُدِّدت لهما آلاف السِّهام من المشركين والمنافقين، وطواغيت العرب والعجم واليهود، حتَّى أخذت الدَّعوى تهزُّ أركان الطَّواغيت من ذلك البيت البعيد عن زخارف الدُّنيا، الرَّفيع بالصَّفاء والسَّلام. فأصبحت تعيش روح العرفان والجهاد المليء ببهجة الثَّبات، وثقل الدَّعوة، غير مكترثة بكثرة جنود الشَّيطان.

ولكن لم يمهل الزَّمن فاطمة حتَّى صادفها إعصار هائل سهَّد عينيها بالحزن المرِّ، وحوَّل الطُّمأنينة إلى قلق واضطراب، حين اختُطِف منها حضن الأمِّ الرَّؤوم، حضن خديجة الَّتي نبذت دنياها المتنعِّمة، وبذلت كلَّ شيء من أجل إحياء كلمة الله، وصارت تنام لياليها في إزار خشن أبلاه الدَّهر، كان هو حصيلتها من تلك الثَّروة، ولم تكن في نفسها هِنة من ندم، وعاشت حياتها بفخر عظيم يغمر روحها، من إنَّها ستقوِّي شوكة الإسلام ونبيِّه، فهجرت الدُّنيا، ووسَّدت خدَّيها بتراب الإسلام.

ولأنَّ صعاب الأمور تبلور جوهرة الإنسانيَّة في عظماء الخلق، فيزدادون رفعةً وثباتًا وعطاءً، بينما تُحدِث في نفوس الضُّعفاء اضطرابًا وانهيارًا وحقدًا وهزيمةً عن ساحة النِّضال، والتَّخلِّي عن المبادئ والقيم إذا حمى الوطيس، فإذا بنا نلمس في الزَّهراء روحًا لم تنل منها الأيَّام العسيرة إلَّا لتزيدها قوَّة وإباءً، فسعت مخلصةً لسدِّ الفراغ الرعائي الَّذي عاشه رسول الله الأعظمﷺ، وأزعجه وانعكس على قلبه الرَّهيف المشتاق إلى الحبِّ في حياته، وفي عمله المضني، وفي مواجهة بيئته القاسية، فنجحت في إعادة الاكتفاء العاطفيّ إلى رسول اللهﷺ، ورافقته بقلب، وحضنته بروح، وضمَّته بشوق، لتخفِّف ثقل الرِّسالة عن عاتقه، بحيث قضى حياته يحمل أثقال الوحي وإحياء الإنسانيَّة بما يكلِّف من صعاب الأمور وعظيم الأخطار.

لقد صارت حبيبة النُّور المبين، والأنشودة المحبَّبة إلى قلبه المتهجِّد باسم الله، أضفى عليها بُردًا من البرِّ الأبويّ الكريم، فبصَّرها بأمور الدُّنيا والدِّين، وعلَّمها سُبل الرِّسالة الغرَّاء، وكان يعاملها معاملة الأمِّ، فيقبِّل يدها ويخصُّها بالزِّيارة عند كلِّ عودة منه إلى المدينة، ويودِّعها منطلقًا من عندها إلى أسفاره ورحلاته[1]، وكان يتزوَّد من هذا النَّبع الصَّافي عاطفة لسفره. وهذا الإحساس القويّ بالأبوَّة يتجسَّد في صِلاته مع فاطمة، فحينما أمر الله تبارك تعالى النَّاس بأن يخاطبوا محمَّدًا برسول اللهﷺ، ونفَّذت فاطمة هذا

(١) البيهقيّ، السُّنن الكبرى: ٧/ ١٠١.

الأمر، منعها رسول الله، وطلب إليها أن تدعوه «**يا أبه**»[1].

لقد كان وجود الرَّسول صلى الله عليه وآله يحكي مثاليَّة الأبوَّة لفاطمة عليها السلام، وكانت فاطمة عليها السلام تحكي للرَّسول صلى الله عليه وآله مثاليَّة البنوَّة والأمومة بما تحمل من عظيم العطف والحنان والرَّاحة لنفسه، والتَّاريخ يؤكِّد هذا حينما ينقل تكرارًا على لسان النَّبيّ صلى الله عليه وآله: «**فاطمة أمُّ أبيها**».

وبفضل هذا الحبِّ ازدوجت لها الحالتان، فهي بنت أبيها في الوقت الَّذي أصبحت فيه «أمُّ أبيها»، وتلك أوَّل تسجيلة حلوة من نوعها تأخذها صفحة ناعمة من صفحات التَّاريخ. وهذا إن دلَّ على شيء، إنَّما يدلُّ على إظهار شدَّة الحبِّ من نفسٍ لا تحبُّ إلَّا في ذات الله؛ لترسم للأجيال قُرب المحبوب إلى الله تعالى؛ ليُصبح حبُّ فاطمة وأذاها إحدى الملاكات الَّتي ترسم خطى الإسلام بعد الفطرة والعقل، فبهذه الكلمات وأمثالها الَّتي تواترت في كتب الحديث والسِّيرة من رسول الله محمَّد صلى الله عليه وآله: «**فاطمة بضعة منّي من آذاها فقد آذاني، ومن ومن أحبّها فقد أحبّني**»[2]، «**إنَّ الله ليَغضَب لغضب فاطمة**»[3]، و«**فاطمة قلبي وروحي الَّتي بين جنبيَّ**»[4]، «**فاطمة سيِّدة نساء العالمين**»، و«**فاطمة أعزّ النّاس عليّ**»[5]، أراد الرَّسول صلى الله عليه وآله إتمام الحجَّة على العباد، لكي لا تبقى حجَّة لأحد يدَّعي اختلاط الأمر بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو يشاهد من تعدَّى على بضعة الرَّسول صلى الله عليه وآله.

وفي هذا الضَّوء نجدها قطعة من توجيهه المشرق، ونفحة من عبيره الفوَّاح، ومسحة من النُّور الإلهيّ، وفيضًا من الوحي السَّماويّ، وصورة متألِّقة السِّمات عن الرَّسول العربيّ الكريم في الخلق والاستواء والتَّشابه، حتَّى قالت عائشة: «ما رأيت

(١) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب: ٣/ ٣٦٧.
(٢) الصَّدوق، الأمالي: ٣٩٤.
(٣) الطَّبري، محمَّد بن جرير، دلائل الإمامة: ٥٢.
(٤) الصَّدوق، م.س: ٣٩٤.
(٥) المجلسيّ، بحار الأنوار: ٤٣/ ٢٣.

أحدًا كان أشبه كلامًا وحديثًا برسول الله ﷺ من فاطمة، وكانت إذا دخلت عليه، قام إليها فقبَّلها، ورحبَّ بها كما كانت تصنع هي»[١].

والحديث عن فاطمة بما هي جزء من كيان النَّبيّ ﷺ، ووجوده الإنسانيّ والرِّساليّ، بكلِّ ميزاته، ودقائقه، وخصوصيَّاته التَّفصيليَّة كإنسان إلهيّ كامل، يمثِّل الإنسانيَّة والفطرة، والكمال والصَّفاء، والحقّ والصِّدق بأجلى هذه المعاني وأدقِّها وأسماها. فاستحقَّت بذلك كلّه تلك البشرى الربَّانيَّة الَّتي نزل بها الوحي الأمين، وردَّدتها شفتا الصَّادق الصدوق: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٢].

وقد كان النَّبيّ ﷺ نفسه يوجِّه حتَّى بأصحاب الحاجات الماديَّة إلى بيت فاطمة عليها السلام، كما في قضيَّة الأعرابيّ الَّذي أعطته عقدها وفراشًا للحَسنَين عليهما السلام.

عن جابر بن عبد الله الأنصاريّ، قال: «صلَّى بنا رسول الله ﷺ صلاة العصر، فلمَّا انفتل، جلس في قبلته والنَّاس حوله، فيما هم كذلك، إذ أقبل إليه شيخ من مهاجرة العرب، عليه سمل قد تهلَّل وأخلق، وهو لا يكاد يتمالك كبرًا وضعفًا، فأقبل عليه رسول الله ﷺ يستحثُّه الخبر، فقال الشَّيخ يا نبيَّ الله أنا جائع الكبد فأطعمني، وعاري الجسد فاكسني، وفقير فأرشني، فقال ﷺ: **ما أجد لك شيئًا، ولكنَّ الدَّال على الخير كفاعله، انطلق إلى منزل من يحبُّ الله ورسوله، ويحبُّه الله ورسوله، يؤثِر الله على نفسه، انطلق إلى حجرة فاطمة**.. وقال: **يا بلال، قم وقف به على منزل فاطمة**. فانطلق الأعرابيّ مع بلال، فلمَّا وقف على باب فاطمة.. قال: أنا شيخ من العرب أقبلت على أبيك سيِّد البشر مهاجرًا من شقَّة، وأنا يا بنت محمَّد عاري الجسد، جائع الكبد، فواسيني يرحمك الله.

(١) ابن عبد البرِّ، الاستيعاب: ٤/ ٣٧٧.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

وكان لفاطمة وعليّ عليهما السلام في تلك الحال، ورسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثة ما طعموا فيها طعامًا، وقد علم رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك من شانهما. فعمدت فاطمة إلى جلد كبش مدبوغ بالقرظ، كان ينام عليه الحسن والحسين، فقالت: **خُذ هذا أيُّها الطَّارق، فعسى الله أن يرتاح لك ما هو خيرٌ منه.**

قال الأعرابيّ: يا بنت محمَّد شكوت إليك الجوع، فناولتني جلد كبش، ما أنا صانع به مع ما أجد من السَّغب، فعمدت لـمَّا سمعت هذا من قوله إلى عِقدٍ كان في عنقها، أهدته لها فاطمة بنت عمِّها حمزة بن عبد المطَّلب، فقطعته من عنقها، ونبذته إلى الأعرابيّ فقالت: **خُذه وبعه، فعسى الله أن يعوِّضك به ما هو خيرٌ منه**»[1].

بهذه الهالة القدسيَّة اتَّشحت شخصيَّة الزَّهراء عليها السلام، آخذة عن أبيها عبءَ مسؤوليَّة الأجيال، فهي الَّتي انحصر فيها إرث النبوَّة بكلِّ ما حقَّقت النبوَّة، وبكلِّ ما ترتبط به صفات النبوَّة، وبكلِّ ما ترمي إليه أشواق النبوَّة.

وتكاملت الصُّورة عندما التقى النيِّران، وتزوَّجت الزَّهراء عليًّا عليه السلام، رفيق صباها، ودرع أبيها، فاندغمت به كما تندغم بالسَّيف قبضته، فكانت كفؤًا له، وكان كفؤًا لها، وكان زواجها منه تحقيقًا للمخطَّط العظيم، وتنزيلًا لقدسيَّة الكلمة: «**أنتَ منِّي بمنزلة هارون من موسى**»، كما كان استكمالًا لمتانة ما أُنيط بها، فأنجبت الحسن والحسين ذريَّة لإمامة سوف تتحمَّل أعباء التّاريخ.. فاتَّشحت بقدسيَّة هذا الرِّباط إزارًا من نبوَّة، وإزارًا من أمومة، وإزارًا من إمامة.

لقد كان لها مقامًا وموقعًا، وكرامةً إلهيَّةً لا تنالها عقولنا، ولا تصل إليها أفهامنا، فقد روي عن الصَّادق عليه السلام: «**لولا أنَّ الله تبارك وتعالى خلق أمير المؤمنين لفاطمة، ما لها كفؤ على ظهر الأرض من آدم ومن دونـه**»[2]، كما روى أمير المؤمنين عليه السلام عن

(١) المجلسيّ، بحارالأنوار: ٤٣/ ٥٧-٥٨.
(٢) الكلينيّ، أصول الكافي: ١/ ٤٦١.

رسول الله صلى الله عليه وآله: «**تُحشر ابنتي فاطمة يوم القيامة، وقد حشرت بماء الحيوان، فتنظر إليها الخلائق فيتعجبَّون منها، ثمَّ تُكسى حُلَّة من حُلَلِ الجنَّة على ألف حُلَّة مكتوبٌ بخطٍّ أخضر: أدخِلوا ابنة محمَّد صلى الله عليه وآله الجنَّة على أحسن صورة، وأكمل هيئة، وأتمِّ كرامة، وأوفرِ حظٍّ**»[١].

كان لها من كرم الخالق جمال، هو انعكاس لكلِّ ما فيها من عقل وطيبة وصفاء، ولكلِّ ما فيها من جاذبيَّة وإيحاء، فقد حباها سبحانه وتعالى بكرامات جلَّى، وصفات فضلى ميَّزتها عن باقي الخلائق، وعن سائر نساء العالمين، فهي سيِّدة نساء العالمين من الأوَّلين والآخِرين، كانت «تحدِّث أمَّها وهي ببطنها»[٢]، وهي المرأة الَّتي «سمَّاها الله تعالى فاطمة»[٣]، و«زوَّجها في السَّماء قبل الأرض»[٤]، وكانت المرأة الطَّاهرة عن كلِّ رجسٍ ودنسٍ ونقصٍ، انحصرت فيها ذريَّة أبيها، لتكون ذخيرةً يتوارثها كلُّ جيل عن جيل، كما أتحفها الله بعلم متَّصل بالغيب بواسطة مَلَك كريم كان يحدِّثها ويسلِّيها بعد وفاة أبيها، الأمر الَّذي أنتج كتابًا مهمًّا جدًّا، كان الأئمَّة الأطهار عليهم أفضل الصَّلاة والسَّلام يهتمُّون به، بل ويعتزُّون به، وكانوا يقرأون فيه، وينقلون عنه، وهو ما عُرِف بـ«مصحف فاطمة» عليها السلام[٥]، فضلًا عن كتب أخرى اختصَّت بها صلوات الله وسلامه عليها.

وفي رواية عن الإمام الصَّادق عليه السلام، يقول: «**وعندي الجفر الأبيض**. قال: قلت: فأيُّ شيءٍ فيه؟ قال: **زبور داوود، وتوراة موسى، وإنجيل عيسى، وصحف إبراهيم عليهم السلام، والحلال والحرام، ومصحف فاطمة، ما أزعم أنَّ فيه قرآنًا، وفيه ما يحتاج**

(١) محبُّ الدين الطبريّ، ذخائر العقبى: ٤٨.
(٢) القزوينيّ، فاطمة من المهد إلى اللَّحد: ٣٩.
(٣) المجلسيّ، بحار الأنوار: ٤٣/ ١٣.
(٤) الإربلِّيّ، كشف الغمَّة: ٢/ ٩٨.
(٥) جعفر العامليّ، مأساة الزَّهراء شبهات وردود: ١/ ٣٦.

**النَّاس إلينا، ولا نحتاج إلى أحد، حتَّى في الجلدة ونصف الجلدة، وربع الجلدة، وأرش الخدش»**[1].

لقد بلغت في كمالها وسؤددها وفضلها مبلغًا عظيمًا، بحيث جعلها اللهّ سبحانه وتعالى، فضلًا عن النَّبيّ والوصيّ والسِّبطين، وثيقة على صدق النَّبيّ صلى الله عليه وآله فيما يقول، «حيث إنَّ الله سبحانه وتعالى هو الَّذي أمر نبيَّه صلى الله عليه وآله بالمباهلة بهؤلاء، ولم يكن ذلك في أساسه من تلقاء نفسه»[2].

ولكنَّ الزَّمن، ولمرَّة أخرى، لم يمهل قلب الزَّهراء الزكيَّة الَّذي ما سالمته الأيَّام أبدًا، واعتاد أن يُفجَع بأحبِّ وأقرب النَّاس إليه، فمدَّ القدر يده ليختطف أباها إلى العالم الأوسع، فطافت بها تيَّارات مروِّعة ومذهلة من الأسى والحزن، عندما فقدت تلك الرُّوح النُّورانيَّة الَّتي نثرت أضواءها القدسيَّة وسط كونٍ حالكٍ بالظَّلام، روح محمَّد صلى الله عليه وآله الَّتي ترتع تحتها كلُّ النُّفوس، فتلك مصيبة عظمى لم تحلَّ على قلب الزَّهراء فقط، بل حلَّت على الكون كلِّه.

سرى الحزن إلى كلِّ حنايا الزَّهراء، ولم يتوارَ عن قلبها ولو هنيهة، فلم تهدأ لها زفرة، ولم ترقأ لها دمعة، وفاق جزعها وبكاؤها كلَّ النَّادِبين، فاختار الله سبحانه وتعالى لها أفضل معزٍّ يليق بمقامها الشَّريف ومنزلتها العظيمة، اختار لها جبرائيل الأمين، ولسان الوحي المبين، الَّذي ظلَّ بقرب شبحها الضَّاني، يناجيها ويطيِّب نفسها، ويخبرها عن أبيها ومكانته في الجنَّة، ويعزِّيها ويسلِّيها بهذا المصاب حزنًا على بكائها الَّذي أبكى السَّماء.

وكان عليّ عليه السلام المفجوع المهدود الرُّكن «يستمع لتلك التَّعازي، والمناجاة فيكتبها، ويكتب ما يُخبرها جبرائيل عمَّا سيكون من بعدها في

(١) الكلينيّ، أصول الكافي: ١/ ٢٤٠.
(٢) جعفر العامليّ، م.س: ١/ ٤٦.

ذريَّتها»[١]، ومع أنَّه استطاع أن يفرض على نفسه بعضًا من الصَّبر، لكنَّ عيناه أبت أن ترقأ، وأبى أن يخفت وجيب قلبه، وهو لا يفتأ يردِّد من بين الدَّمع بنبرات ثاكلٍ محزون: **«بأبي أنت وأمِّي يا رسول الله! لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوَّة والإنباء وأخبار السَّماء، خَصَصْتَ حتَّى صرت مسلِّيًا عمَّن سواك، وعَمَمْتَ حتَّى صار النَّاس فيك سواء، ولولا أنَّك أَمرت بالصَّبرِ، ونهيتَ عن الجزع، لأنفدنا عليك ماء الشُّؤون، ولكان الدَّاءُ مماطلًا، والكَمَدُ مخالفًا وقَلَّا لك، ولكنَّه ما لا يملك ردَّه، ولا يُستطاع دفعُه! بأبي أنت وأمِّي! أذكرنا عند ربِّك، واجعلنا من بالك»**[٢]!.

وأخذ الزَّهراء، وشيَّد لها بيتًا بعيدًا عن المدينة وأهلها، الَّذين ضجُّوا من بكائها، كي تطلق فيه العنان لدموع عينيها وشجوتها.

ومنذ تلك اللَّحظة المتردِّية، لاحت في الأفق وحشة غسق تشير إلى هيمنة الظَّلام الَّذي يأخذ بالأمَّة إلى انهيار جميع القيم باسم الحقِّ والدِّين، بإماتة الحريَّة، وعودة حياة السَّيف الَّذي حصل بيوم وفاة الرَّسول صلى الله عليه وآله، وظهرت ثقافة الغَلَبة والاستيلاء على الحكم، وإضاعة الفرصة أمام عملاق الفكر الإسلاميّ الإمام عليّ عليه السلام، في بسط نفوذ كلمة الله في الأرض، من خلال مؤتمر السَّقيفة، والاستيلاء على أرض فدك. فلا غرابة في أن تُنتزَع من أهل البيت أموالهم المهمَّة؛ ليركِّز الحزب الحاكم بذلك حكومته، أو أن يُخشى من عليّ عليه السلام أن يصرف حاصلات فدك وغير فدك على الدَّعوة إلى نفسه. فانبرت الزَّهراء عليها السلام لتكشف القناع عن الحقيقة المرَّة، وتُنبِّئ أمَّة أبيها بالمستقبل الرَّهيب الَّذي تلتمع في أفقه سحب حمراء، وعلى هذا المفرق الحزين وقفت تنشد إرثها الَّذي يرمز إلى المعنى العظيم، ولا يعني تلك الأرض الحجازيَّة المسلوبة، فكانت خطبة فدك الَّتي هي محطَّ دراستنا، وكانت كلماتها هادرة، كأنَّها انفجار السُّدود. وتحوَّلت إلى ثورة واسعة

(١) المجلسيّ، م.س: ٤٣/ ١٥٧.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ٢٣٥.

النِّطاق رحيبة الأفق. فحقَّقت الزَّهراء إنجازات أساسيَّة على صعيد التَّأثير في حفظ شجرة الإسلام، ومنحها المزيد من الصَّلابة والتَّجذُّر والقوَّة، وجعلها أكثر غنًى بالثَّمر الجنيِّ، والرَّضيِّ، والهنيِّ.

هذه المعرفة بفاطمةعليها السلام، وإن كانت معرفة سطحيَّة؛ لأنَّ فهم حقيقة عظمة الزَّهراءعليها السلام خارج عن نطاق وسعِنا، ولا يتجاوز مقدار مستوانا العلميّ والمعرفيّ، ومقدار وعينا لهذه المسألة، فمن يقدر على الإحاطة بمعرفتها بما هي هي، وبما تحمل في ذاتها وصفاتها من الأسرار؟! هيهات هيهات، لا يعرفها حقَّ المعرفة إلَّا مصوِّرها وبارؤها، وأبوهاصلى الله عليه وآله، وبعلهاعليه السلام، ومن بعدهم الأئمَّة الأطهار، إلَّا أنَّ هذه المعرفة، وإن كانت سطحيَّة تزيد في صفاء الرُّوح، ورسوخِ الإيمان، وبناء العقيدة، ومعرفة النَّفس الموصِلة إلى معرفة الله سبحانه وتعالى.

## المبحث الثَّاني

### خطاب الزَّهراء معارضة بنَّاءة، وبصيرة نافذة

لقد مرَّت على آل الرَّسول صلى الله عليه وآله وعترته الطَّيِّبة، أحداث مؤلمة، وظروف عصيبة، وعواصف زعازع، وساعات حرجة في أقلِّ من أسبوع من بعد وفاته. ولأنَّ الزَّهراء عليها السلام كانت تمثِّل الوجود الأكمل الَّذي تتَّفق الكلمة عنده، خشيت العصابة من وقوف هذا الوجود ضدَّها، فبادروا إلى الاعتداء على هذه الحرمة المقدَّسة، وروَّعوها وانتهكوا حُرمتها، وكالوا لها صنوف الظُّلم، من الهجوم على عرينها، الَّذي ما كان الرَّسول صلى الله عليه وآله ليدخله إلَّا بعد استئذانها، لإخراج الإمام عليّ عليه السلام منه ليبايع أبا بكر، وحادثة الباب، وخبر المسمار، وإضرام النَّار، والسِّياط الَّتي أدمت البدن الطَّاهر المطهَّر، إلى إسقاط المحسن، وصولًا إلى غصب فدك.

لم تستطع الزَّهراء عليها السلام أن تسكت، وتقف موقف المتفرِّج، فعصمتها بالدَّليل وبالفعل لا تخوِّلها أن تغضَّ طرفًا عن الظُّلم والانحراف، فوثبت وثبتها الكريمة؛ لتوثِّق كلَّ ذلك، وتقول كلمتها ببصيرةٍ نافذة، وتُظهِر مظلوميَّتها ومظلوميَّة ابن عمِّها أمير المؤمنين عليه السلام في خطبتها الغرَّاء السَّاطعة الَّتي تحيَّر من العجب منها والإعجاب بها أحلام الفصحاء والبلغاء؛ خطبة فدك الَّتي تعدُّ من ذخائر بيت الوحي، كما تعتبر «من محاسن الخطب وبدائعها، عليها مسحة من نور النبوَّة، وفيها عبقة من أرج الرِّسالة»[1]، فهي من أشرف الخطب وأعلاها رتبةً في البلاغة، وأسناها ذروة في الاشتمال على

(١) الإربلِّيّ، كشف الغمَّة: ٢/ ١٠٨.

المعارف الإلهيَّة، كما تُعتبر منشورًا متكاملًا، وميثاقًا مهمًّا للحقِّ والعدل والحريَّة عبر التَّاريخ.

أرادت الزَّهراء الثَّورة على هذا الظُّلم، فخرجت عليها السلام إلى مسجد أبيها، وفي نفسها مبادئ محمَّد صلى الله عليه وآله، وروح خديجة، وبطولة عليّ عليه السلام، وإشفاق عظيم على هذه الأمَّة من مستقبل مظلم، تحاجُّ أبا بكر، وتندِّد به وبالمهاجرين والأنصار؛ أشباه الرِّجال الَّذين تخلَّفوا عن رؤية الحقِّ ونصرته، وتدافع عن فدكها الَّذي كان يتضمَّن في حقيقة الأمر الدِّفاع عن قضيَّة كبرى تتمثَّل بأولويَّة المنصب الإلهيّ بعد الرَّسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وأنَّه حقٌّ ثابت لزوجها وابن عمِّها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه أفضل الصَّلاة والسَّلام.

وثَبَتْ لا يخالجها شكٌّ فيما تُقدِم عليه، ولا يساورها صبابة من خوف أو ذعر، أو هاجسة من هواجس القلق والارتباك، في خطِّتها الطَّموح.. فهي لم تخرج من أجل نِحلة قد صودرت، أو ميراث قد احتُجِن، أو ما شابه ذلك من الحقوق الماليَّة الَّتي اغتُصِبت، ولم تكن تسعى إلى فدك كمغنم مادِّيّ يدرُّ عليها من وارداته، ولم تشأ كسبًا اقتصاديًّا يحقِّق لها مصدرًا ماديًّا ضخمًا أو اعتياديًّا، وما قامت عليها السلام تهزُّ بخطابها ضمير الإنسانيَّة لتطالب بفدك؛ ليعيش في ظلِّ هذه الأرض أبناءها عيش التَّرف والنَّعيم، وهي تحمل لواء الصَّبر والثَّبات، وتبذل كلَّ غالٍ ونفيس بإزاء القيم الحقَّة. فهي خرِّيجة مدرسة أبيها محمَّد صلى الله عليه وآله في القناعة والزُّهد والإعراض عن مباهج الحياة والتَّرف، وزوجة أمير المؤمنين عليه السلام القائل: «**يا صفراء، يا بيضاء، غرِّي غيري**»، والقائل: «**فوالله ما ادَّخرت من غنائمكم وفرًا.. ولا أعددت لبالي ثوبًا طمرًا**»، فقد عاشت هذا الشَّرف في بيتَين عظيمَين جسَّدا الصَّبر والتَّضحية في سبيل العقيدة.

وثَبَت لمجابهة قريش بما لا يُستطاع تغافله، وثَبَت إلى باحة المسجد الَّذي كان يصلِّي فيه خليفة المسلمين، لتعلِّمه أنَّ العدالة المهورة بجنان أبيها محمَّد صلى الله عليه وآله، والمسبوكة من

معدن زوجها عليّ عليه السلام هي الَّتي ترزم الأمَّة، وتجعلها قدوة بين الأمم، فكان صوتها في المسجد مع نغمته الحزينة وترًا يبثُّ نشيد الثَّورة، وهدرة جريئة لها دويّ الطُّبول والصّنوج، أرادت فاطمة أن تقتلع بها الحجر الأساس الَّذي بنى عليه التَّاريخ بعد يوم السَّقيفة.

لقد أبصرت الزَّهراء عليها السلام خضمَّ النِّزعات الجادَّة في إطفاء شعلة أهل البيت عليهم السلام الَّذين أكَّد الرَّسول الأعظم صلى الله عليه وآله عليهم باعتبارهم الممثِّلين الحقيقيِّين للوصاية والقيمومة على الإسلام، ولأنَّها الوريث الشَّرعيّ لنبيِّ هذه الأمَّة، والوريث الرُّوحي لتراث هذا الدِّين الخالد، نهضت بحزم وعزم لصدِّ هذا الاعتداء السَّافر بالانفتاح على هموم الأمَّة، وعلى الأحداث لمتابعتها، وهذا مؤشِّر رساليٌّ فذٌّ، وامتدادٌ طبيعيٌّ للدَّور الرِّساليّ المبرمج الَّذي نهضت به في ظروف خطرة جدًّا، فاعتمدت المقاومة بالاحتجاج والمناظرة وصراحة القول، بحيث لا تأخذها في الحقِّ لومة لائم. فكشفت في خطابها عن النقاط الرَّئيسة في الإسلام؛ عن التَّوحيد، وعن النبوَّة، وعن الإمامة، وطاعة المعصومين واتِّباعهم، وعلل الأحكام، وفلسفة الشَّريعة الإسلاميَّة، وكلُّ ما يدور في هذا الفلك الواسع الشَّاسع. وقامت بما ينبغي لها أن تقوم به في سبيل ترصين الأسس القويمة لمبدأ الإمامة في الإسلام، وهو هدفها المركزيّ، فكان لها الدَّور العظيم في حفظ الإسلام والحقائق الإسلاميَّة، والمنهج والمذهب الصَّحيح الَّذي توارثناه عن أئمَّة أهل البيت عليهم السلام.

يقول الشَّهيد السَّيِّد محمَّد باقر الحكيم: «لقد قامت الزَّهراء بدور يمكن أن نقول فيه: لولا وقوفها في ذلك اليوم إلى جانب أمير المؤمنين عليه السلام؛ لكان من الممكن أن تخفى الإمامة على الأجيال الَّتي جاءت بعد عليّ عليه السلام، وتتشوَّه وتتغيَّر.. ولولا إكمالها دور عليّ عليه السلام في ذلك اليوم؛ لكان من الممكن اختفاء هذه الحقيقة على كلِّ المسلمين.. ويبقى المسلمون في ضلالٍ وبُعدٍ عن الواقع الَّذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله.

وهذا الدَّور شبيه بدور الإمام الحسين عليه السلام بتضحيته وفدائه، والَّذي أكملته العقيلة زينب عليها السلام، ولولا هذا التَّكامل في الأدوار بين الحسين وزينب عليهما السلام؛ لم يُحفَظ الدِّين ولم يبقَ[1]».

وصحيح أنَّ فاطمة العلم والعفاف والتَّقوى كانت مفجوعة القلب، كاسفة البال، ضعيفة الجانب، منهدَّة العمد، إلَّا أنَّها كانت كلَّما استرسلت في استعراضها، ازدادت رباطة جأش، وقوَّة جنان، وتضاعفت قوَّة الحقِّ الَّتي تعمل في نفسها، واشتدَّت صلابة في الحركة، ونشاطًا في الاندفاع، وانبعاثًا نحو الدِّفاع عن الحقوق المسلوبة، وبسالة في الموقف الرَّهيب، فهي ما كانت لتتألَّم، وترفع صوت الظُّلامة ليدوِّي على طول التَّاريخ البشريّ لأرضٍ تُغصَب منها، بعدما ثبت من عيشها البسيط، وبيتها المحقَّر، بل لترهف حسًّا جماعيًّا لا يزال يهجع في الذُّلِّ ويرضى بالاستكانة. كان الخوف من ضياع قيم الرِّسالة باسم الرِّسالة، ومن أن يبقى الإسلام اسمًا إن لم يستظلَّ بظلِّ إمامٍ عادلٍ، كان الخوف من أن تصبح الزُّناة سيوفًا لله لا يجوز غمدها لولاة المسلمين، ومن أن تصبح الشُّورى بعد الغضِّ عن الإمامة صورة تحمل في واقعها الاستبداد، كان الخوف من ضياع القيم والكرامات. كان الخوف من إماتة ناموس السَّماء باسم الدِّين، فهو خوف من رجوع الجاهليَّة والقيصريَّة والكسرويَّة باسم الإسلام. كان الخوف من أن يصبح القضاء بأيدي الجهلاء أو المنحرفين والأمراء الماكرين فيكون حكمًا للشَّيطان براية ربِّ العالمين.

ولكن هيهات أن يقعدها عن وظيفتها الرِّساليَّة وعملها التَّعبويّ حاجز من خوف، أو مانع من حذر، أو مواربة في حقٍّ، ولم تكن لتستسلم للأمر الواقع، أو تتخلَّى عن هذا الإصرار الحثيث في الرَّفض لقرارات السَّقيفة ومشروع القيادة البديلة، واحتجان النِّحلة، وإلغاء نظام الإرث، ومصادرة سهم ذوي القربى، فارتفع صوتها لأنَّها رأت

(١) محمَّد باقر الحكيم، الزَّهراء، أهداف، مواقف، نتائج: ٤٢.

الحقَّ يضيع جهارًا، والمحنة تشتدُّ ضراوةً ولا بارقة في الأفق تشير إلى الانفراج، إلَّا صوتها، فهي الكائن الوحيد آنذاك الَّذي يستطيع الإنكار بالمعنى العريض، ليظلَّ ذلك الصَّوت هادرًا في مسمع التَّاريخ، ومدوِّيًا في سماء الوعي الإسلاميّ.

ارتفع صوتها؛ لأنَّ في صميم نفسها، وعميق فكرها طمأنينة، وثقة بنجاح، واستبشار بثورة، فصوتها كان أوَّل صوت يُرفع للإصرار على المعارضة، والتَّطلُّع إلى التَّغيير، ودعوة المظلومين إلى عدم الصَّبر على العدوان، وعدم السكوت؛ لأنَّ السكوت أمام أوَّل خطوة، يفتح المجال أمام الخطوات، وسكوت المظلوم ظُلمٌ لنفسه، وظُلمٌ للأجيال، كما وأنَّ سكوت العلماء والعرفاء كذلك. فتناولت الزَّهراء عليها السلام بالتَّعريض والتَّصريح، والنَّقد والتَّجريح هفوات الحزب الحاكم، ومهَّدت لهدفها الرِّساليّ بالحقِّ الماليّ المنصوص عليه قرآنيًّا، لتنتقل إلى القضيَّة الكبرى الَّتي نذرت نفسها لها، فاتَّهمت الخليفة بالخيانة السَّافرة، والعبث بكرامة القانون، بقولها: «**تتربَّصون بنا الدَّوائر، وتتوكَّفون الأخبار**». وهذا اتِّهام صريح له بالتَّآمر على السُّلطان واتِّخاذ التَّدابير اللَّازمة لهذه المؤامرة الرَّهيبة والحركة الانقلابيَّة المضادَّة لسيرورة قيادة أهل البيت عليهم السلام للأمَّة. فما صدر عن هذا الحزب الحاكم، وما ارتكبه، لم يكن مجرَّد نزوة عارضة، أو شهوة جامحة، بل هو يعبِّر عن روحيَّته، وعن نظرته لتعاليم الدِّين، وعن قيمة رسول الله صلى الله عليه وآله في نفسه، وعن قسوته وحقيقة مشاعره الإنسانيَّة، وعن أخلاقيَّاته وقيمه.. ولا يمكن لمرتكب هذه الأمور العظيمة أن يتمكَّن من القيادة وفي عينيه دكنة ظلم، ومشحة من اغتصاب. ولا يمكن أن يصير إمامًا للأمَّة، وفي موقع الرَّسول صلى الله عليه وآله، ويؤتمن على الدِّين، وعلى الإنسان، وعلى الأخلاق والقيم، وعلى أموال النَّاس وأعراضهم، ويوفِّر لهم الأمن والعزَّة والكرامة.

إذًا، لم يكن هدف الزَّهراء عليها السلام هامشيًّا ذو بُعدٍ ماديٍّ، بل كان هدفها أسمى من ذلك، وذو أبعاد رساليَّة محدَّدة، وكانت فدك ذريعة لهذا المدخل الصَّعب، وبابًا تأتي

من خلاله للهدف الأكبر، فأوقدت شعلة الوعي وهَّاجة، وقدحت زند الاحتجاج واريًا، «ونظرت بمعيار مزدوج مشروع في تسجيل مظلوميَّتها من وجهَين، يكون الأوَّل مدخلًا إلى الثَّاني، وهو الأهمُّ.

**الوجه الأوَّل**: يتمثَّل بتصفية فدك والميراث وسهم ذوي القربى ممَّا هو لها قطعًا في النِّحلة والنَّصِّ القرآنيّ.

**الوجه الثَّاني**: يتمثَّل بالقضيَّة الكبرى، وهو النَّصُّ على استخلاف عليّ عليه السلام مِن قِبَل رسول الله صلى الله عليه وآله في عدَّة مواطن، وأنَّه صاحب الإمامة والولاية وحده، وكذلك ما يتمتَّع به من خصائص: السَّابقة في الإسلام، والجهاد في سبيل الله، والتَّضحية والفداء بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله، وكونه أعلم الأمَّة وأقضاها، ظواهر العصمة التَّكوينيَّة، وسوى ذلك من المؤهِّلات في المنهج والسلوك والمبدأ والأقدميَّة والعدالة الـمُجمع عليها باصطفاف إسلاميّ»[1].

ومطالبة الزَّهراء عليها السلام بحقِّ أمير المؤمنين عليه السلام في الخلافة لا تعني تلكُّؤ الإمام عن القيام بهذه المهمَّة، لقد بقي بعيدًا عن ميدان المعركة، وأعلن الهدنة حتَّى تجتمع النَّاس عليه، وأخذ يراقب الموقف وينتظر اللَّحظة المناسبة للاستفادة منها، والفرصة الَّتي تجعل منه رجل الموقف. إنَّه ما فعل ذلك إلَّا لأنَّه أراد أن يُسمَع صوته من فم الزَّهراء عليها السلام؛ ولأنَّه وجد أنَّها أَولى منه بالمجابهة، وأحرى بتقمُّص الشموخ حسًّا وتعبيرًا منه، وهو لن ينجح كما نجحت فيما لو وقف موقفها، فهي ابنة أبيها العظيم، وهي أقدر منه على استثارة عواطف المسلمين، وتجنيد مشاعرهم للرَّسول، ولأهل البيت عليهم السلام، ولأنَّها امرأة، فنزاعها لن يتَّخذ لون الحرب المسلَّحة، ولن يخرج عن دائرة الجدال والنِّزاع، أو يجرَّ إلى انشقاق أو فتنة. وقد نجحت معارضة الزَّهراء، فكانت من أروع مدارك الوعي السّياسي الرّافض، وتمّ للإمام ما أراد حيث جهرت الزَّهراء عليها السلام الحقّ بقوّة

(١) محمَّد حسين عليّ الصَّغير، الزَّهراء من الوجه الآخر: ١٢٨.

قاهرة، وعبَّرت صلوات الله عليها عن الحقِّ العَلَويّ تعبيرًا واضحًا، فيه ألوان من الجمال والنِّضال.

فالمتأمِّل لخطبة فدك، يجد أنَّها دارت أكثر ما دارت حول التَّأكيد على جهاد النبيّ صلى الله عليه وآله، وجهاد عليّ، وامتداحه والثَّناء على مواقفه الخالدة في الإسلام، وتسجيل حقِّه في تسنُّم منصب الخلافة والولاية الإلهيَّة، عملًا بقول رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الدَّار، وقد جمع الملأ من قريش متوجِّهًا لعلي عليه السلام: «**أنت وصيِّي وخليفتي من بعدي، وأنت وزيري**»، وقوله صلى الله عليه وآله: «**ألا ترضى أن تكون منِّي بمنزلة هارون من موسى..إلَّا أنَّه لا نبيَّ بعدي**»[١]، «**هذا أخي ووليِّي، وناصري، وصفِّي وذخري وكهفي وصهري ووصيِّي وزوج كريمتي وأميني على وصيَّتي، وخليفتي**»[٢]، «**اللَّهمَّ والِ مَن والاه وعادِ من عاداه**»[٣]، «**عليّ منِّي وأنا من عليّ**»[٤]، «**مَن أحبَّ عليًّا فقد أحبَّني، ومن أحبَّني فقد أحبَّ الله**»[٥]»، «**أنت أخي في الدُّنيا وفي الآخرة**»[٦]. فهذه الكلمات كلُّها بين يديها، وجهاد عليّ في تثبيت أركان الإسلام بين جوانحها، وقد كان هذا التحرُّك من الزَّهراء تحرُّكًا إيجابيًّا بوعيٍّ رساليّ، استجابة لغِيرة قصوى على مصير الأمَّة، وحميَّة مُثلى على الدِّين من التَّآكل، ولم يكن نابعًا من تعبيرٍ عاطفيٍّ نحو أمير المؤمنين عليه السلام، فهي أكبر من الازدواجيَّة في المعايير، ولكنَّه التَّكليف الشرعيّ حتَّى الإنذار.

لذلك «انطلقت في اصطفاف تاريخيّ عريض، تناضل وتستنكر، وتقول، وتنظِّر، وتجادل، وتحتجُّ، وتحاور ما استطاعت إلى ذلك سبيلًا.. وكانت وراء هذا النَّشاط رؤية

(١) الطبريّ، تاريخ الرُّسل والملوك: ٢/ ٦٢.
(٢) الأربلِّيّ، كشف الغمَّة في معرفة الأئمَّة: ٦٢-٦٣.
(٣) أحمد بن حنبل، فضائل الصَّحابة: ١٥.
(٤) الحافظ ابن البطريق، خصائص الوحي المبين: ١٤٥.
(٥) الحاكم النِّيسابوريّ، المستدرك على الصَّحيحَين: ٣/ ١٣٠.
(٦) م.ن: ٣/ ١٤.

رساليَّة ثاقبة، لم تتزحزح عنها طرفة عين أبدًا، في ظرفٍ عصيبٍ معقَّد، فقد قدحت بمقرَّرات السَّقيفة، وسفَّهت اختيارها، ورأت فيه انحرافاً خطيرًا لا يمكن السكوت عليه، فثارت لهذا الحقِّ المضاع، وفنَّدت التَّحكُّم في مقدَّرات الدِّين الجديد»[1].

ولم يكن لغير الزَّهراء عليها السلام أن يقوم بعبء هذه التَّعبئة الثَّقيلة على الإطلاق، ولولا موقفها المتوازن، وتأييد أمير المؤمنين لخطواتها الجبَّارة، لكان بالإمكان أن تختفي الحقيقة، وأن تندرس كثير من الآثار في ظلِّ التَّاريخ الإسلاميّ.

لكنَّ أبا بكر كان على مستوًى عالٍ من السياسة المحنَّكة، فتجاهل الأمر تجاهل العارف الجاحد، وقابلها بالرَّدِّ والجفوة والعناد، ولم يعرض لشيء ممَّا ذكَّرته به الزَّهراء عليها السلام، من المؤامرة والظُّلامة الحقيقيَّة، وإنَّما اقتصر على الجزء الأخير من خطابها، وأصرَّ على منعها حقوقها وإغضابها، وكان بإمكانه إرضاؤها وهو بموقع السُّلطان، ولكنَّه كان أذكى من أن يسجِّل على نفسه الاستجابة لدعوى الزَّهراء في النِّحلة، فقد كان يقرأ ما بين السُّطور، ويتطلَّع إلى ما في الصُّدور، فلو أعطاها هذا الحقَّ الماليَّ المشروع، لطالبته الزَّهراء عليها السلام غدًا بالحقِّ المشروع الأعظم، ولعاد من خلافته صفر اليدين. فرجعت الزَّهراء عليها السلام من ساحة الجهاد، وهي مرهقة بأتعاب الجهاد المتواصل، وحياتها كلُّها جهاد.. رجعت وهي منتصرة، وإن كانت في الوقت نفسه حزينة، مظلومة، منكسرة القلب، مغلوبة على أمرها.

انتصرت لأنَّها أعلنت للجماهير، وللأجيال، وللتَّاريخ، أنَّها مظلومة، مغصوب حقُّها، وأدانت السُّلطة بالخطأ المكشوف، وبالاعتداء المقصود.

انتصرت لأنَّها عرفت الإسلام كما ينبغي.

ووصلت إلى بيتها، وقد بقي الشَّوط الأخير من أشواط الجهاد، رجعت لتكشف حقيقة أخرى لأهل العالم، وللتَّاريخ، فعمدت إلى ظاهرة أخرى لتكمل مسيرة إصرارها،

(١) محمَّد حسين عليّ الصَّغير، الزَّهراء من الوجه الآخر: ٢٢٢.

وتؤكِّد على مظلوميَّتها، وتتجسّد تلك الظّاهرة في اعتزال القوم، وإعلان المقاطعة، والبقاء جليسة بيتها لإحياء الحزن على رسول الله ﷺ، والبكاء عليه. وهذا البكاء لم يكن على شخص رسول الله ﷺ، بقدر ما كان تجسيدًا للمأساة الَّتي حاقت بالإسلام وبرموزه بمجرَّد وفاته وفقده صلوات الله وسلامه عليه. وقد جسَّدت هذه الظَّاهرة الأثر الكبير في تصوير مدى المصاب، وحال الحزن والكآبة والانكسار الَّذي يذكِّر النَّاس بالمأساة الَّتي تعرَّضت لها فور وفاة أبيها من جهة، والإيحاء بأثر فراق الرَّسول ﷺ على الأمَّة، كما أشارت من خلالها إلى وحدتها وغربتها بعده، وعبَّرت عن هدفٍ مركزيٍّ لاستحضار مرحلة الإمامة بعد انقطاع النبوَّة.. وكلُّ ذلك يمثِّل حالة إثارة مستمرَّة للنَّاس المؤمنين والمخلصين، وهو إدانة لكلِّ ذلك الخط الَّذي لم يتوقَّف عن فعل أيِّ شيء في سبيل ما يريده.

كما اتَّخذت الصدِّيقة الطَّاهرة موقفًا آخر أشدَّ وقعًا، وأعمق أسلوبًا في التأكيد على مظلوميَّتها، وعلى نقمتها عليهم في جميع الأحقاب والآباد، وذلك عندما لم تقبل عذر الصِّدِّيق والفاروق في أثناء زيارتهما لها في مرضها الشَّديد، وابتدرتهما: «**نشدتكما الله؛ ألم تسمعا رسول الله ﷺ يقول: رِضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخَطي.. فمن أحبَّ فاطمة ابنتي فقد أحبَّني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟**.

قالا: نعم، سمعناه من رسول الله ﷺ. فقالت: **فإنِّي أُشهد الله وملائكته أنَّكما أسخطتماني، وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبيَّ ﷺ لأشكونَّكما إليه**»[1].

ومن أسخط الله ورسوله لا يجوز أن يكون خليفة لله ولرسوله، واستشهدت بالقرآن الكريم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[2].

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ٩/ ٣٢٨.
(٢) الأحزاب: ٥٧-٥٨.

فعند ذلك دعا أبو بكر بالويل والثّبور، وجزع جزعًا شديدًا، فقال عمر: أتجزع يا خليفة رسول الله من قول امرأة؟»[1]، «فغضبت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرته حتَّى توفِّيت»[2].

وكذلك حين أوصت الإمام عليّ عليه السلام بمنعهما ومنع كلِّ من ظلمها من حضور جنازتها، «حينما أشرفت على لقاء الله تعالى، أوصت الإمام عليّ عليه السلام بأن لا يحضر تشييع جنازتها المقدَّسة أحد من الَّذين ظلموها وهضموها- على حدِّ تعبيرها- وأن يواري جسدها الطاهر في غلس اللَّيل البهيم، أمَّا قبرها فقد أوصت الإمام بإخفائه ليكون شاهدًا عبر الأجيال الصَّاعدة على أساها وغضبها على القوم الَّذين جهدوا على ظلمها وهضمها، ولم يرعوا مكانتها من رسول الله صلى الله عليه وآله، وقربها منه»[3].

وبذلك انتصرت الزَّهراء عليها السلام انتصارًا ساحقًا مستقبليًّا، ولم يذهب غضبها هدرًا، ولا هديرها بردًا وسلامًا، فظلامتها قد انحسرت عن تعرية التَّاريخ الرَّسمي لأجيالنا، وصوتها المدوِّي النَّابض قد شقَّ طريقه إلى القلوب، ومنذ ذلك الحين تكوَّنت نواة المعارضة مطالبة بتركيز الخلافة على محورها الصَّادق، ومنذ ذلك الحين والخلافة لا ترتبط بمصير حتَّى تتقطَّع حيال ذلك المصير، وقامت أمَّة برمَّتها تقدِّس هذه الثَّورة الفائزة وتستلهم قيم الرِّسالة بنفوس مطمئنَّة، فتثبت على المبدأ صلابةً وأصالةً.

## الخاتمة

ختامًا، نشير إلى أنَّ شخصيَّة كشخصيَّة السَّيِّدة فاطمة عليها السلام لا يمكن أن تنهض بها عجالة كهذه العجالة الَّتي بين أيدينا. فهي وكما يتراءى للقارئ من خلال خطبة فدك

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسِّياسة: ١/ ٣١.
(٢) المجلسيّ، بحار الأنوار: ٢٨/ ٣٠٢.
(٣) القرشيّ، سيرة الرَّسول وأهل بيته الأطهار: ١/ ٢٤٩.

وحدها على الأقلِّ شخصيّة استثنائيَّة، وامرأة أنموذجيَّة برساليّتها وثقافتها، وأبعادها النِّضاليَّة، وإمكاناتها العقليَّة والنَّفسيَّة والأخلاقيَّة.

ويبقى أنَّ النَّتائج الَّتي توصَّل إليها البحث:

- انطبعت شخصيَّة الزَّهراء الفذَّة بالتَّكامل الأنموذجيّ، وفاضت بها الملامح إلى حدود الرِّسالة الَّتي لا يرتعش بها إلَّا ابن نبيّ، فكانت بحقّ سليلة النبوَّة، ورفيقة درب الإمامة، ونزيلة مهبط الوحي، وتربية كتاب الله، والمثل الأعلى لدينه. وتلك ظواهر ضخمة، أخذت بأتمِّها درجة، وحازت أعلاها حظوة، ونالت أشرفها منزلة، وما كان تجليل الرَّسول صلى الله عليه وآله لها إلَّا ليرسم للأجيال مقامها، ويحكي قابليَّتها في بلوغ الكمال، وليؤكِّد ما لها من مقام ودور، وموقع في الإسلام والإيمان.
- بعد وفاة الرَّسول، جرى لآل بيته من الظُّلامة والاعتداء، وانتهاك الحرمات في كلِّ تفصيلاتها الهوجاء، فوقفت الزَّهراء عليها السلام وجهًا لوجه أمام مسؤوليَّتها الرِّساليَّة، وقامت بما كان ينبغي أن يقوم به زعماء المهاجرين والأنصار، ولكنَّهم لم يفعلوا ذلك، وتجرَّعت جرَّاء ذلك الغصص والآلام والأراجيف الهائلة، فما عملت، وما نطقت، وما اعترضت، وما جابهت، وما قاومت إلَّا في ضوء وظيفتها القياديَّة، وفي حكم التَّكليف الشَّرعيّ الخالص، فكانت شامخة كالطود العظيم، تدافع عن الحقوق المهدورة، بلغة احتجاجيَّة صلبة، وتدافع عن القضيَّة الَّتي كانت فدك عنوانًا ومفتاحًا لها.
- إنَّ ما أثارته الزَّهراء عليها السلام من قضيَّة فدك متظلِّمة، كان أمرًا ذرائعيًّا لتأكيد الظُّلامة الكبرى في مسألة الولاية الإلهيَّة، فالمسألة ليست مسألة ميراث ونِحَلة، وليست مطالبة بعقار أو دار، بل هي في نظر الزَّهراء عليها السلام مسألة إسلام

وكفر، ومسألة إيمان ونفاق، ومسألة نصٍّ وشورى، فكانت فدك مَعلَمًا عُقَلائيًّا من معالم التَّدرُّج بإثبات الحقِّ الهضيم، وإن سلكت فيه ذلك المسلك الرَّفيع بالمطالبة؛ لأنَّ الاحتجاج عليه هو الأظهر، والإفصاح عنه هو المنظور إليه. فلم يكن خطاب الزَّهراء عليها السلام ما نطقت به فقط، وإنَّما ما سجَّله التَّاريخ من نقمة وتمرُّد على كلِّ ما هو ظلمٌ وجَور.

- لم يكن اعتزال الزَّهراء عليها السلام القوم، ومقاطعة القوم، والإجهار بالبكاء وانتشاره بين النَّاس اعتباطيًّا، بل كان واجهة رسالة تصدَّرتها الزَّهراء عليها السلام في سبيل قضيَّتها المركزيَّة، وقد بلغت بذلك الذَّروة في الإبلاغ، والغاية الكبرى في النَّكير، فعرفت الجماهير المؤمنة هدفها، ووعت غرضها.
- مثَّلت دورها النَّاعم، وكانت كشعاع الشَّمس، دافئ، ولكنَّه حارق، وكانت كحدِّ السَّيف، رهيف، ولكنَّه قاطع؛ ففتحت باب الجهاد قولًا وعملًا، واندلع لهيب المعارضة، لقد كانت فدك صوت الظُّلامة الصَّارخ، وموئل إنعاش روح النِّضال ضدَّ التَّسلُّط الرَّسميّ، وعنوان الحركة الدَّائبة في مجابهة التَّحدِّي بالتَّحدِّي الأكبر، ومقابلة الابتزاز اللَّامسؤول بالصَّوت الرَّافض عبر العصور والأجيال حتَّى اليوم.

ختامًا يمكننا القول إنَّ الزَّهراء عليها السلام قد انسكبت في وجدان التَّاريخ تسجيلًا حفظته واعية الخواطر، وتلقَّطت به حافظة القلوب، وتناقلته أشواق الأسانيد. هذا ولم يزل الطَّريق القصير الَّذي مشته فاطمة عليها السلام يمتدُّ عِبر الأجيال، تخفق فيه ثورة نادرة المثال، تعلِّم البُناة كيف يعالجون أساس الصَّرح الَّذي يليق بسكنى الإنسان، ولم يزل ملفَّها الدَّاعي للاعتزاز مفتوحًا؛ لتقتبس منه البشريَّة زادًا لمسيرتها في الحياة، وتنتفع منه قدر الإمكان.

## المصادر والمراجع


* القرآن الكريم.

- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مؤسَّسة الرَّشاد الحديثة.
- ابن شهر آشوب، ١٤١٢هـ، مناقب آل أبي طالب، بيروت، دار الأضواء للطِّباعة والنّشر.
- ابن عبد البرِّ، يوسف بن عبد الله القرطبيّ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ١٣٥٨هـ، مصر، دار المعارف.
- أبو الفتح الأربلِّيّ، أبو الحسن عليّ بن عيسى، ٢٠١٢، كشف الغمَّة في معرفة الأئمَّة، ج٢، بيروت، دار التَّعارف.
- الإربلِّيّ، عليّ بن عيسى بن أبي الفتح، كشف الغمَّة في معرفة الأئمَّة، النَّجف الأشرف، مطبعة النَّجف.
- الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد، مؤسَّسة الرَّشاد الحديثة.
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، ١٣٤٤هـ، السُّنن الكبرى، طبع في الهند.
- الحافظ ابن البطريق، الحِلِّيّ، يحيى بن الحسن، ١٤١٧هـ، خصائص الوحي المبين، ترجمة: المحموديّ، محمَّد باقر، قمّ.
- الحاكم النّيسابوري، أبو عبد الله نحمَّد بن عبد الله، المستدرك على الصَّحيحَين، ١٤١١هـ، بيروت، دار الكتب العلميَّة.
- الحكيم، محمَّد باقر، ٢٠٠٦، الزَّهراء، أهداف، مواقف، نتائج، النَّجف الأشرف، مؤسَّسة تراث الشَّهيد الحكيم، مطبعة العترة الطَّاهرة.
- حنبل، أحمد، ١٩٨٣، فضائل الصَّحابة، ط١، جامعة أمِّ القرى.

- سليمان كتاني، فاطمة الزَّهراء.. وتر في غِمد، ١٩٨٣، ط، بيروت، مؤسَّسة الوفاء.
- الصدر، محمَّد باقر، فدك في التاريخ، ١٩٦٤، مركز الغدير للدراسات الإسلاميَّة.
- الصَّدوق، محمَّد بن عليّ بن الحسين القمِّيّ، الأمالي، ١٣٨٩هـ، النَّجف الأشرف، المطبعة الحيدريَّة.
- الطَّبريّ، محمَّد بن جرير، ١٤١٣هـ، تاريخ الأمم والملوك، بيروت، لبنان.
- الطَّبريّ، محمَّد بن جرير، ١٤١٣هـ، دلائل الإمامة، قم، مؤسَّسة البعثة.
- الطَّبريّ، محبُّ الدين، ١٤١٥هـ، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، تحقيق: أكرم البوشي، سوريا.
- القرشيّ، باقر شريف، ٢٠١٣، سيرة الرَّسول وأهل بيته الأطهار، ج١، لبنان، دار الحوراء.
- الكليني، محمَّد بن يعقوب الرازي، أصول الكافي، ١٣٨٨هـ، طهران، المطبعة الإسلاميَّة.
- المجلسيّ، محمَّد باقر بن محمَّد تقيّ، بحار الأنوار، ١٤٠٣هـ، بيروت، مؤسَّسة الوفاء.
- الصَّغير، محمَّد حسين عليّ، الزَّهراء من الوجه الآخر، ٢٠١٢، لبنان، مؤسَّسة البلاغ.
- محمَّد كاظم القزوينيّ، فاطمة من المهد إلى اللَّحد، ١٤١٤هـ، قم، مطبعة سيِّد الشُّهداء.
- مرتضى، جعفر، ١٩٩٧، مأساة الزَّهراء شبهات وردود، ج١، بيروت، لبنان، دار السِّيرة.

# السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام في كتاب الخصائص الفاطميَّة للكجوريّ (دراسة تاريخيَّة)

د. مبارك حسن ذياب الماجد

## الملخَّص

زخر التاريخ الإسلاميّ بالعديد من النساء اللاتي كان لهنَّ أثر عظيم في نصرة الإسلام، ونشر الرسالة المحمَّديَّة، وكانت إحداهنَّ السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام التي وقفت موقف الرجال في مساندة أبيها النبيّ صلى الله عليه وآله، وزوجها الوصيّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ولم يكن هذا الدور إلَّا مكمِّلًا للدور الذي قامت به والدتها السيِّدة خديجة الكبرى عليها السلام في بذل الغالي والنفيس لمساندة زوجها رسول الله صلى الله عليه وآله، في سبيل إعلاء كلمة الله، ونشر الدين الإسلاميّ.

إنَّ الغاية من اختيار هذا الموضوع، هو لتسليط الضوء على الروايات التاريخيَّة التي كُتِبت في حياة الزَّهراء عليها السلام، والسعي لرصد كلِّ ما يتعلَّق بها عليها السلام من النصوص التاريخيَّة المتناثرة بين ثنايا كتاب الكجوريّ، الذي يشتمل على جزأين فقط.

احتوى البحث على مقدِّمة ومبحثَين وخاتمة، تناول المبحث الأوَّل دراسة عن المؤلِّف، وكتابه الخصائص الفاطميَّة، ومنهجه، ومصنَّفاته.

أمَّا المبحث الثاني، فقد تناول حياة الزَّهراء عليها السلام في ضوء كتاب الخصائص الفاطميَّة، تناولت الأولى ولادتها، فيما ركَّزت الثانية على اسمها وألقابها، أمَّا الثالثة فتطرَّق إلى

فاطمة الزَّهراء عليها السلام والهجرة إلى المدينة، أمَّا الرابعة فتناولت فيه زواجها، واختصَّ الخامسة بأولادها، واهتمَّت السادسة بإرثها الفكريّ، أمَّا السابعة فتطرَّقت إلى حالها مع خليفَتَي رسول الله صلى الله عليه وآله، أمَّا الثامنة، فقد تناولت استشهادها.

## المبحث الأوَّل

### كتاب الخصائص الفاطميَّة

#### أوَّلًا: اسم المؤلِّف ونسبه

باقر بن إسماعيل بن عبد العظيم بن محمَّد باقر المازندرانيّ[١]، الكجوريّ[٢]، عالم وخطيب، ولِد سنة ١٢٥٥هـ، ونشأ بطهران، وتوفِّي بمشهد خراسان، ودفن بها في مقبرة الشيخ البهائيّ في ربيع الأوَّل سنة ١٣١٣هـ[٣].

#### ثانيًا: مصنَّفاته

وقد ذكر الكجوريّ مؤلَّفاته في كتابه الخصائص الفاطميَّة[٤]، وهي:

١. كتاب جنَّة النعيم في أحوال مولانا حضرة عبد العظيم عليه السلام.

٢. رسالة مختصرة في زيارة أبناء الأئمَّة والعلماء ذوي الشأن والعزَّة.

٣. رسالة في آداب الصوم.

٤. كتاب السراج الوهَّاج في المعراج.

٥. كتاب برهان العباد في إثبات المعاد.

(١) مازندران: اسم لولاية طبرستان. ينظر: ياقوت الحمويّ، معجم البلدان، ج٥، ص٤١.

(٢) الكجوريّ: قرية من توابع نور من بلاد مازندران.

(٣) أغا بزرك الطهرانيّ، أعلام الشيعة، ج١، ص١٩٦، عمر كحالة، معجم المؤلِّفين، ج٣، ص٣٥.

(٤) الكجوريّ، الخصائص الفاطميَّة، ج١، ص٦٥.

٦. كتاب تبيان الزيارة.

٧. كتاب المنتخب في شرح دعاء رجب.

٨. كتاب هداية المرتاب في تحريف الكتاب لمن أخطأ وأصاب.

٩. كتاب الثمرات الجنيَّة من الحديقة الحسينيَّة.

١٠. رسالة إراءة الطريق فيمن يؤمّ البيت العتيق.

١١. كتاب شرح توحيد المفضَّل بطريق مفصَّل.

١٢. رسالة منير القلب ومبير الكرب.

١٣. كتاب الإصرار في الاستغفار.

١٤. كتاب خطوات الشيطان في خطرات الإنسان.

١٥. كتاب الشمائل العلويَّة والخصائل المرتضويَّة.

١٦. رسالة نوروزيَّة في الردِّ على صاحب كتاب (نواقص الروافض).

١٧. رسالة شجريَّة صابريَّة في نسب القاضي صابر رحمه الله المدفون في (ونك).

١٨. كتاب نهج الحجِّ.

١٩. رسالة وجيزة في الحجِّ.

٢٠. رسالة (عريضة التوسُّل وذريعة الترسُّل) في آداب كتابة العريضة (الرقعة) لحجَّة الله الأعظم- أرواحنا له الفداء، وفيه شرح مبسوط لأحوال مجتهد العصر الأعلم الموحِّد الميرزا الشيرازيّ مُدَّ ظلُّه العالي.

## ثالثًا: محتوى الكتاب ومنهجه

يعدُّ كتاب الخصائص الفاطميَّة من أهمِّ وأبرز الكتب التي ألَّفها الشيخ الواعظ المولى الكجوريّ، وهو آخر ما كتبه، إذ شرع في تأليفه سنة ١٣١٠هـ، وطُبِع في سنة

١٣١١هـ، وتوفِّي قبل طبعه، بل قبل اتمامه، فأَلحق أخوه الشيخ محمَّد سلطان المتكلِّمين، بآخر المطبوع منه، رسالة في ترجمة المؤلِّف سمَّاها (زبدة المآثر في ترجمة الحاج المولى باقر)[١].

وقد رتَّب المؤلِّف كتابه على مائة وخمس وثلاثين خصيصة، منها ثلاث خصائص في المقدِّمة، وخصيصتان في الخاتمة، بينهما المائة والثلاثون خصيصة، منها ثلاثون خصيصة لها قبل ولادة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وخمسون لما بعد الولادة وقبل الوفاة، وخمسون لما بعد الوفاة[٢].

(١) أغا بزرك الطهرانيّ، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج٧، ص١٧٤.
(٢) المصدر نفسه، ج٧، ص١٧٤.

## المبحث الثاني

# حياة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام في ضوء كتاب الخصائص الفاطميَّة

### أوَّلًا: ولادتها

ذكر المؤرِّخ الكجوريّ أنَّ هناك اختلاف بين علماء السنَّة وعلماء الإماميَّة في السنة التي ولدت فيها السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، كما أشار إلى أنَّ علماء السنة أنفسهم اختلفوا في تحديد سنة ولادتها، إذ إنَّ مدار الاختلاف بين الفريقَين في أنَّ ولادتها كانت قبل النبوَّة أم بعدها، إلَّا أنَّ غالبيَّة علماء العامَّة ذكروا أنَّ ولادتها كانت قبل البعثة، إذ ورد عن أبي الفرج الأصفهانيّ قوله: «إنَّ مولد فاطمة عليها السلام كان قبل النبوَّة، وقريش حينئذٍ تبني الكعبة»[1]، وقد ضعَّف الكجوريّ هذا الرأي بأنَّه لا يُعتَنى به، ولا يُعتمَد عليه[2]، في حين ذهب علماء الإماميَّة إلى أنَّ ولادتها كانت بعد البعثة بخمس سنين، وبعد الإسراء بثلاث سنين[3]، وروي عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «**ولِدت فاطمة.. سنة خمسٍ وأربعين من مولد النبيّ صلى الله عليه وآله**»[4]، وأشار كذلك إلى أنَّ فاطمة ولِدت بعدما أظهر الله نبوَّة نبيه، وأنزل عليه الوحي بخمس سنين[5].

(١) مقاتل الطالبيِّين، ص٣٠٢.
(٢) الكجوريّ، الخصائص الفاطميَّة، ج١، ص٣٨٤.
(٣) الكلينيّ، الكافي، ج١، ص٤٥٨.
(٤) الكجوريّ، الخصائص الفاطميَّة، ج١، ص٣٨٤.
(٥) الكجوريّ، المصدر نفسه، ج١، ص٣٨٥.

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «**ولم يولَد لرسول الله صلى الله عليه وآله من خديجة على فطرة الإسلام** (أي بعد البعثة النبويَّة) **إلَّا فاطمة** عليها السلام»[١].

## ثانيا: اسمها وألقابها

وعن اسمها عليها السلام، فقد أشار الباقر عليه السلام: «**لـمَّا ولِدت فاطمة عليها السلام أوحى الله عز وجل إلى ملك فانطلق به لسان محمَّد صلى الله عليه وآله؛ فسماها فاطمة**»[٢]، وقد علَّل النبيّ صلى الله عليه وآله تسميتها بفاطمة؛ بأنَّ الله فطمها بالعلم، وفطمها من الطمث[٣].

أمَّا الألقاب التي أُطلقت على السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، فقد أسهب الواعظ الكجوريّ في ذِكر ألقاب السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وهي كما أوردها من الخصائص التي اختصَّت بها الزَّهراء عليها السلام عن باقي نساء العالمين، وقد أسهب العلَّامة الكجوريّ في ذِكر كلِّ لقب على حِدَة، وما ذُكِر من ألقاب ومقامات عالية اختصَّت بها بضعة النبيّ الزَّهراء عليها السلام، وردت على لسان الرسول صلى الله عليه وآله، والإمام عليّ عليه السلام، وهذه الألقاب هي: (البتول[٤]، الطاهرة[٥]، السيِّدة[٦]، سيِّدة النسوان[٧]، الحوراء[٨]، العذراء[٩]، التقيَّة[١٠]، الحرَّة[١١]، الـحَصان[١٢]،

(١) الكجوريّ، الخصائص الفاطميَّة، ج١، ص٤٧١.
(٢) الكجوريّ، المصدر نفسه، ج١، ص٢٩٠.
(٣) الكجوريّ، المصدر نفسه، ج١، ص٢٩٠.
(٤) الكجوريّ، المصدر نفسه، ج١، ص١٥٢.
(٥) الكجوريّ، المصدر نفسه، ج١، ص١٦٠.
(٦) الكجوريّ، المصدر نفسه، ج١، ص١٦٦.
(٧) الكجوريّ، المصدر نفسه، ج١، ص١٧٠.
(٨) الكجوريّ، المصدر نفسه، ج١، ص١٧٧.
(٩) الكجوريّ، المصدر نفسه، ج١، ص١٨١.
(١٠) الكجوريّ، المصدر نفسه، ج١، ص١٨٤
(١١) الكجوريّ، المصدر نفسه، ج١، ص١٨٧
(١٢) الكجوريّ، المصدر نفسه، ج١، ص١٩٣

الحانية[١]، الزَّهراء[٢]، المنصورة[٣]، الصدِّيقة الكبرى[٤]، الزكيَّة[٥]، الراضية المرضيَّة[٦]، المباركة[٧]، النوريَّة[٨]، مريم الكبرى[٩]، المحدَّثة[١٠]).

## ثالثًا: فاطمة الزَّهراء عليها السلام والهجرة

أُصيب رسول الله صلى الله عليه وآله بوفاة السيِّدة خديجة وعمِّه أبي طالب، فسمِّي ذلك العام بعام الحزن، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**ما زالت قريش قاعدة عنِّي حتَّى مات أبو طالب**»[١١]، ورويَ عن عليِّ بن الحسين عليه السلام قوله: «**مات أبو طالب بعد موت خديجة رضي الله عنها بسنة، فلمَّا فقدهما رسول الله صلى الله عليه وآله سَئِم المقام بمكَّة، ودخله حزن شديد، وأشفق على نفسه من كفَّار قريش، فشكى إلى جبرئيل عليه السلام ذلك، فأوحى الله عزَّ وجلَّ إليه: أخرج من القرية الظالم أهلها، وهاجر إلى المدينة، فليس لك اليوم بمكَّة ناصر**»[١٢]. وكانت قريش تواجهه بالمكائد والأذى، إلى أن أمر الله نبيَّه بالهجرة إلى المدينة في قوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾[١٣]، وقوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ

(١) الكجوريّ، الخصائص الفاطميَّة، ج١، ص١٩٧
(٢) الكجوريّ، المصدر نفسه، ج١، ص٢٠٣
(٣) الكجوريّ، المصدر نفسه، ج١، ص٢١٢
(٤) الكجوريّ، المصدر نفسه، ج١، ص٢١٧
(٥) الكجوريّ، المصدر نفسه، ج١، ص٢٢٥
(٦) الكجوريّ، المصدر نفسه، ج١، ص٢٣٠
(٧) الكجوريّ، المصدر نفسه، ج١، ص٢٣٥
(٨) الكجوريّ، المصدر نفسه، ج١، ص٢٣٩
(٩) الكجوريّ، المصدر نفسه، ج١، ص٢٤٨
(١٠) الكجوريّ، المصدر نفسه، ج٢، ص٣٥٦
(١١) الطبرانيّ، المعجم الأوسط، ج١، ص١٨٨، الكجوريّ، الخصائص الفاطميَّة، ج١، ص٤٦٨.
(١٢) الفيض الكاشانيّ، الوافي، ج٣، ص٧٢٩، الكجوريّ، المصدر نفسه، ج١، ص٤٧٢.
(١٣) سورة العنكبوت، آية ٥٦.

هَجْرًا جَمِيلًا ﴾[١]، وهكذا جاء الأمر الإلهيّ أن يترك عليًّا يبيت في فراشه تلك الليلة، ويخرج إلى غار ثور[٢]، وسمِّيت تلك الليلة (ليلة المبيت)[٣]، ومن ثمَّ هاجر إلى المدينة.

أمَّا السيِّدة فاطمة عليها السلام فقد هاجرت إلى المدينة ورسول الله صلى الله عليه وآله بقبا، فروي أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله كتب بعد وصوله إلى المدينة إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام كتابًا يأمره فيه بالمسير إليه وقلَّة التلوُّم، وكان الرَّسول إليه أبا واقد الليثيّ[٤]، فلمَّا أتاه كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله تهيَّأ للخروج والهجرة، فآذن مَن كان معه من ضعفاء المؤمنين، فأمرهم أن يتسلَّلوا ويتخفَّفوا، إذا ملأ الليل بطن كلِّ واد إلى ذي طوى، وخرج عليّ عليه السلام بفاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وأُمُّه فاطمة بنت أسد بن هاشم عليها السلام، وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطَّلب، وتبعهم أيمن ابن أمِّ أيمن مولى رسول الله صلى الله عليه وآله، وأبو واقد رسولُ رسول الله صلى الله عليه وآله، فجعل يسوق بالرواحل فأعنف بهنَّ، فقال عليّ عليه السلام: **ارفق بالنسوة أبا واقد، إنَّهنَّ من الضعائف**. قال: إنِّي أخاف أن يدركنا الطالب. فقال عليّ عليه السلام: **أربِع عليك، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي: يا عليّ إنَّهم لن يصلوا من الآن إليك بأمر تكرهه**. ثمَّ جعل- يعني عليًّا- يسوق بهنَّ سوقًا رفيقًا»[٥].

(١) سورة المزمل، آية ١٠.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٢٨، البلاذريّ، أنساب الأشراف، ج١، ص٢٦٠، الكجوريّ، الخصائص الفاطميَّة، ج١، ص٤٦٩.

(٣) الكجوريّ، المصدر نفسه، ج١، ص٤٧٥.

(٤) الحارث بن مالك، وقيل: الحارث بن عوف، وقيل: عوف بن الحارث، أسلم قديماً، وكان يحمل لواء بني ليث وضمرة وسعد بن بكر يوم الفتح، وبعثه رسول الله صلى الله عليه وآله حين أراد الخروج إلى تبوك؛ يستنفر بني ليث، وخرج إلى مكَّة، فجاور بها، فمات في هذه السنة، وهو ابن خمس وثمانين سنة، ودُفِن بمكَّة في مقبرة المهاجرين التي بفج، وإنَّما سميت مقبرة المهاجرين؛ لأنَّه دُفن فيها من مات ممَّن كان هاجر إلى المدينة. ينظر: ابن الجوزيّ، المنتظم، ج٦، ص٧١.

(٥) الكجوريّ، الخصائص الفاطميَّة، ج١، ص٤٧٣.

## رابعًا: زواجها

تزوَّجت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام من الإمام عليّ عليه السلام في السنة الثانية من الهجرة، فذكر أنَّ زواجها كان بعد معركة بدر بأيَّام يسيرة [1]، وكما هو معروف أنَّ معركة بدر وقعت في السنة الثانية من هجرة الرسول صلى الله عليه وآله إلى المدينة.

وأشار الكجوريّ أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله هاجر في شهر ربيع الأوَّل، وبعد مرور عام، وفي شهر رمضان من السنة الثانية، مضى رسول الله صلى الله عليه وآله إلى غزوة بدر، وفي شهر ربيع الثاني من هذه السنة كانت فاطمة الزَّهراء عليها السلام قد قضت سنَّ التاسعة من عمرها المبارك، وكانت قد بلغت كمال الرشد والعقل، فتكاثرت على رسول الله صلى الله عليه وآله الرُّسل والرسائل، وتقاطر الخطَّاب من القريب والبعيد من أهل المدينة وعظماء القبائل ورؤساء العشائر، بقصود فاسدة وخيالات واهية، يتوسَّلون إلى النبيّ صلى الله عليه وآله، وهم غافلون أنَّ الله عزَّ وجلَّ قد ادَّخر هذه الجوهرة الثمينة وتكفَّل بتربيتها، ولم يجعل في أبناء الدنيا من الملوك والرعايا وأرباب الفقر والغنى كفؤًا لها، فلمَّا يأس الجميع وعلموا أن لا سبيل إليها، زوَّجها ربُّ العزَّة من سلطان الولاية أمير المؤمنين عليه السلام [2]، وأشار المجلسيّ أنَّ زواج عليّ من فاطمة كان بعد مقدمها المدينة بسنَتَين، أوَّل يوم من ذي الحجَّة في اليوم السادس، ودخل بها يوم الثلاثاء [3].

أمَّا عن زواجها، فيذكر الكجوريّ في رواية عن سلمان المحمَّديّ أنَّه قال: كنت واقفًا بين رسول الله صلى الله عليه وآله أسكب الماء على يديه، إذ دخلت فاطمة وهي تبكي، فوضع النبيّ صلى الله عليه وآله يده على رأسها وقال: **ما يُبكيك، لا أبكى الله عينيك يا حوريَّة؟** قالت: **مررت على ملأ من نساء قريش وهنَّ مخضَّبات، فلمَّا نظرن إليَّ وقعوا فيَّ وفي ابن عمِّي.** فقال

(١) الكجوريّ، الخصائص الفاطميَّة، ج٢، ص٣١٦.
(٢) الكجوريّ، المصدر نفسه، ج٢، ص٢١٦-٢١٨.
(٣) المجلسيّ، بحار الأنوار، ج٤٣، ص٦.

لها: وما سمعتي منهنَّ؟ قالت: قلن: كان قد عزَّ على محمَّد أن يزوِّج ابنته من رجل فقير قريش وأقلُّهم حالًا. فقال لها: والله يا بنيَّة ما زوَّجتك، ولكنَّ الله زوَّجك من عليّ، فكان بدوه منه، وذلك أنَّه خطبك فلان وفلان، فعند ذلك جعلت أمرك إلى الله تعالى، وأمسكت عن الناس، فبينا صلَّيت يوم الجمعة صلاة الفجر إذ سمعت حفيف الملائكة، وإذا بحبيبي جبرئيل ومعه سبعون صفًّا من الملائكة متوَّجين مقرَّطين مدملجين، فقلت: ما هذه القعقعة من السماء يا أخي جبرئيل؟ فقال: يا محمَّد إنَّ الله عزَّ وجلَّ اطَّلع إلى الأرض اطِّلاعة فاختار منها من الرجال عليًّا عليه السلام ومن النساء فاطمة عليها السلام، فزوَّج فاطمة من عليّ. فرفعت رأسها وتبسَّمت بعد بكائها، وقالت: رضيت بما رضي الله ورسوله»[1]. يُفهم من هذا النص أنَّ أمر زواج السيِّدة فاطمة عليها السلام كان بيد الله سبحانه؛ لعظم منزلتها عنده، إذ إنَّ الله تعالى كان لا يرى كفؤًا لها سوى عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وممَّا يؤكِّد هذا المعنى قول الإمام الصادق عليه السلام: «لولا أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام تزوَّجها؛ لما كان لها كُفء إلى يوم القيامة على وجه الأرض آدم ومن دونه»[2]. ولعل هذا ما يفسرِّ لنا رفض النبيّ صلى الله عليه وآله لكلِّ من يتقدَّم لخطبة فاطمة عليها السلام، لاسيما أبو بكر وعمر[3]؛ معلِّلًا تارةً الرفض بأنَّها ما زالت صغيرة[4]، وأخرى بأنَّ أمرها ليس بيده بل لله تعالى[5]، والأمر الآخر أنَّ هناك روايات تُشير بأنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يذكر عندها الرجال الذين يأتون لخطبتها، لكنَّه صلى الله عليه وآله كان يتوسَّم علائم عدم الرضا في وجهها عليها السلام، ممَّا يشير إلى الرَّفض، حتَّى قَدِم عليّ عليه السلام لطلب يدها، فلمَّا ذكره النبيّ صلى الله عليه وآله، وجد بشائر القبول بادية

(١) الكجوريّ، الخصائص الفاطميَّة، ج٢، ص٣٥٥.

(٢) الكجوريّ، المصدر نفسه، ج١، ص٥١٣.

(٣) ينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٣، ص٢٢٨، الطبرسيّ، أعلام الورى بإعلام الهدى، ص٧١.

(٤) سبط ابن الجوزيّ، تذكرة الخواص، ص٢٦٧.

(٥) الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج١، ص٢٠١، السبحانيّ، السيرة المحمَّديَّة، ص١٢٨.

عليها[1]، وهذا يدفع بالرواية من أنَّ رسول الله: «لـمَّا زوَّج رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليًّا عليه السلام، دخل عليها وهي تبكي، فقال لها: **ما يُبكيك؟ فوالله لو كان في أهل بيتي خير منه زوَّجتك، وما أنا زوَّجتك ولكن الله زوَّجك، وأصدق عنك الخمس ما دامت السماوات والأرض**»[2]، وتُفيد هذه الرواية أنَّ فاطمة لم تكن راضية بالزواج من عليّ عليه السلام، ويبدو من سياقها أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله أيضا كان مجبرًا على تزويجها، مرَّة لأنَّه لم يجد شخصًا أجدر منه ليقترن بها، وتارةً لأنَّه امتثل في ذلك لإرادة الله تعالى، فهو من اختاره لها، وهذا في واقع الأمر كلام وفعل لا يمكن أن يصدر عن النبيّ صلى الله عليه وآله أو ابنته الزَّهراء عليها السلام، فهما أدرى من غيرهما بمقام عليّ عليه السلام عند الله تعالى، والروايات المبثوثة في كتب السِّير والتاريخ تؤكِّد على غبطة النبيّ صلى الله عليه وآله وابنته عليها السلام بعليّ عليه السلام[3].

أمَّا جهازها، فقد ورد أنَّ النبي صلى الله عليه وآله زوَّج فاطمة بعليّ عليه السلام على درع[4]، أمَّا «فراشهما ووسائدهما كانا من الليف، وقد أولم عليّ لفاطمة عليها السلام، فما كانت وليمة في ذلك الزمان أفضل من وليمته، وكانت وليمته أصوعًا من شعير وتمر وحيس[5]»[6].

وقد وردت رواية عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام أظهرت امتعاضها لأبيها صلى الله عليه وآله من قلَّة مهرها، بقولها له: «زوَّجتني بالمهر الخسيس، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: ما أنا زوجتك ولكن الله زوجك من السماء، وجعل مهرك خمس الدنيا ما دامت السماوات

(١) ابن إسحاق، سيرة ابن إسحاق، ص٢٤٦، الصدوق، عيون اخبار الرضا، ج١، ص٢٠١-٢٠٣

(٢) الطوسيّ، الأمالي، ص٤٠.

(٣) ابن إسحاق، سيرة ابن إسحاق، ص٢٤٦-٢٤٧، الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج١، ص٢٠١-٢٠٣.

(٤) الكجوريّ، الخصائص، ج٢، ص٣٣٩.

(٥) الحيس: هو الطعام المتَّخذ من التمر والسَّمن والدقيق. ينظر: محبّ الدين الطبريّ، ذخائر العقبى، هامش، ص٣٣.

(٦) الكجوريّ، الخصائص، ج٢، ص٣٣٩.

والأرض»[١]، هذه الرواية تقلِّل من شأن السيِّدة فاطمةعليها السلام، وتبيِّن أنَّها كانت معترضة على إرادة أبيهاصلى الله عليه وآله؛ لأنَّه قَبِل من عليّعليه السلام بالمهر الزهيد، بيد أنَّها كانت تطمع بمهرٍ عالٍ يتناسب مع مكانتها، لاسيما وأنَّها ابنة رئيس الدولة الإسلاميَّة في ذلك الحين، ونبيّ الأمَّةصلى الله عليه وآله، وهذا يتنافى مع شخصيَّة السيِّدة الزَّهراءعليها السلام التي كانت زاهدة بالدنيا وما فيها، شأنها في ذلك شأن أبيها وزوجها (صلوات الله عليهما).

## خامسًا: أولادها

تُوِّج زواج السيِّدة الزَّهراءعليها السلام بعليّعليه السلام أن رُزِقا بأوَّل مولود لهما، وهو الإمام الحسنعليه السلام، في يوم الثلاثاء النصف من شهر رمضان في السنة الثانية من الهجرة[٢]، أمَّا الإمام الحسينعليه السلام، فقد ولِد عام الخندق بالمدينة يوم الخميس في الخامس من شهر شعبان سنة أربع من الهجرة، بعد أخيه بعشرة أشهر وعشرين يومًا[٣]، وذكر الكجوريّ بقيَّة أولاد الزَّهراءعليها السلام، وهم زينب وأم كلثوم والمحسن الذي أُسقِط (سلام الله عليهم)، ولم يتطرَّق إلى ذِكر حياتهم وولاداتهم ووفاتهم، بيد أنَّه أفرد لكلٍّ من الإمامَين الحسن والحسينعليهما السلام فصلًا خاصًّا بهما.

وعن ظروف حمل السيِّدة الزَّهراءعليها السلام بالحسينعليه السلام، روي أنَّ صفيَّة بنت عبد المطَّلب قالت: «لـمَّا سقط الحسينعليه السلام من بطن أمِّه، فدفعته إلى النبيّصلى الله عليه وآله، فوضع النبيّصلى الله عليه وآله لسانه في فيه، وأقبل الحسين على لسان رسول اللهصلى الله عليه وآله يمصُّه، قالت: فما كنت أحسب رسول الله يغذوه إلَّا لبنًا وعسلًا، فقبَّل النبيّ بين عينيه، ودفعه إليَّ وهو يبكي، ويقول: **لعن الله قومًا هم قاتلوك يا بنيّ**- ثلاثًا- قالت: فقلت: فِداك أبي وأمِّي من يقتله؟ قالصلى الله عليه وآله: **يقتله بقيَّة الفئة الباغية من بني أميَّة**

(١) المجلسيّ، بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٤٤.
(٢) الكجوريّ، الخصائص، ج٢، ص٥٦٣.
(٣) الكجوريّ، المصدر نفسه، ج٢، ص٥٩١.

**لعنهم الله»**[1]. بيَّن الرسول صلى الله عليه وآله ما سيجري على ولده الحسين عليه السلام بأنَّه سيُقتَل على يد فئة باغية من أمَّته، وهم بنو أميَّة.

أمَّا ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «في أنَّ جبرئيل نزل على النبيّ صلى الله عليه وآله، فقال: **يا محمَّد إنَّ الله يقرؤك السَّلام ويبشِّرك بمولود يولد من فاطمة عليها السلام، تقتله أُمَّتك من بعدك، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: يا جبرئيل وعلى ربِّي السَّلام، لا حاجة لي في مولود تقتله أُمَّتي من بعدي، فعرَّج جبرئيل إلى السَّماء، ثمَّ هبط وقال له: يا محمَّد! إنَّ ربَّك يقرؤك السَّلام ويبشِّرك أنَّه جاعل في ذرِّيَّته الإمامة والولاية والوصيَّة، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: قد رضيت. ثمَّ أرسل النبيّ صلى الله عليه وآله إلى فاطمة عليها السلام، وقال: إنَّ الله يبشِّرني بمولود يولد منكِ تقتله أُمَّتي من بعدي، فأرسلت إليه فاطمة: أن لا حاجة لي في مولود يولَد منِّي تقتله أُمَّتك من بعدك، فأرسل إليها أنَّ الله تعالى جاعل في ذرِّيَّته الإمامة والولاية والوصيَّة، فأرسلت إليه أنْ قد رضيت**[2]، **وهو تأويل قوله تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا..﴾»**[3]. نجد في هذه الرواية أنَّ رفض الإمام الحسين عليه السلام من النبيّ صلى الله عليه وآله، والسيِّدة الزَّهراء عليها السلام كان صريحًا، وهو رفض لإرادة الله تعالى، وذلك أمر مرفوض، لعلمنا بتسليم النبيّ صلى الله عليه وآله وابنته الزَّهراء عليها السلام لقضاء الله وقدره، وهذا يدفع أيضًا بأنَّ رضاها عن مجيء الحسين عليه السلام إلى هذه الدنيا كان مقترنا بأن تكون الإمامة والولاية والوصاية من صُلبه حسبما نصَّت الرواية، فالنبيّ وابنته عليها السلام أنزه من أن يعصيا أمر الله تعالى.

أمَّا ما نُقِل أنَّ الحسين عليه السلام لم يرضع من ثدي أمِّه فاطمة عليها السلام، ولا من أنثى، بل كان رسول الله صلى الله عليه وآله يأتيه في كلِّ يوم، فيضع لسانه في فم الحسين، فيمصُّه حتَّى يُروى،

(١) الكجوريّ، الخصائص، ج٢، ص٥٩٤.
(٢) الكجوريّ، المصدر نفسه، ج٢، ص٣٤١.
(٣) سورة الأحقاف، آية ١٥.

فأنبت الله ﷻ لحمه من لحم رسول الله ﷺ، ولم يرضع من فاطمة عليها السلام، ولا من غيرها لبنًا قط»[١]، فالسيِّدة الزَّهراء عليها السلام لم ترضع ولدها بعد الولادة، استجابةً لطلب أبيها[٢] الذي أراد أن ينبت لحم الحسين ودمه لعلَّة تكوينيَّة، ولعلَّ في هذا جواب على مقالته ﷺ: «**حسين منِّي وأنا من حسين**»[٣].

وقد ورد أنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام عقَّت عن ابنيها بكبش لكلٍّ منهما، وحلقت رأسيهما في اليوم السابع، وعلى ما يبدو أنَّ الذي تولَّى هذه المهمَّة رسول الله ﷺ: «**عقَّ عنهما النبيّ ﷺ لكلٍّ منهما بكبشَين أملحَين، وأعطى القابلة فخذًا ودينارًا، ثمَّ حلق رأسيهما وتصدَّق بوزن الشعر ورقًا، وطلى رأسيهما بالخلوق**[٤]»[٥].

## سادسًا: إرثها الفكري

### مصحف فاطمة:

وهو كتاب دوَّنه الإمام عليّ عليه السلام لفاطمة عليها السلام، يحتوي على أمثال وحِكَم وأخبار غيبيَّة، وأمورًا توجِب العزاء بسيِّد الأنبياء محمَّد ﷺ[٦]، وقد أشار الإمام الصادق عليه السلام لهذا الإرث بقوله: «**فأرسل إليها (أي فاطمة) ملكًا يسلِّي غمَّها ويحدِّثها، فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال لها: إذا أحسست بذلك وسمعت الصوت، قولي لي، فأعلمته بذلك، فجعل أمير المؤمنين عليه السلام يكتب كلَّ ما سمع، حتَّى أثبت من ذلك مصحفًا. قال: ثمَّ قال: أمَّا أنَّه ليس فيه شيء من الحلال والحرام، ولكن فيه علم**

(١) الكجوريّ، الخصائص، ج٢، ص٥٩٥.
(٢) عليّ القائميّ، الحسين سيِّد الشهداء.
(٣) الفيروزآباديّ، فضائل الخمسة، ج٣، ص٣١٣.
(٤) الخلوق: طيب معروف مركَّب يُتَّخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب، وتغلب عليه الحمرة والصفرة. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٠، ص٩١.
(٥) الكجوريّ، الخصائص، ج٢، ص٥٦٥-٦١٢.
(٦) شرف الدين، مؤلِّفو الشيعة، ص١٥.

**ما يكون»**[1]، وفي رواية ثانية فيه تصريح باسم جبرئيل، قال: «**وكان جبرئيل يأتيها فيحسن عزائها على أبيها، ويطيِّب نفسها ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويُخبرها بما يكون بعدها في ذريَّتها، وكان عليّ عليه السلام يكتب ذلك، فهذا مصحف فاطمة عليها السلام**»[2]. نجد في هذه الرواية أنَّ الإمام عليّ عليه السلام كان يكتب ما يسمع من جبرئيل مباشرةً، لا أنَّ السيِّدة فاطمة عليها السلام هي وحدها التي تسمع ثمَّ تُملي ذلك على أمير المؤمنين عليه السلام، كما يبدو من بعضهم قد فهم بأنَّ الإمام عليّ عليه السلام قال للسيِّدة فاطمة عليها السلام: «فإذا سمعتيه فامليه عليَّ، فصارت تمليه وهو يكتبه»[3]، كذلك نفهم من هذه الرواية عظمة الزَّهراء عليها السلام، ومنزلتها عند الباري عزَّ وجلَّ، حتَّى يرسل إليها جبرئيل، وليس ملكًا آخر، كما في الرواية السابقة، الذي كان يهبط على أبيها النبيّ صلى الله عليه وآله؛ ليخبره الوحي، ليعلمها بمكانه في جنان الخلد، ويخفِّف من وطأة أحزانها عليه، كما تُظهر الرواية أنَّ الإمام عليّ عليه السلام كان حاضرًا ليس لبثِّ الطمأنينة في نفس الزَّهراء عليها السلام التي كان يعتريها الخوف من جبرائيل عليه السلام، فكثيرًا ما كان يهبط على النبيّ صلى الله عليه وآله في بيت فاطمة، وكان ممَّن دخلوا مع النبيّ صلى الله عليه وآله تحت الكساء مع آل البيت عليهم السلام، لكنَّ وجود الإمام عليه السلام كان بدافع التدوين لما يلقيه الأمين جبرئيل عليه السلام، ويمكن أن نعلِّل وجود الإمام عليه السلام في بيته عند نزول جبرئيل على فاطمة؛ للظروف الصعبة التي كانت تمرُّ بها عليها السلام بعد وفاة أبيها، فكان لا بدَّ من وجود أحد إلى جانبها ليقلِّل من وطأة الحزن عليها، وربَّما أنَّ وجود جبرئيل في هذه الفترة جاء متزامنًا مع قرار الإمام عليه السلام الاعتكاف في بيته بعد أحداث السقيفة[4].

ولا بدَّ من الإشارة إلى نقطتَين، وهما:

**الأولى**: إنَّ المصحف ليس بالضرورة أن يأتي بمعنى القرآن، فقد ورد في اللغة أنَّ

(١) الكجوريّ، الخصائص، ج١، ص٢٦٣.
(٢) الكجوريّ، المصدر نفسه، ج١، ص٢٦٣.
(٣) العامليّ، مأساة الزَّهراء عليها السلام، ج١، ص١١٠.
(٤) اليعقوبيّ، تاريخ، ج٢، ص٨٣-٨٦، المظفَّر، السقيفة، ص٩٦، ١٤٤.

المصحف ما دعلت فيه الصحف وسمِّي مصحفًا؛ لأنَّه جُعِل جامعًا للصحف المكتوبة بين الدَّفتين، وعليه فالمصحف هو كلُّ كتاب أصحف وجمع بين الدَّفتين[١].

**الثانية**: إنَّ مصحف فاطمة ليس قرآنًا ولا كتاب أحكام، فهو مغاير للكتاب الذي أملاه عليّ عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله، والذي ورد ذِكره في أخبارهم عليهم السلام إلى جنب مصحف فاطمة، وأسموه الجامعة تارة، والصحيفة تارةً أخرى، وكتاب عليّ ثالثة[٢]، وإنَّما هو كتاب يحوي على الملاحم، وما يجري من أحداث منذ خلق الله آدم إلى يوم القيامة، بدليل قول الإمام الصادق عليه السلام عندما سُئِل عن محمَّد بن عبد الله بن الحسن[٣]، فقال عليه السلام: «**والله إنَّ عندي لكتابَين فيهما تسمية كلّ نبيّ وكلّ ملك يملك الأرض لا والله ما محمَّد بن عبد الله في واحدٍ منهما**»[٤]. تفيد هذه الرواية بأنَّ مصحف فاطمة كان يحظى باهتمام بالغ من لدنه عليه السلام، حتَّى أنَّه كان يكرِّس جزءًا من وقته للتأمُّل فيه، وربَّما كانت محاولة الإمام الصادق عليه السلام صرف محمَّد ذي النفس الزكيَّة عن النهوض بثورته في المدينة سنة ١٤٥هـ، كانت بناءً على ما رآه حقيقة ماثلة أمامه في مصحف أمِّه فاطمة، الذي يشير بدقَّة إلى فشل الثورة، وغلبة بني العبَّاس على آل الحسن، واستحواذهم على المُلك[٥]، والجدير بالذِّكر أنَّ المصحف المذكور بقي عند أهل البيت عليهم السلام يتوارثونه مع بقيَّة الكتب المتضمِّنة لعلوم الأنبياء والرُّسل الماضين[٦].

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص١٨٦.

(٢) قصير، مصحف فاطمة، ص٢٣٥.

(٣) هو محمَّد بن عبد الله بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب، الملقَّب بالأرقط والمهدي والنفس الزكيَّة، أحد أولاد الأشراف من الطالبيِّين، ولِد بالمدينة سنة (٩٣هـ)، وسمَّاه أهله بالمهدي، كان غزير العلم فيه شجاعة وحزم وسخاء، قاد ثورة عسكريَّة على المنصور العبَّاسيّ سنة (١٤٥هـ)، لكنَّها أُجهِضت. ينظر: أبو الفرج الأصفهانيّ، مقاتل الطالبيِّين، ص٢٠٦ وما بعدها، الزركليّ، الأعلام، ج٦، ص٢٢٠.

(٤) المجلسيّ، مرآة العقول، ج٣، ص٦٠.

(٥) الطبريّ، تاريخ، ج٧، ص٥٢-٦٠٣، العباديّ، في التاريخ العبَّاسيّ، ص٥٠-٥٤.

(٦) قصير، مصحف فاطمة، ص٢٣٥

## سابعًا: السيِّدة الزَّهراء مع خليفَتَي رسول الله

لم يتطرَّق الكجوريّ في كتابه ما جرى- بعد مبايعة أبي بكر في سقيفة بني ساعدة- على السيِّدة الزَّهراء عليها السلام من انتهاك حرمة بيتها، ورضِّها بين الحائط والباب، ودخول المسمار في صدرها الطاهر، وكسر ضلعها، وإخراج زوجها عليّ عليه السلام من داره عنوة لأخذ البيعة منه.

نفَّذ أبو بكر وعمر بن الخطَّاب بمجرَّد سماعهم بوفاة الرسول صلى الله عليه وآله، مخطَّطهم التآمريّ بتنفيذ عمليَّة الانقلاب، ولم يمضِ من الوقت كثير حتَّى تمكَّنوا من السيطرة على جميع مواقع السلطة في المدينة المنوَّرة، مستغلِّين غياب الإمام عليّ عليه السلام، وبني هاشم؛ لانشغالهم بتجهيز النبيّ صلى الله عليه وآله، والصلاة عليه ودفنه، وبعدما سيطروا على السلطة وأخذوا بزمامها، فإنَّهم سعوا لبسط نفوذهم على الباقين الذين لم يدخلوا في بيعتهم، واستخدموا شتَّى الأساليب بأنواعها، فأعطوا طلَّاب الدنيا بغيتهم من دنياهم، كأبي سفيان، وهدَّدوا غيرهم باستخدام العنف والسيف، بل دَعَوا إلى قتل من يعارضهم، كما حدث ذلك عندما دعا عمر إلى قتل سعد بن عبادة[1]، وبعد أن استتبَّ لهم الأمر، شنُّوا حملاتهم العدوانيَّة على آل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله، ابتداءً من محاصرة بيت الإمام عليّ عليه السلام، والهجوم على بيت الزَّهراء عليها السلام، ومصادرة حقِّها في فدك[2].

لذا فَكُرةُ الخليفَتَين الأوَّل والثاني لعليّ وفاطمة يعود لزمن بعيد، وأنَّ حقد أبو بكر على الإمام عليّ عليه السلام يعود إلى عام الهجرة النبويَّة المباركة، إذ رويَ «أنَّ أبا بكر لـمَّا قَدِم رسول الله صلى الله عليه وآله إلى قباء فنزل بهم ينتظر قدوم عليّ عليه السلام، فقال أبو بكر: انهض بنا إلى المدينة

(١) سعد بن عبادة بن دليم الأنصاريّ، ممَّن شهد العقَبَتين وبدرًا، وكان نقيبًا، وهو الذي يُقال له سعد الخزرج، كان سيِّدهم، وله ثلاث كنى، أبو ثابت وأبو قيس وأبو الحبَّاب، مات في الشام في خلافة أبي بكر، ويُقال في أوَّل خلافة عمر. ينظر: خليفة بن خيَّاط، طبقات خليفة بن خيَّاط، ص١٦٧، ابن حبَّان البستيّ، مشاهير علماء الأمصار، ص٢٨.

(٢) ياسين الموسويّ، مقتل السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، ص١٦-١٧.

فإنَّ القوم قد فرحوا بقدومك وهم يستريثون[١] إقبالك إليهم، فانطلق بنا ولا تقم هاهنا تنتظر عليًّا، فما أظنُّه يقدم إليك إلى شهر، فقال له رسول الله ﷺ: **كلَّا ما أسرعه، ولست أريم[٢] حتَّى يقدم ابن عمِّي وأخي في الله عزَّ وجلَّ، وأحبَّ أهل بيتي إليَّ، فقد وقاني بنفسه من المشركين**. قال: فغضب عند ذلك أبو بكر واشمأزَّ وداخله من ذلك حسدًا لعليّ عليه السلام، وكان ذلك أوَّل عداوة بدت منه لرسول الله ﷺ في عليّ، وأوَّل خلاف على رسول الله ﷺ، فانطلق حتَّى دخل المدينة، وتخلَّف رسول الله ﷺ بقباء حتَّى ينتظر عليًّا[٣]. أمَّا بالنسبة لفاطمة عليها السلام، فربَّما كانت بداية حقدهما عليها يوم قبِلت بعليّ عليه السلام زوجًا لها، وفضَّلته عليهما.

إنَّ الموقف الرافض لعليّ وفاطمة لخلافة أبي بكر، مع ما لهما من ثقل دينيّ وسياسيّ واضح في المدينة، بوصفهما أهل بيت النبيّ ﷺ شكَّل مخاوفًا لكلٍّ من الخليفَتَين الأوَّل والثاني، فسعوا لوضع يدهم على فدك، وفدك قرية في الحجاز بينها وبين المدينة يومان، وقيل ثلاثة، وهي أرض يهوديَّة كان يسكنها طائفة من اليهود، ولم يزالوا على ذلك حتَّى السنة السابعة من الهجرة، حيث قذف الله الرعب في قلوب أهليها، فصالحوا رسول الله ﷺ على النِّصف من فدك، وقيل صالحهم عليها كلَّها، فقبِل منهم ذلك رسول الله ﷺ، فكانت فدك خالصة لرسول الله ﷺ[٤]؛ لأنَّه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، فلمَّا نزلت الآية الكريمة ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾[٥]، دعا رسول الله ﷺ، فاطمة عليها السلام، فأعطاها فدكًا[٦].

(١) يستريثون: يستبطئون. ينظر: الطريحيّ، مجمع البحرين، ج٢، ص٢٥٦.
(٢) أريم: أبرح. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٢٥٩.
(٣) الكجوريّ، الخصائص، ج١، ص٤٧٠.
(٤) البلاذريّ، فتوح البلدان، ج١، ص٣٣.
(٥) سورة الإسراء، آية ٢٦.
(٦) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص٢٧٤.

ويورد الكجوريّ رواية يشير فيها أنَّه لـمَّا آلت الخلافة إلى أبي بكر، ووضع يده على فدك بحجَّة أنَّها من أموال المسلمين، ثمَّ بلغ فاطمة عليها السلام أنَّ أبا بكر قبض فدك، جاءته مطالبة بحقِّها، روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «لـمَّا طالبت فاطمة بفدك من أبي بكر بن أبي قحافة، قال أبو بكر: فإنَّ عائشة تشهد وعمر أنَّهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو يقول: إنَّ النبي لا يورث، فقالت: **هذه أوَّل شهادة زور شهدا بها في الإسلام**، ثمَّ قالت: **فإنَّ فدك إنَّما هي صدَّق بها عليَّ رسول الله صلى الله عليه وآله، ولي بذلك بيِّنة**. فقال لها: هلمِّي بيِّنتك، قال: فجاءت بأمِّ أيمن وعليّ عليه السلام، فقال أبو بكر: يا أمَّ أيمن إنَّك سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في فاطمة؟ فقالا: سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنَّ فاطمة سيِّدة نساء أهل الجنَّة، ثمَّ قالت: يا أبا بكر هل سمعتَ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنَّ أمَّ أيمن امرأة من أهل الجنَّة؟ قال: بلى، ثمَّ قالت: فمن كانت سيِّدة نساء أهل الجنَّة تدَّعي ما ليس لها؟ وأنا امرأة من أهل الجنَّة ما كنت لأشهد إلَّا بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال عمر: دعينا يا أمّ أيمن من هذه القصص، بأيِّ شيء تشهدين؟ فقالت: كنت جالسة في بيت فاطمة عليها السلام ورسول الله صلى الله عليه وآله جالس، حتَّى نزل عليه جبرئيل، فقال: **يا محمَّد صلى الله عليه وآله قُم فإنَّ الله تبارك وتعالى أمرني أنِّي أخطَّ لك فدكًا بجناحي**. فقام رسول الله صلى الله عليه وآله مع جبرئيل عليه السلام، فما لبث أن رجع، فقالت فاطمة عليها السلام: **يا أبه أين ذهبتَ؟** فقال: **خطَّ جبرئيل عليه السلام لي فدكًا بجناحه، وحدَّ لي حدودها**. فقالت: **يا أبه إنِّي أخاف العَيلة والحاجة من بعدك، فصدِّق بها عليّ**. فقال: **هي صدقة عليك**، فقبضتها، قالت: نعم. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله يا أمَّ أيمن اشهدي، ويا عليّ اشهد. فقال عمر: أنت امرأة، ولا نُجيز شهادة امرأة وحدها، وأمَّا عليّ فيجرُّ النَّار إلى قرصه. فقامت فاطمة مغضبة، وقالت: **اللهمَّ إنَّهما ظلما ابنة محمَّد نبيّك حقَّها، فاشدُد وطأتك عليهما**. ثمَّ خرجت وحملها عليّ على أتان عليه كساء له خمل، فدار بها أربعين صباحًا في بيوت المهاجرين والأنصار والحسن والحسين عليهم السلام معها[1].

(١) الكجوريّ، الخصائص، ج٢، ص١٧١.

كشف لنا هذا النصّ مدى الظلم الواقع على السيِّدة الزَّهراءعليها السلام، وعلى غصب حقِّها من قِبَل الخليفتَين، على الرغم من شهادة الإمام عليّعليه السلام الذي قال فيه الرسولصلى الله عليه وآله: «**عليٌّ مع الحقّ، والحقّ مع عليّ، يدور معه حيثما دار**»، فهذه شهادة من النبي الأعظم بأنَّ الإمام عليّعليه السلام لا يقول إلَّا الحق، وقد أدلى السيِّد جعفر مرتضى العامليّ بدلوه بتحليل هذا النصِّ، بقوله: إنَّ أبا بكر وعمر قد ردَّا شهادة عليّعليه السلام، وأمّ أيمن بحجَّة أنَّ أمّ أيمن امرأة، ولا يجيز شهادة امرأة وحدها، فكيف جازت شهادة عائشة لأبي بكر، مع أنَّها ابنته، وهي امرأة، وتجرُّ النار إلى قرصها، وقرص أبيها؟ وكيف جازت شهادة عمر، وهو يجر إلى قرصه وقرص أبي بكر أيضًا؟، كما أنَّ الرسولصلى الله عليه وآله قد تصدَّق عليها ومنحها فدك في حياته، ولم تدَّع الإرث ولم تُشِر إليه، فليس هناك أي معنى لقول أبي بكر لها بأنَّ النبيّ لا يورث، وذلك من خلال أنَّ الزَّهراءعليها السلام حكَمَت على قول عائشة وعمر بأنَّها أوَّل شهادة زور في الإسلام، وإطلاق هذا الحكم بصورة يقينيَّة، يُعطي أنَّها كانت تعلم بعدم صدور الحديث عن رسول اللهصلى الله عليه وآله بأنَّ النبيّ لا يورث[1].

وروي أنَّ الله أوحى إلى رسوله الكريمصلى الله عليه وآله أن ادفَع فدك إلى فاطمةعليها السلام، فدعاها رسول اللهصلى الله عليه وآله فقال لها: **يا فاطمة إنَّ الله أمرني أن أدفع إليك فدكًا**. فقالت: **قد قبلت يا رسول الله من الله ومنك!** فلم يزل وكلاؤها فيها حياة رسول اللهصلى الله عليه وآله، فلمَّا ولي أبو بكر، أُخرج عنها وكلاؤها[2]، أمَّا الدوافع التي دعت أبو بكر لهذا الفعل فربَّما يعود إلى:

١. الظروف الاقتصاديَّة التي كانت تمرُّ بها الدولة الإسلاميَّة في ذلك الوقت، والحاجة إلى موارد فدك.

٢. إنَّ أبا بكر خشي أن يصرف الموارد الماليَّة لفدك في سبيل التوصُّل إلى

(١) الصحيح من سيرة الإمام عليّعليه السلام، ج١٠، ص١٠١-١٠٣.

(٢) الفيض الكاشانيّ، الوافي، ج١٠، ص٣٠٦.

السلطان[1]، ويبدو أنَّ هذا الأمر كان يشكِّل هاجسًا بالنسبة للشيخَين، وذلك لأنَّ فدك من الناحية الماديَّة تمثِّل موردًا مهمًّا يُسهم في تعديل ميزانيَّة الدولة في الظروف الحرجة، كظروف الثورات والحروب الداخليَّة، ممَّا يشير إلى أنَّها ذات نتاج عظيم[2].

٣. أهميَّتها بالنسبة لميزانيَّة الجيش.

وبرغم ما تمثِّله فدك من أهميَّة إستراتيجيَّة بالنسبة لأبي بكر، فإنَّ هناك رواية تؤكِّد أنَّ الخليفة الأوَّل كتب كتابًا للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، يؤيِّد حقَّها فيها في بادئ الأمر، إلَّا أنَّ موقف عمر هو ما دعاه إلى التراجع عن قراره، بل والتمادي في غصبِها لحقِّها، فروي أنَّها عليها السلام: «أتته وسألته أن يردَّها عليها، فقال لها: ائتني بأسود أو أحمر يشهد لك بذلك، فجاءت بأمير المؤمنين عليه السلام وأمّ أيمن، فشهدا لها، فكتب لها بترك التعرُّض، فخرجت والكتاب معها، فلقيها عمر، فقال: ما هذا معك يا بنت محمَّد ؟ قالت: كتاب كتبه لي ابن أبي قحافة، قال: أرينيه فأبت، فانتزعه من يدها ونظر فيه، ثمَّ تفل فيه ومحاه وخرقه، وقال لها: هذا لم يوجِف عليه أبوك بخيل ولا ركاب، فضعي الحبال في رقابنا»[3]، يكشف لنا هذا النصّ أنَّ السلطة الفعليَّة لم تكن بيد أبي بكر، وإنَّما كانت بيد عمر بن الخطَّاب، وهو الذي يتصرَّف ولا يعترض على حكمه أحد، فضلًا عن التجاوز السَّافر والأخلاق الذميمة التي تخلَّق بها عمر بن الخطَّاب، وذلك بأن خاطب فاطمة عليها السلام بـ(يا بنت محمَّد)، وليس بـ(يا بنت رسول الله)، ولم يكتفِ بهذا فحسب، إنَّما شرع إلى تمزيق الكتاب وإتلافه ومحوه والاستهزاء بها، وهذا يؤكِّد بشكل مباشر إلى اغتصاب حقِّ الزَّهراء عليها السلام في فدك، وإرجاعها إلى حيازة السلطة مرَّة أخرى.

(١) الصدر، فدك في التاريخ، ص٩٦.
(٢) المصدر نفسه، ص٤١-٤٢.
(٣) الفيض الكاشانيّ، ج١٠، ص٣٠٧.

## ثامنًا: استشهادها

ذكر الكجوريّ أنَّ فاطمة الزَّهراء لم تبقَ بعد وفاة والدها سوى خمسة وسبعين يومًا، إذ روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: إنَّ فاطمة عليها السلام مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله خمسة وسبعين يومًا، وكان دَخَلها حزن شديد على أبيها وغمٌّ عظيم لما تلقاه من أذى الأعداء، وكان جبرئيل يأتي فيُحسن عزاءها على أبيها، ويطيِّب نفسها، ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها في ذريَّتها، وكانت فاطمة تشمُّ رائحة طيِّبة، وتسمع الصوت، ولا ترى جبرئيل[1]، فلمَّا اشتدَّ بها المرض، وشعرت بدنوِّ أجلها، دعت أمير المؤمنين عليه السلام، وقالت له: «يا عليّ، أنا فاطمة بنت محمَّد، زوَّجَني الله منك لأكون لك في الدنيا والآخرة، أنت أولى بي من غيري، حنِّطني وغسِّلني وكفِّني بالليل، وصلِّ عليَّ وادفنِّي بالليل، ولا تُعلِم أحدًا، وأستودعك الله، واقرأ على ولديَّ السلام إلى يوم القيامة[2]. وقد لخصَّت في هذه الرواية مجموعة من وصاياها، منها أن يتولَّى الإمام عليّ عليه السلام تجهيزها، وأن يدفنها ليلًا لا نهارًا، وأن لا يُعلم بذلك أحدًا؛ لئلَّا يحضروا تجهيزها أو الصلاة عليها، وهي تعني من ظَلَموها.

وروي عن أمِّ سلمة قالت: «اشتكت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضها، فأصبحت يومًا كأمثل ما كانت، فخرج عليّ بن أبي طالب عليه السلام من البيت، فقالت فاطمة: يا أمتاه اسكبي لي ماءً فأغتسل، قالت أُمُّ سلمة: فسكبت لها فاغتسلت وقامت كأحسن ما كانت، ثمَّ قالت: هاتي ثيابي الجدد، فأعطيتها فلبستها، ثمَّ جاءت إلى البيت الَّذي كانت فيه، فقالت: قدِّمي الفراش إلى وسط البيت، فقدَّمته فاضطجعت واستقبلت، فقالت: يا أَمتاه إنِّي مقبوضة الآن، وإنِّي قد اغتسلت فلا يكشفني أحد. فقُبِضت في مكانها، فجاء عليّ بن أبي طالب فأخبرته، فقال: لا والله لا يكشفها

(١) الكجوريّ، الخصائص، ج٢، ص٣٦٢.

(٢) الخوارزميّ، مقتل الحسين عليه السلام، ص٨٦.

أحـد»[1]، وقد تولَّى أمير المؤمنين عليه السلام تغسيلها، إذ قـال: «والصدِّيقة لا يغسلها إلَّا صدِّيق»[2]. أمَّا عن دفنها، فقد روي عن الإمام أبي عبد الله الحسين بن علّي عليه السلام: «**لـمَّا قُبِضت (أمِّي) فاطمة، دفنها أمير المؤمنين سرًّا، وعفى على موضع قبرها**»[3].

## الخاتمة

توصَّل البحث إلى عدَّة نتائج، وهي:

١. إنَّ الروايات التاريخيَّة التي أوردها الكجوريّ كانت قليلة، على الرغم من أنَّ الكاتب ذكر بعضًا من جوانب حياة الزَّهراء عليها السلام، إلَّا أنَّه لم يتطرَّق إلى حياتها الأسريَّة، وعلاقتها بأمير المؤمنين عليه السلام، وكذلك وقوفها إلى جانب زوجها بعد وفاة أبيها من غصب حقِّه في الخلافة، أيضًا لم يُشِر إلى مظلوميَّة الزَّهراء عليها السلام وما تعرَّضت له من انتهاك حرمة بيتها، وكسر ضلعها، وإسقاط جنينها، فرُبَّ قائل يقول: إنَّ هذا الكتاب يختصُّ فقط بخصائص السيِّدة الزَّهراء عليها السلام ومناقبها، والأحاديث التي وردت في أفضليَّتها على نساء العالمين، إلَّا أنَّه لا بدَّ من أن يُشير ولو بشكلٍ موجزٍ إلى ما تعرَّضت له من جَور وظلم على يد الخليفَتَين.

٢. أظهر البحث المقامات العالية للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، فهي بنت النبيّ صلى الله عليه وآله، وزوج الإمام عليّ عليه السلام، وهي صاحبة الألقاب الكثيرة والمناقب الرفيعة، فضلًا عن منزلتها الكبيرة عند الله عزَّ وجلَّ بأن أرسل لها جبرئيل يخبرها بمكانة أبيها في جنان الخلد.

٣. أشار البحث إلى منعطفات مهمَّة في حياة الزَّهراء عليها السلام، وهو مطالبتها لحقِّها في

(١) الكجوريّ، الخصائص، ج٢، ص٥٠٩.
(٢) الكجوريّ، المصدر نفسه، ج١، ص٢٢١.
(٣) الطبريّ الإماميّ، دلائل الإمامة، ص١٣٧.

فدك، ورفض الخليفَتَين أبو بكر وعمر بعد أن استوليا على السلطة منح فدك للزَّهراء عليها السلام بحجَّة أنَّ النبيّ لا يورث.

## قائمة المصادر والمراجع

### أوَّلًا: المصادر الأوليَّة


* القرآن الكريم.

ابن إسحاق، محمَّد بن إسحاق بن يسار (ت١٥١هـ).

١. سيرة ابن إسحاق (تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر للنشر، بيروت، ١٩٧٨).

البلاذريّ، أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ).

٢. فتوح البلدان (عني بمراجعته والتعليق عليه: رضوان محمَّد رضوان، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٥٩).

ابن الجوزيّ، أبو الفرج عبد الرحمن بن عليّ بن محمَّد (ت٥٩٧هـ).

٣. المنتظم في أخبار الأمم والملوك (دراسة وتحقيق: محمَّد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصحَّحه: نعيم زرزور، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٩٢).

ابن حبَّان البستيّ، محمَّد بن حبَّان (ت٣٥٤هـ).

٤. ٨٨. مشاهير علماء الأمصار (تحقيق: مرزوق عليّ إبراهيم، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ١٤١١هـ).

ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله (ت٦٥٦هـ).

٥. شرح نهج البلاغة (تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيَّة، عيسى البابيّ الحلبيّ وشركاه، بيروت، ١٩٥٩).

ابن خيَّاط، خليفة بن خيَّاط العصفريّ (ت٢٤٠هـ).

٦. طبقات خليفة (تحقيق: سهيل زكَّار، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣).

الخوارزميّ، أبو المؤيَّد الموفَّق بن أحمد المكِّيّ (ت٥٦٨هـ).

٧. مقتل الحسين عليه السلام (مطبعة الزَّهراء عليها السلام، النجف الأشرف، ١٩٤٨).

سبط ابن الجوزيّ، أبو المظفَّر شمس الدين يوسف بن قزاوغلي (ت٦٥٤هـ).

٨. تذكرة الخواصّ (تقديم: محمَّد صادق بحر العلوم، منشورات الشريف الرضيّ، قم، ١٩٩٨).

ابن سعد، أبو عبد الله محمَّد بن سعد بن منيع (ت٢٣٠هـ).

٩. الطبقات الكبرى (تحقيق: إحسان عبَّاس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨).

الصدوق، أبو جعفر محمَّد بن عليّ بن الحسين (ت٣٨١هـ).

١٠. عيون أخبار الرِّضا (منشورات الشريف الرضيّ، قم، ١٩٥٨).

الطبرانيّ، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت٣٦٠هـ).

١١. المعجم الأوسط (قسم التحقيق بدار الحرَمَين، دار الحرَمَين للنشر، ١٩٩٥).

الطبرسيّ، أبو عليّ الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ).

١٢. أعلام الورى بأعلام الهدي (قدَّم له: محمَّد مهدي السيِّد حسن الخرسان، منشورات المكتبة الحيدريَّة، النجف، ١٩٧٠).

الطبريّ الإماميّ، أبو جعفر محمَّد بن جرير بن رستم (ت ق٤هـ).

١٣. دلائل الإمامة (تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة، مؤسَّسة البعثة، قم، ١٤١٣هـ).

الطبريّ، أبو جعفر محمَّد بن جرير (ت٣١٠هـ).

١٤. تاريخ الرسل والملوك (تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦١).

الطوسيّ، أبو جعفر محمَّد بن الحسن (ت٤٦٠هـ).

١٥. الأمالي (تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة، مؤسَّسة البعثة، ط١، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم، ١٤١٤هـ).

أبو الفرج الأصفهانيّ، عليّ بن الحسين بن محمَّد (ت٣٥٦هـ).

١٦. مقاتل الطالبيِّين (تقديم وإشراف: كاظم المظفَّر، ط٢، منشورات المكتبة الحيدريَّة، النجف، ١٩٦٥).

الفيض الكاشانيّ، محمَّد محسن (ت١٠٩١هـ).

١٧. كتاب الوافي (تحقيق: مركز التحقيقات الدينيَّة والعلميَّة في مكتبة الإمام إمير المؤمنين عليّ عليه السلام، أصفهان، ١٤١٥هـ).

الكلينيّ، أبو جعفر محمَّد بن يعقوب (ت٣٢٩هـ).

١٨. الفروع من الكافي (تصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاريّ، ط٣، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران، ١٩٦٨).

المجلسيّ، محمَّد باقر (ت١١١١هـ).

١٩. بحار الأنوار (تحقيق: محمَّد مهدي السيِّد حسن الموسويّ وآخرون، ط٣، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٩٨٣).

٢٠. مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول (إخراج ومقابلة وتصحيح: الشيخ عليّ الآخونديّ، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران، ١٤٠٨هـ).

محبّ الدين الطبريّ، أحمد بن عبد الله (ت٦٩٤هـ).

٢١. ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى (تحقيق: سامي الغريريّ، مؤسَّسة دار الكتاب الإسلاميّ، إيران، ٢٠٠٩).

ابن منظور، أبو الفضل محمَّد بن مكرم بن عليّ (ت٧١١هـ).

٢٢. لسان العرب (ط١، دار صادر، بيروت).

ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله (ت٦٢٦هـ).

٢٣. معجم البلدان (دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٩٧٩).

## ثانيًا: المراجع

الزركليّ، خير الدين.

٢٤. الأعلام (ط٥، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠).

السبحانيّ، جعفر.

٢٥. السيرة المحمَّديَّة (إعداد: د. يوسف سعادة، تعريب: جعفر الهادي، ط٢، قم، ٢٠٠٥).

شرف الدين، عبد الحسين.

٢٦. مؤلِّفو الشيعة في صدر الإسلام (مطبعة النعمان، النجف، ١٩٦٥).

الطريحيّ، فخر الدين.

٢٧. مجمع البحرين (تحقيق: السيِّد أحمد الحسينيّ، ط٢، عنيت بنشره: المكتبة المرتضويَّة لإحياء الآثار الجعفريَّة، ١٣٦٢ش).

الطهرانيّ، آقا بزرك.

٢٨. الذريعة إلى تصانيف الشيعة (ط٣، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨.

العامليّ، جعفر مرتضى.

٢٩. الصحيح من سيرة الإمام عليّ عليه السلام (ولاء المنتظر، قم، ١٤٣٠هـ).

٣٠. مأساة الزَّهراء عليها السلام (ط٢، دار السيرة، بيروت، ١٩٩٧).

العباديّ، أحمد مختار.

٣١. في التاريخ العبَّاسيّ والفاطميّ (دار النهضة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧١).

الفيروزآباديّ، مرتضى الحسينيّ.

٣٢. فضائل الخمسة من الصحاح الستَّة (تحقيق: المجمع العالميّ لأهل البيت، قم، ٢٠٠١).

القائميّ، عليّ.

٣٣. الحسين سيِّد الشهداء (ترجمة: عبد الله خضير، بيروت، ٢٠٠٢).

قصير، أسد محمَّد.

٣٤. مصحف فاطمة.

الكجوريّ، الشيخ محمَّد باقر.

٣٥. الخصائص الفاطميَّة (ترجمة: سيِّد عليّ جمال، ط١، مطبعة شريعت، ١٣٨٠هـ).

كحالة، عمر.

٣٦. معجم المؤلِّفين (مكتبة المثنَّى، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، د.ت).

المظفَّر، محمَّد رضا.

٣٧. السقيفة (تقديم: د. محمود المظفَّر، ط٤، مؤسَّسة أنصاريان للطباعة والنشر، قم، ٢٠٠٤).

الموسويّ، ياسين.

٣٨. مقتل السيِّدة الزَّهراء عليها السلام (مجمع دار البهجة، ط١، بيروت، ١٩٩٨).

# زواج النور من النور في ضوء روايات الخوارزميّ الحنفيّ (ت٥٦٨هـ/١١٧٢م) دراسة تاريخيَّة

م.م. علاء حسين خليف الجبوريّ

جامعة بابل

## ملخَّص البحث

الحمد لله ربِّ العالمين الآمر بالعدل والإحسان، والصلاة والسلام على سيِّد المرسَلين الهادي إلى الحقِّ وإلى صراط الله المستقيم، ومَن دعا بدعوته وسار على نهجها إلى يوم الدين.

فاقت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام نساء العالم في الحسب والنسب، فهي بنت الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وخديجة عليها السلام، ووريثة العلوم والفضائل والسجايا الحسنة، وهي سيِّدة نساء العالمين، فقد ترعرعت وكبرت في بيت النبوَّة، في حضن وكنف النبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله، وسِنيِّ الزواج في بيت ثاني أكبر شخصيَّة إسلاميَّة، عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وأنجبت خلال تلك الفترة القصيرة إمامَين معصومَين، هما الحسن والحسين عليهما السلام.

توسَّم بحثي بـ(زواج النور من النور في ضوء روايات الخوارزميّ الحنفيّ (ت٥٦٨هـ/ ١١٧٢م) دراسة تاريخيَّة)، واقتضت طبيعة البحث تقسيمه على مبحَثَين، تناولت في الأوَّل منهما الحياة الاجتماعيَّة للخوارزميّ (اسمه وولادته وكناه)، وكذلك تبيان موارده ومنهجيَّته، أمَّا المبحث الثاني، فكان حول زواج النُّورَين، وتناولت فيه

روايات الزواج، وعناية الله سبحانه وتعالى، ومباركته لهذا الزواج، ولولا عليّ لم يكن لفاطمة كفؤ، وروايات خطبتها عليها السلام من قِبَل الصَّحابة، وأيضًا الخطبة والتزويج يشهدها والملائكة والمسلمين، وتحديد مهر الزواج، وكذلك إيراد روايات تاريخ ذلك الزواج المبارك.

أمَّا السبب الذي شدَّني لاختيار الموضوع، هو إحساسي بالحاجة الماسَّة إلى ذِكر روايات زواج النورَين، وما فيها من دروس وعبر وحكم ودستور إسلاميّ للأمَّة جمعاء؛ للاقتداء بتلك الدروس من الاختيار والشهادة، وكذلك تحديد المهر ومراسيم الزواج، ولاسيما أنَّ تلك الروايات جاءت عن طريق مؤلِّف حنفيّ المذهب، فيذكرها الباحث ويحلِّلها ويقارنها مع المصادر الأخرى.

واعتمد الباحث على مصادر ومراجع عدَّة، منها تفسير القمِّيّ (ت٣٢٩هـ)، وكتاب الكافي للكلينيّ (ت٣٢٩هـ)، ومناقب أل أبي طالب لابن شهر آشوب (ت٥٨٨هـ)، وبحار الأنوار للمجلسيّ (ت١١١١هـ).

واخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله على محمَّد وآله الطيِّبين الطاهرين.

**الكلمات المفتاحيَّة**: الزواج، النور، الإمام، السيِّدة.

## المقدِّمة

لا شكَّ أنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، سيِّدة نساء العالمين، كانت مثالًا للمرأة المسلمة؛ لأنَّها المرأة الوحيدة التي عاشت في ظلِّ أبيها المعصوم، وزوجها المعصوم، وهي معصومة كذلك، وفي مثل هذا البيت نجد الصورة الحيَّة لتلك المرأة، ومثالًا يُقتدى به للزوجة الصالحة التي كانت خير عون لزوجها في تلك الحياة، ومن الدعائم المهمَّة للدين الإسلاميّ.

توسَّم بحثي بـ(زواج النور من النور في ضوء روايات الخوارزميّ الحنفيّ (ت٥٦٨هـ/ ١١٧٢م) دراسة تاريخيَّة)، واقتضت طبيعة البحث تقسيمه على مبحَثَين، تناولت في الأوَّل منهما الحياة الاجتماعيَّة للخوارزميّ (اسمه وولادته وكناه)، وكذلك تبيان موارده ومنهجيَّته، أمَّا المبحث الثاني، فكان حول زواج النُّورَين، وتناولت فيه روايات الزواج، وعناية الله سبحانه وتعالى، ومباركته لهذا الزواج، ولولا عليّ لم يكن لفاطمة كفؤ، وروايات خطبتها عليها السلام من قِبَل الصَّحابة، وأيضًا الخطبة والتزويج يشهدها والملائكة والمسلمين، وتحديد مهر الزواج، وكذلك إيراد روايات تاريخ ذلك الزواج المبارك.

أمَّا السبب الذي شدَّني لاختيار الموضوع، هو إحساسي بالحاجة الماسَّة إلى ذِكر روايات زواج النورَين، وما فيها من دروس وعبر وحكم ودستور إسلاميّ للأمَّة جمعاء؛ للاقتداء بتلك الدروس من الاختيار والشهادة، وكذلك تحديد المهر، ومراسيم الزواج، ولاسيما أنَّ تلك الروايات جاءت عن طريق مؤلِّف حنفيّ المذهب، فيذكرها الباحث ويحلِّلها ويقارنها مع المصادر الأخرى.

## المبحث الأوَّل

## كتاب المناقب للخوارزميّ

### أوَّلًا: اسمه وولادته ولقبه وكناه

الموفَّق بن أحمد بن محمَّد المكِّيّ الحنفيّ الخوارزميّ[١]، وهناك اختلاف في بين المصادر، فمنهم من يسمِّيه (أحمد بن مكِّيّ)[٢]، ومنهم من يسمِّيه (موفَّق بن أحمد)، والظاهر أنَّ الاسم الثاني هو الأصح؛ لاتِّفاق أغلب المصادر عليه[٣].

اتَّفقت أغلب المصادر التي تمكَّنَّا من الاطلِّاع عليها، أنَّه ولِد في (إقليم خوارزم)[٤]،

(١) إنباه الرواة على أنباه النحاة، القطفيّ، جمال الدين أبو الحسن عليّ بن يوسف (ت٦٤٦هـ)، دار الفكر العربيّ، القاهرة، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٢م: ٣/ ٣٣٢، معجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ)، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط٣، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م: ٦/ ٢٧٤١.

(٢) الفوائد البهيَّة في تراجم الحنفيَّة، أبو الحسنات، محمَّد عبد الحي اللكنويّ الهنديّ (ت١٣٠٤هـ)، تجميع وتعليق: محمَّد بدر الدين، دار الكتاب الإسلاميّ، القاهرة، (د.ت): ٤١.

(٣) إنباه الرواة: ٣/ ٣٣٢، معجم الأدباء: ٦/ ٢٧٤١، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، ابن خلِّكان، أحمد بن محمَّد بن إبراهيم بن أبي بكر (ت٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عبَّاس، دار الثقافة، لبنان (د.ت): ٥/ ٣٦٩.

(٤) خوارزم: وهو إقليم منقطع عن خراسان، وعمَّا وراء النهر، فتح المسلمون الإقليم سنة (٩٣هـ/ ٧١١م) بقيادة قتيبة بن مسلم الباهليّ. المسالك والممالك، الاصطخريّ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت٣٠٠هـ)، ليدن، بريل، ١٨٨٩م: ١٦٨، وللمزيد من التفاصيل عن إقليم خوارزم، ينظر: العامريّ، عبد الستَّار نصيِّف جاسم، الحياة الفكريَّة في إقليم خوارزم=

عام (٤٨٤هـ)[١].

لُقِّب بـ(الخوارزميّ) نسبةً لاقليم خوارزم مسقط رأسه[٢]، كما لُقِّب بـ(أخطب خوارزم)[٣]، و(خطيب خوارزم)[٤]، والمقصد واحد، وهو تضلُّعه في إنشاء الخطب وألقائها بجامع خوارزم، كما لُقِّب بـ(المكِّيّ) نسبةً إلى مدينة مكَّة المكرَّمة، نظرًا لما نصَّ عليه القفطيّ[٥] من أنَّه مكِّيُّ الأصل، والمرجَّح أنَّه قصد مكَّة المكرَّمة حاجًّا، وجاور بيت الله الحرام مدَّة من الزمن للدرس على أيدي علمائها، فلُقِّب بـ(المكِّيّ) اعتزازًا بهذه المدينة ومكانتها لدى المسلمين، ويكنَّى بأبي المؤيَّد، وأبي الوليد؛ نسبةً إلى ولديه[٦].

## ثانيًا: موارد الموفق الخوارزميّ ومنهجيَّته في كتابة المناقب

### ١. موارده:

اعتمد الموفق الخوارزميّ في إيراد رواياته في المناقب على مصدرَين، هما: شيوخه الذين حدَّثوه، وهم الذين اقتبس منهم العدد الأكبر من رواياته، وأيضًا يروي عن شيوخ شيوخه بإسناده إلى شيوخه، ويشير إلى ذلك بقوله (بهذا الإسناد).

والمصدر الثاني: اقتباساته من الكتب.

---

=حتَّى نهاية القرن السادس الهجريّ، رسالة ماجستير، غير منشورة.

(١) الجواهر المضية في طبقات الحنفية، القرشي،، عبد القادر بن محمَّد بن نصر الله، محيي الدين الحنفي (ت ٧٧٥هـ)، تحقيق:مير محمَّد، كتب خانه – كراتشي (د ت): ٦/ ٣١٠، الفوائد البهية، ٤١.

(٢) الجواهر المضية، ٣/ ٥٢٣، الفوائد البهية٤١.

(٣) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ٦/ ٢٧٤١.

(٤) انباه الرواة، ٣/ ٣٣٢، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٥\٣٦٩.

(٥) انباه الرواة، ٣/ ٣٣٢.

(٦) انباه الرواة، ٣/ ٣٣٢.

## اوَّلًا: شيوخه

تتلمذ الموفَّق بن أحمد الخوارزميّ على طائفة كبيرة من العلماء في شتَّى العلوم الإسلاميَّة، وذلك من خلال تتلمذه على علماء خوارزم، وعلى العلماء الذين التقى بهم أثناء رحلاته إلى البلدان الإسلاميَّة، وتفاديًا للاطالة، سنقتصر على ذِكر أسماء البعض منهم(١).

١. أبو القاسم جار الله الزمخشريّ (ت٥٣٨هـ/ ١١٤٣م).
٢. أبو الفتح عبد الملك الكروخيّ (ت٥٤٨هـ/ ١١٥٣م).
٣. العبَّاس بن محمَّد الطوسيّ (ت٥٤٩هـ/ ١١٥٤م).
٤. أبو الحسن الغزنويّ (ت٥٥١هـ/ ١١٥٦م).
٥. عبد الملك بن عليّ الهمذانيّ (ت٥٥٢هـ/ ١١٥٧م).
٦. محمَّد بن عبيد الله بن نصر الزاغونيّ (ت٥٥٢هـ/ ١١٥٧م).
٧. عبد الواحد بن الحسين الباقرجيّ (ت٥٥٣هـ/ ١١٥٨م).
٨. شهردار بن شيرويه (ت ٥٥٨هـ/ ١١٦٣م).
٩. أبو العلاء الهمذانيّ (ت٥٦٩هـ/ ١١٧٤م).
١٠. محمَّد بن بنيان (ت٥٧٣هـ/ ١١٧٧م).

## ثانيًا: موارد الخوارزميّ الأخرى

استقى الموفق الخوارزميّ رواياته الأخرى من مجموعة من الكتب والمؤلَّفات التي وجدها أو اطَّلع عليها، ومنها ما صرَّح بعنواناتها واسم مؤلِّفها، ومنها ما لم يصرِّح بها،

(١) لمزيد من التفاصيل حول شيوخ الخوارزميّ ترجمتهم، ينظر: الجبوريّ، سيرة الإمام عليّ عليه السلام دراسة تاريخيَّة في ضوء روايات كتاب المناقب للخوارزميّ الحنفيّ (ت٥٦٨هـ/ ١١٧٢م)، رسالة ماجستير (غير منشورة).

ومن هذه الاقتباسات الآتي:

١. روى عن ابن إسحاق[١]، الذي لم يصرِّح باسم كتابه، أربع روايات، رواية واحدة عن صفات أمير المؤمنين عليه السلام[٢]، رواية في تربية الرسول صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام[٣]، رواية عن لا سيف إلَّا ذو الفقار ولا فتى إلَّا عليّ[٤]، رواية عن عمر أمير المؤمنين عليه السلام حين استُشهِد[٥].

٢. روايته عن ابن مندة[٦]، الذي لم يصرِّح باسم كتابه، رواية واحدة عن صفات أمير المؤمنين عليه السلام[٧].

**٢. منهجيَّته:**

**أوَّلًا: استعماله الإسناد**

الإسناد لغةً جعل الشيء يتَّكئ على شيء آخر، واصطلاحًا رفع نسبة الحديث

(١) هو محمَّد بن إسحاق بن يسار بن خيار، ولد عام (٨٠هـ)، صاحب السير والمغازي، توفِّي عام (١٥١هـ). الطبقات الكبرى، ابن سعد، محمَّد (ت٢٣٠هـ)، دار صادر، بيروت (د.ت): ٧/ ٣٢١، الجرح والتعديل، الرازي ابن أبي حاتم، أبو محمَّد عبد الرحمن بن محمَّد بن إدريس ابن المنذر التميميّ، الحنظليّ (ت ٣٢٧هـ)، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانيَّة، حيدر آباد الدكن، الهند، (١٢٧١هـ/ ١٩٥٢م): ٧/ ١٩١.

(٢) المناقب: ٤٥.

(٣) المناقب: ٥١-٥٢.

(٤) المناقب: ١٧٣.

(٥) المناقب: ٣٩٧.

(٦) محمَّد بن إسحاق بن محمَّد بن يحيى بن منده العبديّ، الأصفهانيّ، محدِّث، حافظ، مؤرِّخ، ولِد سنة (٣١٠هـ)، وتوفِّي في أصفهان سنة (٣٩٥هـ). تاريخ أصبهان (أخبار أصبهان)، أبو نعيم الأصبهانيّ، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران (ت٤٣٠هـ)، تحقيق: سيِّد كسروي حسن، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١ (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م): ٢/ ٢٧٨.

(٧) المناقب: ٤٥.

إلى قائله، أو سلسلة الرواة الذين نقلوا الحديث[١]، وهو طرق المتن، أي مجموع من رووه واحدًا عن واحد حتَّى يصل إلى صاحبه[٢]. ومن الأمور البارزة في كتاب المناقب، استخدام الخوارزميّ الإسناد في رواياته التي ذكرها في كتابه، إذ أسندها كلَّها سوى القليل منها، وعلى هذا يمكن تقسيم روايات الخوارزميّ في كتابه المناقب إلى قسمَين:

- روايات غير مسندة، وعددها تسعٌ وثلاثون رواية.
- روايات مسندة، وعددها (٣٧٧) رواية.

**ثانيًا: إيراده للآيات القرآنيَّة:**

العديد من الروايات التي وردت في كتاب المناقب تضمَّنت آيات من القرآن الكريم، والتي تبنَّت مواضيع شتَّى عن فضائل ومناقب أمير المؤمنين عليه السلام، وسنقدِّم هنا أمثلة من تلك الآيات القرآنية، ومواضيعها التي أتت بها.

الآيات التي نزلت بحقِّ أمير المؤمنين، التي خصَّص لها الموفَّق فصلًا في كتاب المناقب، آية في عطاء أمير المؤمنين عليه السلام[٣]، قال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾[٤]، آية في سبق أمير المؤمنين عليه السلام إلى الإسلام[٥]، بقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾[٦]، آية في ثبات أمير المؤمنين على

(١) معجم ألفاظ الفقه الجعفريّ، فتح الله، أحمد، مطابع المدوخل، الدمام، ط١، (١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م): ٢٣٤.
(٢) وصول الأخيار إلى أصول الأخبار، العامليّ، حسين بن عبد الصمد (ت٩٨٤هـ)، تحقيق: عبد اللطيف الكوهكمريّ، مطبعة الخيام، قم، (١٠٤١هـ): ٩١.
(٣) وصول الأخيار، ٢٦٦.
(٤) المائدة، الآية: ٥٥.
(٥) المناقب، ٢٦٧.
(٦) الواقعة، الآية: ١٠.

الجهاد[١]، يقول ﷻ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾[٢].

**ثالثًا: إيراده للأحاديث النبويَّة:**

إنَّ من الصفات البارزة في كتاب المناقب، هي كثرة الأحاديث النبويَّة الشريفة الواردة فيه، وقد كان للأحاديث النبويَّة الشريفة الواردة في الكتاب وضوح بارز وقويّ، وهذا يدلُّ على اهتمام الموفَّق الشديد بالأحاديث النبويَّة الشريفة في كتبه، وقد تنوَّعت أهداف إيراد تلك الأحاديث في مجالات عديدة، منها:

إيضاح كثرة فضائل أمير المؤمنين عليه السلام في أحاديث الرسول، ومنها: قول الرسول صلى الله عليه وآله: «**لو أنَّ الغياض أقلام، والبحر مداد، والجن حسَّاب، والإنس كتَّاب، ما أحصوا فضائل عليّ بن أبي طالب عليه السلام**»[٣]، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إنَّ الله جعل لأخي عليّ فضائل لا تحصى كثيرة، فمن ذكر فضيلة من فضائله مقرًّا بها؛ غفر الله له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر..**»[٤].

---

(١) المناقب: ٢٧٩.

(٢) الاحزاب، الآية: ٢٣.

(٣) المناقب: ٣٢، مائة منقبة من مناقب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب والأئمَّة من ولده عليهم السلام من طريق العامَّة، ابن شاذان، محمَّد بن أحمد بن عليّ بن الحسن القمِّيّ (٤١٢هـ)، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، مطبعة أمير، قم، (١٤٠٧هـ): ١٧٥، كنز الفوائد، الكراجكيّ، أبو الفتح محمَّد بن عليّ (ت ٤٤٩هـ)، مكتبة المصطفويّ، قم، ط٢، ١٣٦٩هـ: ١٢٩.

(٤) المناقب: ٣٢، الأمالي، الصدوق، محمَّد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القمِّيّ (ت٣٨١هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة، مؤسَّسة البعثة، قم ط١، (١٤١٧هـ): ٢٠١، الدرُّ النظيم، المشغريّ العامليّ، جمال الدين يوسف بن حاتم بن فوز بن مهنَّد الشاميّ (ت٦٦٤هـ)، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، قم، (د.ت):٣٢٥، كشف الغمَّة في معرفة الأئمَّة، الأربلِّيّ، عليّ بن عيسى بن أبي الفتح (ت٦٩٣هـ)، تحقيق: جعفر السبحانيّ، دار الأضواء، بيروت، ط٢، (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م): ١/ ١٠٩.

**رابعًا: إيراده الشِّعر**

ورد الشعر في كتاب المناقب، في الكثير من المواطن، وكان الشعر لعرض فضائل ومناقب أمير المؤمنين عليه السلام، فذكر الموفَّق عدَّة أبيات شعريَّة في مدح أمير المؤمنين، كان مطلعها[1]:

إنَّ عـــليّ بـــن أبي طـالـــبِ
خـير الـــورى والـغـالـب الـطَّـالـبِ
يـــا طـالـبًـا مـثـل عـــليٍّ وهـــلْ
في الخـلـق مـثـلٌ لـلـفـتـى الـطـالـبي

**خامسًا: ذِكر المكان والزمان**

من الأمور البارزة في منهج الموفق، فضلًا عن ذِكر رواته، تحديد زمان ومكان سماعه للرواية، وهذه الطريقة تزيد في قيمة السند والرواية[2]. ومن الملاحظ أنَّ الموفَّق في كتابه المناقب كان يذكر أحيانًا الزمان والمكان معًا، واحيانًا يذكر المكان فقط من دون الزمان، مثل:

**أ. في ذِكر الزمان والمكان معًا:**

«أخبرنا الشيخ الإمام برهان الدين أبو الحسن عليّ بن الحسين الغزنويّ بمدينة السلام في داره، سلخ ربيع الأوَّل من سنة أربع وأربعين وخمسمائة»[3].

**ب. في ذِكر المكان فقط دون الزمان:**

«أخبرنا الإمام شهاب الدين أفضل الحفَّاظ أبو النجيب سعد بن عبد الله بن الحسن

(١) المناقب: ٣٧.
(٢) الهداية في الأصول والفروع، الصدوق، محمَّد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القمِّيّ (ت٣٨١هـ)، تحقيق: مؤسَّسة الإمام الهادي، مطبعة اعتماد، قم، ط١، (١٤١٨هـ): ١٦٧.
(٣) المناقب: ٢٨٤.

الهمدانيّ المعروف بالمروزيّ، فيما كتب إليَّ من همدان»[١].

**سادسًا: إحالته إلى الكتب**

إحدى طرائق منهجيَّة الموفَّق في كتاب المناقب، إحالة بعض الأحاديث النبويَّة والروايات إلى كتب تخريجها، فمثلًا عندما ذكر حديث الرسول صلى الله عليه وآله: «**اللَّهمَّ ائتني بأحبِّ خلقك إليك ليأكل معي هذا الطير، فجاء علي بن ابي طالب عليه السلام فأكل معه**»[٢]، قال الموفَّق: أخرج أبو عيسى الترمذيّ[٣] هذا الحديث في جامعه[٤].

**سابعًا: جهوده وآراؤه الشخصيَّة:**

من الأمور الواضحة في منهجيَّة الموفَّق في المناقب وجود بصمته الشخصيَّة في العديد من مواطن الكتاب، كالتفسيرات اللغويَّة لبعض المفردات، وهذا يدلُّ على قدرته العلميَّة واللغويَّة، وأيضًا أعطى رأيه وتوضيحه لبعض الروايات.

**أ. ذكر ألقاب أمير المؤمنين عليه السلام:**

بعدما ذكر الموفَّق ألقاب أمير المؤمنين من خلال الروايات والأسانيد، استرسل في ذكر تلك الالقاب التي أسندها لنفسه، إذ قال: «.. شقشق الخير رفيق الطير، صاحب القرابة والقربة، وكاسر أصنام الكعبة، مناوش الحنوف، قتَّال الألوف، المخرق

(١) المناقب: ٥٤.

(٢) سنن الترمذيّ، وهو الجامع الصحيح، الترمذي، محمَّد بن عيسى بن سورة (ت٢٧٩هـ)، تحقيق: عبد الرحمن محمَّد عثمان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م): ٦/ ٨١، المعجم الأوسط، الطبرانيّ، سليمان بن أحمد بن أيُّوب اللخميّ (ت٣٦٠هـ)، نشر وتحقيق: دار الحَرَمَين، (١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م): ٦/ ٣٣٥.

(٣) أبو عيسى، محمَّد بن عيسى بن سورة بن شدَّاد الحافظ، له كتاب في السنن، وكلام في الجرح والتعديل، توفِّي عام (٢٧٩هـ). الكنى والألقاب، القمِّيّ، عبَّاس بن محمَّد رضا (ت١٣٥٩هـ)، مكتبة الصدر، طهران (د.ت):٢/ ١١٨.

(٤) المناقب: ١٠٨.

الصفوف، ضرغام يوم الجمل، المردود له الشمس عند الطَفَل.. الخارج من بيت المال صفر اليدين عن الصفراء والحمراء والبيضاء، مُثكِل الكفرة، ومفلِّق هامات الفَجَرة، ومقوِّي أعضاد البررة، وثمرة بيعة الشجرة، وفاقئُ عيون السَّحرة.. مولى كلُّ من كان له رسول الله مولى، كثير الجدوى، شديد القوى»[١].

**ب. آراؤه وتوضيحاتُه اللغويَّة:**

كانت للموفَّق آراؤه وتوضيحاته اللغويَّة في العديد من المفردات الواردة في المناقب، فمثلًا عن جابر بن عبد الله[٢] قال: «جاءنا رسول اللهﷺ، ونحن مضطجعون في المسجد، وفي يده عسيب..»، إذ قال الموفَّق: العسيب: جريد النخل، وهو سعفه، أي غصونه[٣]. أيضًا عن عليّ بن ربيعة[٤] قال: «رأيت عليًّا يتَّزر فرأيت عليه تبانًا»، فقال الموفَّق: إنَّ التبان سراويل الملَّاح، وهو سراويل قصيرة وصغيرة[٥]. وغيرها من التعقيبات اللغوية[٦].

**ت. تعليقاته على الروايات:**

للموفَّق الخوارزميّ رأيه في بعض الروايات، فمثلًا، عن أبي رافع[٧]، قال: «صلَّى

(١) المناقب: ٤٠-٤٥.

(٢) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجيّ الأنصاريّ السمليّ، صحابيّ، من المكثرين في الرواية عن النبيّ، توفِّي عام (٧٨هـ). معرفة الصحابة، أبو نعيم الأصبهانيّ، أحمد بن عبد الله ابن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران (ت٤٣٠هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازيّ، دار الوطن للنشر، الرياض، (١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م): ٢/ ٥٣٥.

(٣) المناقب: ١٠٩.

(٤) علي بن ربيعة الوالبيّ الأسديّ الكوفيّ، كنيته أبو المغيرة، روى عن الإمام عليّ، ثقة صالح. الجرح والتعديل: ٦/ ١٨٥.

(٥) المناقب: ١٢٠.

(٦) المناقب: ١٢٤، ١٣٣، ١٥٥، ١٦٥، ١٨١، ١٨٨، ١٩٤، ١٩٨، ٢١٩، ٣٠٢، ٣٥٥.

(٧) أبو رافع: مولى رسول اللهﷺ، واسمه أسلم، وقيل إبراهيم، كان للعبَّاس بن عبد المطَّلب،=

النبيّ ﷺ أوَّل يوم الاثنين، وصلَّت خديجه آخر يوم الاثنين، وصلَّى عليّ يوم الثلاثاء من الغد، وصلَّى مستخفيًا قبل أن يصلِّي مع النبيّ سبع سنين وشهرًا». فعلَّق الموفَّق على ذلك قائلًا: هذا الحديث، إن صحَّ، فإنَّ الامام عليّ صلَّى قبل الصحابة بسبع سنين، وهذا لا يذكره أصحاب التواريخ[1].

=فوهبه للنبيّ ﷺ، فلمَّا بشَّر النبيّ بإسلام العبَّاس أعتقه، روى عن رسول الله ﷺ، مات بالمدينة بعد مقتل عثمان. الجرح والتعديل: ٢/ ٣٠٦.

(١) المناقب: ٥٧.

## المبحث الثاني

### زواج النور من النور

فاقت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام نساء العالم في الحَسَب والنَّسَب، فهي بنت الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وخديجة عليها السلام، ووريثة العلوم والفضائل والسجايا الحسنة، وهي سيِّدة نساء العالمين، فقد ترعرعت وكبرت في بيت النبوَّة، في حضن وكنف النبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله، وسِنيِّ الزواج في بيت ثاني أكبر شخصيَّة إسلاميَّة عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وأنجبت خلال تلك المدَّة القصيرة إمامَين معصومَين، هما الحسن والحسين عليهما السلام، والسيِّدة زينب، وأمُّ كلثوم عليهما السلام.

لـمَّا أدركت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام مدارك النساء، حتَّى أسرع لخطبتها أكابر قريش ورجالاتها، فأعرض عنهم رسول الله بوجهه، حتَّى كان الرجل منهم يظنُّ أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله ساخطٌ عليه.

إنَّ زواج أمير المؤمنين من السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، كان في سنة ٢هـ، كما يسمَّى بزواج النُّورَين، ويحظى بأهميَّة كبيرة عند المسلمين؛ لأنَّ كلًّا منهما من أعظم الشخصيَّات وأفضل الخلق على مرِّ التاريخ بعد رسول الله، وأنَّ الأئمَّة المعصومين عليهم السلام هم أهمّ ثمرات هذا الزواج.

ودلالات هذا الزواج عديدة، مكانة الإمام عليّ عند النبيّ، حيث لم يكن كفوًا غيره، ليزوِّج ابنته فاطمة به.

## أوَّلًا: عناية الله سبحانه وتعالى ومباركته لهذا الزواج

أورد الموفَّق الخوارزميّ العديد من الروايات حول زواج الإمام عليّ عليه السلام من فاطمة الزَّهراء عليها السلام، فقد ذكر الموفَّق رواية بسند بريدة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة الزَّهراء عليها السلام: «**أما ترضين يا فاطمة أن أُزوِّجك خير أُمَّتي، أقدمهم سلمًا وأكثرهم علمًا وأفضلهم حلمًا، والله إنَّ ابنيك لسيِّدا شباب أهل الجنَّة**»[1]، هذه الرواية تصرِّح وعلى لسان رسول الأمَّة محمَّد صلى الله عليه وآله أنَّ الإمام عليّ عليه السلام خير الأمَّة، وأنَّه أوَّل من أسلم، وأيضًا أنَّ الحسن والحسين عليهما السلام سيِّدا شباب أهل الجنَّة. وردت هذه الرواية في أغلب المصادر الإسلاميَّة[2].

وذكر رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**خُطِبت فاطمة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال لي مولاة لي: هل علمت أنَّ فاطمة قد خُطِبت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قلت: لا. قالت: فقد خُطِبت فما يمنعك أن تأتى رسول الله فيزوِّجك؟ فقلت: وعندي شيء أتزوَّج به؟ قالت: إنَّك إن جئت رسول الله صلى الله عليه وآله زوَّجك، فوالله ما زالت ترجِّيني حتَّى دخلت على**

(١) المناقب: ١٠٦.

(٢) شرح الأخبار في فضائل الأئمَّة الأطهار، القاضي المغربيّ، النعمان بن محمَّد التميميّ (ت٣٦٣هـ)، تحقيق: محمَّد الحسينيّ الجلاليّ، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، قم، ط٢، (١٤١٤هـ): ١/ ١١٨، مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام وما نزل من القرآن في عليّ، ابن مردويه، أحمد بن موسى الأصفهانيّ (ت٤١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق محمَّد حسين حرز الدين، مطبعة دار الحديث، قم، (١٤٢٤هـ): ٥٠، كنز الفوائد: ١٢١، الأمالي: ١٥٥، مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب، محمَّد بن عليّ المازندرانيّ (ت٥٨٨هـ)، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، الحيدريَّه، النجف (١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م): ٣/ ١٢٢، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، عبد الحميد المدائنيّ (ت٦٥٦هـ)، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتاب العربيّ، ط١، (١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م): ١٣/ ٢٢٧، كشف الغمَّة: ١/ ١٤٨، الرياض النضرة في مناقب العشرة، المحبُّ الطبريّ، أحمد بن عبد الله (ت٦٩٤هـ)، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط٢ (د.ت): ٣/ ١٦٠، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمَّة الأطهار، المجلسيّ، محمَّد باقر بن محمَّد تقي (ت١١١١هـ)، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط٣، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م): ٤٣/ ١٣٣.

**رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان لرسول الله صلى الله عليه وآله جلالة وهيبة، فلمَّا قعدت بين يديه، أُفحِمت، فوالله ما استطعت ان أتكلَّم. فقال رسول الله: ما جاء بك ألك حاجة؟ فسكت، فقال: لعلَّك جئت تخطب فاطمة؟ فقلت: نعم، فقال: وهل عندك من شيء فتستحلّها به؟ فقلت: لا والله يا رسول الله. قال: ما فعلت درع سلحتكها؟ فو الذي نفس عليّ بيده إنَّها لحطميَّة ما ثمنها إلَّا أربعمائة درهم. فقلت: عندي. فقال: قد زوَّجتكها، فابعث إليها بها فاستحلها بها، فإنها كانت لصداق فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله»**[1]. ومن خلال الرواية آنفه الذِّكر يتَّضح لنا أنَّ الإمام عليّ عليه السلام هو الذي همَّ بالتزويج، وكانت المسألة في خاطره، إلَّا أنَّ الحياء والتعظيم الذي يكنُّه للنبيّ جعله يحجم عن المبادرة، وأنَّ الرسول صلى الله عليه وآله هو الذي بادر الإمام عليّ في خطبته للزَّهراء عليها السلام، حينما سأله عن رغبته في الزواج، وتحديد مهر فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وهو درع الإمام عليّ عليه السلام، وقد وردت هذه الرواية عند ابن إسحاق[2]، والبيهقيّ[3]، والأربلِّيّ[4]، وغيرهم[5].

وعن أنس بن مالك قال: «كنت عند النبيّ صلى الله عليه وآله فغشيه الوحي، فلمَّا أفاق، قال لي: **يا أنس أتدري ما جاءني به جبرئيل من عند صاحب العرش؟** قلت: الله ورسوله أعلم.

(١) المناقب: ٣٣٥.

(٢) سيرة ابن إسحاق (كتاب السِّيَر والمغازي)، ابن إسحاق، محمَّد بن إسحاق بن يسار المطَّلبيّ بالولاء، المدنيّ (ت١٥١هـ)، تحقيق: سهيل زكَّار، دار الفكر، بيروت، (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م): ٢٣٠.

(٣) دلائل النبوَّة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، البيهقيّ، أحمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ)، دار الكتب العلميَّة، بيروت، (١٤٠٥هـ): ٣/ ١٦٠.

(٤) كشف الغمَّة: ١/ ٣٥٨.

(٥) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبيّ، محمَّد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط١، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م): ٢/ ١٤١، ٢٧١، كنز العمَّال في سنن الأقوال والأفعال، المتَّقي الهنديّ، علاء الدين بن حسام الدين (ت٩٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ بكري حيَّاني، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، (١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م): ١٣/ ٦٨٣، بحار الأنوار: ٤٣/ ١٢٠.

قال: **أمرني أن أزوِّج فاطمة من علي**.. إذ أقبل عليّ عليه السلام، فتبسَّم إليه رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمَّ قال: **يا عليّ، إنَّ الله أمرني أن أزوِّجك فاطمة، وقد زوَّجتكها على أربعمائة مثقال فضَّة، أرضيت؟** فقال: **قد رضيت يا رسول الله**. ثمَّ قام عليّ فخرَّ لله ساجدًا شاكرًا، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: **جعل الله فيكما الخير الطيِّب وبارك فيكما**. قال أنس: فوالله قد أخرج منهما الكثير الطيِّب كما دعا لهما»[١]. يتَّضح لنا من خلال هذه الرواية أنَّ زواج الإمام عليّ عليه السلام من فاطمة الزَّهراء عليها السلام كان بعناية ومباركة إلهيَّة بأمر الله تعالى، من خلال تبليغ جبرئيل للنبيّ لزواج فاطمة عليها السلام من عليّ عليه السلام، فعن الإمام الباقر عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إنَّما أنا بشر مثلكم أتزوَّج فيكم وأزوِّجكم، إلَّا فاطمة عليها السلام، فإنَّ تزويجها نزل من السماء**»[٢]، وكذلك تحديد مهر فاطمة الزَّهراء بأربعمائة مثقال فضَّة، ذَكَر هذه الرواية الأربلِّيّ[٣]، والمحبّ الطبريّ[٤]، وغيرهم[٥].

---

(١) المناقب: ٣٣٦-٣٣٧.

(٢) الروضة من الكافي، الكلينيّ، أبو جعفر محمَّد بن يعقوب بن إسحاق الرازي (ت٣٢٩هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاريّ، الحيدريّ، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران، ط٤، (١٣٦٢هـ): ٥/ ٥٦٨، من لا يحضره الفقيه، الصدوق، محمَّد بن عليّ بن الحسين بن موسى ابن بابويه القمِّيّ (ت٣٨١هـ)، تحقيق: عليّ أكبر الغفاريّ، منشورات جماعة المدرِّسين في الحوزة العلميَّة، قم، ط٢، (١٣٩٢هـ): ٣/ ٣٩٣، مكارم الأخلاق، الطبرسيّ، الحسن بن الفضل (ت٥٤٨هـ)، منشورات الشريف الرضيّ، ط٦، (١٣٩٢هـ/ ١٩٧م): ٢٠٤، كتاب الوافي، الفيض الكاشانيّ، محمَّد محسن (ت١٠٩١هـ)، تحقيق: ضياء الدين الحسينيّ، مكتبة الإمام أمير المؤمنين، أصفهان، (١٤٠٦هـ): ٢١/ ٣١٥.

(٣) كشف الغمَّة: ١/ ٣٥٩.

(٤) الرياض النَّضِرة: ٣/ ١٤٥.

(٥) نظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرتضى والبتول والسبطين، الحنفي، جمال الدين محمَّد بن يوسف بن الحسن بن محمَّد الزرنديّ المدنيّ (ت٧٥٠هـ)، (١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨ م): ١٨٦، الفصول المهمَّة في معرفة الأئمَّة، تحقيق: سامي العزيريّ، دار الحديث للطباعة، سرور، قم، ط١، (١٤٢٢هـ): ٦٥٨، جواهر المطالب في مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ابن الدمشقي،=

وأورد الموفَّق الخوارزميّ روايات أخرى، وبأسانيد مختلفة، تؤكِّد عناية الله سبحانه وتعالى ومباركته زواج الإمام عليّ من فاطمة الزَّهراء عليهما السلام، فعن عبد الله بن مسعود[1] قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «**يا فاطمة زوَّجتك سيِّدًا في الدنيا، وإنَّه في الآخرة لمن الصالحين، يا فاطمة لـمَّا أراد الله تعالى أن يملكك بعليّ، أمر الله تعالى جبرئيل، فقام في السماء الرابعة، فصفَّ الملائكة صفوفًا، ثمَّ خطب عليهم فزوَّجك من عليّ، ثمَّ أمر الله سبحانه شجر الجنان فحملت الحليَّ والحلل، ثمَّ أمرها فنثرته على الملائكة، فمن أخذ منهم يومئذ شيئًا أكثر ممَّا أخذه غيره افتخر به إلى يوم القيامة**»[2]. ويتَّضح لنا في ضوء هذه الرواية أنَّ الإمام عليّ عليه السلام هو سيِّد الدنيا، وفي الآخرة من الصالحين، وأنَّ زواج الامام عليّ عليه السلام كان بأمر الله تعالى، ومشاركة الملائكة وشجر الجنان في فرحة زواج الإمام عليّ عليه السلام، وكذلك افتخار الرسول صلى الله عليه وآله بأمير المؤمنين عليه السلام إلى يوم القيامة. ذكر هذه الرواية أيضًا الخطيب البغداديّ[3]، وغيره[4].

وعن الإمام السجَّاد عليه السلام قال: قال الحسين عليه السلام «**بينا رسول الله صلى الله عليه وآله في بيت أمِّ سلمة، فهبط عليه ملك له عشرون رأسًا، في كلِّ رأس ألف لسان، يسبِّح الله ويقدِّمه بلغة لا تشبه الأخرى، راحته أوسع من سبع سماوات وسبع أرَضِين، فحسب النبيّ صلى الله عليه وآله أنَّه جبرئيل،**

=شمس الدين أبي البركات محمَّد بن أحمد الدمشقيّ الباعونيّ الشافعيّ (ت٨٧١هـ)، تحقيق: مالك المحمودي، دنش، قم، ايران، (١٤١٥هـ): ١٥١، بحار الأنوار: ٤٣/ ١٢٠.

(١) عبد الله بن مسعود أبو عبد الرحمن الهذليّ، من أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله، سكن الكوفة ومات في المدينة سنة (٣٢هـ).الطبقات الكبرى: ٣/ ١١-١١٦.

(٢) المناقب: ٣٣٧.

(٣) تاريخ بغداد أو مدينة السلام، الخطيب البغداديّ، أبي بكر أحمد بن عليّ (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م): ٤/ ٣٥٢.

(٤) مناقب آل أبي طالب: ٢/ ٢١٧، كشف الغمَّة: ١/ ٣٥٩، الأربعين في إمامة الأئمَّة الطاهرين، الشيرازيّ، محمَّد طاهر بن محمَّد حسين النجفيّ القمِّيّ (ت١٠٩٨هـ)، تحقيق: مهدي الرجائيّ، الأمير، (١٤١٨هـ): ٤٥٩، بحار الأنوار: ٣٧/ ٦٩.

**فقال: جبرئيل لم تأتني في هذه الصورة قطُّ. قال: ما أنا جبرئيل، أنا صرصائيل[١] بعثني الله إليك لتزوِّج النور من النور، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: من؟ وإلى من؟ قال: ابنتك فاطمة من عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فزوج النبيّ صلى الله عليه وآله فاطمة من علي بشهادة جبرئيل وميكائيل وصرصائيل. قال: فنظر النبي صلى الله عليه وآله فإذا بين كفَّي صرصائيل مكتوب: لا إله إلَّا الله محمَّد رسول الله عليّ بن أبي طالب مقيم الحجَّة، فقال النبيّ: يا صرصائيل منذ كم كُتِب هذا بين كفَّيك؟ قال: من قبل أن يخلق الله الدنيا باثني عشر ألف سنة»**[٢]. هذه الرواية هي الأخرى تؤكِّد زواج النور من النور، عليّ عليه السلام من فاطمة عليها السلام بأمر الله تعالى، وبشهادة الملائكة، وأنَّ أمير المؤمنين عليه السلام مقيم الحجَّة. أورد هذه الرواية ابن شاذان[٣]، والأربلِّيّ[٤]، وغيرهم[٥].

وفي زواج النور من النور، قال الله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٦]، تأويل هذه الآيات المباركة في أهل البيت عليهم السلام، إذ ذكر القمِّيّ[٧]،

(١) صرصائيل: ملك بعثه الله تعالى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ليزوِّج فاطمة من عليّ صلوات الله عليهما. مستدرك سفينة البحار، الشاهروديّ، عليّ النمازيّ (١٤٠٥هـ)، تحقيق: حسن بن عليّ النمازيّ، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، قم، (١٤١٨هـ): ٦/ ٢٦٣.

(٢) المناقب: ٣٤١.

(٣) مائة منقبة: ٣٥.

(٤) كشف الغمَّة: ١/ ٣٦٢.

(٥) المختصر، الحِلِّيّ، عزّ الدين أبو محمَّد الحسن بن سليمان بن محمَّد (ق ٩هـ)، تحقيق: سيِّد عليّ أشرف، شريعت، (١٤٢٤هـ):٢٣٥، مدينة معاجز الأئمَّة الأثني عشر ودلائل الحجج على البشر، البحرانيّ، هاشم بن سليمان (ت ١١٠٧هـ)، تحقيق: عزَّة الله المولائيّ، مؤسَّسة المعارف الإسلاميَّة، مطبعة بهمن، قم، ط١، (١٤١٣هـ): ٢/ ٤١١، بحار الانوار: ٤٣/ ١٢٣.

(٦) الرحمن، الآية: ١٩-٢٣.

(٧) تفسير القمِّيّ، القمِّيّ، عليّ بن إبراهيم (ت نحو ٣٢٩هـ)، تحقيق: طيِّب الجزائري، دار الكتاب، قم، ط٣، (١٤٠٤هـ): ٢/ ٣٤٤.

والشيخ الصدوق[١]، أنَّ ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾، هما عليّ وفاطمة عليهما السلام، بحران من العلم عميقان، ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾، أي لا يبغي أحدهما على صاحبه، ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾، وهما الحسن والحسين عليهما السلام. بينما ذكر فرات الكوفي[٢]، والحاكم الحسكاني[٣]، أنَّ ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾، هما عليّ وفاطمة عليهما السلام، بحران من العلم عميقان، و﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾، هو النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله، و﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾، قال: هما الحسن والحسين عليهما السلام.

## ثانيًا: لولا عليّ لم يكن لفاطمة كفؤ

لم يكن لفاطمة الزَّهراء عليها السلام كفؤ غير أمير المؤمنين عليه السلام، ولو لم يخلق الله عليًّا؛ لما كان لها كفؤ على وجه الأرض منذ أن خلق الله آدم إلى ختام خلقه، فسبحانه وتعالى خلقهما من جوهرٍ واحدٍ، وهذا يؤكِّد أنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام علت بجميع المراتب، وفاقت جميع منازل العباد، حتَّى أصبحت سيِّدة نساء العالمين، فلم يستحقّها من الخلق أجمع غير أمير المؤمنين عليه السلام، وأخرج الله منهم سادات الخلق؛ ليكونوا حُجَج الله على خلقه.

وقد ورد في الرواية أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «**لو لم يخلق الله عليّ بن أبي طالب، ما كان لفاطمة كفؤٌ**»[٤].

(١) الخصال، الصدوق، محمَّد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القمِّيّ (ت٣٨١هـ)، تحقيق: عليّ أكبر غفاري، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، قم، (١٤٠٣هـ): ٦٥.

(٢) تفسير فرات الكوفيّ، فرات الكوفيّ، أبو القاسم فرات بن إبراهيم بن فرات (ت٣٥٢هـ)، تحقيق: محمَّد الكاظم، مؤسَّسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلاميّ، طهران، (١٤١٠/ ١٩٩٠م): ٤٦٠.

(٣) شواهد التنزيل في قواعد التفضيل، الحاكم الحسكانيّ، عبيد الله بن أحمد الحذَّاء الحنفيّ النيسابوريّ (ق٥هـ)، تحقيق: محمَّد باقر المحموديّ، مجمع إحياء الثقافة الإسلاميَّة، طهران، ط١، (١٤١١هـ/ ١٩٩١م): ٢/ ٢٤٨.

(٤) الكافي: ١/ ٤٦١، الأمالي: ٨٦، مناقب آل أبي طالب: ٢/ ٢٩، كشف الغمَّة: ٢/ ٩٨.

وعن أبي عبد الله الحسين عليه السلام قال: «**لولا أنَّ الله تعالى خلق أمير المؤمنين، لم يكن لفاطمة كفؤ في وجه الأرض آدم فمَن دونه**»[١].

## ثالثًا: روايات خِطبتها من قِبَل الصحابة

من الأمور الثابتة والحقائق المثبتة تاريخيًّا أنَّ أمر تزويج الزَّهراء عليها السلام كان موكولًا إلى الله سبحانه وتعالى، وكذلك لم يكن للسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام كفؤ غير أمير المؤمنين عليه السلام، كما ذكرنا آنفًا، لذلك ردَّ الرسول صلى الله عليه وآله كلَّ من خطبها من الصَّحابة، إلى أن جاء دور أمير المؤمنين عليه السلام، وصدر الأمر من السماء بتزويجها عليها السلام من الإمام عليّ عليه السلام، وفي هذا السياق وردت العديد من الروايات تتحدَّث عن خطبة فاطمة عليها السلام من قِبَل الصحابة، بينما يردُّهم النبيّ صلى الله عليه وآله، ويزوِّجها من الإمام عليّ عليه السلام، منها:

بعد أن بلغت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام مبالغ النساء، تقدَّم إليها العديد من أبناء قريش، من بينهم أبي بكر وعمر بن الخطَّاب، فلم يُجِبهم الرسول صلى الله عليه وآله إلى ذلك وردَّهما، وقال لكلٍّ منهما: «**إنِّي أنتظر أمر الله فيها**»[٢].

ذكر اليعقوبيّ[٣] أنَّ جمعًا من المهاجرين تقدَّموا للزواج من السيِّدة الزَّهراء، وطلبوا يدها من والدها، ووردت رواية تؤكِّد أنَّ أبا بكر وعمر أرادوا خطبة الزَّهراء، فقال لهم

(١) مناقب آل أبي طالب: ٢/ ٢٩.

(٢) وردت الرواية بألفاظ مختلفة في: الطبقات الكبرى: ٨/ ١٩، أنساب الأشراف، البلاذريّ، أحمد ابن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ)، تحقيق: محمَّد حميد الله، دار المعارف، مصر، (١٩٥٩م): ١/ ٤٠٣، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثميّ، نور الدين عليّ بن أبي بكر (ت٨٠٧هـ)، دار الكتب العلميَّة، بيروت، (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م): ٩/ ٢٠٤، إمتاع الأسماع بما للنبيِّ من الأحوال والأموال والحفَدَة والمتاع، المقريزيّ، أحمد بن عليّ بن عبد القادر، أبو العبَّاس الحسينيّ العبيديّ، (ت٨٤٥هـ)، تحقيق: محمَّد عبد الحميد النميسيّ، دار الكتب العلميَّة، بيروت، (١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م): ٥/ ٣٤١.

(٣) تاريخ اليعقوبيّ، اليعقوبيّ، أحمد بن أبي يعقوب بن وهب بن واضح (ت٢٨٤هـ)، مطبعة مهر، إيران، ط١، (١٤٢٥هـ): ٢/ ٢٧.

الرسول صلى الله عليه وآله: إنَّها صغيرة»[١]، ثمَّ أعقبهما عبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفَّان، وقد صرَّح الأوَّل ببذله لها الصداق المفرط إن وافق، مائة ناقه سوداء زرق الأعين، محملة كلُّها قباطي مصر، وعشرة آلاف دينار، وقال عثمان: أنا أبذل ذلك، ممَّا أدَّى إلى غضب الرسول صلى الله عليه وآله، فصرَّح بين المسلمين أنَّ آمر فاطمة بيد الله، وليس له أي شأن فيه[٢].

**رابعًا: الخطبة والتزويج يشهدها والملائكة والمسلمين**

وذكر الموفَّق رواية مسندة عن ابن عبَّاس، قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله «**لـمَّا كانت الليلة التي زُفَّت فاطمة، كان رسول الله قدَّامها، وجبرئيل عن يمينها، وميكائيل عن يسارها، وسبعون ألف ملك عليهم السلام عن خلفها يسبِّحون ويقدِّسون حتَّى طلع الفجر**»[٣]. يتَّضح لنا من خلال هذه الرواية قدسيَّة هذا الزواج، من خلال مشاركة الملائكة فيه، وهم يسبِّحون ويقدِّسون إلى مطلع الفجر. أورد هذه الرواية ابن مردويه[٤]، والخطيب البغداديّ[٥]، والفتَّال النيسابوريّ[٦]، وغيرهم[٧].

(١) السنن الكبرى، النسائيّ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن عليّ الخراسانيّ (ت٣٠٣هـ)، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، (١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م): ٦/ ٢٧.

(٢) دلائل الإمامة، الطبريّ الشيعيّ، محمَّد بن جرير بن رستم الصغير (من علماء القرن الخامس)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة، قم، ط١، (١٤١٣هـ): ٨٢.

(٣) المناقب: ٣٤٢.

(٤) المناقب: ١٩٩.

(٥) تاريخ بغداد: ٥/ ٢١١.

(٦) روضة الواعظين، الفتَّال النيسابوريّ، محمَّد بن الحسن بن عليّ أحمد (٥٠٨هـ)، تحقيق: السيِّد محمَّد مهدي السيِّد حسن الخرسان، منشورات الشريف الرضيّ، قم، (د.ت): ١٤٧.

(٧) اعلام الورى بأعلام الهدى، الطبرسيّ، الحسن بن الفضل (ت ٥٤٨هـ)، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، (١٤١٧هـ): ١/ ٣٩٨، مناقب آل أبي طالب: ٣/ ١٣٠، إقبال الأعمال، ابن طاووس، عليّ بن موسى الحِلِّيّ (ت٦٦٤هـ)، تحقيق: جواد القيُّومي الأصفهانيّ، مكتب الإعلام الإسلاميّ، قم، (١٤١٤هـ): ٣/ ٩٢، كشف الغمَّة: ١/ ٣٦٢، كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين، العلَّامة الحِلِّيّ، الحسين بن يوسف بن المطهَّر الإسديّ (ت٧٢٦هـ)،=

وعن الإمام السجَّاد عليه السلام قال: قال الحسين عليه السلام «**بينا رسول الله صلى الله عليه وآله في بيت أمِّ سلمة، فهبط عليه ملك له عشرون رأسًا، في كلِّ رأس ألف لسان، يسبِّح الله ويقدِّسه بلغة لا تشبه الأخرى، راحته أوسع من سبع سماوات وسبع أرَضين، فحسب النبيّ صلى الله عليه وآله أنَّه جبرئيل، فقال: جبرئيل لم تأتني في هذه الصورة قط. قال: ما أنا جبرئيل، أنا صرصائيل**[1]، **بعثني الله إليك لتزوِّج النور من النور. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: مَن؟ وإلى مَن؟ قال: ابنتك فاطمة من عليّ بن أبي طالب عليه السلام. فزوَّج النبيّ صلى الله عليه وآله فاطمة من عليّ بشهادة جبرئيل وميكائيل وصرصائيل. قال: فنظر النبيّ صلى الله عليه وآله فإذا بين كفَّي صرصائيل مكتوب: لا إله إلَّا الله محمَّد رسول الله عليّ بن أبي طالب مقيم الحجَّة، فقال النبي: يا صرصائيل منذ كم كُتِب هذا بين كفَّيك؟ قال: مِن قبل أن يخلق الله الدنيا باثني عشر ألف سنة**»[2]. هذه الرواية هي الأخرى تؤكِّد زواج النور من النور عليّ عليه السلام من فاطمة عليها السلام بأمرِ الله تعالى، وبشهادة الملائكة، وأنَّ أمير المؤمنين عليه السلام مقيم الحجَّة. أورد هذه الرواية ابن شاذان[3]، والأربلِّيّ[4]، وغيرهم[5].

وروي أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله قال لأمير المؤمنين عليه السلام: **امض يا أبا الحسن أمامي فإنِّي خارج إلى المسجد، ومزوِّجك على رؤوس الناس، وذاكر من فضلك ما تقرُّ به عينك وأعين محبِّيك في الدنيا والآخرة. قال عليّ بن أبي طالب: فخرجت من عند رسول الله مسرعًا، وأنا لا أعقل فرحًا وسرورًا، فاستقبلني أبو بكر وعمر، وقالا لي: ما وراك يا أبا الحسن؟**

=تحقيق: حسين الدرگاهيّ، (١٤١١هـ/ ١٩٩١م): ١٩٩، بحار الأنوار: ٤٣/ ٩٢.

(١) صرصائيل: ملك بعثه الله تعالى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله؛ ليزوِّج فاطمة من عليّ صلوات الله عليهما. مستدرك سفينة البحار: ٦/ ٢٦٣.

(٢) المناقب: ٣٤١.

(٣) مائة منقبة: ٣٥.

(٤) كشف الغمَّة: ١/ ٣٦٢.

(٥) المختصر: ٢٣٥، مدينة المعاجز: ٢/ ٤١١، بحار الأنوار: ٤٣/ ١٢٣.

فقلت: زوَّجني رسول الله ﷺ ابنته فاطمة، وأخبرني أنَّ الله ﷻ زوَّجنيها في السماء، وهذا رسول الله ﷺ خارج في إثري؛ ليُظهِر ذلك بحضرة الناس، ففرحا بذلك فرحًا شديدًا، ورجعا معي إلى المسجد، فو الله ما توسَّطنا حينها، حتَّى لحق بنا رسول الله، وأنَّ وجهه ليتهلَّل سرورًا وفرحًا، وقال: أين بلال بن حمامة؟ فأجابه مسرعًا بلال، وهو يقول: لبيك، لبيك يا رسول الله. فقال له رسول الله: اجمع لي المهاجرين والأنصار، فانطلق بلال لأمر رسول الله، وجلس رسول الله ﷺ قريبًا من منبره، حتَّى اجتمع الناس، ثمَّ رقى على درجة من المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: معاشر المسلمين، إنَّ جبرئيل عليه السلام أتاني آنفًا فأخبرني عن ربي ﷻ بأنَّه جمع الملائكة عند البيت المعمور، وأنَّه أشهدهم جميعًا أنَّه زوَّج أمَته فاطمة بنت رسوله محمَّد، من عبده عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وأمرني أن أزوِّجه في الأرض، وأُشهدكم على ذلك. ثمَّ جلس وقال لعليّ عليه السلام: قم يا أبا الحسن فاخطب أنت لنَفسك. قال: فقام فحمد الله وأثنى عليه وصلَّى على النبيّ، وقال: الحمد لله، شكرًا لأنعمه وأياديه، ولا إله إلَّا الله، شهادة تبلغه وترضيه، وصلَّى الله على محمَّد، صلاة تزلفه وتحظيه، والنكاح ممَّا أمر الله ﷻ به ورضيه، ومجلسنا هذا ممَّا قضاه الله ورضيه وأذِن فيه، وقد زوَّجني رسول الله ﷺ ابنته فاطمة، وجعل صداقها درعي هذا، وقد رضيت بذلك فاسلوه واشهدوا. فقال المسلمون لرسول الله: زوَّجته يا رسول الله؟ فقال رسول الله: نعم. فقال المسلمون: بارك الله لهما وعليهما وجمع شملهما[1].

### خامسًا: مهر زواج الزَّهراء

وعن الإمام عليّ عليه السلام ذكر الموفَّق الخوارزميّ رواية بحديث طويل، يتحدَّث بها عن مهر زواج النور من النور، إذ ذكر أنَّ مهرها وجهازها هو بيع درع الإمام عليّ عليه السلام، وشراء فراش من خيش[2] مصر محشوًّا بالصوف،

(١) المناقب: ٣٤٧-٣٧٨، دلائل الإمامة: ٨٨-٩٠.

(٢) الخيش: ثياب رقيق النسج غلاظ الخيوط، مصنوعة من الكتَّان. المطالع النصريَّة للمطابع=

ونطعًا[١] من أدم، ووسادة من أدم محشوَّة ليف النخيل، وعباءة خيبريَّة، وقربة للماء، وكيزانًا وجرارًا ومطهرة للماء، وستر صوف رقيق[٢]. وقد اختلفت المصادر في تحديد مقدار ونوع مهر وجهاز فاطمة الزَّهراء عليها السلام، فذكروا أنَّه جرد برد ودرع وفراش كان من إهاب كبش[٣]، وذكروا أنَّه درع حطيمة يساوي ثلاثين درهما[٤]، وقالوا إنَّه خمسمائة درهم[٥].

وذكر ابن شهرآشوب[٦]، والمجلسي[٧]، أنَّ أصحَّ الروايات، عن الامام الحسين عليه السلام، قال: «**إنَّ الله تعالى مهر فاطمة ربع الدنيا، فربعها لها، ومهرها الجنَّة والنار، فتُدخِل أولياءها الجنَّة، وأعداءها النار**»، وفي رواية أخرى عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: «**وجُعِلت نِحلتها من عليّ عليه السلام خُمس الدنيا وثُلث الجنَّة، وجُعلت لها في الأرض أربعة أنهار: الفرات، ونيل مصر، ونهروان، ونهر بلخ. فزوَّجها الرسول محمَّد بخمسمائة درهم؛ لتكون سنَّة لأمَّته**»[٨].

---

=المصريَّة في الأصول الخطيَّة، أبو الوفاء، نصر ابن الشيخ نصر يونس الوفائيّ الهوريني الأحمديّ الأزهريّ الأشعريّ الحنفيّ الشافعيّ (ت١٢٩١هـ)، تحقيق: الدكتور طه عبد المقصود، مكتبة السنَّة، القاهرة، (١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م): ١/ ١٠٤.

(١) النطع: بساط من الأديم. تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيديّ، محمَّد مرتضى الحسينيّ الواسطيّ (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق: عليّ شيري، دار الفكر، بيروت (١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م): ٢٢/ ٢٦١.

(٢) المناقب: ٣٤٤-٣٥٤.

(٣) الكافي: ٥/ ٣٧٧، الوافي، ٢١/ ٤٥٥.

(٤) قرب الإسناد، الحميريّ القمّيّ، عبد الله بن جعفر (ت٣٠٤هـ)، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ط١، (١٤١٣هـ): ١٧٣، الكافي: ٥/ ٣٧٧، تهذيب الأحكام، الطوسيّ، محمَّد بن الحسن (ت٤٦٠ هـ)، تحقيق: حسن الموسويّ الخرسان، دار الكتب الإسلاميَّة، خورشيد، طهران، ط٣، (١٣٦٤هـ): ٧/ ٣٦٤.

(٥) مناقب آل أبي طالب: ٣/ ١٢٨، بحار الأنوار، ٤٣/ ١١٢.

(٦) مناقب آل أبي طالب: ٣/ ١٢٨.

(٧) بحار الأنوار: ٤٣/ ١١٢.

(٨) دلائل الإمامة، ٩٢، مناقب آل أبي طالب: ٣/ ١٢٨، مدينه المعاجز: ٢/ ٣٣٨، بحار الأنوار:=

## سادسًا: تاريخ الزواج

وكان زواج النورَين أمير المؤمنين عليه السلام، وفاطمة الزَّهراء عليها السلام في السنة الثانية للهجرة[١]، وكان حينها عمر فاطمة الزَّهراء عليها السلام تسع سنين[٢]، وعمر الإمام عليّ عليه السلام خمس وعشرين سنة[٣]، وقيل أربع وعشرين سنة وخمسة أشهر[٤].

## الخاتمة

بعد الانتهاء من كتابة البحث بعون الله تعالى، توصَّلت إلى عدَّة أمور يمكن تثبيتها بما يأتي:

١. إنَّ الروايات التاريخيَّة التي أوردها الخوارزميّ لم تكن شاملة وكافية لموضوع زواج النورَين، فهو بسبب ميوله، يقتصر على الروايات العامَّة، ولا يتطرَّق إلى الروايات التي تؤكِّد على أفضليَّة الإمام عليّ عليه السلام وأهل البيت على بقيَّة الصَّحابة، فهو لم يتطرَّق إلى رفض الرسول صلى الله عليه وآله للصحابة حين خَطَبوا السيِّدة الزَّهراء عليها السلام.

٢. أظهر البحث المقامات العالية للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، فهي بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وزوجة الإمام عليّ عليه السلام، وأمُّ الأئمَّة الأطهار، فقد كانت حلقة الوصل بين النبوَّة والإمامة، ومنها كان امتداد نسل رسول الله في سبطَيهِ الحسَنَين عليهما السلام.

---

=١١٣/٤٣.

(١) مناقب آل أبي طالب: ٣/ ٤٠٥.

(٢) الكافي: ٨/ ٣٤٠.

(٣) الفصول المهمَّة: ٣١.

(٤) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبليّ، عبد الحي بن أحمد بن محمَّد (ت١٠٨٩هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، (د.ت): ١/ ٥١.

٣. في زواج الزَّهراءعليها السلام، قدَّم النبيّ محمَّدصلى الله عليه وآله درسًا عمليًّا للزواج النموذجيّ في الإسلام، مغيِّرًا معايير الجاهليَّة.

٤. أثبت البحث أنَّه لم يكن لفاطمةعليها السلام كفؤ غير عليّعليه السلام، فهو زواج الكفؤ من الكفؤ، والمطهَّر من المطهَّر.

## المصادر والمراجع


* القرآن الكريم.

**أوَّلًا: قائمة المصادر**

الأربلِّيّ، عليّ بن عيسى بن أبي الفتح (ت٦٩٣هـ).

١. كشف الغمَّة في معرفة الأئمَّة، تحقيق: جعفر السبحانيّ، دار الأضواء، ط٢، بيروت، (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

ابن إسحاق، محمَّد بن إسحاق بن يسار المطَّلبيّ بالولاء، المدنيّ (ت١٥١هـ).

٢. سيرة ابن إسحاق (كتاب السِّير والمغازي)، تحقيق: سهيل زكَّار، دار الفكر، بيروت، (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م).

الاصطخريّ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت٣٠٠هـ).

٣. المسالك والممالك، ليدن، بريل، (١٨٨٩م).

البحرانيّ، هاشم بن سليمان البحرانيّ (ت١١٠٧هـ).

٤. مدينة معاجز الأئمَّة الاثني عشر ودلائل الحجج على البشر، تحقيق: عزَّة الله المولائيّ، مؤسَّسة المعارف الإسلاميَّة، مطبعة بهمن، ط١ (قم، ١٤١٣هـ).

البلاذريّ، أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ).

٥. أنساب الأشراف، تحقيق: محمَّد حميد الله، دار المعارف، (مصر، ١٩٥٩م).

البيهقيّ، أحمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ).

٦. دلائل النبوَّة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، دار الكتب العلميَّة، بيروت، (١٤٠٥هـ).

الترمذيّ، محمَّد بن عيسى بن سورة (ت٢٧٩هـ).

٧. سنن الترمذيّ وهو الجامع الصحيح، تحقيق: عبد الرحمن محمَّد عثمان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، بيروت، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

الحاكم الحسكانيّ، عبيد الله بن أحمد الحذاء الحنفيّ النيسابوريّ (ق٥).

٨. شواهد التنزيل في قواعد التفضيل، تحقيق: محمَّد باقر المحموديّ، مجمع إحياء الثقافة الإسلاميَّة، ط١، طهران، (١٤١١هـ/ ١٩٩١م).

الحِلِّيّ، عزّ الدين أبو محمَّد الحسن بن سليمان بن محمَّد (ق٩هـ).

٩. المختصر، تحقيق: سيِّد عليّ أشرف، مطبعة شريعت، (١٤٢٤هـ).

الحميريّ القمِّيّ، عبد الله بن جعفر (ت٣٠٤هـ).

١٠. قرب الإسناد، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت لإحياء التراث، ط١، قم، (١٤١٣هـ).

الحنفيّ، جمال الدين محمَّد بن يوسف بن الحسن بن محمَّد الزرنديّ (ت٧٥٠هـ).

١١. نظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرتضى والبتول والسِّبطَين، (١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م).

الخطيب البغداديّ، أبو بكر أحمد بن عليّ (ت٤٦٣هـ).

١٢. تاريخ بغداد أو مدينة السلام، تحقيق: مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلميَّة، ط١، بيروت، (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

ابن خلِّكان، أحمد بن محمَّد بن إبراهيم بن أبي بكر (ت٦٨١هـ).

١٣. وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق: إحسان عبَّاس، دار الثقافة، لبنان، (د.ت).

ابن الدمشقيّ، شمس الدين أبي البركات محمَّد بن أحمد الدمشقيّ الباعونيّ الشافعيّ(ت٨٧١هـ).

١٤. جواهر المطالب في مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، تحقيق: مالك المحموديّ، مطبعة دنش، قم، إيران، (١٤١٥هـ).

الذهبيّ، محمَّد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ).

١٥. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام، دار الكتاب العربيّ، ط١، بيروت، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

الرازي ابن أبي حاتم، أبو محمَّد عبد الرحمن بن محمَّد بن إدريس بن المنذر التميميّ، الحنظليّ (ت٣٢٧هـ).

١٦. الجرح والتعديل، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانيَّة، بحيدر آباد الدكن، الهند، (١٢٧١هـ/ ١٩٥٢م).

الزبيدي، محمَّد مرتضى الحسيني الواسطي (ت١٢٠٥هـ).

١٧. تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عليّ شيري، دار الفكر، بيروت، (١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).

ابن سعد، محمَّد (ت٢٣٠هـ).

١٨. الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، (د.ت).

ابن شاذان، محمَّد بن أحمد بن عليّ بن الحسن القمِّيّ (ت٤١٢هـ).

١٩. مائة منقبة من مناقب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب والأئمَّة من ولده عليهم السلام من

طريق العامَّة، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، مطبعة أمير، قم، (١٤٠٧هـ).

ابن شهرآشوب، محمَّد بن عليّ المازندرانيّ (ت٥٨٨هـ).

٢٠. مناقب آل أبي طالب، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المطبعة الحيدريَّة، النجف، (١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م).

الشيرازيّ، محمَّد طاهر بن محمَّد حسين النجفيّ القمِّيّ (ت١٠٩٨هـ).

٢١. الأربعين في إمامة الأئمَّة الطاهرين، تحقيق: مهدي الرجائي، مطبعة الأمير، (١٤١٨هـ).

ابن الصبَّاغ، عليّ بن محمَّد بن أحمد المالكيّ (ت٨٥٥هـ).

٢٢. الفصول المهمَّة في معرفة الأئمَّة، تحقيق: سامي العزيريّ، دار الحديث للطباعة، مطبعة سرور، ط١، قم، (١٤٢٢هـ).

الصدوق، محمَّد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القمِّيّ (ت٣٨١هـ).

٢٣. من لا يحضره الفقيه، تحقيق: عليّ أكبر غفاري، منشورات جماعة المدرِّسين في الحوزة العلميَّة، ط٢، قم، (١٣٩٢هـ).

٢٤. الخصال، تحقيق: عليّ أكبر غفاري، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، قم، (١٤٠٣هـ).

٢٥. الهداية في الأصول والفروع، تحقيق: مؤسَّسة الإمام الهادي، مطبعة اعتماد، ط١، قم، (١٤١٨هـ).

٢٦. الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة، ط١، مؤسَّسة البعثة، قم، (١٤١٧هـ).

الطبرانيّ، سليمان بن أحمد بن أيُّوب اللخميّ (ت٣٦٠هـ).

٢٧. المعجم الأوسط، نشر وتحقيق: دار الحرمين، (١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).

الطبرسيّ، الحسن بن الفضل (ت٥٤٨هـ).

٢٨. مكارم الأخلاق، منشورات الشريف الرضيّ، ط٦، (١٣٩٢هـ/ ١٩٧م).

٢٩. إعلام الورى بأعلام الهدى، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، (١٤١٧هـ).

الطبريّ الشيعيّ، محمَّد بن جرير بن رستم الصغير (من علماء القرن الخامس).

٣٠. دلائل الإمامة، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة، ط١، قم، (١٤١٣هـ).

الطوسيّ، محمَّد بن الحسن (ت٤٦٠هـ).

٣١. الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة، مؤسَّسة البعثة، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم، (١٤١٤هـ).

العامليّ، حسين بن عبد الصمد (ت٩٨٤هـ).

٣٢. وصول الأخيار إلى أصول الأخبار، تحقيق: عبد اللطيف الكوهكمريّ، مطبعة الخيام، قم، (١٠٤١هـ)

العلَّامة الحِلِّيّ، الحسين بن يوسف بن المطهَّر الأسديّ (ت٧٢٦هـ).

٣٣. كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين، تحقيق: حسين الدرگاهيّ، (١٤١١هـ/ ١٩٩١م).

ابن العماد الحنبليّ، عبد الحي بن أحمد بن محمَّد (ت١٠٨٩هـ).

٣٤. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، (د.ت).

الفتَّال النيسابوريّ، محمَّد بن الحسن بن عليّ أحمد (ت٥٠٨هـ).

٣٥. روضة الواعظين، تحقيق: السيِّد محمَّد مهدي السيِّد حسن الخرسان، منشورات الشريف الرضيّ، قم، (د.ت).

فرات الكوفيّ، أبو القاسم فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفيّ (ت٣٥٢هـ).

٣٦. تفسير فرات الكوفيّ، تحقيق: محمَّد الكاظم، مؤسَّسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلاميّ، طهران، (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).

الفيض الكاشاني، محمَّد محسن (ت١٠٩١هـ).

٣٧. كتاب الوافي، تحقيق: ضياء الدين الحسيني، مكتبة الإمام أمير المؤمنين، أصفهان، (١٤٠٦هـ).

القاضي المغربيّ، النعمان بن محمَّد التميميّ (ت٣٦٣هـ).

٣٨. شرح الأخبار في فضائل الأئمَّة الأطهار، تحقيق: محمَّد الحسينيّ الجلاليّ، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، ط٢، قم، (١٤١٤هـ).

القرشيّ، عبد القادر بن محمَّد بن نصر الله، محيي الدين الحنفيّ (ت٧٧٥هـ).

٣٩. الجواهر المضيَّة في طبقات الحنفيَّة، مير محمَّد كتب خانه، كراتشي، (د.ت).

القطفيّ، جمال الدين أبو الحسن عليّ بن يوسف (ت٦٤٦هـ).

٤٠. إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: دار الفكر العربيّ، ط١، القاهرة، (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٢م).

القمِّيّ، عليّ بن إبراهيم(ت نحو ٣٢٩هـ).

٤١. تفسير القمِّيّ، تحقيق: طيب الجزائريّ، دار الكتاب، ط٣، قم، (١٤٠٤هـ).

الكراجكِّيّ، أبو الفتح، محمَّد بن عليّ (ت٤٤٩هـ).

٤٢. كنز الفوائد، مكتبة المصطفوي، ط٢، قم، (١٣٦٩هـ.ش).

الكلينيّ، أبو جعفر محمَّد بن يعقوب بن إسحاق الرازي (ت٣٢٩هـ).

٤٣. الروضة من الكافي، تصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاري، ط٤، مطبعة حيدري، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران، (١٣٦٢هـ).

المتَّقي الهنديّ، علاء الدين بن حسام الدين (ت٩٧٥هـ).

٤٤. كنز العمَّال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: الشيخ بكري حيَّاني، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، (١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).

المجلسيّ، محمَّد باقر بن محمَّد تقي (ت١١١١هـ).

٤٥. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمَّة الأطهار، دار إحياء التراث العربيّ، ط٣، بيروت، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

المحب الطبريّ، أحمد بن عبد الله (ت٦٩٤هـ).

٤٦. الرياض النضرة في مناقب العشرة، ط٢، دار الكتب العلميَّة، بيروت، (د.ت).

ابن مردويه، أحمد بن موسى الأصفهانيّ (ت٤١٠هـ).

٤٧. مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام وما نزل من القرآن في عليّ، تحقيق: عبد الرزَّاق محمَّد حسين حرز الدين، مطبعة دار الحديث،قم، (١٤٢٤هـ).

المشغريّ العامليّ، جمال الدين يوسف بن حاتم بن فوز بن مهند الشاميّ (ت٦٦٤هـ).

٤٨. الدرُّ النظيم، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، قم، (د.ت).

المقريزيّ، أحمد بن عليّ بن عبد القادر، أبو العبَّاس الحسينيّ العبيديّ، (ت٨٤٥هـ).

٤٩. إمتاع الأسماع بما للنبيِّ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمَّد عبد الحميد النميسيّ، دار الكتب العلميَّة، بيروت، (١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م).

النسائيّ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن عليّ الخراسانيّ، (ت٣٠٣هـ).

٥٠. السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، (١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م).

أبو نعيم الأصبهانيّ، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران (ت٤٣٠هـ).

٥١. تاريخ أصبهان (أخبار أصبهان)، تحقيق: سيِّد كسروي حسن، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).

٥٢. معرفة الصحابة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازيّ، دار الوطن للنشر، الرياض، (١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م).

الهيثميّ، نور الدين عليّ بن أبي بكر (ت٨٠٧هـ).

٥٣. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتب العلميَّة، (بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

ياقوت الحمويّ، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ).

٥٤. معجم الأدباء، دار إحياء التراث العربيّ، ط٣، بيروت، (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).

اليعقوبيّ، أحمد بن أبي يعقوب بن وهب بن واضح (ت٢٨٤هـ).

٥٥. تاريخ اليعقوبيّ، ط١، مطبعة مهر، إيران، (١٤٢٥هـ).

**ثانيًا: قائمة المراجع**

أبو الحسنات، محمَّد عبد الحي اللكنويّ الهنديّ (ت١٣٠٤هـ).

٥٦. الفوائد البهيَّة في تراجم الحنفيَّة، تجميع وتعليق: محمَّد بدر الدين، دار الكتاب الإسلاميّ، القاهرة، (د.ت).

الشاهروديّ، عليّ النمازيّ (ت١٤٠٥هـ).

٥٧. مستدرك سفينة البحار، تحقيق: حسن بن عليّ النمازيّ، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، قم، (١٤١٨هـ).

القمِّيّ، عبَّاس بن محمَّد رضا (ت١٣٥٩هـ).

٥٨. الكنى والألقاب، مكتبة الصدر، طهران، (د.ت).

أبو الوفاء، نصر ابن الشيخ نصر يونس الوفائيّ الهوريني الأحمديّ الأزهريّ الأشعريّ الحنفيّ الشافعيّ (ت١٢٩١هـ).

٥٩. المطالع النصريَّة للمطابع المصريَّة في الأصول الخطيَّة، تحقيق: الدكتور طه عبد المقصود، مكتبة السنَّة، القاهرة، (١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م).

**ثالثًا، قائمة الرسائل والأطاريح الجامعيَّة**

العامري، عبد الستَّار نصيِّف جاسم.

٦٠. الحياة الفكريَّة في إقليم خوارزم حتَّى نهاية القرن السادس الهجريّ، رسالة ماجستير، كليَّة التربية (ابن رشد)، جامعة بغداد، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٤م.

الجبوريّ، علاء حسين خليف.

٦١. سيرة الإمام عليّ عليه السلام دراسة تاريخيَّة في ضوء روايات كتاب المناقب للخوارزميّ الحنفيّ (ت٥٦٨هـ/ ١١٧٢م)، رسالة ماجستير، كليَّة التربية للعلوم الإنسانيَّة، جامعة بابل، ٢٠١٨م.

# مصادرة الموارد الماليَّة للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام من خلال مؤلَّفات القاضي النعمان المغربيّ (ت٣٣٦هـ)

م. محمَّد جاسم علوان السلطانيّ

مديريَّة تربية بابل

## الملخَّص

تعدُّ سيرة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام من أفضل الدراسات التي تناولت حياة أهل البيت عليهم السلام، وخاصَّة أفضل مثال تحتذي به ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة الزَّهراء عليها السلام.

على الرغم من وجود العديد من الدراسات، إلَّا أنَّه تمَّ تناولها بشكلٍ مستقلٍّ في المؤلَّفات والكتابات المغربيَّة، ونتيجة لذلك، تمكَّنت دراستنا من تقديم منظور جديد من خلال مؤلَّفات القاضي النعمان المغربيّ، أحد مؤرِّخي المغرب العربيّ.

من المهمِّ ملاحظة أنَّ غالبيَّة النصوص التاريخيَّة المتعلِّقة بالاستيلاء على الموارد الاقتصاديَّة للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، الموجودة في كتابات القاضي النعمان تشترك في أوجه تشابه مع المصادر المشرقيَّة، ولكن بعضها غائب، ربَّما بسبب الأبعاد الزمنيَّة والماديَّة لموقع الأحداث، ولجأنا إلى المصنَّفات والروايات الشرقيَّة لتعويض هذا النقص.

وقد تميَّز القاضي النعمان بتغطية جزء كبير من حياة السيِّدة فاطمة عليها السلام، لاسيما أخذ مواردها الماليَّة، ومصادرها في مؤلَّفات القاضي النعمان.

**الكلمات المفتاحيَّة:** السيِّدة الزهراء عليها السلام، الحقوق الاقتصاديَّة، القاضي النعمان.

## المقدِّمة

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف خليقته، وخاتم رسله وأنبيائه، محمَّد أمين وحيه ورسالاته، وعلى آله الذين هم موضع سرِّه، وعيبة علمه.

إنَّ موضوعًا مثل مصادرة الموارد الماليَّة للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام جديرٌ بالدراسة والبحث؛ لما له من أهميَّة في التاريخ الإسلاميّ، الذي لايزال محطَّ خلافٍ في الفكر الإسلاميّ، كما أنَّه كان أساسًا لبناء اجتهادات أوَّليَّة أصبحت عقيدة ثابتة فيما بعد، وقد قسمَّت البحث على مبحثَين:

تناولت في المبحث الأوَّل: الموارد الاقتصاديَّة للسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام.

وتطرقت في المبحث الثاني إلى: سياسة السلطة من مصادرة الموارد الماليَّة للزَّهراء عليها السلام.

## المبحث الأوَّل

## الموارد الماليَّة للسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام

### المحور الأوَّل: فدك

#### أوَّلًا: موقع فدك

قيل هي قرية بخيبر، وخيبر ناحية على ثمانية بُرد من المدينة لمن يريد الشام، وتشمل على سبع حصون ومزارع ونخلٍ كثير(١)، وقيل ناحية بالحجاز فيها عين ونخل(٢).

وفي معجم البلدان(٣): قرية في الحجاز، بينها وبين المدينة يومان، وقيل ثلاثة، وقال ابن الفقيه(٤): «وفي عالية المدينة قبا، وممَّا يلي الشام: خيبر، ووادي القرى، وتيماء، ودومة الجندل(٥)، وفدك، وهو أقربها إلى المدينة».

(١) ياقوت، شهاب الدين أبي عبد الله الحمويّ (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٦م) معجم البلدان، دار إحياء التراث العربيّ (بيروت، لا.ت)، ج٣، ص٤٩٥.

(٢) الزبيديّ، محمَّد مرتضى، تاج العروس، مكتبة الحياة (بيروت، لا.ت)، ج٧، ص١٦٦، الهويريني، الشيخ نصر، القاموس المحيط (إيران، بلا.ت)، ج٣، ص٣١٥.

(٣) ياقوت، ج٤، ص٢٣٨. ابن عبد الحقِّ، عبد المؤمن صفيِّ الدين البغداديّ (ت٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م)، مراصد الاطِّلاع، دار إحياء الكتب العربيَّة، البابي الحلبيّ (القاهرة، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م)، ج٣، ص١٠٢٠.

(٤) ابن الفقية، أبو بكر أحمد بن محمَّد الهمدانيّ، مختصر كتاب البلدان، مطبعة بريل (لندن ١٣٠٢هـ)، ص٢٦.

(٥) دومة الجندل، موضع على سبع مراحل من دمشق، بينها وبين المدينة، يقرب من تبوك، وهي=

وذكر البكريّ[١] أنَّ فدك من أعمال المدينة، قال: «وأعمال المدينة فدك، وخيبر، ووادي القرى، والمروة، والجار، والفرع، ولهذه المواضع أعمال عريضة واسعة، إلَّا الجار[٢]؛ فإنَّه ساحل».

ونستطيع القول: إنَّ فدك كانت مجموعة قرى، كما سيتَّضح، وتتبع جغرافيًّا إلى المدينة، حيث إنَّها، وعلى رواية البكري السابقة، من أعمال المدينة، كما أنَّها لا تنفصل عن المدينة وخيبر بعوارض جغرافيَّة طبيعيَّة، ولا تختلف مع خيبر القريبة.

وحدَّد صاحب مجمع البحرين لفدك حدَّين، أوَّلها (دومة الجندل)، فقال: «دومة الجندل، وهي حصن عادي بين المدينة والشام، يقرب من تبوك، وهي أقرب إلى الشام، وهي الفصل بين الشام والعراق، وهي حدٌّ من حدود فدك»[٣].

وذكر الحدَّ الثاني لها (سيف البحر)، وهو ساحل البحر، قال: «وسيف البحر أحد حدود فدك»[٤]. وخلاصة القول: إنَّ فدك كانت مجموعة قرى، وتتبع جغرافيًّا إلى المدينة.

---

=أحد حدود فدك، وقيل سمِّيت دوم ابن إسماعيل، وسمِّيت دومة الجندل؛ لأنَّ حصنها مبنيٌّ من الجندل. الحويزيّ، عبد عليّ بن جمعة العروسيّ (ت١١١٢هـ/ ١٧٠٠م)، تفسير نور الثَّقَلين، تحقيق: هاشم الرسوليّ المحلَّاتيّ (قم ١٤١٢ هـ)، ط٤، ج٣، ص٣٠٤.

(١) البكريّ، أبو عبيد الله بن عبد العزيز (ت٤٨٧هـ/ ١٤٠٩م)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقَّا (بيروت ١٤٠٣-١٩٨٣)، ط٣، ج١، ص١٠.

(٢) الجار: وهي فرضة ترفأ إليها السفن من أرض الحبشة وعدن والصين وسائر بلاد الهند، وكانت ميناءً هامًّا على البحر الأحمر. انظر: الشريف، أحمد إبراهيم، مكَّة والمدينة في الجاهليَّة وعهد الرسول (القاهرة ١٩٦٧)، ص١٣.

(٣) الطريحيّ، فخر الدين (ت١٠٨٥هـ/ ١٦٧٤م)، مجمع البحرين، مكتب نشر الثقافة الإسلاميَّة (قم ١٤٠٨هـ)، ط٢، ح٢، ص٧٢.

(٤) الطريحيّ، مجمع البحرين، ح٢، ص٤٦٨.

## ثانيًا: ثروة فدك

وكانت فدك تضمُّ مجموعة من القرى، ومنها العوالي[1]، وفدك أرض حرَّة[2]، فيها عين ونخل[3]، وقد عارض ابن أبي الحديد[4] نخيلها بنخيل الكوفة، وذكر ياقوت[5] بأنَّ فيها مياهًا وعيونًا.

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعطي كلَّ يومٍ أهل الصفة مدًّا من تمر بين كلِّ رجُلَين، وهو محمول على اختلاف الأحوال، فكان أوَّلًا يرسل إليهم بما حضَّره أو يدعوهم أو يفرِّقهم على من حضر من المسلمين إن لم يحضره ما يكفيهم، فلمَّا فتحت فدك وغيرها، صار يجري عليهم التمر في كلِّ يوم

(١) العوالي: جمع العالية، وهي ضيعة بينها وبين المدينة أربعة أميال، وقيل ثلاثة، وذلك أدناها، وأبعدها ثمانية. ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص١٦٦.
وفدك والعوالي: هي سبع قرى متَّصلات، أجلى عنها أهلها، فصارت ملكًا للنبيّ صلى الله عليه وآله، وقد قيل كان خراجها في كلِّ سنة ثلاثمائة ألف دينار، وقد نحلها رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة قبل موته بأربع سنين. المرتضى، أحمد (ت٨٤٠هـ/ ١٤٣٧م)، شرح الأزهار، مؤسَّسة غمضان (صنعاء ١٤٠٠هـ)، ج١، ص٨١. ولم يجرِ للعوالي ذِكرًا كثيرًا في الأخبار، ولعلَّ ذلك من جهة كونها تابعة لفدك، وكونها أقل منفعة منها، فلم يُعتنَ بذِكرها، واستغنوا بذِكر فدك عنها، فلم يجرِ لها ذِكر بخصوصها. التبريزي، المولى محمَّد علي بن أحمد القرجه داغي (ت١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م)، اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزَّهراء عليها السلام، تحقيق: هاشم الميلانيّ، مؤسَّسة الهدى (قم ١٤١٨هـ)، ص٢٩٣.
ونكتفي بالحديث عن العوالي بالحديث عن فدك، لكونها جزء منها، ولكون المصادر أشارت إلى فدك، وجعلت العوالي من ضمنها. ويبدو أنَّ ممَّا أشارت إليه المصادر أن فدك والعوالي كانتا بيد الزَّهراء نِحلَة لها من رسول الله صلى الله عليه وآله، ولذلك لم يكن يُطلق عليهما بالتجزئة، وإنَّما اعتُبِرتا أرضًا واحدة، وأخذت المصادر تطلق عليهم لفدك إشارة إلى الاثنين معًا.
(٢) ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٧٢.
(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٤٧٣.
(٤) ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله بن محمَّد (٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م)، شرح نهج البلاغة، دار الأضواء (بيروت ٢٠٠٣م)، ج١٦، ص٢٣٦.
(٥) معجم البلدان، ج٣، ص٣٥٥.

ما ذكر[١]. وهذا يدلُّ على أنَّ لفدك واردات واقتدارات اقتصاديَّة أسهمت في التخفيف عن كاهل المسلمين في مطالع الدولة العربيَّة الإسلاميَّة، ومثل ذلك يُقَال لخيبر، بل هي أكثر غنًى من فدك.

فقد ذكر ابن كثير[٢]، عن عائشة، قالت: «لـمَّا فُتِحت خيبر، قلنا الآن نشبع من التمر)، وعن عبد الله بن عمر قال: «ما شبعنا حتَّى فتحنا خيبر»[٣]. ولم تكن فدك قرية صغيرة كما يظنُّ بعضهم، وإنَّما كانت مجموعة قرى زراعيَّة. كما أشرنا سابقًا، وفيرة المياة، حتَّى أن بعضهم حدَّد خراجها في كلِّ سنة بثلاثمائة ألف دينار[٤].

وقال الراونديّ[٥]: إنَّ أهل فدك جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وصالحهم على النصف على أربعة وعشرين ألف دينار، وفي رواية أخرى سبعين ألف دينار[٦]. وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ فدك كانت ذات ثروة كبيرة، وما يؤيِّد ذلك قول أبي بكر لفاطمة عليها السلام في دعوى فدك: «إنَّما كان مالًا من أموال المسلمين يحمل النبيّ به الرجال، وينفقه في سبيل الله»[٧]، فمالٌ تجهَّز به الجيوش، ويفضل منه ما ينفق في سبيل الله الدليل على سعة ذلك المال، وقد ذكرت المصادر أنَّ خيبر التي تحتوي على سبعة حصون، كانت أراضي حصن الكتيبة (اسم لبعض قرى خيبر) وحدها تحوي أربعين ألف عذق

(١) ابن حجر، فتح الباري، ج١١، ص٢٤٤.
(٢) البداية والنهاية، ج٤، ص٢٣٠.
(٣) المصدر نفسه، ج٤، ص٢٣٠.
(٤) المرتضى، شرح الأزهار، ج١، ص٥٨١.
(٥) الراوندي، قطب الدين سعيد بن هبة الله (ت٥٧٣هـ/ ١١٧٧م)، الخرائج والجرائح (قم لا.ت)، ج١، ص١١٢-١١٣.
(٦) التبريزيّ، اللمعة البيضاء، ص١٤٠.
(٧) الجوهريّ، أبو بكر أحمد بن عبد العزيز (ت٣٢٣هـ/ ٩٣٦م)، السقيفة وفدك، تحقيق: الشيخ محمَّد مهدي الأمينيّ، (بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م)، ص١٠٤، ابن أبي الحديد، شرح النهج، ج١٦، ص١١٤.

(أي نخلة)[1]، أمَّا فدك فقد بلغت قيمة أراضيها الزراعيَّة (١٢٠,٠٠٠) ألف درهمًا[2].

### ثالثًا: ملكيَّة فدك

أجمع المؤرِّخون على أنَّ فدك فُتِحت صلحًا، ولم يوجف عليها بخيل ولا رِكاب، فكانت خالصة لرسول الله صلى الله عليه وآله[3].

ذُكِر أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله لـمَّا أقبل على خيبر أرسل محيصة بن مسعود[4] إلى فدك يدعوهم إلى الإسلام، ويحذِّرهم أن يغزوهم كما غزا أهل خيبر، وقد أقام محيصة عندهم يومان، وهم يتربَّصون ويظنُّون أنَّ خيبر تمتنع على الرسول صلى الله عليه وآله؛ لما فيها من حصون، فلم يزالوا كذلك حتَّى جاءهم خبر فتح خيبر، ففتَّ ذلك عضدهم، وقالوا لمحيصة: اكتم عنَّا ما قلنا لك، ونعطيك حلي نساءنا. فقال: بل أُخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بما قلتم، فبعثوا معه رجلًا من رؤسائهم، يقال له نون بن يوشع، في نفر من اليهود، وصالحوا رسول الله صلى الله عليه وآله على أن يحقن دماءهم ويجليهم، ويتركوا له أموالهم، ففعل[5]. وقد عامل أهلها معاملة أهل خيبر على النِّصف، ومتى شاء أخرجهم[6].

(١) السجستانيّ، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داوود، تحقيق: سعيد محمَّد اللحام، دار الفكر (بيروت ١٤١٠هـ)، ج٢، ص٣٧.
(٢) الماورديّ، أبو الحسن عليّ بن محمَّد بن حبيب، الأحكام السلطانيَّة، البابي الحلبيّ (مصر ١٩٦٦)، ط٢، ص١٧٠، خليل، محسن، في الفكر الاقتصاديّ العربيّ (العراق ١٩٨٢)، ص٤٢.
(٣) البلاذريّ، فتوح البلدان، ص١٩٣، الطبريّ، تاريخ، ج٢، ص٣٠٢.
(٤) محيصة بن مسعود: وهو ابن كعب بن حارثه، شهد أُحد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وما بعدها، وبعثه النبيّ صلى الله عليه وآله إلى فدك. روى عن النبيّ، وعنه روى ابن سعد وابن ابنه حرام. ينظر: ابن حجر، أحمد ابن عليّ العسقلانيّ، تهذيب التهذيب، دار الفكر (بيروت ١٤٠٤هـ)، ج١٠، ص٦٠.
(٥) الواقديّ، المغازي، ج٢، ص٧٠٦.
(٦) البغداديّ، المحبَّر، ص١٢١.

وذكر القاضي النعمان: ما كان من أرض لم يوجَف عليها المسلمون، ولم يكن فيها قتال، أو قوم صالحوا أو أعطوا بأيديهم، وما كان من أرض خراب أو بطون أودية، فذلك كلّه كان لرسول الله يضعه حيث أحبَّ، وهو بعد رسول الله للإمام، وقوله لله تعظيمًا له، والأرض وما فيها لله، ولنا في الفيء سهمان، سهم ذي القربى، ثمَّ نحن شركاء الناس فيما بقي[١].

وأضاف القاضي النعمان: إنَّ الله ﷻ لما أنزل على رسوله ﷺ: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾، دعا فاطمة، فأعطاها فدكًا[٢].

ويتَّضح من الروايات أنَّ فدكًا هبة من الله لفاطمة، وليست هديَّة نبويَّة، ويؤيِّد ذلك ما سقناه من الروايات التي أكَّدت على أنَّ منح فدك كان بعد نزول آية ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾، وأنَّ الرسول استفهم عن ذي القربى، ليس لكونه لم يكن يعرف مَن هُم المقصودين بهذا المعنى، ولكنَّه أراد أن يؤكِّده، لكي لا يبقى لمن يريد التشكيك مجالًا لذلك.

وذكر البلاذريّ[٣] أنَّه صالحهم على نصف الأرض بتربتها، وفي رواية أخرى على نصف أرضهم ونخلهم، وقد قال لهم: إن شئنا أن نُخرجكم أخرجناكم. فكانت خالصة لرسول الله ﷺ[٤].

وقال الطبريّ[٥]: فكانت خيبر فيئًا للمسلمين، وكانت فدك خالصة لرسول الله ﷺ، وذكر ابن هشام[٦] أنَّ أهل فدك بعثوا إلى رسول الله ﷺ يصالحونه على النصف

(١) القاضي النعمان، شرح الأخبار، ج١، ص٣٨٥.
(٢) المصدر نفسه، ج٣، ص٢٧.
(٣) فتوح البلدان، ص٣٣.
(٤) الطبريّ، تاريخ، ج٢، ص٢٨٧.
(٥) المصدر نفسه، ص٢٨٦.
(٦) السيرة النبوية، ج٣، ص٨١٤.

من فدك، فقبل ذلك منهم، فكانت لرسول الله صلى الله عليه وآله خالصة.

أصبحت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وآله، يفعل بها ما يريد، ويعطيها لمن يشاء، قال ابن إسحاق: لـمَّا سمع أهل فدك بما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله بأهل خيبر، بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يسألونه أن يسيرهم ويحقن دماءهم ويخلون له الأموال[1] ففعل، فأصبحت فدك له خاصَّة، فمنحها فاطمة عليها السلام، بحسب الروايات.

## المحور الثاني: سهم ذوي القربى

يعدُّ سهم ذوي القربى من الموارد الماليَّة التي خُصَّ بها رسول الله صلى الله عليه وآله، والتي تعود وراثتها إلى السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، الذي قال الله تبارك وتعالى فيه: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾[2]، «وذلك لنا خاصَّة إن كنتم آمنتم بالله، وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان، نحن والله عَنى بذوي القربى، الذين قرنهم الله بنفسه ونبيِّه، ولم يجعل لنا في الصدقة نصيبًا، أكرم الله سبحانه وتعالى نبيَّه وأكرمنا أن يطعمنا أوساخ أيدي الناس»[3].

وذكر القاضي النعمان أنَّ الإمام عليّ عليه السلام قال: «**الغنيمة تقسَم على خمسة أخماس، فيقسم أربعة أخماسها على من قَاتل عليها، والخُمس لنا أهل البيت في اليتيم منَّا والمسكين وابن السبيل، وليس فينا مسكين ولا ابن سبيل اليوم بنعمة الله، فالخُمس لنا موفر، ونحن شركاء الناس فيما حضرناه في الأربعة الأخماس**»[4].

ومن خلال ما سبق فإنَّ الخمس حقٌّ ثابتٌ ومـوردٌ مالي تعود ملكيته للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام.

(١) ابن خيَّاط، ، تاريخ خليفة، ص٨٣.
(٢) سورة الأنفال، آية ٤١.
(٣) الطبرسيّ، الاحتجاج، ج١، ص٣٩٣.
(٤) دعائم الإسلام، ج١، ص٣٨٦.

## المبحث الثاني

### سياسة السلطة من مصادرة الموارد الماليَّة للزَّهراء عليها السلام

لكي تكتمل لنا الصورة وتصبح واضحة، لا بدَّ من معرفة سياسة الخلفاء وموقفهم تجاه مصادرة فدك.

### المحور الأوَّل: موقف الخلفاء الثلاثة الأُول تجاه فدك

#### أوَّلًا: الخليفة أبو بكر

انتقلت الخلافة إلى الخليفة الأوَّل، الذي أخذ فدكًا من الزَّهراء عليها السلام، وبحسب الروايات التي ذكرناها في الصفحات المتقدِّمة، وأخرج عامل فاطمة عليها السلام على فدك[١]، ورفض طلب الزَّهراء عليها السلام وشهودها، ورغم الاحتجاجات، وما أظهرت الزَّهراء عليها السلام من غضب ومقاطعة، إلَّا أنَّ فدكًا لم تردَّ إلى فاطمة عليها السلام.

وذكر القاضي النعماني: أنَّه لـمَّا أمر أبو بكر بأخذ فدك من يديها، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله أقطعها إيَّاها لـمَّا أنزل الله عزَّ وجلَّ ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾[٢]، فكانت ممَّا أفاء الله عزَّ وجلَّ عليه. فقال أبو بكر: هي لرسول الله صلى الله عليه وآله، فشهد عليّ عليه السلام وأم أيمن، وهي ممَّن شهد له رسول الله صلى الله عليه وآله بالجنَّة، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أقطعها ذلك فاطمة عليها السلام. فردَّ أبو بكر شهادتها، وقال: عليّ جار إلى نفسه، وشهادة أمّ أيمن وحدها لا تجوز[٣].

(١) المفيد، المقنعة، ص ٤٨٩.

(٢) سورة الإسراء، آية ٢٦.

(٣) القاضي النعمانيّ، شرح الأخبار، ج٣، ص٣٢.

وهنا يبدو أنَّ القاضي النعمانيّ أراد من ذِكر الرواية إظهار حجم المظلوميَّة التي تعرَّضت لها الزَّهراء عليها السلام، وأراد أن يبيِّن أنَّ ردَّ شهادة الزَّهراء الصدِّيقة عليها السلام هي أشدُّ ظلمًا من مصادرة أموال فدك؛ لأنَّ ردَّ شهادتها عليها السلام هو ردٌّ على رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لقوله فيها عليها السلام: سيِّدة نساء العالمين، وسيِّدة نساء أهل الجنَّة.

وقد ذكر القاضي النعمانيّ شدَّة الحزن والألم الذي أصاب الزَّهراء عليها السلام بعد رفض طلبها من قبل الخليفة الأوَّل، حيث قال: «لزمت فراشها أسفًا وكمدًا»(١).

ويبدو أنَّ هذا الأسف والحزن ليس بالدرجة الأولى على مصادرة المورد الماليّ لفدك، بقدر ما هو حزن على انقلاب الأمَّة على النبيّ صلى الله عليه وآله بعد وفاته بساعات، واغتصاب حقِّ بعلها بالخلافة، ويأتي كذلك الحزن والألم الذي عبَّرت عنه السيِّدة الزَّهراء عليها السلام نتيجة ردِّ شهادتها وشهادة بعلها، وهذا ما يرجِّحه الباحث؛ كون الزَّهراء عليها السلام لا تُقيم للمال وزنًا.

وأضف إلى ذلك أنَّ غضبها وحزنها هو ليس غضبًا لنصرة نفسها؛ بل هو غضب وأسف لرسول الله صلى الله عليه وآله، وابن عمِّه عليّ عليه السلام.

كما ذكر القاضي النعمانيّ عندما احتجت الزَّهراء عليها السلام في مجلس أبي بكر، لم ينصرها أحد، حيث ذكر أنَّها: «خرجت صلوات الله عليها في ذلك إلى مجلس أبي بكر، واحتجَّت فيه عليه، فلم ينصرف إلى قولها، واستنصرت الأمَّة فلم تجد لها ناصرًا»(٢).

ويبدو أنَّ القاضي النعمانيّ أراد من ذِكر هذه الرواية كشف تخاذل القوم عن نصرة الزَّهراء عليها السلام بعد أن استصرختهم؛ وكذلك بيان موقف الزَّهراء عليها السلام من هذا التخاذل المتمثِّل بالحزن والأسف «لزمت فراشها أسفًا وكمدًا»(٣).

(١) شرح الأخبار، ج٣، ص٣٤.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.

ولا بدَّ من الإشارة، كما يبدو لنا، إلى أنَّ حزن وأسف السيِّدة الزَّهراءعليها السلام على القوم، وتخاذلهم عن نصرتها، يختلف بالمقارنة مع حزنها وأسفها على اغتصاب حقِّها من أبيها وحقِّ بعلها عليًّا، فالحزن على اغتصاب حقِّها وردِّ شهادتها وشهادة بعلها، هو حزن ناتج عن الغضب عليهم، أمَّا حزنها على تخاذل القوم عن نصرتها، فهو حزن ناتج عن رحمة وتأسُّف صادر عن شفقتها عليهم بما يحلُّ بهم من سوء عاقبة؛ وممَّا يعزِّز ذلك أنَّ الحسينعليه السلام الذي تغذَّى من تربيتها النبويَّة، قد بكى حزنًا وشفقةً على القوم الذين استعدُّوا لقتاله، بما يترتَّب عليهم من عذاب ودخول النار.

ثمَّ واصل القاضي النعمانيّ ذِكر خطبتها في مجلس القوم، أنَّه لـمَّا اعتزم أبو بكر على منعها فدك والعوالي، لاثت خمارها على رأسها، ثمَّ أقبلت في لـمَّة من حَفَدتها ونساء قومها، تطأ ذيولها، ما تخرم من مشية رسول اللهصلى الله عليه وآله مشيتها، حتَّى انتهت إلى أبي بكر، وهو في حشد من المهاجرين والأنصار، فنيطت دونها ودون الناس ملاءة، ثمَّ أنَّت أنَّة أجهش القوم لها بالبكاء[1].

فلذلك ولما هو أعظم وأجلُّ منه في الاستيثار بحقِّ بعلها وبينها، لزمت فراشها أسفًا وكمدًا[2] حتَّى لحقت رسول اللهصلى الله عليه وآله بعد سبعين يومًا من وفاته غمًّا وحزنًا عليه، وهي ساخطة على الأمَّة لما اضطهدته فيها وابتزَّته من حقِّ بعلها وبنيها.

لقد كانت فدك بيد السيِّدة الزَّهراءعليها السلام منذ أن أعطاها أيَّاه رسول اللهصلى الله عليه وآله، وبقيت في يدها حتَّى استشهادةصلى الله عليه وآله، وعندما تولَّى أبو بكر الخلافة أخذها منها، وأخرج وكيلها[3].

وقد استنكر القاضي النعمان ردَّ شهادة الزَّهراءعليها السلام في فدك: «ولم تقبلوا قول

(١) القاضي النعمانيّ، شرح الأخبار، ج٣، ص٣٤.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) القاضي النعمانيّ، الأرجوزة، ص١٢٠.

فاطمة عليها السلام في فدك! وشهادة أمّ أيمن لها، وقد شهد لها رسول الله صلى الله عليه وآله بالجنَّة، وقال: إنَّها سيِّدة نساء العالمين»[1].

وبعد مطالبتها بفدك، اضطرَّت أخيرًا إلى طلب الشهود، فرُدَّت شهادتها وهي أصدق الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث ورد عن عائشة، أنَّها ذكرت فاطمة عليها السلام فقالت: ما رأيت أحدًا أصدق منها إلَّا أباها[2]. وكذلك رُفِضت شهادة أم ايمن ورباح كونها من موالي أبيها[3].

وذكر القاضي النعمان أنَّ السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام استنكرت أفعالهم، واستجوبتهم بطرح الأسئلة: «**وزعمتم أن لا حظَّ لي ولا إرث من أبي. أفخصَّكم الله بآية أخرج أبي منها؟ أم تقولون: إنَّ أهل ملَّتَين لا يتوارثان؟ أو لست أنا وأبي من أهل ملَّة واحدة؟ أم أنتم بخصوص القرآن وعمومه أعلم ممَّن جاء به؟**»[4].

وأشار القاضي النعمان إلى قناعة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام أنَّه لا فائدة من الجدال مع أبي بكر وأعوانه، وأنَّ مصادرة فدك أمر لا رجعة فيه، ولذا لزمت بيتها أسفًا وحزنًا، ساخطة على الأمَّة التي ظلمتها واضطهدتها وسلبت حقَّها[5].

ثمَّ ذكر القاضي النعمان بعد هذه القناعة توجُّه الزَّهراء عليها السلام بالشكوى إلى ساحة ومحكمة الله عزَّ وجلَّ بقولها: «**فبعين الله ما تفعلون، وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلبٍ ينقلبون، أنا ابنة نذيرٍ لكم بين يدي عذاب شديد. فأعملوا إنَّا عاملون، وانتظروا إنَّا منتظرون.** ثمَّ قالت: **ربَّنا احكم بيننا وبين قومنا بالحقِّ، وأنت خير الحاكمين**»[6].

(١) القاضي النعمان، شرح الأخبار، ج٢، ص٢٣٤.
(٢) المصدر نفسه، ج٣، ص٦٥.
(٣) القاضي النعمان، الأرجوزة، ص١٢٠.
(٤) القاضي النعمان، شرح الأخبار، ج٣، ص٣٧.
(٥) المصدر نفسه، ج٣، ص٣٣.
(٦) المصدر نفسه، ج٣، ص٣٩.

وذكر القاضي النعمان[١] بعد الشكوى إلى الله ﷻ، التفت إلى إلى قبر أبيها رسول الله ﷺ فقالت:

**قد كان بعدك أنباء وهنبثة**

**لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب**

**إنَّا فقدناك فقد الأرض وابلها**

**واختلَّ قومك فاشهدهم فقد شغبوا**

وروينا عن جعفر بن محمَّد صلوات الله عليه أنَّه قال: إنَّ فدكًا كانت ممَّا أفاء الله على رسوله بغير قتال، فلمَّا أنزل الله: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾[٢]، أعطى رسول الله ﷺ فاطمة صلوات الله عليها فدكًا، فلمَّا قُبِض ﷺ، أخذها منها أبو بكر[٣].

## ثانيًا: سياسة الخليفة عمر بن الخطَّاب تجاه فدك

تعدَّدت الآراء حول فدك في خلافة عمر بن الخطَّاب، فقد ذكر بعض المؤرِّخين أنَّ عمر أرجع فدك إلى ورثة الزَّهراء عليها السلام، وجعلها في أيديهم.

لقد ذكر القاضي النعمان[٤] ما يشير إلى منع عمر بن الخطاب الزَّهراء عليها السلام من فدك، ولم يردَّها؛ لأنَّ النصَّ الذي ورد في رواية القاضي النعمان يعرض فيه شهادة الناس على منع عمر بن الخطاب فدكا: «فلمَّا ولي عمر بن عبد العزيز ردَّها كلَّها على ولد فاطمة عليها السلام، فاجتمع إليه بنو أميَّة وقالوا: يرى الناس أنَّك أنكرت فعل أبي بكر وعمر وعثمان والخلفاء من آبائك، فردَّها».

(١) شرح الأخبار، ج٣، ص٣٩.
(٢) سورة الإسراء، آية ٢٦.
(٣) القاضي النعمان، شرح الأخبار، ج١، ص٣٨٥.
(٤) المصدر نفسه.

من خلال هذه الرواية نستنتج أنَّ القاضي النعمان يميل إلى هذا الرأي، كونه لم يصدر عنه تعليق أو نقل رواية ما تشير إلى ردِّ فدكًا إلى ورثة فاطمة الزَّهراء عليها السلام.

ويرجِّح الباحث أنَّ عمر بن الخطَّاب لم يرد فدك لورثتها، وممَّا يعزِّز هذا الرأي هو احتجاج الناس على عمر بن عبد العزيز عندما ردَّ فدك لأهلها، قالوا له: إنَّك أنكرت فعل أبي بكر وعمر وعثمان، أي خالفت سياسة الثلاثة في مصادرة فدك.

### ثالثًا: سياسة عثمان بن عفَّان تجاه فدك

عُرِف عن عثمان أنَّه كان ميَّالًا إلى أقربائه، وصولًا إلى أرحامه، فقد قرَّبهم واوصلهم، وهم (أل أبي العاص)، حتَّى لم تأخذه في سبيلهم ملامة اللائمين، ولا ثورات الثائرين، وقد استباح في صلتهم مخالفات كثيرة من أدلَّة الكتاب الحكيم، والسُّنن المقدَّسة، والسِّيرة التي كانت مستمرَّة من قَبْله[1].

وقد ذكر القاضي النعمان: فلمَّا ولي عثمان، أقطعها مروان[2].

قال البيهقيّ[3]: اقطع مروان فدكًا في أيَّام عثمان، وكأنَّه تأوَّل في ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أطعم الله نبيًّا طعمه، فهي للذي يقوم من بعده، وكان مستغنيًا عنها بماله، فجعلها لأقربائه، ووصل بها رحمهم.

وقال ابن حجر[4]: «إنَّه لـمَّا كان عثمان تصرَّف في فدك بحسب ما رآه، وقد اقطع مروان فدكًا؛ لأنَّه تأوَّل أنَّ الذي يختصُّ بالنبيّ صلى الله عليه وآله يكون للخليفة بعده، فاستغنى عثمان عنها بأمواله، فوصل بها بعض قرابته».

(١) ابن ابي الحديد، شرح النهج، ج١، ص١٩٨.
(٢) القاضي النعمان، شرح الأخبار، ج١، ص٣٨٥.
(٣) السنن الكبرى، ج٦، ص٣٠٢.
(٤) فتح الباري، ج٦، ص١٤٠.

## المحور الثاني: موقف الخلفاء الأمويِّين من مصادرة فدك

لم تختلف سياسة الأمويِّين تجاه فدك، عنها تجاه العلويِّين، إذ اتَّسمت هذه السياسة بالعداء المستمر، الذي بدأ مع تولِّي الإمام عليّ عليه السلام الخلافة، وعزله معاوية بن أبي سفيان عن ولاية الشام، قال بن عبد ربِّه[١]: ولـمَّا ولي الأمر معاوية بن أبي سفيان، أقطعها مروان بن الحكم.

ذكر القاضي النعمان[٢]: فلمَّا ولي مروان بن الحكم (٦٤هـ/ ٦٥هـ) جعل الثلثَين من أرض فدك منها لابنه عبد الملك، والثلث لابنه سليمان، فلمَّا ولى عبد الملك بن مروان الحكم (٦٥هـ/ ٨٦هـ) جعل ثلثيه لابنه لعبد العزيز، وبقى الثلث لسليمان[٣]، وفي عهد سليمان بن عبد الملك (٩٦هـ/ ٩٩هـ) سليمان جعل ثلثه لعمر بن عبد العزيز[٤].

فلمَّا ولي عمر بن عبد العزيز (٩٩هـ/ ١٠١هـ) ردَّها كلَّها على ولد فاطمة عليها السلام، فاجتمع إليه بنو أمية وقالوا: «يرى الناس أنَّك أنكرت فعل أبي بكر وعمر وعثمان والخلفاء من آبائك فرُدَّها. وكان يجمع غلتها في كلِّ سنة ويزيد عليها مثلها. ويقسِّمها في ولد فاطمة (عليها وعليهم أفضل السلام)»[٥].

من خلال رواية القاضي النعمانيّ في ردِّ عمر بن عبد العزيز فدك للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام نستدل على أنَّ عمر بن عبد العزيز قد أثبت خطأ أبي بكر وعمر في سلب أرض وأموال فدك، فضلًا عن أنَّه إذا أراد عمر بن عبد العزيز الدفاع عن أبي بكر وعمر من خلال ردِّ فدك فإنَّها تمثِّل ضربه عنيفة لهم، كونهم اجتهدوا من تلقاء أنفسهم، ممَّا أحدث اختلافًا لدى بني أميَّة حول موقف عمر بن عبد العزيز.

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص ٢٢٥.
(٢) شرح الأخبار، ج١، ص٣٨٥.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) المصدر نفسه.

ويتبيَّن من الرواية أنَّ مروان[1] الذي مُنِح فدكًا في عهد عثمان، وقد بيَّنا أنَّه من المستبعد ان تظلَّ بيده في عهد عليّ عليه السلام، فإنَّها قد أُقطعت إليه مرَّة أخرى في عهد معاوية، وقد أشارت الروايات إلى أنَّ معاوية استرجعها منه لموجدة وجدها عليه[2]. ففي سنة أربعين ولَّى معاوية مروان بن الحكم المدينة، فكتب إلى معاوية يطلب إليه فدكًا، فأعطاه إيَّاها، فكانت بيد مروان يبيع ثمرها بعشرة آلاف دينار كلَّ سنة، ثمَّ نزع مروان عن المدينة، وغضب عليه معاوية فقبضها منه، فكانت بيد وكيله بالمدينة، وطلبها الوليد ابن عتبة بن أبي سفيان، ثمَّ سعيد بن العاص، فأبى معاوية أن يعطيها لأحدهما، فلمَّا ولَّى معاوية بن أبي سفيان مروان بن الحكم المدينة المرَّة الأخيرة ردَّها عليه بغير طلب من مروان، وردَّ عليه غلَّتها فيما مضى[3].

ذكر البلاذريّ[4] أنَّ عمر بن عبد العزيز لـمَّا ولي الخلافة، خطب فقال: إنَّ فدكًا كانت ممَّا أفاء الله على رسوله، ولم يوجف المسلمون عليها بخيل ولا ركاب، ثمَّ قال: ثمَّ ولي معاوية فأقطعها مروان بن الحكم، فوهبها مروان لأبي ولعبد الملك، فصارت لي وللوليد وسليمان، فلمَّا ولي الوليد سألته حصَّته منها فوهبها لي، فاستجمعتها وما كان من مالٍ لي أحبّ إليَّ منها، فأشهدوا أنِّي قد رددتها إلى ما كانت عليه. وظلَّت فدك بيد اولاد فاطمة يتداولونها طيلة فترة خلافة عمر بن عبد العزيز، ولكن الأمر لم يستقر بها، إذ رجع الأمويُّون يتداولونها بينهم حتَّى العصر العبَّاسيّ.

(١) روى الحاكم عن عبد الرحمن بن عوف قال: «كان لا يولد لأحد مولود إلَّا أُتي به النبيّ فدعا له، فأُدخِل عليه مروان بن الحكم، فقال الرسول: «**هذا الوزغ ابن الوزغ**». المستدرك، ج٤، ص٤٧٩.

(٢) القلقشنديّ، أحمد بن عليّ (ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، صبح الاعشى في صناعة الإنشا، تحقيق: محمَّد حسين شمس الدين، دار الفكر (بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ج٤، ص٢٩٥.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص٣٨٨.

(٤) فتوح البلدان، ص٤١.

قال ياقوت[١]: «فلمَّا ولي يزيد بن عبد الملك قبضها فلم تزل في أيدي بني أميَّة حتَّى ولي أبو العبَّاس السفَّاح الخلافة».

وقال ابن أبي الحديد[٢]: «فلمَّا ولي يزيد بن عاتكة قبضها منهم، فصارت في أيدي بني مروان كما كانت يتداولونها، حتَّى انتقلت الخلافة عنهم».

## المحور الثالث: موقف الخلفاء العبَّاسيِّين من مصادرة فدك

لم تختلف سياسة الخلفاء العبَّاسيِّين تجاه فدك، فلقد كان للعامل السياسيّ أثره الكبير في تغيير ملكيَّة فدك بين مدَّة وأخرى.

فكلَّما كان الخليفة متقرِّبًا للعلويِّين، كانت فدك في أيديهم، وكلَّما كان الخليفة ناقمًا عليهم، أخذها منهم غير مبالٍ بحقِّهم فيها.

ففي بداية تأسيس الدولة العبَّاسيَّة لم تكن الخصومة بين العبَّاسيِّين والعلويِّين قد أخذت شكلها الظاهريّ، بل قد لا تكون هناك خصومة معلنة أصلًا، ولذلك أعاد العبَّاسيُّون فدكًا إلى أولاد فاطمة.

ثمَّ استأثر بها آل العبَّاس، إلى أن ولي المتسمَّى بالمأمون، فجمع فقهاء البلدان من العامَّة وغيرهم، وتناظروا فيها، فثبت أمرهم بإجماع أنَّها لفاطمة صلوات الله عليها، وشهدوا بأجمعهم على ظلم من انتزعها منها، فردَّها في ولد فاطمة صلوات الله عليها، وذلك من الأمر المشهور المعروف[٣].

قال ياقوت[٤]: «ولي أبو العبَّاس الخلافة، فدفعها- أي فدك- إلى الحسن

(١) الذهبيّ، شمس الدين محمَّد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، سير أعلام النبلاء، مؤسَّسة الرسالة (بيروت ١٤١٣هـ)، ج٥، ص١٢٩.
(٢) شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص١٢٧.
(٣) القاضي النعمان، شرح الأخبار، ج١، ص٣٨٥.
(٤) معجم البلدان، ج٤، ص٢٣٩.

ابن الحسن بن عليّ بن أبي طالب، فكان هو القيِّم عليها يفرِّقها في بني عليّ بن أبي طالب عليهم السلام».

سرعان ما دبَّ الخلاف، وأخذت الثورات العلويَّة تشكِّل خطرًا على العبَّاسيِّين، وأصبح الصراع صراعًا معلنًا بادر العبَّاسيُّون إلى أخذ فدك من أولاد الزَّهراء عليها السلام.

قال ياقوت[1]: «فلمَّا ولي المنصور، وخرج عليه بنو الحسن[2]، قبضها عنهم». في مدَّة الاستقرار السياسيّ التي شهدتها خلافة المهدي العبَّاسيّ، قال ابن أبي الحديد[3]: «ثمَّ ردَّها المهدي على ولدِ فاطمة عليها السلام».

لكنَّها لم تستمرَّ في أيديهم طويلًا، إذ عاد الصراع السياسيّ بين البيت العبَّاسيّ والبيت العلويّ من جديد[4] في خلافة موسى الهادي بن المهدي العبَّاسيّ، ونتيجةً لهذا الصراع، فقد أخذ فدكًا من أولاد فاطمة عليها السلام، قال الجوهري[5]: «ثمَّ قبضها موسى بن المهدي وهارون أخوه، فلم تزل في أيديهم حتَّى ولي المأمون، فردَّها على الفاطميِّين سنة (٢١٠هـ/ ٨٢٤م). وفي خلافة المأمون، فقد رُدَّت فدك على ورثة فاطمة عليها السلام. ففي

(١) معجم البلدان، ج٤، ص ٢٣٩.

(٢) وقد خرج على المنصور سنة (١٤٥هـ/ ٧٦١م) محمَّد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب، واستولى على المدينة، وتبعه أهله، وقد قُتِل هو وجماعة من أهل بيته وأصحابه، ثمَّ خرج في السنة نفسها إخوه إبراهيم، واستولى على البصرة، ثمَّ سار إلى الكوفة، واستطاع جيش المنصور قتله وانهزم أصحابه. ينظر: أبو الفداء، المؤيَّد عماد الدين إسماعيل (ت٧٣٢هـ/ ١٣٣٠م)، تاريخ أبي الفداء، دار البحار (بيروت ١٩٥٩هـ)، ج٣، ص٨.

(٣) شرح النهج، ج١٦، ص١٢٧.

(٤) في سنة (١٦٩هـ/ ٧٨٥م) خرج الحسين بن عليّ بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب بالمدينة، وكان معه جماعة من أهل بيته، ثمَّ خرج الحسين إلى فخ (موضع إلى جهة الطائف)، وفيه قُتِل الحسين وانهزم أصحابه. ينظر: أبي الفداء، تاريخ، ج٣، ص١٦-١٧.

(٥) السقيفة وفدك، ص١٠٦.

شرح النهج[١]: «فلم تزل في أيديهم حتَّى ولي المأمون، فردَّها على الفاطميِّين». ولـمَّا تولَّى المنتصر (محمَّد بن جعفر) الخلافة سنة (٢٤٧هـ/ ٨٦١م)، كفَّ عن مطاردة آل أبي طالب والبحث عنهم، وأجاز زيارة قبر الحسين وقبور آل البيت الأخرى، وأمر بردِّ فدك إلى ولد الحسن والحسين، وأطلق أوقافهم، ومنع التعرُّض لشيعتهم»[٢].

وقال ابن طاووس[٣]: «إنَّها قبضت بعد المأمون، فردَّها الواثق هارون بن محمَّد ابن هارون (٢٢٧-٢٣٢هـ/ ٨٤١-٨٤٦م)، ثمَّ قبضت فردَّها المستعين أحمد بن محمَّد ابن المعتصم (٢٤٨-٢٥٢هـ/ ٨٦١-٨٦٦م)، ثمَّ قبضت فردَّها عليهم المعتمد أحمد بن جعفر المتوكِّل (٢٥٦-٢٧٩هـ/ ٨٧٠-٨٩٢م)، ثمَّ قبضت فردَّها المعتضد أبو العبَّاس أحمد بن طلحة (٢٧٩-٢٨٩هـ/ ٨٩٢-٩٠٢م)، ثمَّ قبضت فردَّها الراضي محمَّد بن جعفر (٣٢٢-٣٢٩هـ/ ٩٣٥-٩٤٢م)».

## المحور الرابع: مصادرة موارد الخمس

ذكر القاضي النعمان أنَّ السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام قد حُرمت من حقٍّ أخر، وهو خمس الغنيمة، حيث ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**الغنيمة تقسم على خمسة أخماس، فيقسم أربعة أخماسها على من قاتل عليها، والخمس لنا أهل البيت في اليتيم منَّا والمسكين وابن السبيل، وليس فينا مسكين ولا ابن سبيل اليوم بنعمة الله، فالخمس لنا موفر، ونحن شركاء الناس فيما حضرناه في الأربعة الأخماس**»[٤].

إنَّ فاطمة عليها السلام أتت أبا بكر، فقالت: **لقد علمت الذي ظلمتنا عنه أهل البيت من الصدقات، وما أفاء الله علينا من الغنائم في القرآن من سهم ذوي القربى**، ثمَّ قرأت عليه

(١) ابن ابي الحديد، ج١٦، ص١٢٧.
(٢) المسعوديّ، مروج الذهب، ج٤، ص١٤٧.
(٣) الطرائف، ص٢٥٣
(٤) دعائم الإسلام، ج١، ص٣٨٦.

قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ ..﴾ الآية، فقال لها أبو بكر: بأبي أنت وأمي ووالد ولدك، وأنا أقرأ من كتاب الله الذي تقرئين منه، ولم يبلغ علمي منه أن هذا السهم من الخمس يسلَّم إليكم كاملًا، قالت: **أفَلكَ هو ولأقربائك؟** قال: لا، بل أنفق عليكم منه، وأصرف الباقي في مصالح المسلمين. قالت: **ليس هذا حكم الله تعالى**. قال: هذا حكم الله، فإن كان رسول الله عهد إليك في هذا عهدًا أو أوجبه لكم حقًّا صدَّقتك وسلَّمته كلّه إليك وإلى أهلك، قالت: **إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم يعهد إليَّ في ذلك بشيء، إلَّا أنِّي سمعته يقول لـمَّا نزلت هذه الآية: أبشروا آل محمَّد فقد جاءكم الغنى**[1].

وذكر القاضي النعمان: «لـمَّا قبض رسول الله صلوات الله عليه قال أبو بكر لعليّ: أعينوا المسلمين بخُمسِكم، فقبضه ولم يدفع إليه شيئًا، فبلغ ذلك فاطمة عليها السلام، فقالت: أعطونا سهمنا في كتاب الله، وأنتم أعلم بسائر ذلك، تعني أنَّهم يعلمون أنَّ عليًّا أقعد بذلك منهم»[2].

وذكر القاضي النعمان أنَّ الخمس ردَّه الخليفة الثاني إلى الإمام عليّ عليه السلام، حيث ورد عن الإمام عليّ عليه السلام أنَّه قال: «**كان عمر يدفع إليَّ الخمس أقسِّمه في قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله، حتَّى كان خمس السوس وجندي سابور، فقال: هذا خمسكم أهل البيت، وقد أخلَّ بعض المسلمين واشتدَّت حاجتهم إليه، فإن رأيتم أن تصرفوه فيهم فعلتم، فوثب العبَّاس فقال: لا تغتمز في حقِّنا يا عمر، فقلت: نحن أحقُّ من أرفق المسلمين، فلم يسعف قوله وشفع أمير المؤمنين فقبضه، فوالله ما قضاناه بعد ذلك ولا عرضه علينا هو ولا من بعده حتَّى قمت مقامي هذا**»[3].

(١) الجوهريّ، السقيفة وفدك، ص١١٧.
(٢) شرح الأخبار، ج١، ص٣٨٧.
(٣) دعائم الإسلام، ج١، ص٢٨٦.

## الخاتمة

وصلنا الآن إلى خاتمة البحث بعد تجوال وبحث ودراسة بين الروايات التاريخيَّة التي جمعناها عن فدك، وقد استخلصت منها:

١. تعدُّ فدك مورد من أهم الموارد الماليَّة للسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وقد أثبتت الروايات أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله نحلها ابنته فاطمة عليها السلام، وظلَّت بيدها طيلة حياة النبيّ صلى الله عليه وآله.

٢. وبعد استشهاده صلى الله عليه وآله تعرَّضت للمصادرة في العصر الخلفاء الأُول والأمويّ والعبَّاسيّ، وتأتي مصادرة أموال الخمس بالمرتبة الثانية بعد مصادرة أموال فدك.

٣. اتَّخذت السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام موقف المخاصم للمختصمين، واعتزلتهم حتَّى استشهادها عليها السلام.

٤. تناولت مؤلَّفات القاضي النعمانيّ الموارد الماليَّة للسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وكيفيَّة مصادرتها من قِبَل السلطة الحاكمة، ومنعت ورثتها من ذلك حتَّى نهاية العصر العبَّاسيّ، وتضمَّن كتاب شرح الأخبار تفاصيل أكثر عن الموارد الماليَّة للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام مقارنة مع مؤلَّفاته الأخرى.

٥. تناولت مؤلَّفات القاضي النعمانيّ احتجاج السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في قضيَّة مصادرة الموارد الماليَّة بكلِّ تفاصيلها بدءًا من الاستنكار والاحتجاج حتَّى الشكوى إلى الله عزَّ وجلَّ ورسوله صلى الله عليه وآله.

٦. تتَّفق معظم الروايات للقاضي النعمان المغربيَّة مع روايات المصادر التاريخيَّة المشرقيَّة في نزول الآيات القرآنيَّة بحقِّ الزَّهراء عليها السلام، والمتعلِّقة بالموارد الماليَّة.

## المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. ابن الأثير، عليّ بن أحمد بن أبي الكرم (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، دار صادر (بيروت ١٩٧٩).

٢. البغداديّ، محمَّد بن حبيب (ت٢٤٥هـ/ ٨٥٩م)، المحبَّر، دار الآفاق الجديدة، (بيروت، لا ت).

٣. البكريّ، أبو عبيد الله بن عبد العزيز (ت٤٨٧هـ/ ١٤٠٩م)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والموضع، تحقيق: مصطفى السقَّا (بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ط٣.

٤. البلاذريّ، أحمد بن يحيى (ت٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، فتوح البلدان (مصر ١٣١٩هـ/ ١٩٠١م).

٥. أحمد بن الحسين بن عليّ (ت٤٥٨هـ) السنن الكبرى، دار الفكر (بيروت لا.ت).

٦. التبريزيّ، المولى محمَّد عليّ بن أحمد القرجه داغي (ت١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م)، اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزَّهراء عليها السلام، تحقيق: هاشم الميلانيّ، مؤسَّسة الهدى (قم ١٤١٨هـ).

٧. الجوهريّ، أبو بكر أحمد بن عبد العزيز (ت٣٢٣هـ/ ٩٣٦م) السقيفة وفدك، تحقيق: الشيخ محمَّد مهدي الأمينيّ (بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م).

٨. ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله بن محمَّد (٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م)، شرح نهج البلاغة، دار الأضواء (بيروت ٢٠٠٣م).

٩. ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن عليّ العسقلانيّ (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، تهذيب التهذيب، دار الفكر (بيروت ١٤٠٤هـ).

١٠. ابن حجر، فتح الباري في شرح صحيح البخاريّ، دار المعرفة (بيروت لا.ت)، ط٢.

١١. الحاكم، محمَّد بن محمَّد النيسابوريّ (ت٤٠٥هـ/ ١٠١٤م)، المستدرك على الصحيحَين، تحقيق: د. يوسف المرعشيّ، دار المعرفة (بيروت ١٤٠٦هـ).

١٢. أبو عمر خليفة العصفريّ (٢٤٠هـ/ ٨٥٤م)، تاريخ خليفة بن خيَّاط، نشر دار طيبة (الرياض ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

١٣. الذهبيّ، شمس الدين محمَّد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، سير أعلام النبلاء، مؤسَّسة الرسالة (بيروت ١٤١٣هـ).

١٤. الراونديّ، قطب الدين سعيد بن هبة الله (ت٥٧٣هـ/ ١١٧٧م)، الخرائج والجرائح (قم لا.ت).

١٥. الزبيديّ، محمَّد مرتضى (١٢٠٥هـ/ ١٧٩١م)، تاج العروس، مكتبة الحياة (بيروت لا.ت).

١٦. محمَّد بن سعد بن منيع (ت٢٣٠هـ/ ٨٤٥م)، الطبقات الكبرى، نشر دار صادر (بيروت لا.ت).

١٧. السجستانيّ، سليمان بن الأشعث (٢٧٥هـ/ ٨٨٩م)، سنن أبي داوود، تحقيق: سعيد محمَّد اللحَّام، دار الفكر (بيروت ١٤١٠هـ).

١٨. ابن طاووس، رضي الدين أبي القاسم عليّ بن موسى (ت٦٦٤هـ/ ١٢٥٦م)، كتاب الطرائف، الخيام (قم ١٣٧١هـ).

١٩. الطريحيّ، فخر الدين (ت١٠٨٥هـ/ ١٦٧٤م)، مجمع البحرين، مكتب نشر الثقافة الإسلاميَّة (قم ١٤٠٨هـ)، ط٢.

٢٠. الطبريّ، أبو جعفر محمَّد بن جرير (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م) تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمَّد ابو الفضل، دار المعارف (مصر ١٩٧٩م).

٢١. ابن عبد الحقِّ، عبد المؤمن صفيّ الدين البغداديّ (ت٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م)، مراصد الاطِّلاع، دار إحياء الكتب العربيَّة، البابي الحلبيّ (القاهرة ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م).

٢٢. ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمَّد الهمدانيّ، مختصر كتاب البلدان، مطبعة بريل (لندن ١٣٠٢هـ).

٢٣. القاضي النعمان، أبي حنيف بن محمَّد بن منصور التميميّ (ت٣٦٣هـ/ ٩٧٥م)، الأرجوزة المختارة، تحقيق: إسماعيل قربان، معهد الدراسات الإسلاميَّة، جامعة مجيل (كندا ١٩٧٠)، ط١.

٢٤. دعائم الإسلام، تحقيق: آصف بن عليّ، دار المعارف (القاهرة ١٩٦٣م).

٢٥. شرح الأخبار، تحقيق: محمَّد الحسينيّ الجلاليّ، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، (د.م ١٤١٤هـ)، ط٢.

٢٦. القلقشنديّ، أحمد بن عليّ (ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق: محمَّد حسين شمس الدين، دار الفكر (بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

٢٧. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، البداية والنهاية، دار إحياء التراث العربيّ (بيروت ١٤٠٨هـ).

٢٨. المرتضى، أحمد (ت٨٤٠هـ/ ١٤٣٧م)، شرح الأزهار، مؤسَّسة غمضان (صنعاء ١٤٠٠هـ).

٢٩. المفيد، محمَّد بن محمَّد بن النعمان العكبريّ (٤١٣هـ/ ١٠٢٣م) المقنعة، تحقيق: جامعة المدرسين (قم ١٤١٠هـ).

٣٠. الماورديّ، أبو الحسن عليّ بن محمَّد بن حبيب، الأحكام السلطانيَّة، البابي الحلبيّ (مصر ١٩٦٦)، ط٢.

٣١. المسعوديّ، أبو الحسن عليّ بن الحسين بن عليّ (ت٣٤٦هـ/ ٩٥٨م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: أمير مهنَّا، مؤسَّسة الأعلميّ (بيروت ١٤٢١هـ).

٣٢. الهويرينيّ، الشيخ نصر، القاموس المحيط (إيران بلا.ت).

٣٣. ابن هشام، أبو محمَّد بن الملك (ت٢٨١هـ/ ٨٩٤م)، السيرة النبويَّة، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل (بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

٣٤. الواقديّ، محمَّد بن عمر (ت٢٠٧هـ/ ٨٢٢م)، كتاب المغازي، تحقيق: د. مارسن جونس، دار المعارف، (القاهرة ١٩٦٥).

٣٥. ياقوت، شهاب الدين أبي عبد الله الحمويّ (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٦م)، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربيّ (بيروت لا.ت).

المراجع:

٣٦. الشريف، أحمد إبراهيم، مكَّة والمدينة في الجاهليَّة وعهد الرسول (القاهرة ١٩٦٧).

# الزَّهراء عليها السلام بين الشفافيَّة وقوَّة المقاومة

الباحثة عهود فاهم العارضيّ
بكالوريوس علوم حياة

**الملخَّص**

الروايات التي وصلت إلينا بخصوص الزَّهراء عليها السلام لم توضِّح إلَّا جوانب بسيطة من شخصيَّتها الكريمة، وإلَّا فالإحاطة بها مستحيلة، فالزَّهراء عليها السلام هي الحوراء الإنسيَّة، وهي أمُّ أبيها صلى الله عليه وآله، وكانت خير زوجة لوليِّ الله تعالى، وبالتأكيد هي أعظم أم عرفتها البشريَّة، وكلُّ هذا دليل على مدى شفافيَّة هذه المرأة العظيمة، وقد يتبادر إلى الأذهان أنَّ هذه الشفافيَّة هي نوع من أنواع الضعف، حتَّى تسمح لذوي الأطماع أذيَّتها، فلم يكتفوا بحرق دارها، بل وصل الحال لكسر ضلعها، وإسقاط جنينها، وهم بذلك لم يراعوا حرمة الله تعالى وحرمة نبيِّه، ولكن برغم كلِّ هذه المآسي، تقول الرواية أنَّه لـمَّا أجمع أبو بكر على منع فاطمة عليها السلام فدك، وبلغها ذلك، فإنَّها «لاثت خمارها على رأسها، واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لـمَّة من حفدتها ونساء قومها»، أي إنَّها تهيَّأت وخرجت من دارها معلنةً الرفض لهذا القرار الظالم، وخطبت في القوم خطبة بلاغيَّة عظيمة، ذكَّرتهم بمكانتها ومكانة والدها رسول الإنسانيَّة محمَّد صلى الله عليه وآله بقولها: «**اعلموا أنِّي فاطمة، وأبي محمَّد صلى الله عليه وآله**»، وتبين عليها السلام أنَّ هذا الفعل مؤيَّد من الله تعالى، بقولها: «**ولا أقول ما أقول غلطاً، ولا أفعل ما أفعل شططًا**»، أي إنَّ أفعالها ليست مزاجيَّة تتحكَّم بها الأهواء، فهي أمّ وبنت مَن لاينطق عن الهوى، ومِن هذه الوقفة العظيمة، أسَّست

قاعدة المقاومة، ورفض الباطل، وهي أساس انطلق منه كلُّ ثائر شريف، وخصوصًا ابنتها السيِّدة زينب عليها السلام، التي كان لها الدور الإعلاميّ الكبير في نجاح الثورة الحسينيَّة وانتصارها، كما أنَّ هذه القاعدة استمرَّت على مرِّ العصور، تُنتج لنا ثلَّة من الثائرات الفاطميَّات التي منها السيِّدة الجليلة آمنة الصدر.

تناول البحث الجوانب الآتية:

- نبذه عن الصفات الفريدة للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام بين الشفافيَّة والقوَّة.
- لماذا اغتصبوا فدك، مع أن الخلافة كلُّها بيدهم؟.
- هل خرجت الزَّهراء عليها السلام بنفسها لقلَّة الناصر؟.
- خروج الزَّهراء عليها السلام أساس كلِّ ثائرة فاطميَّة: السيِّدة زينب عليها السلام مثالًا.

## المقدِّمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين محمَّد وآله الطيِّبين الطاهرين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أمَّا بعد:

بحمد الله تعالى أجريت هذا البحث للمشاركة في المؤتمر العلميّ الثالث عن السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بمناسبة ميلادها الشريف، والذي يسلِّط الضوء على مقارنة أفعال السيِّدة الزَّهراء حسب الظرف، وبما هو عائد لصلاح الدين والمذهب، فرغم العمر القصير لها (سلام الله عليها) إلَّا أنَّها سطَّرت أروع معاني الهمَّة والعطاء والتفاني والذوبان في هذا الدين الحنيف الذي جاء به سيِّد الخلق أجمعين، وهو والدها، سيِّد الأوَّلين والآخِرين محمَّد صلى الله عليه وآله.

سيتضمَّن البحث ثلاثة فصول:

**الفصل الأوَّل**: سنتناول به صفات الشفافيَّة التي اتَّصفت بها سيِّدة نساء العالمين، والتي تتجسَّد من خلال علاقتها بخالقها، علاقتها بأبيها، كيف تصرفاتها في بيت الزوجيَّة، التربية المتميِّزة لأبنائها، طول البال وسعة الصدر مع الآخرين، وبما يتخلَّل ذلك من عطاء وإيثار ودروس.

**الفصل الثاني**: سنتناول به صفات القوَّة والصلابة وعدم الخوف، التي تجسَّدت من خلال دفاعها عن إمام زمانها، هيئة خروجها من بيتها، وطريقة إلقاء الخطبة الفدكيَّة، وبعض الإشارات من الهجوم على الدار المبارك.

**الفصل الثالث**: نتناول وجوه الشبة بين مقاومة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام وبين مَن انتهجت نهج المقاومة الفاطميَّة، وخير مثال على ذلك، عقيلة بني هاشم السيِّدة زينب (سلام الله عليها)، والسيِّدة الجليلة بنت الهدى آمنة الصدر، لاسيما أهم الدوافع التي من أجلها انطلقت المقاومة.

## الفصل الأوَّل

### الشفافيَّة في النهج الفاطميّ

الشفافيَّة لغةً: (شفَافِيَّةَ): قابليَّة الجسم لإظهار ما وراءه، ويستعار للشَّخص الذي يُظهِر ما يبطن، فيقال له: رجل ذو شفافيَّة، وتَحَدَّثَ بِشَفَافِيَّةٍ: بِوُضُوحٍ تَامٍّ. وأي شيء تستطيع أن ترى من خلاله يعتبر شفَّافًا، مثل كوب زجاج فارغ، أو مسطَّح زجاج في الشبَّاك. أمَّا على مستوى الإنسان، فالشفافيَّة هي الصدق والتعامل في كلِّ شيء معنويّ أو مادِّيّ بدون إخفاء شيء. الإنسان الشفاف هو الإنسان الذى يحترمه الجميع، ويرغب في التعامل معه كلّ الناس في عمل أو شراكة، كما أنَّ الشفافيَّة مبدأ ذا قيمة في التعاملات الاقتصاديَّة والاستثماريَّة والإداريَّة لأيِّ منظَّمة ناجحة، وهي سلاح فعَّال لمحاربة الفساد الماليّ والإداريّ، وإساءة استخدام السلطة.

أمَّا الزوجة الشفَّافة، فهي التي تكون روحها جميلة، وقلبها أبيض وكبير، تتَّسم بالصدق والوضوح، تحتوي الزوج والأبناء، حكيمة ورزينة في قراراتها وأفعالها بما يعود بالنفع على دينها أوَّلًا، ثمَّ حياتها الزوجيَّة، حنونة، ذكيَّة، طيِّبة، عذبة اللسان، صادقة وأمينة، وهذه هي صفات الزوجة المثاليَّة التي لم ولن تتحقَّق إلَّا في شخص الزَّهراء البتول عليها السلام.

#### مقامها وعصمتها عليها السلام

للزَّهراء عليها السلام مكانة عظيمة عند الله تعالى، وقد أثبت رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك في أكثر

من موقف، وهذه المكانة لم تأتِ عبطًا، بل لأنَّها عليها السلام ميزان الصفات المثاليَّة التي يريدها الله تعالى لعباده المؤمنين، فقد كانت العابدة الزاهدة العالمة المعلِّمة الحجَّة على الأئمَّة من ولدِها، سيِّدة نساء العالمين من الأوَّلين والآخِرين.

وقد تركت لنا (سلام الله عليها) جملة من الأدعيَّة والخطب التي تبيِّن عظمتها عليها السلام، ومدى قربها من الله تعالى، وهذا القرب لم يأتِ إلَّا بعطائها وذوبانها في حبِّ الله تعالى، وبعضهم يُشكِل على عصمتها، إذ يقول لو إنَّ أيّ شخص ولِدَ وعاش في الجوِّ والمحيط الذي عاشت به السيِّدة الزَّهراء، لوصل لنفس المكانة، فهي بنت نبيّ وزوجة وصيّ وعاشت في بيت الوحي والتنزيل، فمن الطبيعيّ أن تكون بهذا القرب من الله تعالى! ويكفي بالجواب أن نذكر ابن النبيّ نوح، وكان عاصيًا، أو زوجة النبيّ لوط، وكانت من الغابرين، أو مثال آخر السيِّدة آسيا وزوجها الطاغي، ولكنَّ الزَّهراء هي بصفاتها وكيانها إينما وُضِعت لكانت بنفس المنزلة (سلام الله عليها)، بغضِّ النَّظر عن المحيط الذي عاشت فيه.

والبعض الآخر يُثير شبهه أخرى، وهي أنَّ يوم المباهلة وخروج الزَّهراء بصفة نساء النبيّ صلى الله عليه وآله، لا يعطي الزَّهراء عليها السلام مكانة عظيمة ودور كبير في أثبات الحقِّ ونصرة الدين الإسلاميّ؛ لأنَّ من الطبيعيّ أن يأتي النبيّ صلى الله عليه وآله بابنته من طرف النساء؛ لأنَّها ابنته، ومن الطبيعي أن يحبَّ الرجل ابنته، والحقيقة أنَّ الزَّهراء عليها السلام اتَّصفت بصفات العبوديَّة والتقوى والقرب من الله تعالى، فجعلها ميزان الحقِّ لرضاه أو غضبه تعالى، فأمر الله نبيَّ الرحمة أن يُشركها في أمر المباهلة، هذا الأمر الذي له مساس ببقاء الدين الإسلاميّ، وهو يلامس جوهر الإيمان إلى يوم القيامة؛ لأنَّ بالمباهلة أراد الله تعالى بها أثبات بشريَّة عيسى، ونفي ألوهيَّته، وبالتالي خلَّد سبحانه هذه القضيَّة في القرآن الكريم، فكان أجلالًا لها، وتعظيمًا لشأنها (سلام الله عليها).

ولو تصفَّحنا بعض صفحات صحيفتها الطاهرة (الصحيفة الفاطميَّة)؛ لبرزت لنا بعض صفاتها وخصالها (سلام الله عليها)، مثلًا نقرأ دعاءها عليها السلام: «**سبحان مَن لبس البهجة والجمال، سبحان من تردَّى بالنور والوقار، سبحان من يرى أثر النمل في الصَّفا.. سبحان من هو هكذا ولا هكذا غيره..**»[1]، فهذه الكلمات لا تُنطَق من امرأة بصفات عاديَّة، بل لا بدَّ من إنسانة يكلِّمها الوحي، وهذا ما تثبته الصحيفة نفسها، بقول الإمام أبي عبد الله عليه السلام: «**كان لأمِّي فاطمة صلاة تصلِّيها علَّمها جبرائيل..**»[2]، بل أكثر من ذلك، كان يحدِّثها ويؤنس وحشتها بعد فراق إبيها صلى الله عليه وآله، حتَّى ألَّفت مصحف فاطمة.

## روحي التي بين جنبي

لا يخفى على أحد أبدًا عمق العلاقة بين السيِّدة الزَّهراء عليها السلام وأبيها سيِّد الخلق أجمعين، رسول الإنسانيَّة محمَّد صلى الله عليه وآله، وهذه العلاقة أسمى ما تكون من الحبِّ والعطاء والتعلُّق، وتذكر الرواية أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله خرج في أحد الأيَّام وهو آخذ بيد فاطمة عليها السلام، فقال: «**من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمَّد، وهي بضعة منِّي، وهي قلبي وروحي التي بين جنبي، فمن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله**»[3]، والحديث في علاقة الزَّهراء بأبيها (صلى الله عليهما وآلهما) طويل ومذكور في الكثير من المصادر، وأكثر ما يجسِّد هذه العلاقة هو لقبها (أمّ أبيها)، وهو لقب يبيِّن مدى التقارب الروحيّ والعقليّ بينها وبين أبيها صلى الله عليه وآله، وبعضهم للأسف يفهم المعنى خطأً، فيعتقد أنَّ الزَّهراء عليها السلام قد عوَّضت إبيها حنان الأمِّ؛ لأنَّه فقد والدته صغيرًا، فلا يمكن لمربِّية أن تعوِّضه أو مرضعة تكفيه هذا الفقد الأليم، وهذا كلامٌ غير مقبول حقيقة؛

(١) الصحيفة الفاطميَّة، للسيِّد محمَّد باقر السيِّد مرتضى الموحِّد الأبطحيّ الأصفهانيّ، ط١، ص١٧، تحقيق: مؤسَّسة الإمام المهدي عجل الله فرجه، قم المقدَّسة.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٤.

(٣) بحار الأنوار، العلَّامة المجلسيّ، ج٤٣، ص٥٤، المجموعة: مصادر الحديث الشيعيَّة، القسم العام، تحقيق: محمَّد الباقر البهبوديّ، ط٢.

لأنَّه يدلُّ على أنَّ النبيّ كان يعاني من نقص في العواطف والمحبَّة والرعاية، فعوَّضته الزَّهراء عليها السلام هذا النقص، ولكن المعنى الصحيح أنَّها عليها السلام كانت تعامل والدها كما تعامل الأم ابنها، فتحنو عليه وتعطف وتخفِّف جراحه، فتكون له ملاذًا عند التعب والمشقَّة، فالنظر لوجها يخفِّف عنه أعباء الرسالة وهمّ الأمَّة، وحديث الكساء خير دليل على ذلك، إذ لم يلجأ إلى أي حجرة من حجرات زوجاته، وبالعادة أنَّ الرجل عندما يشعر بالتعب، فأفضل مكان هو فراشه وحجرته الخاصَّة، ولكنَّه صلى الله عليه وآله لم يجد ما يريحه أكثر من بيت ابنته فاطمة عليها السلام.

## ما أغضبتها ولا أغضبتني

إنَّ علاقة أي شخصَين مهما كانت قريبة كقرب الأمِّ من أولادها، لا بدَّ وأن يشوبها بعض الخلافات، أو قد تصدر بعض التصرُّفات من أحد الطَّرفَين، يؤدِّي إلى غضب أو استياء الطرف الآخر لاسيما العلاقة الزوجيَّة، ويمكن أن نقول إنَّه تكاد لا تخلو أي حياة زوجيَّة من مشاكل، ويصنِّف علماء النفس أنَّ هذا الأمر طبيعيّ وليس غريبًا، فعند اختلاف الثقافات والتجارب والأنماط الفكريَّة في التحليل والاستنتاج، من المسلَّم به في هذه الحالة أن يكون تنوُّع الآراء والمواقف هو الحاكم وسيِّد الموقف، وبما أنَّ هناك اختلاف معناها هناك تغيُّر بالمزاجيَّات التي قد تصل إلى الغضب، مهما كان الزوجان على مستوًى عالٍ من التفاهم والثقافة والمودَّة، ولكن كلام أمير المؤمنين عليه السلام عندما يصف علاقته بزوجتهِ سيِّدة نساء العالمين، فهو يبيِّن لنا مدى عظمتها وتجلِّيها بصفات مميَّزة وغير مكرَّرة في شخصيَّات أخرى، إذ قال عليه السلام: «**فوالله ما أغضبتها ولا أكرهتها على أمر حتَّى قبضها الله عزَّ وجلَّ إليه، ولا أغضبتني، ولا عصت لي أمرًا، ولقد كنت أنظر إليها فتنكشف عنِّي الهموم والأحزان**»[1].

(١) حياة أمير المؤمنين عليه السلام عن لسانه، محمَّد محمَّديان، ج١، ص١٠٦، المجموعة: مصادر سيرة النبيّ والأئمَّة.

والحديث هنا فيه جانبان، جانب صفات الزوج المثاليّ الذي هو سبب رئيس في حفظ الزوجة ورعايتها، من خلال عدم إكراهها على أي شيء في هذه الدنيا (حتَّى في الأمور الطوعيَّة، قد يكون للزوج الحقَّ الشرعيّ في هذا الأمر، لكنَّه فيه إرهاق وتعب للزوجة، أو إكراه، فما أكرهها على أمر حتَّى ارتحلت سلام الله عليها)، والجانب الثاني هو صفات الزوجة المثاليَّة التي لم تعصِ زوجها طرفة عين أبدًا، وفي هذا تجسيِّد لطاعة الزوجة لزوجها، التي أمرها الله تعالى بها، كي تكون نسمة عطرة وملاذ للزوج حتَّى يقول عنها (سلام الله عليها): «**ولقد كنت أنظر إليها فتنكشف عنِّي الهموم والأحزان**». إذًا فعلًا كان كفؤًا لها وكانت بلسمًا له، حتَّى استحقَّا منقبة زواجهما في السماء قبل الأرض، وأكتفي بذِكر رواية واحدة عن هذا الزواج المبارك، إذ روي أنَّ جبرئيل روى عن الله تعالى قوله ﷻ: «**الحمد ردائي، والعظمة كبريائي، والخلق كلُّهم عبيدي وإمائي، زوَّجت فاطمة أَمَتي من عليٍّ صفوتي، إشهدوا ملائكتي**»[1]. اللهمَّ صلِّ على محمَّد وآل محمَّد، وهنا يتوقَّف الكلام عنها ومكانتها وصفاتها، فأيّ امرأة كان زواجها في السماء قبل الأرض؟ فالله تعالى اختار زوجها، وكانت الملائكة خطَّابها، وزُفَّت من الحور العِين.

## الزَّهراء عليها السلام الأمّ

الأمومة هي أروع نعمة أنعمها الله على النساء، والمرأة الأمّ هي أنموذج للرقَّة والحنان والعاطفة والشفافيَّة، وبمجرَّد أن تصبح البنت أمًّا حتَّى تتحوَّل إلى كتلة من المشاعر وقوَّة الشخصيَّة والشعور بالمسؤوليَّة، بغضِّ النظر عن الحالات الخاصَّة التي تمرُّ بها في بعض الأحيان، من اكتئاب بعد الولادة، والتي تصاب بها الأمّ لأوَّل مرَّة بعد فترة من الولادة؛ بسبب كثرة المسؤوليَّات التي تتعرَّض لها لأوَّل مرَّة، كذلك بعض النوبات

(١) مناقب آل أبي طالب، فاطمة الزَّهراء، ج٨، تأليف: رشيد الدين بن شهر آشوب، تحقيق: السيِّد عليّ السيِّد جمال أشرف الحسينيّ.

العصبيَّة من أثر التربية، ولكن يبقى قلب الأمّ هو النابض بالحبِّ والعطاء والمودَّة لكلِّ الأسرة، وخصوصًا أطفالها، فكيف الحال إن كانت هذه الأمّ هي سيِّدة نساء العالمين، وهي أمُّ أبيها (سلام الله عليها)، ماذا أعطت وماذا تحمَّلت حتَّى تصبح أمَّ سيِّدي شباب أهل الجنَّة، ماذا قدَّمت لابنتها حتَّى تكون جبل من الصبر والصمود مجلَّل بحجاب العفَّة والإيمان، قمَّته منبر الحقِّ وصوت الحقيقة، وقاعدته خيمة الحبِّ والطمأنينة التي ضمَّت بداخلها أطفال وعيال الحسين عليه السلام، فكيف تكون أمُّ هذه الثلَّة الطاهرة، أمراء الجنَّة، وهي التي قال عنها الله سبحانه في حديث الكساء، كما جاء في الحديث القدسيّ: «**هم فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها**»[1]. إذًا فاطمة هي المحور المشترك بين النبوَّة والإمامة، فلنتطرَّق لبعض الإشارات من صفاتها الشفَّافة الرقيقة في التعامل مع أبنائها، وهذه الصفات والطرق هي منهج مدروس للتربية، وهذه هي الطريقة الحديثة والصحيحة التي يدعو لها علماء النفس، فإن كنت تريد ابنًا صادقًا، فلا تكذب أنت، وإن كنت تريده أن يحترمك ويعامل إخوانه بلطف، فكن أنت كذلك، وهكذا.

**درس العبادة:**

أوَّل درس كانت تحرص على تعليمه لأطفالها هو حقُّ الله تعالى، والحرص على العبادة بطريقة بسيطة، وهي التقليد، فالطفل هو مقلِّد لا إراديّ لأبويه ومَن حوله، فكان أطفالها يقتدون بعبادتها (سلام الله عليهم أجمعين)، وقد شهد الرسول صلى الله عليه وآله لها قائلًا: «**إنَّ ابنتي فاطمة ملأ الله قلبها وجوارحها إيمانًا إلى مشاشها؛ ففرغت لطاعة الله**»[2]، وقال صلى الله عليه وآله: «**إنَّها متى قامت في محرابها بين يدي ربّها جلَّ جلاله زهر نورها لملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض، ويقول الله عزَّ وجلَّ لملائكته: يا ملائكتي أنظروا إلى**

(١) حديث الكساء.

(٢) الخصائص الفاطميَّة، الشيخ محمَّد باقر الكجوريّ، ج١، ص٦٢٩، المحقِّق السيِّد عليّ جمال أشرف.

**أَمَتي فاطمة سيِّدة إمائي، قائمة بين يديَّ، ترتعد فرائصها من خيفتي، وقد أقبلتْ بقلبها على عبادتي، وأُشهدكم أنِّي قد آمنت شيعتها من النار»**[١].

حتَّى قال ولدها الإمام الحسن بن عليّ عليهما السلام: «**رأيت أمِّي فاطمة عليها السلام قائمة في محرابها ليلة جمعتها، فلم تزل راكعة ساجدة حتَّى اتَّضح عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسمِّيهم وتُكثر الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت لها: يا أماه لِمَ لم تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بني الجار ثمَّ الدار**»[٢].

**درس المودَّة والعاطفة والإيثار:**

وتجلَّى هذا الدرس عند سيِّدتنا عليها السلام في علاقتها الودودة مع أطفالها، وطريقة تعاملها معهم، فنقرأ في حديث الكساء عندما تردُّ على ولديها السلام، تقول: «**وَعَلَيكَ السَّلامُ يا قُرَّةَ عَينِي وَثَمَرَةَ فُؤادِي**»، والأعظم من هذا هي في اللحظات الأخيرة قبل وفاتها، فعلى الرغم من كلِّ الويل والظلم الذي تعرَّضت له (سلام الله عليها)، إلَّا أنَّها قامت بواجبها كأم، فأطعمت صغارها، وبدَّلت ثيابهم، ثمَّ نوَّمتهم وأوصت عليهم فضَّة خادمتها، ثمَّ دخلت محراب صلاتها.. سبحان الله.. ما هذه القوَّة الإيمانيَّة العظيمة التي تحلَّت بها سيِّدة نساء العالمين، إذ آثرت راحة أطفالها والمسؤوليَّة تجاههم على نفسها حتَّى في أصعب لحظاتها، فهذه حقًّا صفات الأمِّ المثاليَّة الشفَّافة.

**درس بناء الشخصيَّة والتدريب على تحمُّل المسؤوليَّة**

وهذه من العلوم الكبيرة والعظيمة التي اختلف فيها علماء النفس، وأُجريت عليها بحوث كثيرة في سبيل الوصول إلى الطرق الصحيحة، فوجدوا أنَّ منهج الإسلام هو المنهج الصحيح في التربية الصحيحة، ومن أهمِّها هو تعزيز شعور الأطفال في تحمُّل المسؤوليَّة، فكانت سلام الله عليها تعلِّمهم أنَّ كلَّ شخص يتحمَّل مسؤوليَّة نفسه، بأن

(١) بحار الأنوار، ج٢٨، ص٣٨.

(٢) المصدر نفسه، ج٤٣، ص٨٢.

يبادر هو لإكمال حاجياته اليوميَّة، ولا يوجد من يخدمه، بالرغم من وجود فضَّة رضوان الله عليها، بل حتَّى مع فضَّة كانت تقسِّم العمل، يوم عليها ويوم على فضَّة إنسانيَّةً وشفقةً منها على خادمتها.

والدروس كثيرة وكبيرة في كلِّ جوانب حياتها سلام الله عليها، وليس في جانب تربية الأطفال، فهي خيرة قدوة وأسوة للرجال والنساء على حدٍّ سواء.

نستنتج ممَّا سبق أنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام هي رمز المحبَّة والحنان، واجتمعت فيها جميع صفات الشفافيَّة ولا عجب.

## الفصل الثاني

### صفات القوَّة والعزيمة في شخصيَّة الزَّهراء عليها السلام

القوَّة في اللغة: تعني متانة البنية، شدَّة الخلق، نشاط، صلابة. والجسم القويّ: هو الجسم السليم من الأمراض، فلربَّما يتبادر في الأذهان أنَّ قوَّة الجسم تعني العضلات، لكنَّ العضلات جزءٌ من قوَّة الجسم فقط، وليست كلَّ شيء، فالجسم الذي يعاني من المرض، ليس جسمًا قويًّا، فمن المعروف أنَّ الأمراض تُضعِف الجسم من عدَّة نواحي، فقبل التفكير بقوَّة العضلات يجب التأكُّد من صحَّة الجسم.

وعرَّفها المهاتما غاندي: «القوَّة لا تأتي من القدرة البدنيَّة، وإنَّما من العزيمة التي لا تُقهَر».

ومن علامات قوَّة النفس أن تكون قوَّة النفس محطَّة الدعم، والإمـدادات التي يقابل بها الإنسان العقبات التي يواجهها في حياته، وتتمثَّل في الكثير من المميِّزات، وتتضمَّن: المزاج الإيجابيّ، والنزاهة، والسلام الداخليّ، والقلب الدافئ، والحس السليم، وحدَّد الباحثون نقاط قوَّة أخرى، مثل: التراحم، والتعلُّق بالأمور الجيِّدة، مثل: الأمن والتفاؤل، ووجود الذكاء العاطفيّ، والمرونة، والقدرة على التنظيم الذاتيّ، بالإضافة إلى الرضا واحترام الذات، وغيرها من الأمور الإيجابيَّة، وتكون نقاط القوَّة هذه مصدرًا دائمًا لدى الشخص للعمل بفعَّاليَّة في حياته، ومصدرًا دائمًا للراحة لديه[1].

(1) https: //mawdoo3.com/%D9%83%D9%8A%D9%81_%D8%A3%D8%B5%D8%A8%D8%AD_%D9%82%D9%88%D9%8A_%D8%A7%=

**وللقوَّة في أقوال أهل البيت عليهم السلام مفهومٌ آخر:**

قال الإمام عليّ عليه السلام: «**أصل قوَّة القلب التوكُّل على الله**»(١)، وعنه عليه السلام: «**أحي قلبك بالموعظة، وأَمِته بالزَّهادة، وقوِّه باليقين**»(٢)، وقال الإمام الصادق عليه السلام: «**إنَّ قوَّة المؤمن في قلبه، ألا ترون أنَّكم تجدونه ضعيف البدن نحيف الجسم، وهو يقوم الليل ويصوم النهار**»(٣).

## القوَّة في شخصيَّة الزَّهراء عليها السلام

السيِّدة الزَّهراء عليها السلام هي الحجَّة على الحجج، وهي التي يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها سلام الله عليها، لا لشيء، بل لأنَّها أطاعته بكلِّ ما تملك، روحًا وجسدًا وفكرًا ومنبعًا، ففيها وبأسرتها نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾(٤)، وهذا ينطبق مع كلام أمير المؤمنين عليه السلام من أنَّ أصل قوَّة القلب التوكُّل على الله، فهي كانت متوكِّلة على الله تعالى، مطيعة له، فكسبت قوَّة القلب والمنطق والفكر، رغم أنَّها مريضة نحيلة الجسم، مكسورة الضلع، لكنَّها (سلام الله عليها) لم تتخلَّف خطوة واحدة عن العبادة، وهذا يعطيها قوَّة الإيمان التي يتحدَّث بها الإمام الصادق عليه السلام بقولهِ أعلاه: «**إنَّ قوَّة المؤمن في قلبه، ألا ترون أنَّكم تجدونه ضعيف البدن نحيف الجسم، وهو يقوم الليل ويصوم النهار**»، وهذا أعطاها قوَّة كبيرة وصلابة في التصدِّي لأعداء الدين الذين لم يحفظوا

=D9%84%D8%AC%D8%B3%D9%85.

(١) ميزان الحكمة، محمَّد الريشهريّ، ج٣، ص٢٦١٧، المجموعة: مصادر الحديث الشيعيَّة، القسم العام، تحقيق: دار الحديث.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) الإنسان: ٥-٢٢.

رسول الله صلى الله عليه وآله، والمرء يُحفَظ في ولده، ولكن جازوه بمحاربة أهل بيته وأحبابه ومخالفة رأيه صلى الله عليه وآله، فخرجت الزَّهراء عليها السلام بكلِّ ما أوتيت من قوَّة؛ لردع الظالمين، والمطالبة الحثيثة في استرجاع الحقوق، حقّ الخلافة، وحقّ الزعامة، وحقّ كسر الضِّلع وإسقاط الجنين، وحقّها في الميراث، على الرغم من حالتها الضعيفة وجسدها النحيل، ومرضها الشديد إثر الضَّرب والاعتداء عليها، وسنتناول بعض صور المعارضة والمقاومة الشريفة التي مثَّلتها سيِّدة نساء العالمين بخروجها، وخطبتها الفدكية:

## الصورة الأولى: امتناعها من فتح باب دارها عليها السلام

امتنعت الزَّهراء عليها السلام من فتح الباب؛ لأنَّها رافضة ما جاءوا به، يريدون إرغام أمير المؤمنين عليه السلام من مبايعة الخليفة الأوَّل، فكلَّمتهم من وراء الباب، كما تنقل الرواية: «وجمعهم الجزل والحطب على الباب لإحراق بيت أمير المؤمنين وفاطمة.. وإضرامهم النار على الباب، وخروج فاطمة، وخطابها لهم من وراء الباب..»[1]، أي إنَّها لم تفتح الباب ولم تستقبلهم، بل تذكر روايات أهل البيت عليهم السلام: إنَّ عمر دفع الباب ليدخل، وكانت فاطمة وراء الباب، فأصابت بطنها، فأسقطت من ذلك جنينها المسمَّى بالمحسن»[2]، إذًا هي كانت رافضة لهم جملةً وتفصيلًا.

## الصورة الثانية: هيئتها عند الخروج للمسجد النبويّ

إنَّ هيأة الزَّهراء (سلام الله عليها) عند خروجها من بيتها للمطالبة بفدك يدلُّ دلاله واضحة أنَّها (سلام الله عليها) كانت غاضبة وغير راضية على مَن هجموا على دارها واغتصبوا ميراثها، والأهمّ من كلِّ ذلك، هي أنَّها خرجت للدفاع عن حقِّ زوجها أمير المؤمنين عليه السلام، إذ غصبوا الخلافة، وحشدوا الحشود من أجل الحصول على الكرسيّ والمنصب، فالخلافة بالنسبة لهم أطماع دنيويَّة ومكاسب ماليَّة، فتقول الرواية إنَّ السيِّدة

(١) مأساة الزَّهراء عليها السلام، السيِّد جعفر مرتضى، ج٢، ص٢٩٠، معاصر، دار السيرة بيروت، لبنان.
(٢) المصدر نفسه، ص١٣٤.

الزَّهراء عليها السلام عن عبد الله بن الحسن عليه السلام بإسناده عن آبائه عليهم السلام أنَّه لـمَّا أجمع القوم على منع فاطمة عليها السلام فدك، وبلغها ذلك، لاثت خمارها على رأسها، واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لـمَّة من حفدتها ونساء قومها، تطأ ذيولها، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله»[1]، وهذه مشية وقار وإجلال وقوَّة ورفض واحتجاج.

ولكن بعضهم يسأل: هل خرجت الزَّهراء عليها السلام بنفسها لقلَّة الناصر؟.

والجواب: إنَّ الزَّهراء عليها السلام وزوجها أمير المؤمنين عليه السلام لم يتخلَّفا لحظة واحدة عن منهج رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنَّهما مكمِّلان لطريق الرسالة، وهما يكمل أحدهما الآخر، ولكن الذي حدث يوم الهجوم على الدار أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام كان مقيَّدًا بوصيَّة من رسول الله صلى الله عليه وآله، هذه الوصيَّة يتوقَّف عليها بقاء الدين وديمومته، وإلَّا فهو لا يتعدَّاه أحد في الشجاعة، وهو الضارب بالسَّيفَين، والطاعن بالرُّمحين، أبا السبطَين الحسن والحسين، ذاك هو أمير المؤمنين عليّ بن ابي طالب (عليهم السلام أجمعين)، فهنا تصدَّت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بنفسها للدفاع عن حقِّ زوجها وابن عمِّها امير المؤمنين عليه السلام أوَّلًا، وعن حقِّها وإرثها ثانيًا.

**الصورة الثالثة: خطبتها وما تناولت بها من مفردات**

الخطبة الفدكيَّة هي من الخطب البلاغيَّة الراقية التي تحمل تحت طيَّاتها الكثير والكثير من العِبَر والـدروس، وتوضيح للحقائق، والأهمّ من ذلك فيها بيان مقام الزَّهراء عليها السلام، إذ قالت: «**إعلموا أنِّي فاطمة وأبي محمَّد** صلى الله عليه وآله»[2]، فهذه الإشارة تكفي لتذكير الناس بمكانتها عليها السلام عند الله ورسوله، ثمَّ تؤكِّد على صدق كلامها، وهي الصدِّيقة الطاهرة سلام الله عليها: «**ولا أقول ما أقول غلطًا، ولا أفعل ما أفعل**

(١) الأسرار الفاطميَّة، الشيخ محمَّد فاضل المسعوديّ، ص٤٧٠، المجموعة: من مصادر العقائد عند الشيعة الإماميَّة، تحقيق: السيِّد عادل العلويّ.

(٢) المصدر نفسه.

**شططًا»**[١]، تريد أن تقول للناس بهذه الجملة: إنَّ خروجي هذا من بيتي هو مؤيَّد من الله ورسوله ﷺ، بمعنى لو كان رسول الله ﷺ حاضرًا اليوم لخرج بنفسه وفعل ما فعلت، نعم فأنا بضعته وروحه التي بين جنبَيه، فأنا الحوراء الإنسيَّة التي باتت أمًّا لأبيها وسندًا له ﷺ، فهل هذا جزاؤه؟. ثمَّ تصف حالهم: «**وكنتم على شفا حفرة من النار.. أذلَّة خاسئين، تخافون أن يتخطَّفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمَّد ﷺ بعد اللتيا والتي**»[٢]، وهذا هو عين الرفض ولسان المقاومة، وفيه تصريح واضح على أنَّهم ظلموها، وهي رافضة لهذا الظلم (سلام الله عليها).

**الصورة الرابعة: عيادة نساء المدينة لها في مرضها**

تذكر الروايات أنَّه بعد الهجوم على الدار الشريف، واسقاط جنين الزَّهراء عليها السلام، جاءت مجموعة من نساء المدينة لعيادتها في مرضها، فقلن لها: كيف أنتِ؟.

قالت: «**أجدُني والله كارهة لدنياكم، مسرورة لفراقكم، ألقى الله ورسوله بحسرات منكنَّ، فما حُفِظ لي الحقُّ ولا رُعيت منِّي الذِّمة، ولا قُبِلت الوصيَّة ولا عُرفت الحرمة**»[٣]، والكلام لا يحتاج إلى تعليق، فكلامها واضح (سلام الله عليها)، وهي بهذه الكلمات أوصلت رسالة لرجال المدينة عن طريق نسائهم، من أنَّها كارهة لهذه الدنيا الفانية التي لم تحفظ فيها وديعة نبيِّكم ﷺ، وبالتالي يكون السرور بفراقكم، والمتمعِّن بهذه الكلمات العظيمة يعرف جيِّدًا أنَّه قد أصابه غضب الجبَّار الذي يرضى لرضا وفاطمة ويغضب لغضبها (سلام الله عليها)، وقد يتبادر إلى الذهن سؤال، وهو لماذا اغتصبوا فدك بالذات، مع أنَّ الخلافة كلُّها بيدهم؟.

---

(١) الأسرار الفاطميَّة، الشيخ محمَّد فاضل المسعودي، ص٤٧٠.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الهجوم على بيت فاطمة عليها السلام، عبد الزَّهراء مهدي، ص٤٢٨. المجموعة: من مصادر العقائد عند الشيعة الإماميَّة، ط١، ١٤٢١هـ.

والجواب: كان للسلطة الجائرة عدَّة مساعي لاغتصاب فدك، ففي ذلك تحقيق لمآربهم، والتي منها:

١. إنَّهم بهذا الفعل يريدون أن يبيِّنوا للناس أنَّنا أصحاب سلطة وقوَّة ولا يقف بوجهنا أي شخص، وهذا يسدُّ الباب على كلِّ طالب حقٍّ، فإذا أُخذ حقُّ الزَّهراء عليها السلام، بوجود أمير المؤمنين عليه السلام، فكيف بالمجتمع البسيط، كيف يقوى أي شخص من العامَّة برفع صوته طالبًا حقَّه من هذه السلطة الظالمة.

٢. تشير المصادر إلى أنَّ فدكًا كانت أرضًا زراعيَّة واسعة المساحة، وفيرة المحصول، وقد اشتُهِرت بزراعة القمح والتمور، وكانت وارداتها تسدُّ حاجة الفقراء والمحتاجين، وتدرُّ أرباحًا كبيرة، وكانت هذه الموارد تُنفق على فقراء بني هاشم وغيرهم، فطمع الخليفة الأوَّل بها للتصرُّف فيها لأموره الشخصيَّة من جهة، ولأضعاف جملة من فقراء بني هاشم من جهة أخرى، الذين كانوا يعتمدون على هذه المزرعة في معيشتهم، والشخص المتحيِّر بلقمة عيشة لا يقوى على مقاومة السلطات الجائرة كما هو معروف في كلِّ المجتمعات، وهذه خطَّة خبيثة لأضعاف القوم وإشغالهم بلقمة العيش؛ ليخلوا لهم الطريق، ويسهل عليهم ظلم الناس.

**الصورة الخامسة: وصيَّتها في الدفن، وإخفاء القبر**

تذكر الرواية «عن ابن طريف، عن ابن نباته، قال: سُئل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام عن علَّة دفنه لفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ليلًا، فقال: **إنَّها كانت ساخطة على قومٍ كرهت حضورهم جنازتها، وحرام على من يتولَّاهم أن يصلِّي على أحد من ولدها**»[1]، وهذه فعلًا صورة حقيقيَّة من صور المقاومة والرفض القاطع لمن استلم الحكم والسلطة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنَّها سلام الله عليها ساخطة كارهة لحضور هؤلاء

(١) بحار الأنوار، ج٤٣/ ٢٠٩.

الزمرة الجائرة، فأوصت بدفنها ليلًا، وأن يعفى قبرها حتَّى يُحرم هؤلاء الزمرة الفاسقة من الفرصة الأخيرة لحصولهم على بركات الوقوف على قبرها الطاهر، والتوسُّل بها في حال انتبهوا لفعلتهم الشنيعة بها (سلام الله عليها).

نستنتج من ذلك أنَّ السيِّدة الطاهرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام هي فعلًا تستحقُّ المكانة العظيمة التي وهبها الله إياها؛ لأنَّها تمثَّلت بصفات القوَّة والشجاعة والحزم في مجابهة الظَّلَمة، رغم كلّ ما جرى عليها من فَقدِ والدها صلى الله عليه وآله، وإسقاط جنينها، وكسر ضلعها، واختلاف القوم عليها، وممَّا زاد من ألمها الاعتداء الكبير على زوجها وابن عمِّها أمير المؤمنين عليه السلام.

## الفصل الثالث

# كانت لهنَّ قدوة

## خروج الزَّهراء عليها السلام أساس كلّ ثائرة فاطميَّة

أسَّست السيِّدة الزَّهراء عليها السلام منهجًا وأساسًا قويًّا يمكن أن تعتمد عليه كلّ امرأة، بل حتَّى كلّ رجل، فالذي يدرس منهج سيِّدة نساء العالمين، ويمشي على خطاها، ويضع نصب عينيه رضا الله ومصلحة الإسلام بالتأكيد سيصل إلى أعلى مراتب الإيمان، ويحضى بأعلى درجات الجهاد، والنصر حليفه مهما كانت الطريقة.

وقد اقتدى بسيِّدة نساء العالمين ثلَّة كبيرة من النساء، واختلف الاقتداء حسب المكان والزمان والظروف المحيطة بالمقتدي، ومنهنَّ:

### ١. ابنتها ووريثتها السيِّدة زينب بنت عليّ عليها السلام

وهي السيِّدة الجليلة الحَوْرَاءُ زَيْنَبُ بِنْتُ عَلِيٍّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الملقبة بـزَيْنَب الكُبْرَى، ولِدت في السنة الخامسة بعد الهجرة، وتوفِّيت في السنة الثانية والستِّين للهجرة، وهي ثالث أولاد السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام بنت الرسول محمَّد صلى الله عليه وآله وأبوها الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وهي الأخت الشقيقة للسبطَين الحسن والحسين عليهما السلام، ولها مكانة عظيمة عند الله تعالى، لما قامت به من دور عظيم في معركة كربلاء التي قُتِل فيها أخوها الإمام الحسين عليه السلام، وعدد من أهل بيته، وهي معصومة بالعصمة الصغرى، بناءً على قول ابن

أخيها الإمام عليّ بن الحسين السجَّاد: «يا عمَّة، أنتِ بحمد الله عالِمة غير معلَّمة، وفهمة غير مفهَّمة»[١].

اقتدت السيِّدة زينب بأمها الزَّهراء (سلام الله عليها) لتكون ناصرة ومدافعة لإمام زمانها الإمام الحسين، ومن بعده ابنه الإمام السجَّاد عليهما السلام، فالإمام الحسين عليه السلام عسكريًّا خسر المعركة، لكن واقعيًّا فاز فوزًا عظيمًا، وأحيا الدين بعد أن لم يبقَ من الإسلام إلَّا اسمه، وهو فعلًا انتصار الدمِ على السيف، ومعركة الإمام الحسين عليه السلام لم تعتمد على السيف فقط، بل كانت هناك جوانب عديدة أهمّها هو ارتفاع صوت الحقيقة ومقاومة الباطل على لسان الإمام زين العابدين عليه السلام، وعمته السيِّدة زينب عليها السلام، ومن صور الاقتداء:

١. **الخطابة**: اتَّخذت السيِّدة زينب كأمِّها الزَّهراء عليها السلام منهج الخطابة للدفاع عن إمام زمانها، وعن الإصلاح الذي خرج من أجله سيِّد شباب أهل الجنَّة الإمام الحسين عليه السلام، فكان لهذه الخطابة دور عملاق في كشف الحقائق للناس، ولقلب الطاولة ضدَّ يزيد وأعوانه، ولها أكثر من خطبة، الأولى خطبتها في الكوفة؛ لتأجيج الناس ضدَّ السلطة بعد أن بيَّنت لهم الحقيقة التي خرج لأجلها الإمام الحسين عليه السلام، ثمَّ خطبتها في الشام، التي قلبت المجلس كلَّه ضدَّ يزيد حتَّى ارتعب منها، وغيَّر سياسته الظاهريَّة مع آل بيت الرسول.

٢. **البكاء**: اتَّخذت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام البكاء وسيلة للمقاومة، وإرعاب العدو، فكانت تبكي بكاءً شديدًا بعد فراق والدها، فجاء القوم إلى الإمام عليّ عليه السلام، «فقالوا له: يا أبا الحسن إنَّ فاطمة تبكي الليل والنهار، فلا أحد منَّا يتهنَّأ بالنوم في الليل على فراشنا، ولا بالنهار لنا قرار على أشغالنا وطلب معايشنا، وإنَّا

(١) الاحتجاج، الشيخ الطبرسيّ، ج٢، ص٣١، (ت٥٤٨هـ)، المجموعة: مصادر الحديث الشيعيَّة، القسم العام، تحقيق وتعليق وملاحظات: السيِّد محمَّد باقر الخرسان، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

نخبرك أن تسألها إمَّا أن تبكي ليلًا أو نهارًا»[1]. وقد يتبادر إلى الذهن: هل كانت الزَّهراء عليها السلام تبكي بصوت عالٍ، أو هل كان لها مكبِّرات صوت حتَّى انزعج منها أهل المدينة، بحيث لايهنأ أحد بالنوم، لا وحتى بالنهار، وكلُّ شخص هو في عمله، فإنَّه ليس له القدرة على إتمام عمله بسبب بكاء الزَّهراء (سلام الله عليها)؟.

والجواب: بالتأكيد كانت الزَّهراء عليها السلام تبكي في بيتها، ولا يُسمع صوتها، ولكن كان مجرَّد بكاؤها يعدُّ ثورة ضدَّ الظالمين، هذا البكاء يؤجِّج مشاعر الناس، فيه استذكار لمقامها وقربها من والدها رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا يسبِّب قلقًا لمن تسلَّط على الدولة والسلطة، وهنا اقتدت ابنتها زينب (سلام الله عليها)، فبالرغم من كلِّ الدور الذي قامت به السيِّدة زينب خلال يوم عاشوراء، وحفظ العيال، والسبي والأربعين، فعند العودة لمدينة جدِّهم صلى الله عليه وآله، لم تقف عند هذا الحدِّ (سلام الله عليها)، بل اتَّخذت البكاء- كأمِّها- وسيلة للمقاومة، وتأجيج الناس، وكشف الحقائق، فتذكر الروايات أنَّ السيِّدة زينب عند عودتها للمدينة كانت تقيم مجالس العزاء والبكاء على أخيها الحسين عليه السلام، فلمَّا وصلت إلى المدينة توجَّهت إلى مسجد جدِّها صلى الله عليه وآله، ومعها جماعة من نساء بني هاشم، وأخذت بعُضادَتي باب المسجد ونادت: «**يا جدَّاه! إنِّي ناعية إليك أخي الحسين**»، وحضرت عندها نساء أهل المدينة ليُشاركنها في ذرف الدموع، ورفع الأصوات بالصراخ والعويل، وكان الوضع يتطلَّب من السيِّدة زينب أن تتحدَّث عمَّا جرى عليها وعلى أسرتها طيلة هذه الرحلة، وتتناوب عنها السيِّدات الهاشميَّات اللاتي حضرن في كربلاء، ونظرن إلى تلك المآسي

(١) بيت الأحزان، الشيخ عبَّاس القمِّيّ، ص١٦٥، (ت١٣٥٩هـ)، المجموعة: من مصادر العقائد عند الشيعة الإماميَّة، ط١، ١٤١٢هـ.

والفجائع، وشاهدن المجازر التي قام بها أتباع الشياطين من بني أميَّة، وتذكر المصادر أنَّه «كانت النسوة يخرُجن من مجلس العزاء وقد احمرَّت عيونهنَّ من كثرة البكاء، وكلُّ امرأة مرتبطة برجل أو أكثر، من زوجٍ أو أبٍ أو أخ أو ابن، وتقصُّ عليهم ما سمعته من السيِّدة زينب عليها السلام من الفجائع التي وقعت في كربلاء، وفي الكوفة، وفي طريق الشام، وفي مجلس يزيد، وفي مدينة دمشق بصورة خاصَّة.

كان التحدُّث عن أيِّ مشهد من تلك المشاهد المؤلمة يكفي لأن تمتلئ القلوب حقدًا وغيظًا على يزيد، وعلى من يدور في فلكه، وحتَّى الذين كانوا يحملون الحبَّ والوداد لبني أميَّة، انقلبت المحبَّة عندهم إلى الكراهية والبغض، كما وأنَّ الذين كانوا يكنُّون الطاعة والانقياد للسلطة الحاكمة، صاروا على أعتاب التمرُّد والثورة ضدَّ السلطة»[1].

وسأكتفي بهذا القدر من الاقتداء، وإلَّا فإنَّ الكلام يطول ويطول حول صور الاقتداء، سواء كان بالعبادة، أو رعاية العائلة، أو حفظ الأمانة، أو الحجاب، أو دورها في تنشئة أبناء صالحين، وغيرها كثير.

## ٢. السيِّدة الفاضلة العلويَّة بنت الهدى آمنة الصدر (رحمها الله)

عندما نتكلَّم عن الاقتداء بالسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، تُشكِل الكثير من النساء بحجَّة أين الثرى من الثريا، أين أنا من السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وهذه فتنة بحدِّ ذاتها؛ لأنَّ المرأة الصالحة يجب عليها اختيار قدوة فاضلة، لها مكانة عظيمة عند الله تعالى، وإلَّا فهي لا تستحقُّ أن تكون قدوة لغيرها من النساء، وهذا فعلًا ما فعلته هذه السيِّدة الجليلة بنت الهدى (رحمة الله عليها) أن اتَّخذت من جدَّتها الزَّهراء عليها السلام قدوة لها في محاربة الظلم

(١) زينب الكبرى من المهد إلى اللحد، السيِّد محمَّد كاظم القزوينيّ، ص٥٢٣، نوع الملف: PDF.

والظالمين، في عصر كان فيه مَن ينطق بكلمة حقٍّ فالموت مصيره. وقد ولِدت العلويَّة آمنة حيدر الصدر (بنت الهدى) في مدينة الكاظميَّة في العام ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٧م، ولم يتجاوز عمرها الستَّة أشهر حتَّى فارق والدها الحياة، لتعيش يتيمة في كنف والدتها وأخويها السيِّدين السيِّد إسماعيل، والسيِّد محمَّد باقر، وهو الأخ والمرجع والأستاذ والصديق، تشاركه التفاني في خدمة الإسلام في وسط موبوء بالإلحاد، والتحلُّل من القيم والأخلاق.. صار يرشدها، وهي تشدُّ أزره.. حتَّى جمعهما قدر الشهادة الذي تمنَّياه معًا.

ولم تدخل رضوان الله عليها مدرسة رسميَّة، بل تلقَّت علومها على يد والدتها العلويَّة (رحمة الله عليها)، وبمساعدة أخويها، ولأنَّها فتاة ذكيَّة، فقد تعلَّمت كلَّ ما يمكن أن تتعلَّمه طالبة في تلك المدارس وأكثر.. فتعلَّمت القراءة والكتابة والحساب على أيديهم، ولم تكتفِ بدراسة المناهج الرسميَّة، كما درست علوم النحو والأصول والفقه والمنطق وغيرها من العلوم الدينيَّة[1].

والمرحلة التي عاشتها السيِّدة بنت الهدى هي من أصعب المراحل التي تمرُّ على المتديِّن؛ لأنَّ فيها ظلم وطغيان وقتل ودمار ونشرُ متعمَّد للفساد، فهنا كان لا بدَّ من هذه السيِّدة الطاهرة أن تمشي على خطى جدَّتها الزَّهراء عليها السلام، بعدَّة طرق، لمقاومة هذا النظام الظالم، وبما يناسب الظرف آنذاك، ومن هذه الطرق:

١. اتَّخذت من التأليف والكتابة وسيلة لنشر تعاليم الدين الإسلاميّ، ورفض كلِّ ما يفسد هذا الدين القويم، وبالطبع هذا لم يُعجِب الحكام، واللعين الهدام في ذلك الوقت حبسها، وتعرَّضت لأنواع عديدة من الضرب والتعذيب، حتى وصل لإعدامها رحمة الله تعالى عليها، وكانت تختار المواضيع المهمَّة في

(١) ينظر موقع خيبر (صحيفة إلكترونيَّة، إخباريَّة، سياسيَّة، مستقلَّة)
https: //khabir.net/article.php?id=21246&cid=284&catidval=0.

الكتابة كموضوع الحجاب، والشبهات الواردة حول حريَّة المرأة، والمساواة بين الرجل والمرأة.. فضلًا عن ردودها على الشبهات التي تطرحها التيَّارات الإلحاديَّة حول وجود الله، فكانت تدافع عن الإسلام بعشقٍ وتفانٍ، فأثَّرت فيمن حولها من النساء اللاتي صرن يحذون حذوها، وصارت هي القائدة والقدوة.

٢. أشرفت على مدارس الزَّهراء، ففي العام ١٩٦٧م، تمَّ اختيار العلويَّة بنت الهدى للإشراف على مدارس الزَّهراء في بغداد والكاظميَّة، والتي كانت تابعة في ذلك الوقت لـ(جمعيَّة الصندوق الخيريّ الإسلاميّ)، فوضعت بنت الهدى المناهج التربويَّة لمدارس الزَّهراء، التي تحوي مبادئ وقيم الإسلام، لاسيما تلك التي تحتاجها المرأة، كما دأبت العلويَّة على إقامة الندوات الأسبوعيَّة والشهريَّة في المدارس التي تُشرف عليها، ومن موقعها كمربِّية وأستاذة انفتحت على الفتيات تستمع لهنَّ، وتحيطهنَّ بالرعاية، وتسعى في حلِّ مشاكلهنَّ العامَّة، وحتَّى الخاصَّة والعائليَّة، فأحببنها، وصارت لهنَّ قدوةً ومثلًا أعلى.. وتعدَّى أثرها عليهنَّ للتأثير على عوائلهنَّ، وهذا هو منهج الزَّهراء عليها السلام، إذ كانت لها حلقات دراسيَّة تشرح فيها أصول الدين والفقة وشرح المسائل الدينيَّة لنساء المدينة، وكانت فعلًا أمًّا حنونًا لهنَّ، إذ تذكر الروايات أنَّها كانت واسعة البال، رحبة الصدر مع النساء في الدرس، حتَّى أنَّ إحداهنَّ ظلَّت تعيد عليها المسألة أكثر من عشرَ مرات، حتَّى استحت السائلة من السيِّدة الزَّهراء، ولكنها عليها السلام أصرَّت أن توصل المعلومة لهذه المرأة البسيطة، وهذا كلُّه في حبِّ الدين والمنهج.

٣. استنهاض الشارع النجفيّ، فكما خرجت سيِّدتها الزَّهراء عليها السلام مدافعة عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبتها الفدكيَّة، وكذلك السيِّدة زينب شحذت الهمم

وحرَّكت مشاعر القوم، ممَّا قَلَبَ الوضع على يزيد بسبب خطبتها في الكوفة، وفي الشام، كذلك العلويَّة بنت الهدى اتَّخذت نفس الطريق ونفس النهج في إحدى الليالي القمريَّة من شهر رجب، فلم تستطع أن تهدأ.. لقد أخذ جلاوزة النظام البعثيّ أخاها السيِّد محمَّد باقر الصدر.. لم تستطع اللحاق به.. لم تكن تجزع من شيء سوى أن تُحرم مشاركة أخيها في كلِّ شيء، حتَّى الشهادة.. فوقفت تكبِّر بشموخٍ زينبيّ.. الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.. فلجأت إلى مرقد جدِّها أمير المؤمنين عليه السلام، ووقفت تنادي وتستحثُّ الضمائر الحيَّة لنصرة مرجعهم المعتقَل.. «الله أكبر.. الله أكبر.. الظليمة الظليمة!! أيُّها الناس هذا مرجعكم قد اعتُقِل».. «يا جدَّاه.. يا أبا الحسن.. إليك نشكو مصابنا من هؤلاء الكفرة الذين هتكوا الحرمات، وها هم قد اعتدوا على إمام الأمة»..فحرَّكت بذلك جماهير النجف الغاضبة لنصرة السيِّد محمَّد باقر الصدر قدس سره.. ولم يطل الأمر كثيرًا حتَّى اضطرَّ النظام إلى الإفراج عنه دون أن يحصل منه على أي تنازل، وهذا ما حرَّض صدام على اعتقالها مع أخيها بعد عشرة أشهر من الإقامة الجبريَّة التي فرضها على السيِّد محمَّد باقر الصدر وعائلته.

٤. اقتدت هذه السيِّدة الجليلة بجدَّتها ليس بالجهاد والخطاب والتدريس والحجاب وحبِّها وعطائها لعائلتها وأخيها، بل واست جدَّتها حتَّى بتغييب قبرها (رحمة الله عليها)، فقد جاء جلاوزة النظام البعث إلى دارها، وهي تعلم أنَّها المرة الأخيرة.. لكنَّها كانت هادئة مطمئنَّة.. فجاءها أحد الجلاوزة يقول: «إنَّ السيِّد أبا جعفر يودُّ أن يراك».. ردَّت بثبات: إذا كان السيِّد يطلبني فسمعًا و طاعة.. دخلت إلى داخل البيت، وأحكمت حجابها، ثمَّ خرجت.. وما عادت.. ولَم يُعرف لها قبرُ.

وتذكر الأخبار أنَّ صدام سُئل عن سبب قتله لـ(بنت الهدى)، فأجاب أنَّه لم يرد أن يرتكب الخطأ ذاته الذي ارتكبه يزيد بإبقائه على حياة زينب..[١].

## النتائج والتوصيات

بعد عرض الصفات الفريدة للسيِّدة الطاهرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وما هي إلَّا قطرة في بحر فضائلها ومناقبها سلام الله عليها، ولكن هي إشارات لحياة هذه السيِّدة الفاضلة، فتظهر لنا في مواقف معيَّنة شخصيَّة الشفافيَّة والطيبة والحنان والعطاء والإيثار، بما يليق بحوريَّة الجنَّة، فهي الحوراء الإنسيَّة (سلام الله عليها)، وفي مواقف أخرى تظهر لنا شخصيَّة القوَّة والحزم والشجاعة والتصدِّي للدفاع عن الإمامة، فيخيَّل للقاصر البسيط الذي يطَّلع على هذه الإشارات أنَّه يجد هناك تباينًا كبيرًا بين الشخصيَّتَين التي تمثَّلت بهما سيِّدة نساء العالمين عليها السلام، ولكن عند التمعُّن والدراسة الكثيفة لحياتها سلام الله عليها، نجد هناك رابطًا كبيرًا وقويًّا يجمع بين الشخصيَّتين، وهو رابط حبّ الله تعالى، رابط رضا الله تعالى، ففي كلِّ موقف تمثَّلت به سلام الله عليها، نجده يصبُّ في رضا الخالق وصلاح الأمَّة؛ لأنَّها المتمِّم لما جاء به أبوها صلى الله عليه وآله، وهي اللسان الناطق لأمير المؤمنين عليه السلام، يوم حفظ وصيَّة رسول الله صلى الله عليه وآله بأن يصبر على ما يرى من ظلم القوم وعدائهم لآل النبيّ بعد وفاته صلى الله عليه وآله، ثمَّ صارت الحجَّة على الحجج من ولدها الأئمَّة الطاهرين، فقال فيها الإمام العسكري عليه السلام: «**نحن حجج الله على الخلائق، وأمُّنا فاطمة حجَّة الله علينا**»[٢]، ويكفي فيها قول الله تعالى في الحديث القدسيّ لرسوله الكريم صلى الله عليه وآله: «**يا أحمد لولاك لما خلقت الأفلاك، ولولا عليّ لما خلقتك، ولولا فاطمة لما خلقتكما**» اللهمَّ صلِّ وسلِّم على

(١) ينظر: موقع خبير (صحيفة إلكترونيَّة، إخباريَّة، سياسيَّة، مستقلَّة).
https: //khabir.net/article.php?id=21246&cid=284&catidval=0.

(٢) الأسرار الفاطميَّة، الشيخ محمَّد فاضل المسعوديّ، ص١٧.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٣١.

محمَّد وآل محمَّد، والحمد لله ربِّ العالمين.

ونوصي بإضافة سيرتها الطاهرة من مصادر موثوقة إلى المناهج الدراسيَّة، وإقامة الندوات والدراسات والمسابقات المشجِّعة لدراسة كتبُ تتكلَّم عن سيرتها (سلام الله عليها)؛ لأنَّها بالفعل قدوة وضَّاءة في حياة كلِّ ثائر وثائرة، ويجب تعزيز طرق الاقتداء بها لنصدِّر للمجتمع نساءً كزينب بنت عليّ عليها السلام، وكبنت الهدى (رضوان الله عليها)، وغيرهنَّ من المجاهدات اللاتي يعملن بصمت، وعلى العتبات المقدَّسة والجامعات الدينيَّة والمجالس الحسينيَّة، وحتَّى كلّ شخص من موضعه، ومن جهازه الذكيّ، أن ينشر للمجتمع هذه السيرة العطرة حتَّى نحظى برضا الخالق جلَّ وعلا.. والحمد لله ربِّ العالمين.

## المصادر

* **القرآن الكريم.**

* **حديث الكساء.**

- الاحتجاج، الشيخ الطبرسيّ، ج٢، الوفاة: ٥٤٨، المجموعة: مصادر الحديث الشيعيَّة القسم العام، تحقيق تعليق وملاحظات: السيِّد محمَّد باقر الخرسان، سنة الطبع: ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.
- الأسرار الفاطميَّة، الشيخ محمَّد فاضل المسعودي، المجموعة: من مصادر العقائد عند الشيعة الإماميَّة، تحقيق: السيِّد عادل العلويّ.
- بحار الأنوار، العلَّامة المجلسيّ، ج٢٨ المجموعة: مصادر الحديث الشيعيَّة، القسم العام، تحقيق: محمَّد الباقر البهبوديّ، ط٢.
- بيت الأحزان، الشيخ عبَّاس القمِّيّ، الوفاة: ١٣٥٩، المجموعة: من مصادر العقائد عند الشيعة الإماميَّة، ط١، ١٤١٢هـ.

- حياة أمير المؤمنين عليه السلام عن لسانه، محمَّد محمَّديان، المجموعة: مصادر سيرة النبيّ والأئمَّة.
- الخصائص الفاطميَّة، الشيخ محمَّد باقر الكجوريّ، المحقِّق: السيِّد عليّ جمال أشرف.
- زينب الكبرى من المهد إلى اللحد، السيِّد محمَّد كاظم القزويني، نوع الملف: PDF.
- الصحيفة الفاطميَّة، للسيِّد محمَّد باقر السيِّد مرتضى الموحد الأبطحيّ الأصفهانيّ، ط١، تحقيق: مؤسَّسة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، قم المقدَّسة.
- مأساة الزَّهراء عليها السلام، السيِّد جعفر مرتضى، معاصر، دار السيرة، بيروت، لبنان.
- مناقب آل أبي طالب فاطمة الزَّهراء، رشيد الدين بن شهر آشوب، تحقيق: السيِّد عليّ السيِّد جمال أشرف الحسينيّ.
- ميزان الحكمة، محمَّد الريشهريّ، المجموعة: مصادر الحديث الشيعيَّة، القسم العام، تحقيق: دار الحديث.
- الهجوم على بيت فاطمة عليها السلام، عبد الزَّهراء مهدي، معاصر، المجموعة: من مصادر العقائد عند الشيعة الإماميَّة، ط١، ١٤٢١هـ.
- موقع خبير (صحيفة إلكترونيَّة، إخباريَّة، سياسيَّة، مستقلة):
  - https: //khabir.net/article.php?id=21246&cid=284&catidval=0.
  - https: //mawdoo3.com/%D9%83%D9%8A%D9%81_%D8%A3%D8%B5%D8%A8%D8%AD_%D9%82%D9%88%D9%8A_%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%B3%D9%85.

# الصورة الاستشراقيّة للسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام في الفكر الاستشراقيّ

الباحثة نور الهدى جابر جياد

## ملخَّص البحث

الحمد لله ربِّ العالمين، بارئ الخلائق أجمعين، باعث الأنبياء والمرسَلين، ثمَّ الصلاة والسلام على سيِّدنا ونبيِّنا وحبيب قلوبنا أبي القاسم المصطفى محمَّد، وعلى أهل بيته الطيِّبين الطاهرين الأبرار المنتجَبين.

أمَّا بعد:

فقد تقدَّمت ببحث عنوانه (الصورة الاستشراقيَّة للسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام في الفكر الاستشراقيّ)، من أجل المساهمة في إضافة فكرة جديدة ونظرة شاملة لدراسة سيرة سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء عليها السلام في الفكر الاستشراقيّ الغربيّ، وكذلك لأجل تصحيح المفاهيم والآراء الخاطئة حول شخصيِّة السيِّدة فاطمة عليها السلام.

تعدُّ السيِّدة فاطمة بنت النبيِّ محمَّد صلى الله عليه وآله واحدة من الشخصيَّات الهامة في التاريخ الإسلاميّ، ولها مكانة رفيعة في قلوب المسلمين، وتعدُّ أيضا قدوة للنساء المسلمات. وبالرغم من نسب السيِّدة فاطمة عليها السلام ومكانتها، فإنَّ الصورة التي رسمها المستشرقون لهذه الشخصيَّة الإسلاميَّة المهمَّة، كانت مختلفة تمامًا عن الصورة التي رسمها التاريخ الإسلاميّ، والتقاليد الدينيَّة والثقافيَّة.

كانت السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام من ضمن الشخصيَّات الإسلاميَّة التاريخيَّة التي تمَّ دراسة سيرتها استشراقيًّا، لذلك يهدف هذا البحث إلى دراسة الصورة الاستشراقيَّة للسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام في الفكر الاستشراقيّ الغربيّ، من خلال تحليل الآراء والأفكار حول سيرتها المباركة، والتأثير الذي تركته هذه الشخصيَّة على فهم التاريخ الإسلاميّ بشكلٍ عامّ، ومكانة المرأة المسلمة بشكلٍ خاص.

وقد تمَّ تقسيم هذا البحث على مبحثَين، سبقهما مقدِّمة، وتليهما خاتمة، تناول المبحث الأوَّل التعريف بسيرة السيِّدة فاطمة الزهراء عليها السلام في التاريخ والثقافة الإسلاميَّة، في حين تناول المبحث الثاني الرؤى المختلفة لسيرة السيِّدة فاطمة عند المستشرقين، والردود المسلَّمة عليها. وتمَّ استخدام النقد النصِّيّ للروايات الإسلاميَّة، وتحليل الخلفيَّة السياسيَّة والاجتماعيَّة للسيِّدة فاطمة عليها السلام، كأدلَّة للمستشرقين في تفسير هذه الشخصيَّة، بينما تمَّ استخدام الأدلَّة المسلَّمة مثل الروايات الإسلاميَّة والتاريخ الإسلاميّ للردِّ على هذه الرؤى المختلفة.

## المقدِّمة

الحمد لله ربِّ العالمين، بارئ الخلائق أجمعين، باعث الأنبياء والمرسَلين، ثمَّ الصلاة والسلام على سيِّدنا ونبيِّنا وحبيب قلوبنا أبي القاسم المصطفى محمَّد، وعلى أهل بيته الطيِّبين الطاهرين الأبرار المنتجَبين.

أمَّا بعد:

فقد تقدَّمت ببحث عنوانه (الصورة الاستشراقيَّة للسيِّدة فاطمة الزَّهراءعليها السلام في الفكر الاستشراقيّ)، من أجل المساهمة في إضافة فكرة جديدة ونظرة شاملة لدراسة سيرة سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراءعليها السلام في الفكر الاستشراقيّ الغربيّ، وكذلك لأجل تصحيح المفاهيم والآراء الخاطئة حول شخصيَّة السيِّدة فاطمةعليها السلام.

تعدُّ السيِّدة فاطمة بنت النبيِّ محمَّدصلى الله عليه وآله واحدة من الشخصيَّات الهامة في التاريخ الإسلاميّ، ولها مكانة رفيعة في قلوب المسلمين، وتعدُّ أيضا قدوة للنساء المسلمات. وبالرغم من نسب السيِّدة فاطمةعليها السلام ومكانتها، فإنَّ الصورة التي رسمها المستشرقون لهذه الشخصيَّة الإسلاميَّة المهمَّة، كانت مختلفة تمامًا عن الصورة التي رسمها التاريخ الإسلاميّ، والتقاليد الدينيَّة والثقافيَّة.

كانت السيِّدة فاطمة الزَّهراءعليها السلام من ضمن الشخصيَّات الإسلاميَّة التاريخيَّة التي تمَّ دراسة سيرتها استشراقيًّا، لذلك يهدف هذا البحث إلى دراسة الصورة الاستشراقيَّة للسيِّدة فاطمة الزَّهراءعليها السلام في الفكر الاستشراقيّ الغربيّ، من خلال تحليل الآراء والأفكار حول سيرتها المباركة، والتأثير الذي تركته هذه الشخصيَّة على فهم التاريخ

الإسلاميّ بشكلٍ عامّ، ومكانة المرأة المسلمة بشكلٍ خاص.

وقد تمَّ تقسيم هذا البحث على مبحثَين، سبقهما مقدِّمة، وتليهما خاتمة، تناول المبحث الأوَّل التعريف بسيرة السيِّدة فاطمة الزهراء عليها السلام في التاريخ والثقافة الإسلاميَّة، في حين تناول المبحث الثاني الرؤى المختلفة لسيرة السيِّدة فاطمة عند المستشرقين، والردود المسلَّمة عليها. وتمَّ استخدام النقد النصِّيّ للروايات الإسلاميَّة، وتحليل الخلفيَّة السياسيَّة والاجتماعيَّة للسيِّدة فاطمة عليها السلام، كأدلَّة للمستشرقين في تفسير هذه الشخصيَّة، بينما تمَّ استخدام الأدلَّة المسلَّمة مثل الروايات الإسلاميَّة والتاريخ الإسلاميّ للردِّ على هذه الرؤى المختلفة.

## المبحث الأوَّل

### الاستشراق

يمكن تعريف الاستشراق بأنَّه ميدان لدراسة التخصُّصات التي تهتمُّ بفهم وتحليل ثقافات وحضارات الشرق الأوسط. ويعتمد المستشرقون على الأدوات والمناهج الأكاديميَّة لاستكشاف وتفسير العادات والتقاليد، وكذلك تاريخ وأدب وفن ودين وفلسفة وسياسة واقتصاد شعوب ومناطق الشرق.

تمَّ وضع مصطلح الاستشراق في الأصل على دراسة الثقافات الشرقيَّة، وخاصَّة في القرن التاسع عشر، خلال فترة الاستعمار الأوروبيّ والتوسُّع الاستعماريّ، حيث كانت الدول الأوروبيَّة تحتلُّ وتغزو مناطق متعدِّدة من العالم، ولذلك كانت تحتاج إلى فهم المجتمعات التي استعمرتها، والتفاعل معها.

يقول الدكتور المصريّ محمَّد عثماويّ زيدان: «إنَّ الاستشراق غربيُّ النشأة والممارسة، وكذا الاصطلاح والإطلاق، فليس في قديم المعاجم العربيَّة وحديثها ما يُشير إلى أصالة عربيَّة المصطلح المذكور، أو أسبقيَّة استعمالاته؛ لأنَّ العرب بتراثهم الإسلاميّ هم موضوع الاستشراق، والغربيُّون هم أصحابه وممارسوه، لذا كان منطقيًّا أن نفهم من أساتذة فقه اللغة وأصولها أنَّ الاستشراق يطابق المصطلح (المولّد) لفظًا ومعنًى، إذ لم تعرفه العربيَّة قبل ظهوره وانتشاره في أوروبا، وعليه فالغربيُّون هم أصحاب هذا الإطلاق والتوصيف من عباءتهم خرج، وبأقلامهم، وفي معاجمهم ظهر»[1].

(١) الاستشراق الفرنسي، الدكتور محمَّد عثماويّ زيدان، دار المالكيَّة، تونس، ط١، ٢٠٢٢، ص٤٤.

مجال الاستشراق يمكن أن يثير بعض الجدل، حيث يتضمَّن تحليل وتفسير لثقافات أخرى قد يعتبرها البعض تمييزًا ثقافيًّا أو تعصُّبًا ثقافيًّا. وقد يتعرَّض المستشرقون لانتقادات بسبب تحليلهم المادِّيّ والعاطفيّ لتلك الثقافات، وتأثيرهم على صورة واحدة أو نمط تمييزي لها.

مع مرور الوقت، تطوَّرت المنهجيَّات والمفاهيم في مجال الاستشراق، وصار فيه تركيز أكبر على التعاون والتفاعل الثقافيّ بين الشعوب والحضارات المختلفة. وحاولت الدراسات الحديثة في الاستشراق تحاول أن تكون أكثر شموليَّةً واحترامًا للتنوُّع الثقافيّ، وتعزِّز فهم متبادل وحوار بين الثقافات.

## الفكر الاستشراقيّ

هو منهج لدراسة وتحليل الثقافات والحضارات المختلفة، يستند على الاستنتاجات والتأويلات التي يقوم بها المستشرقون، من خلال ملاحظاتهم ودراساتهم وتجاربهم الشخصيَّة، ويعتبر الاستشراق تيَّارًا أكاديميًّا يهدف إلى فهم التاريخ والأدب والفلسفة والفن، وكذلك يركِّز على الديانات لشعوب الشرق الأوسط، وعاداتهم وتقاليدهم، وأيضا الثقافات المختلفة، ويضمُّ الاستشراق العديد من الباحثين والمفكِّرين الذين يستكشفون الثقافات المختلفة، ويسعون لفهمها بمنهجيَّة علميَّة.

من مميِّزات الفكر الاستشراقيّ التواصل الثقافيّ والتبادل المعرفيّ بين الثقافات المختلفة. ويعكس هذا المنهج الاعتراف بأنَّ العالم متنوِّع ومتعدِّد الثقافات، وأنَّ التفاهم والتعاون بين الشعوب يمكن أن يوفِّر فرصًا للتعلُّم والتطوُّر المتبادَل.

يتطلَّب من الباحث المستشرق القدرة على التحليل النقديّ والتفكير النقديّ؛ لفهم التأثيرات الاجتماعيَّة والدينيَّة والسياسيَّة والتاريخيَّة التي تؤثِّر وتشكِّل الثقافة لمجتمع ما.

المفاهيم الأساسيَّة في الفكر الاستشراقيّ، هو المفهوم العام للشرق والغرب، حيث تصنَّف البلدان والثقافات في ضوء هذا التقسيم الجغرافيّ.

يعتبر الشرق مصدرًا للغموض والرومانسيَّة والعتمة، في حين يعتبر الغرب مصدرًا للتقدُّم والحضارة والتحضُّر، ومع ذلك، تمَّ توجيه انتقادات عديدة للفكر الاستشراقيّ؛ بسبب تبنِّيه لنماذج ثقافيَّة أُحاديَّة، وتعميمها على الشعوب الأخرى.

يمكن تقسيم الفكر الاستشراقيّ إلى عدَّة تيَّارات ومدارس فكريَّة، فمنها التيَّار الأدبيّ المتمثِّل في دراسة الأدب والنصوص الأدبيَّة للثقافات الشرقيَّة، ومنها التيَّار التاريخيّ الذي يهتمُّ بدراسة التاريخ والتطوُّرات السياسيَّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة للشعوب الشرقيَّة، ومنها التيَّار الفلسفيّ الذي يركِّز على تحليل الأفكار والمفاهيم الفلسفيَّة للثقافات الأخرى.

على مرِّ السِّنين، تطوَّرت المنهجيَّات والمفاهيم المستخدمة في الفكر الاستشراقيّ، وبدأ المستشرقين في تبنِّي منهجيَّات أكثر علميَّة ونقديَّة، ومحاولة التعامل مع الثقافات الأخرى بشكلٍ أكثر كفاءة واحترام، ومع ذلك، لا يزال هناك جدل حول صحَّة وأخلاقيَّة الاستشراق، حيث يشكِّك بعضهم في قدرة الباحثين من الثقافات الغربيَّة على فهم وتفسير الثقافات الشرقيَّة بشكلٍ صحيحٍ وموضوعيٍّ، بعيدًا عن العنصريَّة.

في النهاية، يعدُّ الفكر الاستشراقيّ إسهامًا هامًّا في دراسة الثقافات والحضارات الأخرى، وقدَّم رؤى جديدة ومتعدِّدة الأبعاد حول التنوُّع الثقافيّ في العالم. ومع ذلك، يتطلَّب الاستشراق الحذر والنقد والتوازن في التعامل مع الثقافات الأخرى، وضمان عدم تعميم النماذج الثقافيَّة والتحيُّز في التحليل والتفسير.

## المبحث الثاني

### السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام في التاريخ والثقافة الإسلاميَّة

فاطمة الزَّهراء عليها السلام هي ركن راسخ من أركان الدعوة إلى الله، والسير على الصراط المستقيم، إنَّها كانت علمًا بارزًا في مسيرة الهداية والطريق الصحيح، فحملت على عاتقها عبء المسؤوليَّة، وضحَّت بكلِّ ما تملك، لتبقى الرسالة المحمَّديَّة مصونة محفوظة، وليبقى خطَّها منارة للأجيال يهتدون بنوره في حوالك ظلمات بحور الفتن[1].

وبالتأكيد، فاطمة الزَّهراء عليها السلام تعتبر ركنًا راسخًا من أركان الدعوة إلى الله، والسَّير على الصراط المستقيم. إنَّها بالفعل كانت علمًا بارزًا في مسيرة الهداية والطريق الصحيح، حملت عبء المسؤوليَّة على عاتقها، وضحَّت بكلِّ ما تملك للحفاظ على رسالة الإسلام المحمَّديَّة، ولكي تبقى محفوظة. ويظلُّ إرثها منارةً للأجيال اللاحقة، حيث يستمدُّون منه النور في ظلمات الفتن والاضطرابات، وهذا الإرث العظيم يستحقُّ التقدير والاحترام، وتظلُّ قصَّتها وتضحياتها مصدر إلهام للمسلمين في كلِّ الأزمنة.

والسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام تعدُّ قدوة للمرأة المسلمة، كان لها دور مهم في بناء هويَّة المرأة العربيَّة المسلمة، ورسم صورة المرأة كما يرغب الإسلام أن تكون، فقد أصبحت قدوةً في الزواج الصحيح والتفاني في رعاية الأسرة وتربية الأبناء، وقد تلقَّت تعليمًا عظيمًا من النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله، وصقلت شخصيَّتها بالقيم والأخلاق الإسلاميَّة السامية.

(١) الزَّهراء عليها السلام سيِّدة النساء نفحات من حياتها وسيرتها، مصطفى خميس، مركز الغدير، بيروت، ط٢، ٢٠١١م، ص١٦.

إنَّها تجسِّد القوَّة والصبر والتضحية والعطاء، وتعدُّ إحدى الشخصيَّات النموذجيَّة التي تُلهم المرأة المسلمة في جميع جوانب حياتها. كما ذكرت الدكتورة بيان العريض «أنَّ السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام هي المرأة كما يريد الإسلام للمرأة أن تكون، فصور ملامحها، ورسمها النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله ربَّاها وعلَّمها فأصبحت أنموذج المرأة المثاليَّة»[١].

كيف لا والسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام تسكن وتعيش في البيت الذي يكون محاطًا بالقداسة والروحانيَّة والنور، فقد كان هذا البيت هو مركز للعبادة والتقرُّب إلى الله، حيث كانت السيِّدة فاطمة وزوجها الإمام عليّ عليه السلام وأبناؤهما يقيمون الصلوات وينشرون العدل والإحسان في محيطهم. وقد تمَّ ملء هذا البيت بالنور الروحانيّ الذي ينبع من القرب من الله، واتِّباع سيرة النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام. إنَّها بيئة تملؤها السكينة والبركة والقداسة، وتعكس التعاليم الإسلاميَّة السامية والقيم الروحيَّة العالية التي عاشت بها السيِّدة فاطمة عليها السلام وأسرتها.

بيتُ السيِّدة فاطمة عليها السلام هو مكانٌ مقدَّسٌ في التاريخ الإسلاميّ، وهو مرتبط بأحاديث رواها النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله عن كرامة بيتها، فإنَّه يروى أنَّ النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله كان يعظِّم هذا البيت ويحترمه بشكلٍ خاص، وقد وردت بعض الأحاديث التي تُشير إلى ذلك، ومن هذه الأحاديث: روى العلَّامة المجلسيّ عن أنس بن مالك وعن بريدة، قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾[٢]، فقام رجل قال: أي بيوت هذه يا رسول الله؟ فقال: **بيوت الأنبياء**. فقام أبو بكر وقال: يا رسول الله هذا البيت منها؟ وأشار إلى بيت عليّ وفاطمة عليهما السلام، قال النبيّ صلى الله عليه وآله: **نعم، من أفضلها**[٣].

(١) نساء في عصر الإمام الحسن عليه السلام، د. بيان عبيد العريض، قسم الشؤون الفكريَّة والثقافيَّة في العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة، كربلاء، ط١، ٢٠١٥ م، ص٧٨.

(٢) سورة النور، آية: ٣٦.

(٣) محمَّد كاظم القزوينيّ، فاطمة عليها السلام من المهد إلى اللحد، منشورات مؤسَّسة النور، بيروت،=

تمتاز السيِّدة فاطمة عليها السلام بالفضائل والخصال العظيمة، وقد وردت العديد من الأحاديث التي تشير إلى نورها الروحانيّ والمعنويّ، وأنَّها تعدَّت جميع النساء في البِرِّ والتقوى، وأنَّها كانت القدوة المثلى في الاستقامة والتعبُّد، وأيضا تُعتبر قدوةً للنساء المسلمات في العفَّة والتقوى والتضحية والصبر.

وقد ورد في الأحاديث الشريفة عن النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله مدحه لفاطمة الزَّهراء عليها السلام، وتقديره لها، فقد قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «**فاطمة أمُّ أبيها**»[1].

فقد كان النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله يعبِّر عن محبَّته وتقديره العميق لفاطمة الزَّهراء عليها السلام في العديد من المواقف. وقد روي أنَّه كان يقول: «**فاطمة بضعة منِّي، من آذاها فقد آذاني**»، ممَّا يعكس حبّه العميق لها، والتزامه بحمايتها ورعايتها.

إنَّ هذا السلوك الرفيع والمحبَّة العميقة التي كان يُظهرها النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله تجاه فاطمة عليها السلام، يعكس قيمة الأبوَّة والعائلة في الإسلام، ويشجِّع على التعاون والتعاطف بين أفراد الأسرة، وتقدير حقوق الأبناء واحتياجاتهم.

وعندما تزوَّجت فاطمة من عليّ بن أبي طالب عليه السلام، استمرَّ النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله في مساعدة فاطمة وعليّ عليهما السلام في تأسيس حياة زوجيَّة سعيدة ومستقرَّة. وكان يُعاملها ويعامل الإمام عليّ عليه السلام بمحبَّة واحترام كبيرَين، وكان ينصحهما ويوجِّههما في شؤون الحياة الزوجيَّة.

فاطمة الزَّهراء عليها السلام وزوجها الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام عاشا في ظروفٍ صعبة وشظف معيشي، وقد يُعزى ذلك جزئيًّا إلى الضغوط الاقتصاديَّة التي كان يواجهها النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله وأصحابه في ذلك الوقت، فقد عاشا في بيت بسيط ومتواضع، وقد ورد في

=ط١، ١٩٩١م، ص١٣٩.

(١) سليمان كتَّاني، فاطمة الزَّهراء وتر في غمد، المجمع العلميّ لأهل البيت، مطبعة مجاب، ط١، ٢٠١١ م، ص٥٢.

الروايات أنَّ فاطمة وعليّ عليهما السلام كانا يعانيان من قسوة الحياة وقلَّة الموارد، كانوا يتحمَّلون الصعاب والأعباء بكلِّ صبرٍ وثبات. إنَّ شظف العيش الذي عاشته فاطمة عليها السلام والإمام عليّ عليه السلام لا يقلِّل من قيمتهما ومكانتهما في التاريخ الإسلاميّ.

إنَّ قدرتهما على التحمُّل والصَّبر ومواجهة التحدِّيات، تعكس قوَّتهما الروحيَّة وعزيمتهما في تحقيق القيم الإسلاميَّة العظيمة.

وكان النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله دخل على فاطمة عليها السلام، ووجدها تطحن وعليها كساء من وبر الإبل، فبكي لحالها ويقول لها تصبُّرًا: «**تجرَّعي يا فاطمة مرارة الدنيا لنعيم الآخرة**»(١).

استشهدت السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام بعد شهادة النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله في سنة ١١هـ (٦٣٢م)، هناك اختلاف في روايات التاريخ والسيرة النبويَّة بشأن مدَّة بقاء السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام بعد شهادة والدها النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله، هذا الاختلاف يعود إلى فروق في التوثيق والروايات المتاحة، ووفقًا لبعض الروايات، فإنَّها بقيت بعد شهادة النبيّ محمَّد لفترة قصيرة قبل وفاتها، تقدَّر بأشهر قليلة، وفي هذه الفترة، شهدت- بناءً على تلك الروايات- بعض الأحداث والتوتُّرات السياسيَّة والاجتماعية التي تسبَّبت في تدهور حالتها الصحيَّة.

بالنظر إلى هذا الاختلاف في الروايات، يمكن أن نفهم أنَّ هناك تحدِّيات في تحديد الفترة الدقيقة لبقاء السيِّدة فاطمة بعد شهادة والدها، تختلف في التفاصيل الزمنيَّة.

ففي مقاتل الطالبيِّين قال أبو الفرج: كانت شهادة فاطمة عليها السلام بعد شهادة النبيّ صلى الله عليه وآله بمدَّة يختلف في مبلغها، فالمكثر يقول: ثمانية أشهر، والمقلل أربعين يومًا، إلَّا أنَّ الثابت في

(١) مريم نور الدين فضل الله، المرأة في ظلِّ الاسلام، دار الزَّهراء، بيروت، ط١، ١٩٧٩م، ص١٨٥.

ذلك ما روي عن أبي جعفر محمَّد بن عليّ عليه السلام من أنَّها توفِّيت بعده بثلاثة أشهر، حدَّثني بذلك الحسن بن عليّ عليه السلام عن الحارث عن ابن سعد عن الواقديّ عن عمرو بن دينار، عن أبي جعفر محمَّد بن عليّ عليه السلام[1].

وشهادة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام كان حدثًا مؤلمًا ومأساويًّا في تاريخ الإسلام، وقد عمَّت حزنًا وحسرة على قلوب المسلمين، إنَّها واحدة من تلك الأحداث التي لا تزال تُثير الحزن والأسى في قلوب المؤمنين حتَّى اليوم.

إنَّ حزن المسلمين على وفاة الزَّهراء يعكس الاعتزاز والتقدير العميق لدورها ومكانتها في التاريخ الإسلاميّ، وتظلُّ قصَّة حياة السيِّدة فاطمة وتضحياتها أنموذجًا للصبر والتفاني في سبيل الله ولخدمة الإسلام.

ماتت الزَّهراء بجسمها، ولكنَّها بقيت بروحها، ولاتزال حيَّة في قلوب المؤمنين، رمزًا حيًّا للأمِّ المثاليَّة في الإسلام، بل الأمّ المقدَّسة[2].

## السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في الفكر الاستشراقيّ

الفكر الاستشراقيّ هو مصطلح يُشير إلى الاسترجاع والتأويل السياسيّ للتراث الإسلاميّ، يتمُّ تسليط الضوء على دور السيِّدة الزَّهراء عليها السلام ومكانتها في التاريخ الإسلاميّ، بعض من المستشرقين يعدُّ السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام رمزًا للقوَّة والمقاومة والعدالة، وبعضهم الآخر يخالف ذلك.

يرى المستشرقون والباحثون الاستشراقيُّون بأنَّ السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام كانت تلعب دورًا سياسيًّا مهمًّا في العالم الإسلاميّ الأوَّل، وأنَّها كانت تناضل لحقوقها وحقوق

(١) بحار الأنوار، العلَّامة المجلسيّ، ج١٨، ص١١٤.

(٢) نساء في عصر الإمام الحسن عليه السلام، د. بيان عبيد العريض، قسم الشؤون الفكريَّة والثقافيَّة في العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة، كربلاء، ط١، ٢٠١٥م، ص٧١.

أهل بيتها بعد وفاة النبيّ محمَّدﷺ، يرون أنَّها كانت تعارض السلطة الحاكمة آنذاك، وتدعو إلى استعادة حقوق الأئمَّة المعصومين وأرضها فدك.

استخدم بعض المستشرقين الغربيِّين أدواتهم الأكاديميَّة والتحليليَّة لاستكشاف وفهم دور السيِّدة فاطمة الزَّهراءعليها السلام بمنظورٍ تاريخيّ وثقافيّ. ومع ذلك، فإنَّ البعض الآخر من المستشرقين تحاليلهم وآرائهم لم تكن واقعيَّة، بل مملوءة بالحقد والخبث على آل بيت النبيّ، فهذه الآراء قد أثارت بعض التحفُّظات والانتقادات، حيث اعتُبِرت تجاوزًا على الشخصيَّات الإسلاميَّة، وتشويها للتراث الإسلاميّ.

من الجوانب التي تمَّ تناولها في الفكر الاستشراقي حول فاطمة الزَّهراءعليها السلام، هو دورها كشخصيَّة تاريخيَّة وثقافيَّة ودينيَّة. واهتمَّ المستشرقون بدراسة الأحاديث والروايات التي تتعلَّق بفاطمة الزَّهراء وأهل البيتعليهم السلام، وتحليلها من منظورٍ تاريخيّ ونقديّ.

وقد تباينت وجهات النَّظر في الفكر الاستشراقيّ حول فاطمة الزَّهراءعليها السلام، فمنهم من ركَّز على دورها السياسيّ والثقافيّ والاجتماعيّ في تشكيل التاريخ الإسلاميّ، في حين ركَّز آخرون على تأثيرها الروحيّ والدينيّ، ودورها كأمٍّ للمعصومينعليهم السلام.

ومع ذلك، يجب التنويه إلى أنَّ استخدام المنهج الاستشراقيّ في دراسة شخصيَّة فاطمة الزَّهراء قد أثار انتقادات وتحفُّظات من قِبَل بعض الأكاديميِّين المسلمين، واعتبر هؤلاء الأكاديميِّين أنَّ الاستشراق لا يعكس بشكلٍ كاملٍ وجهات نظر المسلمين وقيمهم الثقافيَّة، وأنَّه يمكن أن يؤدي إلى تشويه الصورة الأصيلة لشخصيَّة فاطمة الزَّهراءعليها السلام، وتفسيرها بطرق لا تتَّفق مع الرؤية الإسلاميَّة.

يعكس الفكر الاستشراقيّ حول السيِّدة فاطمة الزَّهراءعليها السلام وجهات نظر وتحليلات مختلفة، وتتراوح هذه الوجهات من الدراسات الأكاديميَّة الموضوعيَّة إلى

الاستخدامات السياسيَّة والإيديولوجيَّة. لذلك، يجب النظر إلى الفكر الاستشراقيّ حول فاطمة الزَّهراء عليها السلام بحذر، وتوخِّي الانتباه إلى التحيُّزات المحتملة، وتأثيرات الاستشراق على فهم الشخصيَّة والتراث الإسلاميّ.

كما ذكرت سابقًا، يوجد تنوُّع في آراء المستشرقين بشأن فاطمة الزَّهراء عليها السلام، بعض المستشرقين قدَّموا دراسات موضوعيَّة ومتوازنة، في حين قدَّم آخرون آراء قد تكون موضع نقد من قِبَل العديد من المسلمين، وهناك بعض الأقوال المعروفة التي وردت من بعض المستشرقين حول فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وتشمل:

**تقول الدكتورة أدث اندريا الك زانتو علي:** «تمثِّل فاطمة الزَّهراء المعصومة وابنتها السيِّدة زينب الوليَّتَين وأنموذجات الدور الأنثويَّة الأهم في المذهب الشيعيّ الاثني عشري، وتحظى فاطمة وزينب كلاهما بأهميَّة ومكانة بارزة»[1].

الدكتورة أدث تمثِّل واحدة من الباحثات الأكاديميَّات الشهيرات في دراسة الإسلام والشيعة. وفي الواقع (أدث) قد أشارت في أعمالها إلى أهميَّة ومكانة فاطمة الزَّهراء وابنتها زينب عليهما السلام في المذهب الشيعي الاثني عشري، إذ تعدُّ السيِّدة فاطمة والسيِّدة زينب عليهما السلام نماذج للدور الأنثوي البارز والمؤثِّر في التاريخ الشيعيّ. تنظر إليهما كمعصومَتَين، أي إنَّهما محفوظتان من الخطأ والخطيئة، وأنَّهما قد قدَّمتا مثالًا مشرِّفًا للمسلمات في الفضيلة والصبر والتضحية.

وأيضا تذكر بـأنَّ «السيِّدة فاطمة مثال الأنوثة الورعة، والتقيَّة، والصامتة، والمطيعة»[2].

(١) على خطى السيِّدة زينب (المذهب الشيعيّ الاثنا عشريّ في سوريا المعاصرة)، أدث اندريا الك زانتو علي-ديب، ترجمة د. هناء خليف غني، المركز الأكاديميّ للأبحاث، العراق، ط١، ٢٠١٩م، ص٢٣٠.

(٢) المصدر نفسه.

تعدُّ السيِّدة فاطمة الزَّهراءعليها السلام مثالًا للأنوثة الورعة والتقيَّة والصمت والمطيعة. هذه الصفات تمَّ تأكيدها في النصوص والمرويَّات الشيعية التي تروي قصَّة حياتها. السيِّدة فاطمة الزَّهراءعليها السلام تتميَّز بالورع والتقوى، حيث تعدُّ قدوة للمسلمات في العبادة والتقرُّب إلى الله. كما تُظهِر صبرًا جليلًا وقوَّة روحيَّة في مواجهة المحن والصِّعاب.

وتعدُّ فاطمة الزَّهراء أيضًا مثالًا للصمت والتحليل، إذ يعتقد أنَّها حفظت السرَّ والمعرفة، ولم تنطق بكلِّ ما شهدته وعاشته خلال فترة حياتها. وكانت مطيعة ومخلصة لله ولزوجها الإمام عليّ بن أبي طالبعليه السلام، وكانت تتبع وتطيع أوامره وتضعه في الأولويَّة.

هذه الصفات والمميِّزات تؤكِّد القدوة النسائيَّة التي تمثِّلها فاطمة الزَّهراء، وتبرز القيم والأخلاق التي يحثُّ المؤمنون على اتِّباعها وتقليدها.

**المستشرق الألمانيّ هاينس هالم يقول:** «يشدِّد الشيعة بشكلٍ خاصٍّ على دور فاطمة كشفيعة يوم الحساب»[1].

في معتقدنا نولي بشكلٍ خاصٍّ أهميَّة كبيرة لدور السيِّدة فاطمة الزَّهراءعليها السلام بوصفها شفيعة يوم الحساب، وأنَّ فاطمة الزَّهراءعليها السلام تشفع للمؤمنين، وتدعو لهم أمام الله يوم القيامة، نعتبرها رمزًا للرَّحمة والشفاعة والمحبَّة الإلهيَّة.

وأيضا تعدُّ فاطمة الزَّهراءعليها السلام شفيعة لنا بناء على أنَّها تحظى بمكانة خاصَّة عند الله، وتتمتَّع بصفات الورع والتقوى والبذل والعطاء. ونؤمن بأنَّ السيِّدة فاطمة الزَّهراء تقدِّم شفاعتها للمؤمنين، وتطلب الرحمة والمغفرة لهم يوم الحساب، وتوسُّع رحمة الله عليهم.

(١) الشيعة، هاينس هالم، ترجمة محمود كبيبو، دار الورَّاق، ط١، ٢٠١١م، ص٥٠.

**المستشرق الألمانيّ جرهارد كونسلمان يقول**: «من الثابت في تاريخ مذهب الشيعة كيفيَّة ازدياد أهميَّة فاطمة، وقد صارت رمزًا لكلِّ شيءٍ إلهيّ في حياة جوهر النساء، فاطمة صارت الرَّمز الأعلى للأنوثة وللأنثى»[1].

يرى كونسلمان السيِّدة فاطمة بأنَّها رمز للقيم والمثل الأعلى للأنوثة والعفَّة والقوَّة الروحيَّة، وتعدُّ شخصيَّة فريدة ومهمَّة في مذهب الشيعة، إنَّها الرمز الأعلى للأنوثة والمرأة المؤمنة، وتعدُّ مصدر إلهام وقوَّة روحيَّة للنساء المؤمنات في جميع العصور.

ويضيف: «فاطمة زوجة عليّ، فقد استطاعت القول بأنَّها كانت الابنة المحبَّبة لدى أبيها، استدعى النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله ذات يوم عليًّا وفاطمة وابنيهما الحسن والحسين وبسط على الأربعة رداءه، ثمَّ صلَّى، وبهذا ميَّز أقرب آل بيته وباركهم»[2].

كلام كونسلمان في منتهى الدقَّة والصحَّة، فقد تمتَّعت فاطمة عليها السلام بمكانة خاصَّة لدى النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله، وكانت من الأبناء المحبوبين عنده، تُشير الروايات إلى أنَّ النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله قد دعا عليًّا وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وبسط عليهم رداءه، وصلَّى معهم، هذا الحدث الشهير يُعرَف بـ(حديث الكساء)، وقد أظهر النبيّ محمَّد من خلاله محبَّته وتقديره لعليّ وفاطمة وأبنائهما، وأكَّد على الفضل الخاص والبركة التي يحملونها كأهل بيته.

ونرى أنَّ أستاذة الدين في جامعة ميسيسيبي **المستشرقة ماري إف ثورلكيل** تقول كلامًا جميلًا حول فاطمة الزَّهراء عليها السلام: «كانت فاطمة المحترمة ابنة النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله، ترمز بشكل فريد إلى تبجيل ومكانة آل بيت النبيّ بين الشيعة الأوائل»[3].

---

(١) سطوع نجم الشيعة، جرهارد كونسلمان، ترجمة محمَّد أبو رحمة، مكتبة مدبولى، القاهرة، ط٣، ص٣٤.

(٢) المصدر نفسه، ص١٦.

(3) Chosen among Women Mary and Fatima in Medieval Christianity and

إنَّ فاطمة الزَّهراءعليها السلام بلا شك تحظى بتبجيل واحـترام كبيرَين بين الشيعة، وأيضًا تعدُّ رمزًا مهمًّا لآل بيت النبيّ محمَّدصلى الله عليه وآله. وترى الأستاذة ماري بإيمان المذاهب الشيعيَّة بفضل ومكانة السيِّدة فاطمة الزَّهراءعليها السلام بوصفها أمًّا للمعصومين، وزوجة للإمام عليّعليه السلام، وسيِّدة نساء أهل الجنَّة. تعظَّم السيِّدة فاطمةعليها السلام بسبب دورها الهام في نشر الإسلام والدفاع عن حقوق آل بيت النبيّصلى الله عليه وآله، وحرصها على المبادئ والقيم الإسلاميَّة.

ولكن على صعيد آخر، نرى **المستشرق الفرنسي هنري لامنس** يحاول أن يقلِّل من تلك المكانة، حيث يقول: «فقد كانت فاطمة في حياتها، وفي بيت والدها تُعامَل معاملة عاديَّة، سواء من والدها أو من الصحابة وغيرهم، ولم نرها تتمتَّع بحظوة واحترام يفوقان ما كانت تتمتَّع به بدويَّات ذلك الزمن. لم يكن لها أي مكانة أو دور مهم تلعبه، ولا أي اعتبار أو سمو في ذلك المجتمع الأعرابيّ»[1].

للأسف فإنَّ هذا المستشرق الفرنسيّ يحاول تجريد السيِّدة فاطمة من مكانتها الاجتماعيَّة، لم تكن تتعامل معاملة عاديَّة في حياتها، بل كانت تحظى بمكانة خاصَّة واحترام كبير في المجتمع العربيّ، وداخل بيت والدها النبيّ محمَّدصلى الله عليه وآله.

السيِّدة فاطمة الزَّهراءعليها السلام كانت شخصيَّة مرموقة ومُحترَمة، وكثيرًا ما تمتدح فضائلها وعفَّتها وتقواها في الروايات الإسلاميَّة. وقد عاشت في بيت النبوَّة، حيث تلقَّت تربية إيمانيَّة قويَّة وتعليما عاليًا من والدها النبيّ محمَّدصلى الله عليه وآله، ولهذا كان لها دور هام في نشر الإسلام وتعليمه.

---

Shi'ite Islam, P. 12.

(١) صورة أصحاب الكساء بين تجنِّي النصّ واستباحة الخطاب الاستشراقيّ، هنري لامنس أنموذجًا، شهيد كريم محمَّد الكعبيّ، العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة، دار الكفيل، ط١، ٢٠١٥م، ص٣٦٧.

علاوة على ذلك، فإنَّ فاطمة الزَّهراء عليها السلام حظيت بتقدير واعتبار كبيرَين في المجتمع الإسلاميّ الأوَّل، وخاصَّة بين الشيعة الذين يرونها منقذة لتعاليم وإرث النبوَّة، وشاهدة على مظلوميَّة أهل البيت. لذلك، فإنَّ الادِّعاء بأنَّ فاطمة الزَّهراء عليها السلام لم تحظَ بأيِّ مكانة أو دور مهم في المجتمع الأعرابيّ غير صحيح، وتتعارض مع الروايات والتاريخ الإسلاميّ.

ويعود هنري لامنس المستشرق الفرنسيّ يصف السيِّدة فاطمة بأوصافٍ واهية، فيها من الضعف العلميّ والبحثيّ الشيء الكثير، إذ يقول: «بأنَّها شخصية حزن، محجَّبة، على الدوام في حداد، ذات جسد ضعيف، ومصابة بفقر الدم، الإعاقات المتكرِّرة جعلتها غير صالحة للعمل الشاقِّ الذي كان محجوزا في ذلك الوقت للمرأة العربيَّة»[1].

يعدُّ ما ذكره لامنس من وصف لفاطمة الزَّهراء عليها السلام، غير دقيق وغير معتمد على مصادر تاريخيَّة معروفة.

السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام كانت تتمتع بشخصيَّة قويَّة وعزيمة، وكانت تشارك في النشاطات اليوميَّة وتؤدِّي الأعمال المنزليَّة مثل غيرها من النساء في ذلك الوقت. كانت تتعامل مع المسؤوليَّات، وتؤدِّي دور الزوجة والأم والمؤمنة بتفانٍ ومثابرة.

فالسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام واجهت الصعوبات والتحدِّيات في حياتها، وظلَّت تلعب دورًا هامًّا في نشر الإسلام ودعم زوجها وأبنائها. إنَّ الصورة التي رسمها لا تتوافق مع الروايات والتقارير التاريخيَّة الموثَّقة حول فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وبالتالي، ينبغي التعامل مع هذه الوصفيَّات بحذر، وتوخِّي الحذر في قبولها كحقائق تاريخيَّة، ويفضَّل الاستناد إلى المصادر الموثَّقة والمعتمدة لفهم حياة ودور السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام في التاريخ الإسلاميّ.

(1) Fatima et les Filles De Mahomet, P. 17.

## الخاتمة

في النهاية، يجب أن نتذكَّر أنَّ السيِّدة فاطمة الزَّهراءعليها السلام هي شخصيَّة محوريَّة في التاريخ الإسلاميّ، وتحظى بتبجيلٍ واحترامٍ كبير من المسلمين. تصفها المصادر الدينيَّة والتاريخيَّة بأنَّها شخصيَّة قويَّة وعزيمة، وكان لها دور هام في نشر الإسلام، ودعم زوجها وأبنائها.

تحظى فاطمة الزَّهراءعليها السلام بمكانة خاصَّة في قلوب المسلمين، وتعدُّ قدوة مثاليَّة للمرأة المسلمة بسبب صفاتها الفضيلة وقوَّتها الروحيَّة. لا يجوز أن نستند إلى الوصفيَّات السلبيَّة وغير المؤكَّدة التي قد تُطرَح بشأنها، بل يجب أن نستند إلى المصادر الأصيلة لفهم دورها وتأثيرها في التاريخ.

أخيرًا، يجب أن نحترم وجهات نظر الآخرين من المستشرقين، ولكن يجب أن نكون حذرين في قبول المعلومات دون التحقُّق منها، والتأكُّد من مصدرها ومصداقيَّتها. ويمكننا الاعتماد على المصادر التاريخيَّة والدينيَّة المعروفة لفهم وتقدير دور فاطمة الزَّهراءعليها السلام في الإسلام، وتأثيرها الإيجابيّ على المجتمع.

## المصادر والمراجع

### المصادر باللغة العربيَّة:


* القرآن الكريم.

١. الاستشراق الفرنسيّ، الدكتور محمَّد عثماوي زيدان، دار المالكيَّة، تونس، ط١، ٢٠٢٢.

٢. الزَّهراءعليها السلام سيِّدة النساء نفحات من حياتها وسيرتها، مصطفى خميس، مركز الغدير، بيروت، ط٢، ٢٠١١م.

٣. الشيعة، هاينس هالم، ترجمة محمود كبيبو، دار الورَّاق، ط١، ٢٠١١م.

٤. بحار الأنوار، العلَّامة المجلسيّ، ج١٨.
٥. سطوع نجم الشيعة، جرهارد كونسلمان، ترجمة محمَّد أبو رحمة، مكتبة مدبولى، القاهرة، ط٣.
٦. سليمان كتَّاني، فاطمة الزَّهراء وتر في غمد، المجمع العلميّ لأهل البيت، مطبعة مجاب، ط١، ٢٠١١م.
٧. صورة أصحاب الكساء بين تجنِّي النص واستباحة الخطاب الاستشراقيّ، هنري لامنس أنموذجًا، شهيد كريم محمَّد الكعبيّ، العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة، دار الكفيل، ط١، ٢٠١٥م.
٨. على خطى السيِّدة زينب (المذهب الشيعيّ الاثنا عشريّ في سوريا المعاصرة)، أدث اندريا الك زانتو علي- ديب، ترجمة د. هناء خليف غني، المركز الأكاديميّ للأبحاث، العراق، ط١، ٢٠١٩م.
٩. محمَّد كاظم القزوينيّ، فاطمة عليها السلام من المهد إلى اللحد، منشورات مؤسَّسة النور، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
١٠. مريم نور الدين فضل الله، المرأة في ظلِّ الإسلام، دار الزَّهراء، بيروت، ط١، ١٩٧٩م.
١١. نساء في عصر الإمام الحسن عليه السلام، د. بيان عبيد العريض، قسم الشؤون الفكريَّة والثقافيَّة في العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة، كربلاء، ط١، ٢٠١٥م.

**المصادر باللغة الإنكليزيَّة:**

12. Chosen among Women Mary and Fatima in Medieval Christianity and Shi`ite Islam.
13. Fatima et les Filles De Mahomet.

# السيِّدة الزَّهراء عليها السلام عند الاستشراق المعاصر
# (Modern Orientalism) قراءة نقديَّة ورصديَّة

**شريف عصام حيدر**

**طالب بحث خارج ومدرِّس في حوزة بقيَّة الله الأعظم عجل الله تعالى فرجه الشريف**

## الملخَّص

لطالما كانت ولازالت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام محورًا لنقاشات المستشرقين، وخاصَّة المعاصرين منهم، مع الأخذ بعين الاعتبار الجدليَّة القائمة في هذا العصر حول مكانة المرأة في المجتمع عمومًا، والإسلاميّ خصوصًا.

حاولنا في هذا البحث تحليل الأسباب السيكولوجيَّة والاجتماعيَّة والسياسيَّة والثقافيَّة التي دفعت بكثير من المستشرقين إلى استنتاج نظريَّات لا تسلم من النقد العلميّ الموضوعيّ القائم على عدم التحيُّز، واتِّباع مناهج لعلَّها لا تتناسب مع المباحث المطروحة.

تعرَّضنا في هذه المباحث لبيان بعض المبادئ التصوُّريَّة المتعلِّقة بالاستشراق، كتعريفه ومراحله ومناهجه، ثمَّ حدَّدنا محاور نقاش المستشرقين المعاصرين حول السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وقد قسَّمناها على محورَين: سبب اتِّخاذ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام أسطورة في عيون الشيعة، وقيمة السيَّدة الزَّهراء عليها السلام بالنسبة لأبيها وزوجها خصوصًا، بالنظر إلى مواقفها السياسيَّة والدينيَّة.

أخيرًا بينَّا من خلال النقد البنَّاء أنَّ هذه الاستنتاجات لا تتناسب مع معايير المنهج العلميّ التاريخيّ الموضوعيّ (Historical Objectivity)، أو التحليل الاجتماعيّ الأنثروبولوجيّ.

**الكلمات المفتاحيَّة:** السيِّدة الزَّهراءعليها السلام، أسطورة، الاستشراق المعاصر، الشيعة.

## مقدِّمة

لا يبعد تقسيم المستشرقين الذين بحثوا في العلوم الإنسانيَّة عمومًا، والتاريخ خصوصًا، على مدرسَتَين: الأولى المدرسة الذاتيَّة، ونقصد بالذاتيَّة التي تعدُّ أنَّ التاريخ مجرَّد أحداثٍ ونتاجٍ ذاتيٍّ فرديٍّ للمؤرِّخ، كالأدب، وليس هناك فرصة لحياد المؤرِّخ واعتماده قوانين محدَّدة في التاريخ؛ لأنَّ هذه القوانين هي من طبيعة العلوم التطبيقيَّة، فلا يصحُّ نقلها إلى التاريخ. ومن أبرز أصحاب هذه المدرسة، هي المدرسة التاريخيَّة الألمانيَّة التي كان آخر منظِّريها (فردريك ماينكه)، الذي تأثَّر في آخر حياته بالاتِّجاهات الجديدة[١].

المدرسة الأخرى، هي المدرسة الموضوعيَّة، التي تتبنَّى إمكانية وجود فرصة لحياد المؤرِّخ، من خلال «تفسير موضوعيّ قادر على الالتقاء مع أفضل وجوه المعايير العقلانيَّة للدقَّة والشموليَّة والاتِّساق والتقدميَّة والإثمار والانفتاح»[٢]، وفق تعريف البروفسور

(١) راجع في تفصيل ذلك: الاتِّجاهات العامَّة في الأبحاث التاريخيَّة، جفري باراكلو، ترجمة: الدكتور صالح أحمد العليّ، مؤسَّسة الرسالة العالميَّة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص١٥-٧٧.

(2) Objectivity in History, Journal article: History and theory, Mark Bevir, Published by: Wiley, Vol. 33, No. 3 (Oct. 1994), Abstract.

النصُّ الأصليّ:

“Objective interpretations are those which best meet rational criteria of accuracy, comprehensiveness, consistency, progressiveness, fruitfulness, and openness”.

مارك بيفر. وهذا يعني الابتعاد قدر المستطاع عن العوامل الشخصيَّة والفرديَّة في تحليل القضايا الإنسانيَّة، وخاصَّة التاريخيَّة منها.

لهذا ميَّز أحد الكتَّاب بين نوعَين من الاستشراق، كما يذكر الدكتور وائل الحلَّاق:[1]

١. استشراق موضوعيّ (خالٍ من الازدراء) [orientalism، بحرف (o) صغير] يشير إلى «البحث الفكريّ الغربيّ المتواصل الذي يتناول أفكار الشرق وممارساته وقيَمه، لاسيما المجال الدينيّ».

٢. استشراق متحيِّز [Orientalism، بحرف (O) كبير] يشير إلى (البناء المعرفيّ) و(المؤسَّسة الشركاتيَّة) القائمَين على دوافع إيديولوجيَّة، أي ذلك الاستشراق الذي وجَّه له أنور عبد الملك، وعبد اللطيف الطيباويّ، وادوارد سعيد، سهام النقد[2].

---

(1) Restating Orientalism: a critique of modern knowledge, Wael B. Hallaq, Published by: Colombia University Press, New York, 2018, page: 9 (Introduction).

النصُّ الأصليّ:

"This is what seems to have driven one author, in his own quest to avoid the "volatility" of the term, to "follow a simple expedient." He decided to employ the "nonpejorative" form "orientalism" to refer to the "ongoing Western tradition of intellectual inquiry into an existential engagement with the ideas, practices and values of the East, particularly in the religious field," whereas capitalized "Orientalism" would be reserved for the "ideologically motivated 'epistemic construction' and 'corporate institution'" that Anouar Abdel-Malek, A.L. Tibawi, Edward Said, and several others have criticized".

(2) Journeys East: Twentieth-Century Western Encounters with Eastern Religious Traditions, Harry Oldmeadow, (Bloomington: World Wisdom,

مثال على الأوَّل المستشرق الإنكليزي (توماس كارلايل) الذي قال في كتابه: (الأبطال وعبادة الأبطال): «أنا أحبُّ محمَّد لحريَّته الكاملة من غير رياء. إنَّه ابن البريَّة، القاسي الذي يساعد نفسه؛ لا يتظاهر بما هو ليس كذلك. لا يوجد فخور متبجِّح فيه، لكنَّه لا يذهب كثيرًا إلى التواضع: إنَّه هناك كما هو يمكن أن يكون، في عباءة وأحذية من نفوذه الخاص، يتحدَّث بوضوح إلى جميع أنواع الملوك الفارسيِّين، الأباطرة اليونانيِّين، ما الذي لا بدَّ أن يفعلوه، يعرف جيِّدًا بما فيه الكفاية، عن نفسه، (الاحترام مستحقٌّ لك)»[1].

وأمَّا المنحى الآخر من الاستشراق، أي المتحيِّز، فقد ظهر جليًّا في سعي كثير من المستشرقين لتشويه صورة النبيّ الأعظمﷺ، والإسلام عمومًا، وقد أشار لذلك المستشرق الفرنسي كارادي فو (Carra de Vaux):

---

2004), page: 7.

أنظر أيضًا:

"Orientalism in Crisis", Anouar Abdel-Malek, Diogenes 11, no. 44 (1963): 103–40; "English-Speaking Orientalists", A.L. Tibawi, Islamic Quarterly, pt. 1, vol. 8, no. 1 (1964): 25–45; pt. 2, vol. 8, no. 3 (1964): 73–88.

(1) On heroes, Hero-Worship and the Heroic in History, Thomas Garlyl, London, 1849, page: 99.

النصُّ الأصليّ:

"I like Mahomet for his total freedom from cant. He is a rough self-helping son of the wilderness; does not pretend to be what he is not. There is no ostentatious pride in him; but neither does he go much upon humility: he is there as he can be, in cloak and shoes of his own clouting-, speaks plainly to all manner of Persian Kings, Greek Emperors, what it is they are bound to do; knows well enough, about himself, the respect due unto thee".

«ظلَّ محمَّد زمنًا طويلًا معروفًا في الغرب معرفة سيِّئة، فلا تكاد توجد خرافة ولا فظاظة إلَّا نسبوها إليه»(١).

إنَّ أمثال هؤلاء هم الذين أساؤوا إلى أنفسهم وإلى المسلمين، وإلى المستشرقين النزهاء، حتَّى صار كلُّ ما يكتبه مستشرق عن الإسلام يُنظَر إليه بعين الحذر والاحتراز، ويبحث عمَّا فيه من دسٍّ وثلب(٢).

من هنا برزت الحاجة إلى وضع مناهج ومعايير للبحث العلميّ التاريخيّ أو الاجتماعيّ، في ظلِّ إمكانية ادِّعاء كلِّ باحث- وخاصَّة المستشرقين المعاصرين منهم- هذه الموضوعيَّة؛ للوصول إلى أقرب قدر من الحقيقة.

وقد أكَّد عدد من الباحثين على أهميَّة عدم وجود قبليَّات منهجيَّة (Pre-appointed Methodology) قبل الدخول في الموضوع المراد بحثه، فالتناسب بين الموضوع والمنهج هو المدخل الضروريّ للابتعاد عن التحيُّز المنهجيّ (Subjective Methodology). وقد تنبه السيِّد محمَّد حسين الطباطبائيّ وتلامذة مدرسته، كالشيخ مرتضى مطهَّري(٣)، والشيخ مصباح اليزديّ(٤)، وغيرهما، وكذلك السيِّد محمَّد باقر الصدر(٥)، إلى هذا الخطأ المنهجيّ في استخدام البرهان

(١) القرآن والمستشرقون، ضمن كتاب: مناهج المستشرقين، التهامي نقرة، رئيس قسم القرآن الكريم والحديث بكليَّة الزيتونة للشريعة وأصول الدين، تونس، المنظَّمة العربيَّة للعلوم والثقافة، ١٩٨٥م، ج١، ص٢٢.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٢٣.

(٣) راجع: مدخل إلى العلوم الإسلاميَّة: المنطق- الفلسفة، مرتضى مطهَّري، ترجمة: حسن عليّ الهاشميّ، دار الكتاب الإسلاميّ، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠١م، ص٨٠. يقول مطهَّري: «سبب إخفاق العلماء المتقدِّمين أنَّهم استخدموا الأسلوب القياسيّ الخالص أيضًا؛ بغية اكتشاف الطبيعة، كاستعمالهم إيَّاه في مسائل ما وراء الطبيعة».

(٤) راجع: المنهج الجديد في تعليم الفلسفة، محمَّد تقي مصباح اليزديّ، ترجمة: عبد المنعم الخاقانيّ، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ط١، ١٩٩٠م، ج١، ص١٠٩.

(٥) موجز في أصول الدين: المرسِل الرَّسول الرِّسالة، محمَّد باقر الصدر، تحقيق ودراسة:=

في دراسة ظواهر عالم الطبيعة؛ لذا قصروا هذا المنهج على دراسة الفلسفة بالمعنى الأخص.

وهذا ما نلاحظه في تطبيق بعض المستشرقين مناهجهم على ما لا يتناسب مع الموضوع المذكور، فلاحظ المستشرق إميل درمنجهام حين يصوِّر انطباعه النفسيّ عن النبيّ ﷺ، بأسلوبٍ شعريٍّ جميل، وكأنَّه يصوِّر نفسيَّة فنَّان موهوب عبقريّ مُلهَم، لا نفسيَّة نبيٍّ مُرسَل:

«حقًا إنَّ في السماء لشارات للمدركين، وفي العالم غيب، بل العالم غيب كلّه، لكن ألا يكفي أن يفتح الإنسان عينيه ليرى، وأن يُرهف أذنه ليسمع؟ ليرى الحقَّ وليسمع الكلم الخلد! لكن للناس عيونًا لا ترى وآذانا لا تسمع، أمَّا هو (فيحسب) أنَّه يسمع ويرى. وهل تحتاج لكي تسمع ما وراء السماء من أصوات، إلَّا إلى قلبٍ مخلصٍ مليءٍ إيمانًا..»[1]

=عبد الجبار الرفاعيّ، مطبعة شريعت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص١٢٠-١٢٣، يقول الصدر: «بدلًا عن أن يجلس مفكِّر إغريقيّ كأرسطو في غرفته المغلقة الهادئة، ويفكِّر في نوع العلاقة بين حركة الجسم في الفضاء من مكان إلى مكان، والقوَّة المحرِّكة، فيقرِّر الجسم المتحرِّك يسكن فور انتهاء القوَّة المحرِّكة، بدلا عن ذلك يباشر غاليليو تجاربه، ويمارس ملاحظاته على الأجسام المتحرِّكة؛ ليستنتج علاقة من نوع آخر..».

(1) The Life of Mohamet, Emil Dermenghem, translated by: Arabella Yorke, printed in Great Britain by Stephen Austin and sons, Ltd., Hertford 1930, page: 54.

النصُّ المترجَم:

“Surely there are signs in the heavens for those who can underhand them. There are mysteries in the world, and the world is a mystery. But is it enough to open our eyes to see and to lend our ears to hear? That is, to see truly? And to hear what ineffable words? But man has eyes which do not see and ears which do not hear. It seems to him, however, that he does hear something. Does he really need more than a pure heart..”.

ألا يمكن لأيِّ باحثٍ تاريخيّ أو اجتماعيّ أن يستخلص تأثُّر المستشرق بالمنهج التجريبيّ الإمبريقيّ، الذي استوحاه من سابقه في تأسيس علم الاجتماع أوغست كونت، وجعله مقياسًا في تحديد سبب معجزات النبيّ صلى الله عليه وآله بإرجاعها- كما ترى- إلى تأمُّلات ورياضات روحيَّة وعقليَّة، لا إلى وحيٍ من ربِّ الأكوان؟! كما أنَّ بصمة منهجه الوظيفيّ الذي تميَّز به في دراسة الظواهر الاجتماعيَّة، برزت في إعمال الجزئيَّات الخارجيَّة المحيطة، وانعكاسها على الفرد(١).

لقد أصبحت دراسة الاستشراق المعاصر- الذي عرَّفه الدكتور أوليفييه مووس بأنَّه: «مذهب ثقافويّ(٢) جديد، يقوم على تجديد وإعادة تأهيل الأطروحات الاستشراقيَّة الكلاسيكيَّة، ومتطلَّبات الدفاع عن قيم الحداثة والديموقراطيَّة، في سياق يتميَّز بأدلجة متنامية للعلاقات بين الشرق الأوسط والدول الغربيَّة، تعمل على تشجيع العودة إلى قراءة ماهويَّة للمجال الإسلاميّ»(٣)- ضرورة ملحَّة باستخدام أدوات ومناهج العلوم الإنسانيَّة كعلم التاريخ والاجتماع والأنثروبولوجيا، خاصَّة مع ملاحظة أنَّه - أي الاستشراق المعاصر- يتعرَّض لكثير من القضايا الإسلاميَّة الملحَّة، التي تتصدَّر اهتمام الباحثين في العلوم الإنسانيَّة، ومنها موضوع بحثنا في هذا المجال، فمع ازدياد الجدليَّة القائمة حول دور المرأة في المجتمع، برزت دراسات المستشرقين المهتمَّة بمعرفة سبب قدسيَّة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام ودورها ومكانتها في التراث الإسلاميّ عمومًا، والشيعيّ خصوصًا، والتي تمثِّل النموذج والقدوة الرائدة لأتباع هذا المذهب.

(١) راجع: علم الاجتماع، أنتوني غدنز، ترجمة: فايز الصيَّاغ، المنظَّمة العربيَّة للترجمة، القاهرة، مصر، ٢٠٠٥م، ص٦٣-٦٨.

(٢) أي مذهب أنثروبولوجيّ، يعتبر أنَّ أفعال ودوافع الفاعلين يتمُّ تفسيرها حصرًا عبر قيم المجتمع الذي يتنمون إليه.

(٣) راجع: تيَّار الاستشراق الجديد والإسلام- من الشرق الشيوعيّ إلى الشرق الإسلاميّ، أوليفييه مووس، ترجمة: عومرية سلطاني، الناشر: مكتبة الإسكندريَّة، العدد ٣ من سلسلة مراصد، ٢٠١٢م، ص٥.

لذلك نتعهَّد بدراسة آراء المستشرقين ورصدها، لاسيما المعاصرين منهم، حول السيِّدة الزَّهراءعليها السلام، ونقدها لا من جهة عقائديَّة أو فقهيَّة تكون لازمة علينا حصرًا، بل من زاوية يلحظ فيها رصد للمناهج الاجتماعيَّة والتاريخيَّة المستخدمة، ثمَّ نقدها بتوضيح الخلل في عدم التناسب بين الموضوع والمنهج أو التطبيق، أو التأثُّر بمؤثِّرات داخلية سيكولوجيَّة أو خارجيَّة سياسيَّة اجتماعيَّة، وغير ذلك.

بحثنا في النتيجة يتمحور ضمن مباحث ثلاثة:

**المبحث الأوَّل**: محاولة بيان المبادئ التصوُّريَّة للاستشراق من تعريفه ومراحله ومناهجه العامَّة المتَّبعة.

**المبحث الثاني**: رصد محاور نقاش المستشرقين حول السيِّدة الزَّهراءعليها السلام، حيث تناولنا فيها ثلاثة محاور.

**المبحث الثالث**: نقد النتاج البحثيّ الاستشراقيّ حول السيِّدة الزَّهراءعليها السلام.

## المبحث الأوَّل:

# المبادئ التصورية للاستشراق المعاصر
# (Modern Orientalism)

## تعريف الاستشراق

### لغةً:

**عند العرب**: كلمة (استشراق) على وزن استفعال، مصدر للفعل (استشرَق)، وأصله فعل ثلاثيّ (شرق) زيد بثلاثة أحرف، كما في استغفر، طلب الغفران، والمعنى طلب الشرق، وليس هناك معنى محصَّل لطلب الشرق إلَّا طلب علوم الشرق وآدابه ولغاته وأديانه وما شاكل ذلك، وتشير لفظة (شرق)- بحسب معجم مقاييس اللغة- إلى أصلٍ واحدٍ يدلُّ على إضاءة وفتح، من ذلك: شرقت الشمس، إذا طلعت، وأشرقت، إذا أضاءت، والشروق: طلوعها[1].

ومن خلال تتبُّع استعمال هذه الكلمة في المعاجم اللغويَّة، نخرج بهذه النتيجة: إنَّ الأصل الواحد في هذه المادَّة، هو الطلوع مع الإضاءة[2].

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمَّد هارون، قم المقدَّسة، مكتبة الإعلام الإسلاميّ، د.ط، ١٤٠٤هـ، ج٣، ص٢٦٤.

(٢) القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقيَّة- دراسة تقويميَّة نقديَّة، محمود عليّ سرائب، ط١، العراق، العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة، المركز الإسلاميّ للدراسات الإستراتيجيَّة، ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م، ص١٧.

ويدلُّ على استعمالها في مقابل الغروب، بمعنى البُعد والغيبة، والعشاء بمعنى الظلام، كما في: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾[1]، و﴿زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾[2].

**عند الغرب:** يلاحَظ في تتبُّع بعض المصادر اللغويَّة الأوروبيَّة أنَّ تعاريفهم للشرق (Orient) تتضمَّن معنى الإضاءة والهداية، وهو قريب من المدلول اللغويّ الذي ذُكِر في بعض مصادر اللغة العربيَّة، مثال على ذلك:

"The term maghrib was first used by Arab geographers to designate the western part of the Arab world, as opposed to its correspondent in the east, the Mashriq. The letter Mashriq from sharqaa refers to rise, which refers to the place where the sun rises, that is, the Arab Orient"[3].

**النتيجة:** تؤشِّر كلُّ هذه المعطيات إلى أنَّ الاستشراق بالأصل اللغويّ ليس المراد منه الاستشراق المكانيّ الجغرافيّ فقط، بل المعنويّ أيضًا.

**اصطلاحًا:**

لو قمنا بعمليَّة رصد لتعريفات الاستشراق في الكتب والأبحاث والمقالات العلميَّة لرأينا أغلبها يعرِّف المفهوم من جهة تتناسب وذوق أو ميول أو رؤية الكاتب للاستشراق، فمنهم جرَّم الاستشراق بكلِّ مظاهره، وآخر اعتبره علمًا، وبعضهم اعتبره حركة أكثر من علم، وهكذا.. لذلك نقدِّم بعضًا من التعريفات التي تختلف من حيث الجهة والحيثيَّة:

(١) سورة ص، الآية ١٨.

(٢) سورة النور، الآية ٣٥.

(3) See: African Folklore: An Encyclopedia, Editors: Philip M. Peek and Kwesi Yankah, printed by: Routledge New York, 2004, page: 442.

**تعريف بلحاظ التوجُّه السياسيّ**: ولعلَّ أبرز التعاريف من هذه الجهة، هو تعريف إدوارد سعيد: «هو إسقاط من الغرب على الشرق؛ بهدف السيطرة عليه»[1]. ولقد نقد وائل الحلَّاق على هذا التعريف، بقوله: «إنَّ هذه القراءة للاستشراق لا تعدو كونها سياسيَّة، وهو أحد الأسباب التي تجعلني أجد مشروع سعيد قاصرًا، وغير مُرْضٍ، فالاستشراق ليس مجرَّد مشروع سياسيّ كما اعتقد سعيد»[2].

**تعريف بلحاظ نشأة وتاريخ الاستشراق**: ذهب الدكتور الشيخ حيدر حبّ الله إلى تعريفه وفق نشأة الاستشراق في الغرب المسيحيّ: «التخصُّص الذي يمارسه الغربيّ في مجال دراسة الشرق، على مستوى لغاته وديانات وحضارته، انطلاقًا من زوايا علميَّة متعدِّدة»[3]. إلَّا أنَّ هذا التعريف غير جامع في هذا العصر، باعتبار أنَّ الشرق والغرب يكتب الآن عن الشرق، وليس الغربيّ فقط، لذلك عرَّف بعض المفكِّرين الاستشراق بأنَّه: «اشتغال غير المسلمين بعلوم المسلمين، بغضِّ النظر عن وجهة المشتغل الجغرافيَّة، وانتماءاته الدينيَّة والثقافيَّة والفكريَّة، ولو لم يكونوا غربيِّين»[4].

**تعريف بلحاظ الصفة المميزة أو الأسلوب**: وهو ما يظهر من تعريف قاموس أكسفورد، حيث يشير إلى أنَّ (Orientalism) معناها أسلوب في الكتابة، أو صفة شرقيَّة مميَّزة أو خاصَّة «Oriental Character Style or Quality»[5]

(١) راجع: الاستشراق المفاهيم الغربيَّة للشرق، إدوارد سعيد، ترجمة: محمَّد عنَّاني، دار رؤية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م، ص١٢٠.

(٢) قصور الاستشراق منهج في نقد العلم الحداثيّ، وائل الحلَّاق، ترجمة: عمرو عثمان، إعداد: الشركة العربيَّة للأبحاث والنشر، ط١، بيروت، ٢٠١٩م، ص١٣.

(٣) الحديث والمستشرقون: محاضرات أُلقيت على طلبة الماجستير في جامعة أهل البيت عليهم السلام، حيدر حبّ الله، جامعة الشهيدَين الصدر للعلوم الإسلاميَّة، البصرة، ١٤٣٠-١٤٣١هـ، ص٣.

(٤) الاستشراق والدراسات الإسلامية، علي بن إبراهيم الحمد النملة، مكتبة التوبة، رياض،١٤١٨ هجري، ص٢٤.

(5) The Oxford English Dictionary (Oxford), the Clarendon Press, Copy=

**تعريف بلحاظ الجانب المعرفيّ العمليّ ومحلّ الاهتمام**: وقد ذكر الدكتور حسن زماني تعريفًا جامعًا وتعريفًا خاصًّا- هو محلّ بحثنا في المقام- وهو: «معرفة الإسلام مِن قِبَل غير المسلمين»[١].

**تعريف مختصر للاستشراق المعاصر أو الجديد**: «الاستشراق الجديد.. علم إنسانيّ اجتماعيّ، يطبِّق مناهج العلوم الإنسانيَّة والاجتماعيَّة في دراسة الشعوب والثقافات»[٢].

## مراحل الاستشراق

اختلفت تقسيمات مراحل الاستشراق لدى المصنِّفين كلٌّ باعتبار جهته ورؤيته، كما مرَّ في تقسيم التعريفات، لكن يمكن جمعها بتقسيمات أربعة:

١. **التقسيم الجغرافيّ**: قسَّم الدكتور العقيقيّ، وقد لحقه على ذلك الدكتور محمَّد فاروق النبهان، مراحل الاستشراق بالاستناد إلى الموقع الجغرافيّ للمستشرقين، حيث ابتدأوا بالمدرسة الفرنسيَّة ثمَّ اتَّبعوها بالمدرسة الإيطاليَّة أو الإنكليزيَّة وغير ذلك[٣].

٢. **التقسيم الزمنيّ**: اعتُمِد فيه على تقطيع الاستشراق إلى عشر أحقاب زمنيَّة، وفق القرون التي مرَّ بها، فكان الميزان في التقسيم مرتبط بالظروف الاجتماعيَّة والدينيَّة والسياسيَّة المختلفة التي أدَّت بدورها إلى نشوء مدارس استشراقيَّة، فالمرحلة الأولى

=reprinted 1961, Great Britain, Vol. 7, p. 200.

(١) الاستشراق تاريخه ومراحله، محمَّد حسن زماني، مجلَّة دراسات استشراقيَّة (مجلَّة فصليَّة تعنى بالتراث الاستشراقيّ عرضًا ونقدًا)، بيروت، المركز الإسلاميّ للدراسات الإستراتيجيَّة التابع للعتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة، العدد ١، السنة ٢٠١٤م، ص١٨٣.

(٢) أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر، محمَّد خليفة حسن، الإدارة العامَّة للثقافة والنشر بجامعة الإمام، ط١، ١٤٢١هـ، ص٥٨.

(٣) المستشرقون، نجيب العقيقيّ، دار المعارف، القاهرة، ط٤، د.ت، ج١، ص٦. وانظر: الاستشراق: تعريفه، مدارسه، آثاره، محمَّد فاروق نبهان، المنظَّمة الإسلاميَّة للتربية والعلوم والثقافة، المملكة المغربيَّة، ٢٠١٢م، ص٢١.

التي تتضمَّن أحداث القرن الرابع ما قبل الميلاد، حيث هاجم الإسكندر المقدونيّ الملك الإغريقيّ الشاب البلاد الإيرانيَّة وكافَّة الأقطار الأساسيَّة، كان العامل الأساس الذي دفع الإغريقيُّون للتعرُّف على الشرق[1].

٣. **التقسيم التاريخيّ بحسب الدراسات محل الاهتمام**: وقد عمد فيه الدكتور عبد الجبَّار ناجي إلى تقسيم المراحل الاستشراقيَّة بحسب توجُّه الدراسات في كلِّ حقبة زمانيَّة، حيث تبدأ عنده من أواخر القرن السابع عشر والثامن عشر الميلاديَّين. ونصُّ كلامه: «حقيقة أنَّ بدايات نشاط المدرسة البريطانيَّة للاستشراق، واهتمام مستشرقيها بالدراسات العربيَّة واللغويَّة أوَّلًا، ثمَّ التاريخيَّة بعد ذلك، قد ظهر في نهاية القرن السابع عشر والربع الأوَّل من القرن الثامن عشر»[2].

٤. **التقسيم الوظيفيّ**: جعل فيه وظيفة الاستشراق أو هدفه المعيار الأساس في التقسيم، دون النَّظر إلى الزمان أو المكان، أو الاهتمام كميزان في التقسيم، مثل التقسيمات السابقة. فقد قسَّم البعض مراحل الاستشراق إلى مراحل ثلاث، هي: المرحلة المبكِّرة، ومرحلة التبشير، ومرحلة الاستعمار، والأولى كانت عبارة عن: «المرحلة التي نقل الكنسيُّون فيها علوم الكنيسة وفلسفة اليونان من حاضرة العرب (بغداد)، وغيرها من البلدان العربيَّة إلى روما، حيث كانت الكنيسة في احتضار فكريّ»[3].

وقد ظهر تقسيم حديث لمراحل الاستشراق، لوحظ فيه وظيفة أو هدف الاستشراق في القرون الأخيرة، كما انتبه إلى خصائص كلّ مرحلة ومميِّزاتها، نعرضها بشكل جدول،

(١) انظر: القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقيَّة، دراسة تقويميَّة نقديَّة، ص٢٩، أيضًا: الاستشراق تاريخه ومراحله، ص١٨٥.

(٢) الاستشراق في التاريخ- الإشكاليَّات، الدوافع، التوجُّهات، الاهتمامات، عبد الجبَّار ناجي، المركز الأكاديميّ للأبحاث، بيروت، لبنان، ٢٠١٣م، ص١٥٣.

(٣) الاستشراق ومناهجه في الدارسات الإسلاميَّة، سعدون الساموك، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمَّان، الأردن، ٢٠١٠م، ص١٣.

يظهر لك على الشكل الآتي:

| | الاستشراق المبكِّر | الاستشراق الأمريكيّ | الاستشراق المعاصر |
|---|---|---|---|
| الإطار الزمنيّ | ما بين القرن الثامن والتاسع عشر | الحرب الباردة وما بعدها (١٩٤٥-١٩٩٠م) | من سنة ٢٠٠١م |
| البراديغم (Paradigm) | النموذج الاستعماريّ والامبرياليّ | نموذج الحرب الباردة | نموذج «الحرب على الإرهاب»، والتحور إلى نموذج «صراع الحضارات» |
| المصدر | بريطانيا وفرنسا (علماء اللغة والفنَّانين) | الولايات المتَّحدة الأميركيَّة (علماء الاجتماع والإعلام والدوائر المؤيِّدة لإسرائيل) | المحافظون الجدد والمؤيِّدون لإسرائيل في الولايات المتَّحدة وأوروبا |
| الجهة المستهدفة | الشرق وشعوبهم | الولايات المتَّحدة العرب والمسلمون | الإسلام والمسلمون خاصَّة في المجتمعات الغربيَّة |
| الهدف | السيطرة الاستعمار | مصالح الولايات المتِّحدة الجيوستراتيجيَّة (Geostrategic) المصالح الاقتصاديَّة أمن إسرائيل | تطبيق رؤية إسرائيل العالميَّة وتحقيق مصالحها |

**المستند رقم١ : مراحل وخصائص الاستشراق في القرون الأخيرة[1]**

(1) See: From orientalism to Neo-Orientalism: Early and temporary constructions of Islam and the Muslim world, Intellectual Discourse, Salim=

وما يعنينا في بحثنا هو التقسيم الأخير؛ لأنَّ محطَّ تركيزنا هو على المناهج المستخدمة عند المستشرقين، وخاصَّة الذين ينتمون إلى المدرسة المعاصرة، التي قلنا إنَّها تتميز بالتأثُّر بمناهج العلوم الإنسانيَّة المختلفة، والتي ستكون الحجر الأساس لتحليل ونقد وتقييم ما ذكروه حول قضيَّة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام. وعليه فالتقسيمات الزمانيَّة أو المكانيَّة المتقدِّمة لا تخدم هدفنا في المقام، كما التقسيم الأخير، مع ملاحظة ما لكلِّ مرحلة من مراحله من خصائص ومميِّزات بشكلٍ مقتضَب.

## مناهج الاستشراق

لا شكَّ بأنَّ تصنيف المناهج العلميَّة التي اعتمدها المستشرقون في قضايا التاريخ الإسلاميّ في القرنَين المنصرمَين أمر صعبٌ ومعقَّدٌ، ذلك أنَّه لا يستبعد تحقيق تصنيف يمكن قبوله عالميًّا؛ بسبب ما يتميَّز به كلُّ مستشرق من خواص ومميِّزات تتباين مع المجموعة نفسها من المستشرقين.

يقول الدكتور عبُّود:

«المستشرقون الذين نضعهم في تصنيف واحد من ناحية العقيدة الدينيَّة، قد يقدِّمون تفسيرات تختلف عن المستشرقين الذين ينتمون إلى اتِّجاهات إيديولوجيَّة مناقضة، اختلافًا يفوق الاختلاف مع بني جلدتهم من أتباع الدين نفسه، ولكي نسوق مثالًا حيًّا فإنَّ التفسير السوسيولوجيّ (الاجتماعيّ) لسيرة النبيّ صلى الله عليه وآله لمونتغمري وات (محمَّد في مكة)، تتَّفق من هذه الناحية مع التفسير المادِّيّ الذي ساقه ماكسيم رودينسون الماركسيّ في كتابه (محمَّد) اتِّفاقًا يفوق ذلك الذي بينه وبين تفسيرات سواه من المستشرقين المسيحيِّين الذين ركَّزوا على عوامل أخرى، مثل سيطرة فكرة يوم القيامة على النبيّ صلى الله عليه وآله، ولاسيما كازانوفا. ومن ناحية أخرى، نجد أنَّ طريقة معالجة ماكدونالد

=Kerboua, Vol. 24, No. 1, 2016, p. 22.

المرضية أمر يقبله رودنسون، بينما نجد من ينتمي إلى نفس دينه، وهو مونتغمري وات، يرفض الفكرة نفسها»[١].

ورغم أنَّ هناك مناهج عامَّة علميَّة نظريَّة أو مكتبيَّة (Librarian Methods) اعتمدها المستشرقون، من قبيل المنهج التاريخيّ أو الوصفيّ أو الإحصائيّ وغيرهم، إلَّا أنَّه برزت في مرحلة الاستشراق المعاصر مناهج علوم اجتماعيَّة وتاريخيَّة وأنثروبولوجيَّة، نظريَّة وميدانيَّة، تسهِّل عمليَّة البحث العلميّ، وتوطئة لأرضيَّة تساعد على فهم استنتاجات المستشرقين في مختلف الميادين، سواء كانت قرآنيَّة أم حديثيَّة أم تاريخيَّة، وهو محطُّ بحثنا في قضية السيِّدة الزَّهراء عليها السلام.

هذا وقد تميَّز المنهج الأنثروبولوجيّ في دراسة التراث، بأنَّه ذو نظرة كليَّة شاملة، من خلال استخدامه المنهج التكامليّ، الذي يهدف إلى تحديد جميع عناصر التراث المزمع دراسته.

وقد اختلفت نظرة المنهج الأنثروبولوجيّ العمليَّة «الإمبريقيَّة في دراسة التراث، عن نظرة المناهج المكتبيَّة بجميع أنواعها المختلفة عند المستشرقين، وتمثَّل ذلك من خلال الحصول على معلومات من واقع الناس، وليس بالرجوع فقط إلى مؤلَّفات العلماء، خاصَّةً وأنَّ «كثيرًا من المستشرقين القدماء كانوا يفتقرون إلى الإلمام بالشريعة الإسلاميَّة والحديث والقرآن، ولا ريب في أنَّ أغلبهم لم يكن على بيِّنةٍ بالفروق التي بين المذاهب الإسلاميَّة الأربعة»[٢].

(١) منهجية الاستشراق في دراسة التاريخ الإسلاميّ، ضمن كتاب: مناهج المستشرقين، محمَّد بن عبُّود، المنظَّمة العربيَّة للعلوم والثقافة، تونس، د.ط، ١٩٨٥م، ج١، ص٢٣٨-٢٣٩.

(٢) مناهج دراسة التراث عند المستشرقين، إسلام عبد الله عبد الغني غانم، مجلَّة الرواق للدراسات الاجتماعيَّة والإنسانيَّة، مجلد٤، عدد٢، مركز البحوث والدارسات الاجتماعيَّة والأفريقيَّة «تحت التَّأسيس»، الإسكندريَّة، ٢ ديسمبر ٢٠١٨م، ص٤٦.

وإليك بعض النماذج من المناهج الاستشراقيَّة التي استُخدمت عند المستشرقين المعاصرين، في المستند أدناه:

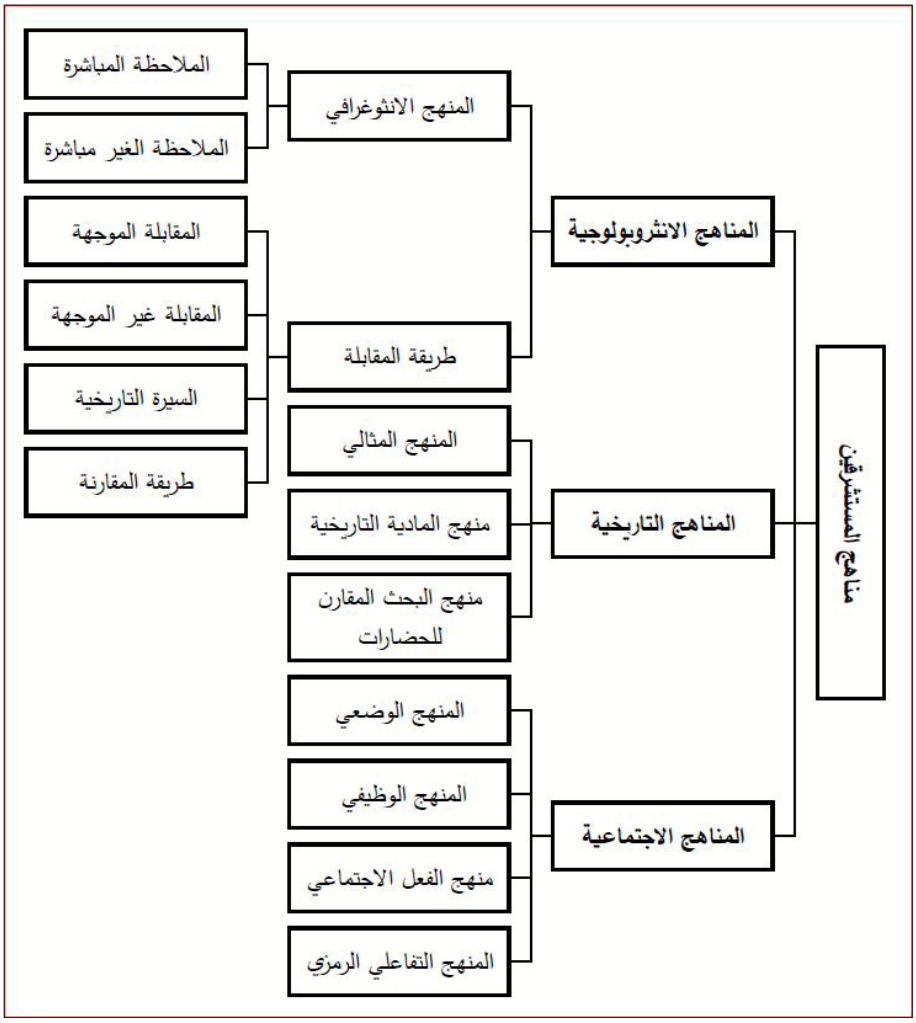


**مستند رقم ٢: جدول لبعض المناهج المعتمدة لدى المستشرقين المعاصرين**

## المبحث الثاني

### محاور نقاش المستشرقين حول السيِّدة الزَّهراء عليها السلام

### المحور الأوَّل: سبب اتِّخاذ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام أسطورة عند الشيعة (فيرينا كلم، وكارن رفل أنموذجًا)

بذل بعض المستشرقين جهودًا لا يُستهان بها في محاولة معرفة سبب اتِّخاذ المسلمين، خاصةً الشيعة منهم، السيِّدة الزَّهراء عليها السلام ذات قيمة قدسيَّة عالية تفوق جميع نساء العالمين. ومن خلال تتبُّعي لكلماتهم، لفت انتباهي التعبير الذي استخدمته المستشرقة فيرينا كلم (Verena Klemm) في بحثها، وهو كيفيَّة تكوُّن أسطورة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في التراث الإسلاميّ، حيث خلصت إلى نتيجة- تحت إطار المنهج التاريخيّ والمنهج المقارن- إلى أنَّ وظيفة الأنساب هي بالضبط التي يبدو أنَّها مفتاح الاحترام الخاص للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام بين الشيعة[1].

(1) Image formation of an Islamic legend: Fatima, the daughter of the prophet Muhammad, with in the book: IDEAS, IMAGES, AND METHODS OF PORTRAYAL Insights into Classical Arabic Literature and Islam, Verena Klemm, edited by: SEBASTIAN GÜNTHER, printed by: Koninklijke Brill NV, Leiden, The Netherlands, Volume 58, 2005, page: 182.

النصُّ الأصليّ:

"It is precisely her genealogical function that seems to be the key to the special regard for Fatima among the Shiites".

ويمكن تلخيص أدلَّتها على ما ذكرت بما يأتي:

١. هناك قدر من الأخبار المذكورة في المصادر التاريخيَّة والروائيَّة عند أهل السنَّة، كافية لإظهار أنَّ الزَّهراء عليها السلام لا تمتلك أهميَّة كبيرة في سجلَّات الأحداث المذكورة في تلك الكتب، إلَّا أنَّه عندما يتعلَّق الأمر بارتباطها بالنبيّ صلى الله عليه وآله، تُعطى اهتمامًا عظيما[١].

٢. وفقًا للمؤرِّخ ابن سعد في طبقاته، فإنَّ معجم (Lexicon) المعلومات الذي يتضمَّن تفاصيل أقارب النبيّ صلى الله عليه وآله، ومنهم النساء، يذكر أنَّ من زوجاته صلى الله عليه وآله مَن برزن بسبب مواقفهنَّ الدينيَّة، كالميمونة بنت الحارث، وأسماء بنت أبي بكر، وأُخريات يظهرن في المقدِّمة أيضًا من خلال أنشطتهنَّ المستقلَّة، يعتنقن الإسلام بناءً على قرارهنَّ الخاص، يقاتلن في المعارك، وهنَّ- بسبب سلوكهنّ - يعتبرن في نهاية المطاف حالات سابقة في توضيح القضايا القانونيَّة الإسلاميَّة. وما يؤيِّد ما تصوَّرته فيرينا، هو التناقضات الموجودة في شخصيَّة الزَّهراء عليها السلام وفقًا لما رواه ابن سعد، فتارةً تراها الثائرة المعترضة على حكم زوجها، كما في حادثة طلب الإمام عليّ عليه السلام يد بنت أبي جهل، وأخرى الليِّنة المسالمة العطوفة على أبيها، كما في حادثة تضميد جراحه صلى الله عليه وآله في أُحد[٢].

ورغم أن كلمة أسطورة (Legend) باللغة الإنكليزيَّة تتضمَّن معنَيين، بحسب قاموس أوكسفورد، هما:

١. الأسطورة هي قصَّة تقليديَّة يُنظر إليها أحيانا على أنَّها تاريخيَّة، ولكنَّها غير موثَّقة[٣].

(1) Image formation of an Islamic legend: Fatima, the daughter of the prophet Muhammad, Verena Klemm, p: 185.

(2) See: Image formation of an Islamic legend, p: 190.

(3) Oxford Dictionary Application, Version 15.1.943.943, Mobi system=

٢. الأسطورة هو شخص مشهور للغاية أو سيِّء السمعة، خاصَّة في مجال معين[١].

إلَّا أنَّ الظاهر من كلمات المستشرقة (فرينا كلم) المعنى الثاني، فالزَّهراء عليها السلام ذات شخصيَّة بالغة الأهميَّة، لكن تساهم الأحداث الخياليَّة التي وردت في بعض المصادر التاريخيَّة أو الروائيَّة، في بلورة وتطوُّر شخصيَّتها المقدَّسة.

وقد اعتبرت (فيرينا) أنَّ هذه الأحداث الخياليَّة مأخوذة غالبًا من حكايا خياليَّة لمقدَّسِين، مثل ما ورد في الإنجيل من تكلُّم طفل في بطن أمِّه، ودعاؤه مباشرةً بعد الولادة، وهذا يشابه ما ورد من تكلُّم الزَّهراء عليها السلام مع جبرائيل عليه السلام[٢].

هذا ونلحظ تركيز المستشرقة (كارن رفل) على المقارنة بين دناسة حوَّاء التي وردت في بعض الروايات الإسرائيليَّة، وطهارة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، معتبرةً إيَّاه حجرًا أساس في إبراز قداستها عليها السلام.

نصُّ كلامها:

«شارك المفكِّرون الدينيُّون الشيعة بشكلٍ خلَّاقٍ في الأدب الإسرائيليّ باعتباره مصدر يشرح صفات فاطمة الاستثنائيَّة، التي استُخدمت لترمز إلى مفهومهم للنبوءة الظاهريَّة، والإمامة الباطنيَّة، كوسيلة للتعبير العقائديّ، كان من الضروري إثبات جسد

=Incorporation, Copyright 2023.

النصُّ الأصليّ:

"a traditional story sometimes popularly regarded as historical but not authenticated".

(1) Same previous source.

النصُّ الأصليّ:

"An extremely famous or notorious person, especially in a particular field".

(2) See: Image formation of an Islamic legend: Fatima, the daughter of the Prophet Muhammad, p: 198.

فاطمة بشكلٍ لا لبس فيه على أنَّه مختلف، وللتجاور الإبداعيّ للروايات الإسرائيليَّة التي صوَّرت حوَّاء كعدوٍّ لابنة النبيّ. لقد بنى هذا اللاهوت الإبداعيّ في النهاية نموذجَين متناقضَين للأنوثة التي تتمحور حول الأنطولوجيا التي تجد أساسها في الجهاز التناسليّ للأنثى، وجوهرها أو سموها..»[1]

## المحور الثاني: قيمة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بالنسبة لأبيها وزوجها (هنري لامنس أنموذجًا)

لعلَّ أبرز مَن وصف توصيفًا سلبيًا لقيمة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام هو المستشرق هنري لامنس، فتارة يذكر أنَّها:

١. **ضعيفة الذكاء**: «امرأة خالية من الجاذبيَّة، من الذكاء المتوسِّط، تمامًا تافهة»[2].

(1) An Even Better Creation: The Role of Adam and Eve in Shi'i Narratives about Fatimah al-Zahra, Karen G. Ruffle, Journal of the American Academy of Religion, Volume 81, Issue 3, September 2013, Page: 816.

النصُّ الأصليّ:

"Shi'i religious thinkers creatively engaged Isrâiliyyat literature as a source explaining Fatimah's exceptional qualities that were used to symbolize their conception of exoteric prophecy and the esoteric Imamate. As a vehicle for articulating doctrine, it was necessary to unequivocally establish Fatimah's body as different, and for a creative juxtaposition of Isrâiliyyat narratives that portrayed Eve as an enemy of the Prophet's daughter. This creative theology has ultimately constructed two antithetical models of womanhood that are centered on an ontology that finds its basis in the female reproductive system and its immanence or transcendence".

(2) Fatimah et les filles de Mahomet, Henri Lammens, Rome: Sumptibus Pontificii Institut Biblici, 1912, p: 41.

٢. **ضعيفة البنية الجسمانيَّة**: «من ناحية الشكل، لم نجد فاطمة أفضل حالًا، فقد كانت واهية البنية، ونحيفة صفراء، شاحبة اللون، دائمة العلل، وقد أقعدتها عللها عن الأعمال الشاقَّة التي كانت تقوم بها النساء آنذاك، ولذلك ماتت شابَّة»[١].

٣. **لا تحظى باهتمام والدها**: «الأمر مختلف مع فاطمة، إذ حُرِمت حتَّى من الإطراء الذي كان محمَّد يبديه لابنته الأخرى (زينب)، فلم تحصل فاطمة في أيِّ مكان أو لحظة على نفس المدح الذي حصلت عليه أختها. قال عنها النبيّ بأنَّها أفضل بناته وأكفأهنَّ، وعندما روى (عروة بن الزبير) هذا الحديث بمحضر (عليّ بن الحسين)، ثارت ثائرة الأخير، وقال: أنت تريد أن تنتقص من قدر فاطمة»[٢].

٤. **لا تحظى باهتمام زوجها**: «لا تحظى بتقدير كبير من قِبَل والدها، وسوء المعاملة من قِبَل زوجها المصاب بفقر الدَّم، وغالبًا ما يكون مريضًا، وعرضة للدموع، والذي مات ربَّما بسبب الاستهلاك»[٣]

٥. **تعيسة لا تتوقَّف عن الحزن والبكاء**: «من بين شخصيَّات السيرة، لا نجد شخصًا يبكي أكثر من فاطمة، فقد كانت حزينة على الدوام، وأمسى سكب الدموع صفة مميَّزة لها، منذ مشهد حدادها على أمِّها خديجة»[٤].

هذا ويمكن زيادة كثير من العناوين الأخرى التي قدحَ فيها المستشرق هنري وغيره من المستشرقين في قيمة الزَّهراء عليها السلام بالنسبة لأبيها وزوجها، ومجتمعها حتَّى، إلَّا أنَّ صغر البحث أو المقال لا يسمح بمثل هذه التوسعة.

(1) Fatimah et les filles de Mahomet, p: 16-18.

(2) Same previous source.

(3) Same previous source, p: 41.

(4) Same previous source, p: 16-18.

## المبحث الثالث

## نقد النتاج البحثيّ الاستشراقيّ حول السيِّدة الزَّهراء عليها السلام

### المحور الأول: اعتماد المنهج التاريخيّ المادِّيّ أو الإسقاطيّ لتفسير قداسة السيِّدة الزَّهراء عند الشيعة

أشارت المستشرقة (فيرينا كلم) أنَّ قيمة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام عند الشيعة مرتفعة وعظيمة؛ بسبب ارتباطها النسبيّ بالنبيّ صلى الله عليه وآله، معتبرة أنَّ الدليل الأساس على ذلك، هو أنَّ كميَّة الأحداث التي تشير إلى مشاركتها فيها، سلام الله عليها، قليلة، وحتَّى القليلة منها لا ترقى إلى أهميَّة كبيرة تميِّزها عن باقي زوجات أو أقارب النبيّ صلى الله عليه وآله إلَّا من جهة انتسابها، وذلك مثل استلامها وأزواج النبيّ صلى الله عليه وآله لمتلكات بعد معركة خيبر، أو تضميدها لجراح النبيّ صلى الله عليه وآله. وكان العمدة عندها في المصادر سيرة ابن هشام والطبريّ والبلاذريّ وطبقات ابن سعد واليعقوبيّ.

نقول في مناقشة ذلك عدَّة نقاط:

١. حبَّذا لو كان استنتاج بعض المستشرقين لسبب تقديس السيِّدة الزَّهراء عليها السلام مرفقًا ببحث ذي منهج إنثوغرافيّ؛ ليروا من خلال مقابلة مباشرة أو غير مباشرة، رأي علماء الشيعة لسبب تقديسها سلام الله عليها، فلو حصل ذلك؛ لاتَّضح لهم أنَّ السبب الحقيقيّ لتقديسها ليس انتسابها للنبيّ صلى الله عليه وآله، فقد كان له أولاد كُثر- ولو أنَّ كلَّهم توفوا- لم يعطِهم تلك الأهميَّة في حديثه أو سيرته،

ممَّا يعني أنَّ الميزان في تعظيم النبيّ ﷺ لشخصيَّةٍ ما يرجع إلى ميزان غير الميزان النَّسَبيّ أو القُربيّ، بل التَّقوى والقُرب من الله سبحانه، وهذا ما يشهد له تاريخه، من خلال تعظيم بلال الحبشيّ على كثير من المهاجرين، أو حديثه من أنَّ أكرم الناس عند الله ﷻ هو أتقاهم.

ومن أبزر ما قد يكون دليلًا على عدم مَيل النبيّ ﷺ للجانب القُربيّ، حينما يتعلَّق الأمر بالتعظيم المعنويّ للشخص، هو حديث الكساء المرويّ عند الفريقَين، حيث رفض ﷺ دخول أمّ سَلَمة معهم تحت الرداء، رغم أنَّها إحدى أكثر زوجاته قُربًا له.

يقول الإمام الخامنئيّ دام ظلُّه في هذا الإطار: «إنَّ تقبيل يد فاطمة الزَّهراء عليها السلام، من قِبَل النبيّ ﷺ، لا ينبغي أن يُؤخذ أبدًا على معنًى عاطفيّ، فإنّ هذا أمرٌ خاطئٌ جدًّا وحقيرٌ جدًّا، فيما لو تصوَّرنا أنَّه يُقبِّل يدها؛ لأنَّها ابنته، ولأنَّه يُحبُّها وحسب. فهل يُمكن لشخصيَّةٍ بمثل هذه العظمة، وبمثل تلك العدالة والحكمة، الَّتي كانت في النبيّ، يعتمد على الوحي والإلهام الإلهيّ، أن ينحني احترامًا لابنته؟ كلَّا، إنَّ هذا أمرٌ آخر، وله معنًى آخر. إنَّه يؤكِّد أنَّ هذه الفتاة، وهذه المرأة عندما ترحل من هذه الدنيا في عمر ١٨ أو ٢٥- قيل ١٨، وقيل ٢٥- تكون في أوج الملكوت الإنسانيّ، وشخصًا استثنائيًّا»[1].

يقتبس الشيخ عليّ الباميانيّ من كلام السيِّد القزوينيّ في كتابه من المهد إلى اللحد، ويقول ما نصُّه: «كانت فاطمة عزيزة النَّبيّ ﷺ، كان النَّبيّ ﷺ يحبُّها حبًّا لا شبه محبَّة الآباء لبناتهم، إذ كان حبُّه مزيجًا بالاحترام والتَّعظيم، فلم يعهد من أيِّ أبٍ في العالم ما شوهِد من الرَّسول ﷺ تجاه السَّيِّدة فاطمة

(١) إنسان بعمر ٢٥٠ سنة، عليّ الخامنئيّ، دار المعارف الإسلاميَّة الثقافيَّة، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٢٠م، ص١٤٣.

الزَّهراء، فقد وصفها النبيّ صلى الله عليه وآله بـ«بضعة منه وروحه الَّتي بين جنبيه»، ولم يكن ذلك الحبُّ منبعثًا من العاطفة الأبويَّة، إذ كان الرَّسول ينظر إلى ابنته بنظر الإكبار والإجلال، وذلك لما كانت تتمتَّع به فاطمة الزَّهراء من المواهب والمزايا والفضائل، ولعلَّه صلى الله عليه وآله كان مأمورا باحترامها وتجليلها، باعتبار كونها أمُّ الأئمَّة الَّذين هم القاعدة الإسلاميَّة بالنَّصِّ. وكان الرَّسول صلى الله عليه وآله إذا أراد السَّفر كان آخر النَّاس عهدًا بفاطمة، وإذا قَدِم من السَّفر كان أوَّل النَّاس عهدًا بفاطمة الزَّهراء عليها السلام، هذا مضمون الروايات المتواترة روى ما مضمونه أنَّ النَّبيّ صلى الله عليه وآله إذا أراد السَّفر كان آخر عهده بفاطمة، وإذا رجع كان أوَّل عهده بها»[1].

هذه بعض الشواهد في تطبيق المنهج الأنثروبولوجيّ الإنثوغرافيّ غير المباشر، أي من خلال المصادر وكلمات العلماء، على أنَّ قداستها سلام الله عليها ليس نابعًا من القرب النسبيّ، وهذا ليس محصورًا بحديث علماء الشيعة، بل حتَّى هناك روايات في مصادر علماء السنَّة ما يؤيِّد ذلك، نكتفي فيه برواية واحدة واضحة الدلالة:

«حدَّثنا عثمان بن عمر، حدَّثنا إسرائيل عن ميسرة بن حبيب عن المنهال بن عمرو عن عائشة بنت طلحة عن أمِّ المؤمنين عائشة أنَّها قالت: ما رأيت أحدًا كان أشبه كلامًا وحديثًا برسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم من فاطمة، وكانت إذا دخلت عليه قام إليها وقبَّلها ورحَّب بها وأخذ بيدها وأجلسها في مجلسه، وكانت هي إذا دخل عليها قامت إليه فقبَّلته وأخذت بيده»[2]

(١) خلافة الإمام عليّ عليه السلام بين النصوص الدينيَّة والتغطية الإعلاميَّة، الشيخ عليّ الباميانيّ، مؤسَّسة السيِّدة زينب، بيروت، ط٢، ١٤٢٠هـ، ص٣٠٦.
(٢) صحيح ابن حبَّان، ابن حبَّان، مؤسَّسة الرسالة، ط٢، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص٤٠٣.

٢. اعتبرت (فيرينا كلم) أنَّ الأحداث التي ذُكرت في المصادر التاريخيَّة حول السيِّدة الزَّهراء عليها السلام لا تُعطي صورة أو انطباع أنَّها المرأة التي تظهر بفضائلها وعلمها، بغضِّ النَّظر عن انتسابها للنبيّ صلى الله عليه وآله، فهي الثائرة بوجه عليّ عليه السلام، كما في حادثة نيَّته الزواج من بنت أبي جهل، والمطيعة الهادئة، كما في روايات زواجها من عليٍّ عليه السلام.

نقول إنَّ المنهج المادِّيّ في اقتناص الروايات من دون التمحيص فيمن رواها، أو الرجوع إلى الأصول العقائديَّة التي وردت في القرآن والسنَّة المطهَّرة، لمكانتها سلام الله عليها، سيُبقي على هذه الصورة الغامضة التي استنتجتها المستشرقة (فيرينا)، مقابل هذا المنهج في بحوث المناهج الاجتماعيَّة أو التاريخيَّة، هناك المنهج التحليليّ النوعيّ، الذي لا يكتفي بملاحظة الحدث الاجتماعيّ أو التاريخيّ من دون قياسه وعرضه على الصورة العامَّة الثابتة المتَّفق عليها بين المؤرِّخين والمحدِّثين. فمن لا يتَّفق على أنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام من نساء أهل البيت عليهم السلام الَّذين تطهَّروا من كلِّ ذنب، بقرينة المفعول المطلق (تطهيرًا)؟! أفهل يُعقل أن نقبل ضمن المنهج التحليليّ النوعيّ رواية تعارض هذا الأصل فقط؛ لأنَّ عددًا كبيرا من المؤرِّخين وكتَّاب الحديث ذكروها مع ملاحظة الظروف السياسيَّة والاجتماعيَّة التي قد يكونوا تأثَّروا بها في ذلك الوقت؟!

أمَّا بالنسبة لراوي الرواية، فلو اتَّبعنا المنهج الروائيّ الذي يدقِّق في رجال الحديث، لوجدنا أنَّ راوي الرواية أبو هريرة، والذي يكفي في ذمِّه ما ورد عن الخليفة الثاني في كتب علماء السنَّة في شأنه:

«ونقل ابن أبي الحديد في شرح النهج: ١/ ٣٦٠، طبعة مصر، أنَّه قال أبو جعفر الإسكافيّ: وأبو هريرة مدخول عند شيوخنا، غير مرضيّ الرواية، ضربه عمر بالدرَّة، وقال: قد أكثرت من الرواية، أحرى بك أن تكون كاذبًا على

رسول الله صلى الله عليه وآله. وذكر ابن عساكر في تاريخه، والمتَّقي في (كنز العمَّال): أنَّ الخليفة عمر بن الخطَّاب زجر أبا هريرة، وضربه بالسوط، ومنعه من رواية الحديث، ونقلهِ عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال له: لقد أكثرت نقل الحديث عن النبيّ صلى الله عليه وآله، وأحرى بك أن تكون كاذبًا على رسول الله صلى الله عليه وآله!! وإذا لم تنتَهِ عن الرواية عن النبيّ صلى الله عليه وآله؛ لأنفينَّك إلى قبيلتك دوس، أو أُبعدك إلى أرض القردة»[1].

ثمَّ إنَّ نقل المستشرقة لبعض الأحداث، واعتبارها لا تقع في صلب العمليَّة التبليغيَّة للنبيّ صلى الله عليه وآله، وتمرُّ عليها مرور الكرام، يدلُّ على انتقائيَّة تُعتَمد في المنهج التفكيكيّ، حيث يتتبَّع الباحث جزئيَّات معيَّنة دون إعطائها حقَّها في التوصيف؛ لتبقى الصورة غامضة عنده.

فقد مرَّت (فيرينا) على ذكرها لحادثة المباهلة مرور الكرام، فلم تعتبره حدثًا ذا أهميَّة بالغة وحسَّاسة في مواجهة الدعوى الإسلاميَّة للديانات الأخرى، بل هي حادثة مثلها مثل حادثة معالجة جراح النبيّ صلى الله عليه وآله في أُحد، رغم أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله لم يأتِ من نسائه إلَّا بالسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، التي كانت في قلبِ أَحدِ أهمِّ أحداث السيرة النبويَّة.

٣. لقد أظهرت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في مواقف محدَّدة، كخطبتها في مسجد المدينة، اطِّلاعًا دقيقًا على العلوم القانونيَّة الإسلاميَّة بشكلٍ لا تقارن بها أيًّا من نساء النبيّ صلى الله عليه وآله، وهذا يعني أنَّ قداستها من علمها بالشريعة والدين، وتشير إلى أنَّها لم تحتج أن تشقَّ طريقها لإثبات نفسها، كما عند باقي نساء النبيّ صلى الله عليه وآله، فهي العالمة غير المعلَّمة، التي تعلَّمت في بيت الوحي، ونهلت من مدينة العلم وبابها، وفق إجماع جميع المسلمين. فما ذكرته المستشرقة (فيرينا) من أنَّه لا دور

(١) ليالي بيشاور (مناظرات وحوار)، سلطان الواعظين (السيِّد محمَّد الموسويّ الشيرازيّ)، مؤسَّسة البلاغ، ط١٠، ١٤١٩هـ، ص٣٢٨.

شرعيّ أو قانونيّ في السيرة والحديث، أو أنَّها لم تشق وتثبت نفسها كباقي النساء ليس دقيقًا، فقد أثبت علمها وقداستها القرآن والسنَّة المتواترة، لا لأنَّها بنت النبيّ صلى الله عليه وآله بشكلٍ أساسيّ، بل بسبب علمها وأخلاقها وتضحياتها في سبيل الدين، مع أبيها وزوجها وأولادها.

٤. نقول: إنَّه لا غرابة في أن يكون ذِكر السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وخاصَّة في مصادر الحديث عند أهل السنَّة وكتب التاريخ المتقدِّمة، قليلة من ناحية الكم، فمن ناحية مصادر حديث أهل السنَّة، يقول الدكتور شهيد الكعبيّ كلامًا جوهريًّا في كيفيَّة وقوع كثير من المستشرقين بخطأ في تحديد مكانة شخصيَّة تاريخيَّة، من خلال كلام من يقف على نقيض من تلك الشخصيَّات:

«ليس من المنطقيَّة بمكان أن يستدلَّ على تواضع وخمول مكانة شخص ما من خلال عدم ذِكر من يقف معه على طَرَفي نقيض لفضائله ومزاياه، وتبيانها بشكلٍ جليّ! بل إنَّ العكس غالبًا ما يكون هو الصحيح، ولذا ليس من الغريب أن يقتصر أحمد بن حنبل، وكذا أصحاب الصِّحاح والمسانيد، على نُتَفٍ من الأحاديث المرويَّة عن فاطمة، وأهل البيت عليهم السلام، سيما ما يتعلَّق بمكانتهم ومنزلتهم وعظيم حقِّهم..»[١].

وأمَّا من ناحية التاريخ، فالشواهد كثيرة على تعمُّد عدم ذِكر فضائلها سلام الله عليها، نكتفي بما صرَّح به ابن هشام في تاريخه: «وأنا تارك أشياء بعضها يشنَّع الحديث به، وبعضٌ يسوء بعض الناس ذِكره»[٢].

(١) صورة أصحاب الكساء، شهيد كريم محمَّد الكعبيّ، دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٥م، ص٣٧٢.

(٢) السيرة النبويَّة، ابن هشام الحميريّ، تحقيق وضبط وتعليق: محمَّد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة محمَّد عليّ صبيح وأولاده، بمصر، د.ط، ١٩٣٦هـ/ ١٣٨٣م، ص٢٢.

٥. يُلحظ من المستشرقة (فيرينا كلم) قياس الروايات التي ذُكِرت حول مكانة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام العظيمة، سواء فيما يتعلَّق بنطفتها التي أُخِذت من الجنَّة، بحسب بعض المصادر، ككتب الشيخ الصدوق، أو ظهورها يوم المحشر، وغضّ بصر جميع الخلق عنها، إلَّا من كان من ولْدِها، على القصص أو الروايات التي ذُكِرت في الكتاب المقدَّس أو أساطير الإغريقيِّين، فاستنتجت أنَّها مستوحاة أو مأخوذة عنهم. وهذا هو نفس المنهج الذي اعتمده كثير من المستشرقين، في محاولة إثبات أنَّ قصص القرآن الكريم مشابهة للقصص المذكورة في الكتاب المقدَّس أو القصص الخياليَّة لأساطير اليونانيِّين، وبالتالي هذا التشابه يعني الأخذ عنهم، وهو ما قد نسمِّيه بمنهج التأثير والتأثُّر، أو الإسقاطيّ، بمعنى إسقاط ما استُنتِج من الأبحاث السابقة على الأبحاث المراد تحقيقها.

وقد يظهر للقارئ جليًا الرَّد على مثل هكذا استنتاج، بالقول إنَّ مجرَّد التشابه لا يعني الأخذ عنهم. فعلى الأقل يبقى احتمال لا يمكن الجزم به. هذا التشابه قد يكون كاذبًا، وقد يكون حقيقيًّا، وقد يكون لفظيًّا، وقد يكون معنويًّا[1].

إذن أقلُّ ما يُقال إنَّه لا يصلح استنتاج أنَّ هذه الروايات التي تحدَّثت عن فضائل الزَّهراء عليها السلام أخذت من تلك المصادر لمجرَّد التشابه الموجود. وأمَّا اعتبار أنَّ قدسيَّة السيِّدة الزَّهراء برزت بشكلٍ أساسيّ بفضل الروايات التي ذكرها الشيخ الصدوق، أو العلَّامة المجلسيّ في المذهب الشيعيّ، فقد ظهر بطلانه؛ لما ذكرناه سابقًا من أنَّه يكفي في القرآن الكريم ما نزل بشأنها، وفي السنَّة القطعيَّة المتَّفق عليها ما فيه غنًى عن تلك الروايات.

(١) انظر: التراث والتجديد، موقفنا من التراث القديم، حسن حنفي، د.ط، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصريَّة، ص٧٨.

وأمَّا ما ذكرته المستشرقة (كارن رفل) من أنَّه كان من الضروري لتقديس جسد فاطمة، مقارنتها مع جسد حوَّاء، الذي تنجَّس بالمعصية؛ بسبب تحفيز آدم عليه السلام على الأكل من تلك الشجرة، فنقول:

**أوَّلًا**: إنَّه لا يحتاج إلى تقديس جسدها وروحها لأكثر ممَّا ذُكِر في القرآن والسنَّة القطعيَّة بالمنظور الشيعيّ، الذي يتعمد المنهج الروائي لاستخلاص الأصل العقائديّ.

**ثانيًا**: لا عبرة بالروايات الإسرائيليَّة المذكورة حتَّى في كتب علماء الشيعة، إذا أُخذت من الكتاب المقدَّس عند مشهور علماء الشيعة؛ لتثبيت أصل أو فرع عقائديّ، إلَّا أن تكون ثابتة بالقرآن الكريم والسنَّة القطعية. قصَّة معاقبة جسد حوَّاء ذُكِرت في الكتاب المقدَّس بالتفصيل: «فقال سمعت صوتك في الجنَّة، فخشيت، لأنِّي عريان فاختبأت * فقال من أعلمك أنَّك عريان؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك ألَّا تأكل منها؟ * فقال آدم: المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت»[1]. «وقال الربُّ للمرأة: لأُكثرنَّ مشقَّات حملك تكثيرًا»[2].

## المحور الثاني: المنهج الذاتيّ في انتقاء الأحداث التي تحدِّد قيمتها

تعدُّ أهم الإشكالات المنهجيَّة في العلوم الإنسانيَّة- بما يتعلَّق بالباحث- عامل الذاتيَّة والقيمة، فالأخيرة عبارة عن قيم تنتج أسئلة، والتي يلتزم بها الباحثون، لا تصبغ محتويات الكشوف والنتائج فحسب، بل تتحكَّم كذلك في تقديرها للشواهد، والبيِّنات

(١) العهد القديم، سفر التكوين، الأصحاحَين الثاني والثالث، طبعة دار الكتاب المقدَّس، ص٥-٧.

(٢) العهد القديم، سفر التكوين، ص١١.

التي يؤسِّس عليها النتائج. وقد ظهر هذا العامل جليًّا في بحث المستشرقتَين (فيرينا كلم)، و(كارن رفل)[1].

أمَّا الأوَّل- أي عامل الذاتيَّة- فهو تحليل الظواهر الإنسانيَّة من خلال تفاعلات داخليَّة من خبرته الذاتيَّة، والتي تشوبها نيَّات وبواعث مختلفة، من شأنها التأثير على نتائج الباحث وأحكامه[2]. ولعل أبرز ما قد يُظهِر هذه الذاتيَّة هي الميول والتحزُّبات نحو مذهب أو عقيدة، فترمي شخصيَّة تاريخيَّة بأبشع التوصيفات؛ لمخالفتها لانتماء الباحث أو المؤرِّخ الدينيّ أو العقائديّ، وقد فصَّل الدكتور صائب عبد الحميد ذلك ضمن بحثه حول منهج النقد التاريخيّ الباطنيّ[3].

لقد ظهر لكثير من المستشرقين الجدد تأثير العامل الذاتيّ على هنري لامنس في قراءته للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، نكتفي بما أُشير إليه من قِبَل المستشرق بيكر (Becker)، حيث ذكر أنَّ كتابات لامنس شاخت بالتعصب الدينيّ، فهو يعتمد على الروايات التاريخيَّة والحديثيَّة التي تؤيِّد وجهة نظره، ثمَّ إنَّ آراءه انعكاس لوجهه التبشيريّ والعلاقة الفرنسيَّة العربيَّة، حيث كان المدافع الأوَّل عن السياسة الفرنسيَّة[4]، ولكي تتَّضح هذه الذاتيَّة، نردُّ على ما ذكره من توصيفات بما يأتي:

١. يكفي مع التنزُّل في قبول صحَّة الروايات التي استند إليها لامنس في إثبات ضعف الذكاء أو البنية الجسمانيَّة أو قلَّة اهتمام النبيّ صلى الله عليه وآله بالسيِّدة الزَّهراء عليها السلام

(١) راجع: حول الاستشراق الجديد، عبد الله بن عبد الرحمن الوهيبي، مكتبة الملك فهد الوطنيَّة، الرياض، ط١، ١٤٣٥هـ، ص١٤٨-١٤٩.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) راجع: علم التاريخ ومناهج المؤرِّخين، صائب عبد الحميد، مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع، ط٢، بيروت، لبنان، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص٥٨-٥٩.
(٤) تطوُّر الاستشراق في دراسة التراث العربيّ، عبد الجبَّار ناجي، منشورات دار الجاحظ للنشر، بغداد، د.ط، ١٩٨١م، ص١٠٤.

رغم وجود كذَّابين كعروة بن الزبير[١] في نقل الحديث، ما ذكرته المستشرقة فاغليري (Vaglieri): «لم تكن فاطمة ضعيفة البنية ومريضة وغير مهمَّة، كما صوَّرها لامنس، الذي رسم صورة قاتمة بالكامل لبنت النبيّ، بناءً على حديثَين قد يكونان يُشيران لأوضاع معاصرة فقط؛ لأنَّ هناك حقائق أخرى، ولادتها لخمسة أطفال، وقيامها بواجبات منزليَّة شاقة، ورحلتها من مكَّة، ممَّا يدلُّ على أنَّها كانت تتمتَّع بصحَّة جيِّدة»[٢].

٢. إذا كانت هذه الروايات التاريخيَّة ذات مصداقيَّة ودلالة واضحة عند لامنس، فلنا أن نسأل ماذا عن الروايات التاريخيَّة والحديثيَّة المتَّفق على اعتبارها عند مشهور العلماء من الفريقَين، والتي لم يعرها لامنس أيَّ اهتمام، والتي تعطي للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام قيمة علميَّة وجسديَّة وعقليَّة وعاطفيَّة وروحيَّة لا يضاهيها أحد من نساء النبيّ صلى الله عليه وآله! فأمَّا القيمة العلميَّة والعقليَّة فتظهر معالمها جليَّةً في خطبتها عليها السلام، التي وردت في مصادر الفريقَين، ومناقشتها للخليفة الأوَّل، وفي سياستها الإستراتيجيَّة بالمطالبة بحقِّها، والتي كانت دعامة قويَّة للإمامة، جعلت الإمام عليّ عليه السلام لا يهادن القوم إلَّا بعد استشهادها. وأمَّا القيمة الروحيَّة والعاطفيَّة فصريحة في حديث البضعة والكساء والمباهلة، وغير ذلك.

٣. لقد وصف لامنس السيِّدة الزَّهراء بأنَّها يائسة؛ بسبب كثرة البكاء والحزن، ولكن هل كلُّ كثير البكاء والحزن هو يائس؟ لا شكَّ أنَّ الميزان في اعتبار إنسان يائس وكئيب إذا أقعده حزنه أو بكاءه عن العمل، لكن نرى أنَّ بكاءها

(١) راجع: فضائل أهل البيت عليهم السلام من كتاب فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل، المجمع العامليّ للتقريب بين المذاهب الإسلاميَّة، طهران، إيران، ط٢، ١٤٢٩هـ، ص٢٤٦.

(٢) صورة أصحاب الكساء، شهيد كريم محمَّد الكعبيّ، ص٣٨٥.

سلام الله عليها لم يمنعها عن أداء دورها الرياديّ في دعم زوجها، والدفاع عن مبادئ الإسلام وقضاياه، بل على العكس، حتَّى أنَّ الخليفة الأوَّل والثاني طالبوا بمسامحتها لهم، ممَّا يُظهر درجة الفعَّاليَّة في ثورتها وخطواتها.

## الخاتمة

اتَّضح ممَّا أسهبنا في تفصيله عدَّة نقاط، يمكن إدراجها تحت توصيات تفيد الباحثين المستشرقين من جهة، والراصدين أو الناقدين لأبحاث المستشرقين من جهة أخرى، وذلك ضمن النقاط الآتية:

١. إنَّه رغم الرصد والتتبُّع الدقيق للأحداث التي تمحورت حول السيِّدة الزَّهراء عليها السلام مِن قِبَل بعض المستشرقين المعاصرين، باستخدام المناهج اللغويَّة، أو المكتبيَّة كالمنهج التاريخيّ، أو المقارن، أو الوصفي، وغيرها من المناهج، إلَّا أنَّها لم تسلم من مشكلة الذاتيَّة والقيمة في التحليل والاستنتاج.

٢. الشموليَّة في استخدام مناهج العلوم الإنسانيَّة التي يصحُّ تطبيقها بحسب كلِّ مورد، فالإغفال عن تطبيق بعض المناهج العمليَّة في العلوم الإنسانيَّة، كالمنهج الإنثوغرافيّ أو العمل الاجتماعيّ، والاقتصار على المنهج الإمبريقيّ المادِّيّ في تقييم الأحداث، يُبقي الصورة مشوَّشة على القارئ الباحث عن الحقيقة، خاصَّة فيما يتعلَّق بفهم رؤية المدرسة الشيعيَّة حول السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، بل ويجعل المنهج الإسقاطيّ أو الفيلولوجيّ التفكيكيّ هو الحاكم، فلا تتحقَّق النتائج المرجوَّة.

٣. يجنح كثير من المستشرقين إلى التعرُّف على الشخصيَّات الإسلاميَّة التي تحظى بتقديس واهتمام في المذهب الإسلاميّ، بـأدوات البحث التاريخيّ والاجتماعيّ والأنثروبولوجيّ، وغيرها من أدوات العلوم الإنسانيَّة، التي

يستخدمونها عند قراءة وتحقيق مسائلهم التاريخيَّة والاجتماعيَّة الموجودة في بلادهم، ممَّا يدعونا إلى دراسة تلك العلوم؛ لنعرف كيفيَّة النقد بأدوات بحثهم.

٤. الإنصاف يقتضي أن نقف باحترام أمام جهود بعض المستشرقين المعاصرين - التي تكثر في العقد الأخير- في رصد الأحداث التاريخيَّة المتعلِّقة بالشخصيَّات التاريخيَّة المعظَّمة في البيئة الشيعيَّة. وهذا الاهتمام الذي لم نكن نراه سابقًا بكثرة في الاستشراق القديم، يشكِّل فرصة ذهبيَّة لمفكِّريّ هذا المذهب الأفاضل، للتقاطع مع تلك الجهود، وإقامة أبحاث تعالج رؤيتهم التاريخيَّة أو الدينيَّة المتعلِّقة بتلك القضايا.

٥. يظهر من بعض المستشرقين اطِّلاعهم على اللغة العربيَّة ودراستهم لها، لكن تبقى كثير من قراءاتهم مشوَّشة؛ بسبب تأثُّرهم بلغاتهم الأجنبيَّة، فيُسهم فهمهم لبعض الأحاديث والحوادث في عدم الفهم الدقيق لمعانيها.

**مثال**: لو قرأ بعض المستشرقين حديث النبيّ صلى الله عليه وآله أنَّ السيِّدة فاطمة عليها السلام أمُّ أبيها؛ لفهم الكثيرون أنَّها بمعنى العاطفة والمحبَّة، كما تفعل الأم، لكن مع المراجعة لكلمات العرب في العصر الجاهليّ، وإرجاع الكلمة لجذرها اللغويّ، يظهر أنَّ الأم هي الأصل، وتستخدم بمعنى الراية في الحرب، فراية الجيش أصل الجيش، وبالنتيجة لا يكون مدلول الحديث متمحوِر حول عاطفتها واهتمامها سلام الله عليها بالنبيّ صلى الله عليه وآله كابنة له، بل يتعدَّى الأمر لتكون الحامية والمدافعة عن أصول الدين التي دعا إليها صلى الله عليه وآله.

٦. تشكِّل التجربة البحثيَّة في دراسة بحوث المستشرقين عاملًا أساسيًّا في تحسُّس أهميَّة دراسة اللغات الأجنبيَّة، التي تقلُّ معرفتها في الأوساط العلميَّة الشيعيَّة، لفهم كلمات المستشرقين، ممَّا يدعونا إلى الاهتمام بجعل تلك اللغات ضمن

برامج الحوزات العلميَّة، أو على الأقل ضمن الورش والدورات العلميَّة في المراكز البحثيَّة.

وفي نهاية المطاف، وخاتمةً للبحث، لا بدَّ من العمل على تدعيم وتحفيز الجهود البحثيَّة التي تتتبَّع وترصد الأحداث التاريخيَّة أو الأفكار الدينيَّة من زاوية المناهج الإنسانيَّة، فضلًا عن المناهج المستخدمة في العلوم الدينيَّة بشكلٍ يجعل الرصد الدينيّ، ونقد الفكر الاستشراقيّ أكثر موضوعيَّة ومقبوليَّة في الأوساط العلميَّة.

كما ولا بدَّ، ككلمة أخيرة، من توجيه الشكر الجزيل للإخوة القيِّمين على هذه المؤتمرات؛ لإعطاء الفرصة، والتقدير الجزيل لمثل هذه الأبحاث، التي قلَّما نجد لها اهتمامًا وحاضنًا لها في أوساطنا العلميَّة.

## لائحة المصادر والمراجع

### المصادر العربيَّة والمترجمة إلى العربيَّة

١. الاتجاهات العامَّة في الأبحاث التاريخيَّة، جفري باراكلو، ترجمة: الدكتور صالح أحمد العليّ، مؤسَّسة الرسالة العالميَّة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٢. أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر، محمَّد خليفة حسن، نشر: الإدارة العامَّة للثقافة والنشر بجامعة الإمام، ط١، ١٤٢١هـ.

٣. الاستشراق المفاهيم الغربيَّة للشرق، ادوارد سعيد، ترجمة: محمَّد عناني، دار رؤية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.

٤. الاستشراق تاريخه ومراحله، محمَّد حسن زماني، مجلَّة دراسات استشراقيَّة (مجلَّة فصليَّة تعنى بالتراث الاستشراقيّ عرضًا ونقدًا)، بيروت، المركز

الاسلاميّ للدراسات الإستراتيجيَّة التابع للعتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة، العدد ١، السنة ٢٠١٤م.

٥. الاستشراق في التاريخ: الإشكاليَّات، الدوافع، التوجهات، الاهتمامات، عبد الجبَّار ناجي، المركز الأكاديميّ للأبحاث، بيروت، لبنان، ٢٠١٣م.

٦. الاستشراق والدراسات الإسلاميَّة، عليّ بن إبراهيم الحمد النملة، مكتبة التوبة، رياض، ١٤١٨هـ.

٧. الاستشراق ومناهجه في الدارسات الإسلاميَّة، سعدون الساموك، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمَّان، الأردن، ٢٠١٠م.

٨. الاستشراق: تعريفه، مدارسه، آثاره، محمَّد فاروق نبهان، المنظَّمة الإسلاميَّة للتربية والعلوم والثقافة، المملكة المغربيَّة، ٢٠١٢م.

٩. تيَّار الاستشراق الجديد والإسلام، من الشرق الشيوعيّ إلى الشرق الإسلاميّ، أوليفييه مووس، ترجمة: عومرية سلطاني، الناشر: مكتبة الإسكندريَّة، العدد ٣ من سلسلة مراصد، ٢٠١٢م.

١٠. الحديث والمستشرقون: محاضرات أُلقيت على طلبة الماجستير في جامعة أهل البيت عليهم السلام، حيدر حبّ الله، جامعة الشهيدَين الصدر للعلوم الإسلاميَّة، البصرة، ١٤٣٠-١٤٣١هـ.

١١. علم الاجتماع، أنتوني غدنز، ترجمة: فايز الصيَّاغ، المنظمة العربيَّة للترجمة، القاهرة، مصر، ٢٠٠٥م.

١٢. القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقيَّة: دراسة تقويميَّة نقديَّة، محمود عليّ سرائب، ط١، العراق، العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة، المركز الإسلاميّ للدراسات الإستراتيجيَّة، ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م.

١٣. القرآن والمستشرقون، ضمن كتاب: مناهج المستشرقين، التهاميّ نقرة، رئيس قسم القرآن الكريم والحديث بكليَّة الزيتونة للشريعة وأصول الدين، تونس، المنظَّمة العربيَّة للعلوم والثقافة، ١٩٨٥م.

١٤. قصور الاستشراق منهج في نقد العلم الحداثيّ، وائل الحلَّاق، ترجمة: عمرو عثمان، إعداد: الشركة العربيَّة للأبحاث والنشر، ط١، بيروت، ٢٠١٩م.

١٥. مدخل إلى العلوم الإسلاميَّة: المنطق- الفلسفة، مرتضى مطهَّري، ترجمة: حسن عليّ الهاشميّ، دار الكتاب الإسلاميّ، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠١م.

١٦. المستشرقون، نجيب العقيقيّ، دار المعارف، القاهرة، ط٤، د.ت.

١٧. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمَّد هارون، قم المقدَّسة، مكتبة الإعلام الإسلاميّ، د.ط، ١٤٠٤هـ.

١٨. مناهج دراسة التراث عند المستشرقين، إسلام عبد الله عبد الغني غانم، مجلَّة الرواق للدراسات الاجتماعيَّة والإنسانيَّة، مجلَّد ٤، عدد ٢، مركز البحوث والدارسات الاجتماعيَّة والإفريقيَّة (تحت التأسيس)، الإسكندريَّة، ٢ ديسمبر ٢٠١٨م.

١٩. المنهج الجديد في تعليم الفلسفة، محمَّد تقي مصباح اليزديّ، ترجمة: عبد المنعم الخاقانيّ، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ط١، ١٩٩٠م.

٢٠. منهجيَّة الاستشراق في دراسة التاريخ الإسلاميّ، ضمن كتاب: مناهج المستشرقين، محمَّد بن عبُّود، المنظَّمة العربيَّة للعلوم والثقافة، تونس، د.ط، ١٩٨٥م.

٢١. موجز في أصول الدين المرسل- الرسول- الرسالة، محمَّد باقر الصدر، تحقيق ودراسة: عبد الجبَّار الرفاعيّ، مطبعة شريعت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

المصادر الأجنبيَّة (باللغة الإنكليزيَّة):


1. African Folklore: An Encyclopedia, Editors: Philip M. Peek and Kwesi Yankah, Printed by: Routledge, New York, 2004.
2. An Even Better Creation: The Role of Adam and Eve in Shi'i Narratives about Fatimah Al-Zahra, Karen G. Ruffle, Journal of the American Academy of Religion, Volume 81, Issue 3, September 2013.
3. English Speaking Orientalists, A.L. Tibawi, Islamic Quarterly, Pt. 1, Vol. 8, No. 1, 1964.
4. From Orientalism to Neo-Orientalism: Early and temporary constructions of Islam and the Muslim World, Intellectual Discourse, Salim Kerboua, Vol. 24, No. 1, 2016.
5. Image Formation of an Islamic Legend: Fatima, the daughter of the Prophet Muhammad, with in the book: IDEAS, IMAGES, AND METHODS OF PORTRAYAL Insights into Classical Arabic Literature and Islam, Verena Klemm, Edited by: SEBASTIAN GÜNTHER, Printed by: Koninklijke Brill NV, Leiden, The Netherlands, Vol. 58, 2005.
6. Objectivity in History, Journal Article: History and Theory, Mark Bevir, Published by: Wiley, Vol. 33, No. 3, Oct. 1994.
7. On Heroes, Hero-Worship and the Heroic in History, Thomas Garlyl, London, 1849.

8. Orientalism in Crisis, Anouar Abdel-Malek, Diogenes 11, No. 44, 1963.
9. Oxford Dictionary Application, Version 15.1.943.943, Mobi System Incorporation, Copyright 2023.
10. Restating Orientalism: A Critique of Modern Knowledge, Wael B. Hallaq, Published by: Colombia University Press, New York, 2018.
11. The Life of Mohamet, Emil Dermenghem, translated by: Arabella Yorke, Printed in Great Britain by Stephen Austin and Sons, Ltd., Hertford, 1930.

**المصادر الأجنبيَّة (باللغة الفرنسيَّة):**

1. Fatimah et les filles de Mahomet, Henri Lammens, Rome: Sumptibus Pontificii Institut Biblici, 1912.

# نمط الحياة الجهاديّ؛ دراسة في ساحات الحياة الجهاديَّة للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام

نعيم حسيني كُردكندي
طالب بحث خارج في الحوزة العلميَّة في قم
باحث في معهد دراسات الحضارة التوحيديَّة

## الملخَّص

من أكثر المواصفات التي توجد قبال الأئمَّة والمعصومين عليهم السلام، ونشاهد تأكيدهم عليها في نصوص زياراتهم، هي الشهادة بالجهاد والمجاهدة في سبيل الله حقَّ جهاده، الجهاد أمرٌ سارٍ في حياة أهل البيت، والنظرة العابرة تُعطي الإنسان معلومات كافية لصدق هذا المعنى، الأمر التي نشاهده في حياة السيِّدة الزكيَّة فاطمة الزَّهراء سلام الله عليها.

الجهاد بما فيه من المعاني والقيود، من النضال والسعي فوق العادة، ومواجهة مع الموانع، وكثيرًا ما يوجد في لمحات حياة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام منذ نعومة أظفارها، وبعد فقد أمِّها السيِّدة خديجة سلام الله عليها، إلى وقت زواجها من أمير المؤمنين عليه السلام، وحتَّى بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله، وغصب الخلافة وفدك معًا، وما جرى فيها بين أهل البيت وأصحاب السقيفة، فنرى في جميع هذه المشاهد روح الجهاد فى سبيل الحقِّ، وعلى الباطل في كلمات هذه السيِّدة الإلهيَّة وأعمالها.

في هذه المقالة، بمعونة شذرات من سيرة السيِّدة الزهراء عليها السلام، وبعد فحص دقيق لمعنى الجهاد في الشريعة الإسلاميَّة، نشير إلى ساحات الجهاد في حياة السيِّدة فاطمة عليها السلام عمليًّا، وفي ضوئها نستفيد من كلماتها حول هذا المعنى المبارك. تمَّ أداء هذا العمل بشكل تحليليّ وبمساعدة دراسة الكتب والنصوص المعتبرة الموجودة، ونفهم به كيفيَّة المجاهدة لأهل البيت، خاصَّة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام طيلة حياتها القصيرة.

**الكلمات المفتاحيَّة**: السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، الجهاد، حقَّ جهاده، سبيل الله، نمط الحياة الجهاديّ، أسلوب الحياة.

## مقدِّمة

الكلام حول إنسان فى مرتبة مرتفعة وجودًا، وسامية رتبةً أمر صعب، ولا تسع قدراتنا لاستيعاب كلِّ ما له من كمالات ومميِّزات. وإذا كان هذا الإنسان «**خَيْرُ نِسَاءِ الْأُمَّةِ**»(١)، يصير الأمر أصعب طبعًا.

الكلام فى هذه الوجيزة البسيطة عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وهي «**أَشْبَهَ النَّاسِ وَجْهًا وَ شِبْهًا بِرَسُولِ اللهِ صلوات الله عليه**»(٢)، البنت التي «**كَانَ رَسُولُ اللهِ إِذَا سَافَرَ آخِرُ عَهْدِهِ بِإِنْسَانٍ مِنْ أَهْلِهِ فَاطِمَةُ، وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخَلُ عَلَيْهِ إِذَا قَدِمَ فَاطِمَةُ**»(٣)، والبنت التي ليست بنتًا فحسب، وهى أمُّ أبيها، حسب تعبير نبيّ الله الخاتم، الذى هو معصوم عن الخطأ ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ**﴾(٤).

التركيز فى هذه المقالة على ساحات الجهاد فى حياتها القصيرة، و ذلك بعد المرور على بعض المميِّزات لحياة فاطمة الزَّهراء، وتقسيمها إلى أدوار، والإشارة إلى مجالات مختلفة للجهاد فى سيرتها، وبعض كلماتها ضمن كلِّ تلك المجالات. قبل هذا الأمر لا بدَّ من التذكير بمعنى الجهاد ومكوِّناته، وأيضًا النسبة بين الجهاد والحياة بشكلٍ عام.

(١) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمَّة الأطهار عليهم السلام، مجلسيّ، محمَّد باقر بن محمَّد تقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ق: ٤٣/ ١٤٣.

(٢) بحار الأنوار: ٤٣/ ٥٥.

(٣) بحار الأنوار: ٤٣/ ٨٩.

(٤) القرآن الكريم، سورة النجم، الآية: ٤-٣.

كلُّ ذلك تمَّ بشكل تحليليّ، مع دراسة الكتب والمصادر المعتبرة. ومع هذه الدراسة يمكن الاستلهام من جانب المرأة المسلمة في حياتها، حتَّى تتَّخذها قدوة وأُسوة لما يجب أن تكون في حياتها الدنيويَّة و الأُخرويَّة.

«وليس ثمَّة مبالغة إن قلنا إنَّ المرأة المسلمة اليوم، وبفضل سيرة الزَّهراء الطاهرة، أصبحت مستعدَّة لأن تضحِّي بكلِّ أتعابها وجهودها التي بذلتها خلال دراستها أو عملها، في سبيل أن تحافظ على كرامتها الإنسانيَّة، واستقلالها المتمثِّل بالحجاب والعفاف، والإصرار على العودة إلى الذات المصونة، والفطرة النقيَّة السليمة، والقيم الإنسانيَّة النبيلة التي رفعت رايتها عاليًا أمُّ الرسالة الإسلاميَّة، وربَّة النجابة والعفاف، وسيِّدة الطُّهر، ومعدن التقوى والعلم والهدى والإيمان؛ ألَا وهي الراضية المرضيَّة، الزَّهراء البتول، التي لا تتَّسع صفحات الكتب لوصفها؛ لأنَّها الكوثر، وكلمات الله التي لا تنفد، والقمَّة والذروة والمثال والمقتدى لجميع النساء في العالم، وخصوصًا النساء المسلمات اللاتي يجب أن يتَّخذن من هذه المرأة العظيمة قدوة لهنَّ وهنَّ يواجهن، ويتصدَّين لأعداء الإسلام الذين يحاولون حرفهنَّ عن المسيرة التي سارت فيها من قبل الزَّهراء عليها السلام. وبذلك ستبقى فاطمة الزَّهراء عليها السلام مدرسة ينهل منها- جيل بعد جيل- كلّ القيم الرساليَّة والتعاليم الإسلاميَّة»[1].

هي في مقام العمل بوظيفتها وواجباتها، تسعى حدَّ المقدور ودون الفتور للوصول إلى ما عليها من التكاليف الإلهيَّة. فيما جرى بينها وبين أمير المؤمنين ورسول الله الذى انتهى الأمر إلى التوصية من جانب النبيّ إلى ذِكر تسبيحات اشتُهِرت بتسبيح الزَّهراء عليها السلام، يشير الإمام علي عليه السلام إلى هذا الأمر، ويقول:

**«أُحدِّثك يا رسول الله، جرَّت بالرحىٰ حتَّىٰ أثَّرت في يدها، وحملت بالقربة حتَّىٰ**

(١) فاطمة الزَّهراء عليها السلام قدوة الصدِّيقين، المدرِّسيّ، محمَّد تقي، دار محبِّي الحسين عليه السلام، طهران، الطبعة الأولى، ١٤٢١ق: ١/ ١٩.

**أثَّرت في نحرها، وكسحت البيت حتَّىٰ أغبرّت ثيابها، وأوقدت القدر حتَّىٰ دكنت ثيابها»**[1].

في ضمن هذا المقال، نسلِّط الضوء على بعض ما يرتبط بالمقام بقدر الوسع والمجال.

## أدوار حياتها وأقسام شؤونها

للسيِّدة الزَّهراءعليها السلام منذ نعومة أظفارها إلى يوم استشهادها أدوار مختلفة، وبالتالي نشاطات مختلفة حسب شأنها. فهي في طفولتها ابنة للسيِّدة خديجة والنبيّ الأعظمعليهما السلام، ونشأت في أسرة خاصَّة، وبعد ارتحال أمِّها كانت تُشفق على أبيها حتَّى وصلت إلى مرحلة سمَّاها الرسول الأكرم بأمِّ أبيها.

وهي في شبابها وحين زواجها وما جرى في خطبتها من النبيّ، وبعد ذلك في حفلة عرسها، وما حولها بلورة للزهد والأخلاق والإيمان. بعد بدء حياتها مع بعلها أمير المؤمنينعليه السلام، نرى أنموذجًا لامثيل له بما فيها من حسن التبعُّل وإدارة البيت من داخله، وتربية أولادها، وتعليم الناس الدين.

بعد أن توفِّي النبيّ الأعظم، جاء دور أداء تكليفها الاجتماعيّ والسياسيّ، وإحقاق حقِّها، والدفاع عن الولاية والإمامة، والمواجهة مع الغاصِبين.

إذن نستطيع أن نقسِّم أدوار حياة فاطمة الزَّهراءعليها السلام بثلاثة أقسام رئيسة، حتَّى نطبِّق بعض ما بصدده بشكل أسهل وأوضح:

١. من الميلاد إلى ما قبل زواجها من أمير المؤمنينعليه السلام.

٢. من الزواج إلى ما بعد زواجها حتَّى فقد أبيها صلوات الله عليه.

(١) سيِّدة النساء فاطمة الزَّهراءعليها السلام، الكعبي، عليّ موسى، مركز الرسالة، بلامكان، بلاتا: ١/ ٧٠.

٣. من ارتحال الرسول الخاتم إلى استشهاد فاطمة عليها السلام.

ما هو جدير بالذِّكر هو أنَّ للوجود النوريّ لفاطمة الزَّهراء سلام الله عليه، ومقاماتها المتعالية في العوالم الغيبيَّة وبواطن العالم، كما جاء في أكثر من رواية، مثل ما روي عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام، قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله خُلِقَ نُورُ فَاطِمَةَ عليها السلام قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ»[1]؛ له شأن هام، لكن في هذه المقالة لا يسع المجال للكلام عنها، وكلُّ ما نُشير إليه، نكتفي فيه بحياتها الدنيويَّة فحسب.

في هذا الإطار نظائر روايةٍ نُقِلت عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا عَنْ أَبِيهِ عَنْ آبَائِهِ عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام، قَالَ: «**قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله فَهَبَطَ عَلَيَّ جَبْرَئِيلُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللهَ جَلَّ جَلَالُهُ يَقُولُ: لَوْ لَمْ أَخْلُقْ عَلِيًّا لَمَا كَانَ لِفَاطِمَةَ ابْنَتِكَ كُفْؤٌ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ**»[2]، محمول على الخصائص المعنويَّة لأهل البيت عليهم السلام، وعلمها عند أهلها.

## معنى الجهاد ومؤلَّفاته

الجهاد لغةً مصدر ثلاثيّ مزيد من (جاهد يجاهد مجاهدةً)، ومعناه العام القتال مع العدو. لكن يجب الانتباه الدقيق إلى جوهر معنى هذه اللغة، كما يشير إليه صاحب تاج العروس: «الجِهادُ: مُحَارَبةُ الأَعداءِ، وهو المبالغةُ واستفراغُ ما في الوُسْعِ والطاقَةِ من قَوْلٍ أَو فِعْلٍ.. وحَقيقة الجِهاد كما قال الرَّاغب: استفراغُ الوُسْع والجُهْد فيما لا يُرْتَضَى وهو ثلاثةُ أَضْرُبٍ: مُجاهدةُ العَدُوِّ الظاهِرِ، والشيطانِ، والنَفْسِ. وتدخل الثلاثةُ في قوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾»[3].

(١) بحار الأنوار: ٤٣/ ٤.

(٢) بحار الأنوار: ٤٣/ ٩٢.

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس، حسينيّ زبيديّ، سيِّد محمَّد مرتضى، تحقيق: عليّ شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤ق: ٤/ ٤٠٧.

هنا ثلاثة أمور أخذت في معنى الجهاد:

**أوَّلًا**: الجهاد جنسه السعي والعمل، وليس من لايفعل شيئًا بإمكانه أن يسمِّي نفسه مجاهدًا.

**ثانيًا**: المبالغة في استفراغ ما في الوسع والطاقة، وهذا يعني ليس كلُّ محاولة وسعي يسمَّى جهادًا، ويجب أن يكون فوق العادة.

**ثالثًا**: يجب أن يكون هذا العمل غير العادي تجاه مانع لا يرتضى وجوده، ولذلك له معنى قريب بالنضال والكفاح. كما نُقِل عن الراغب في ضروب الجهاد، نرى هذا الأمر أي وجود مانع، وهذا إمَّا العدو الظاهريّ وإمَّا العدو غير الظاهريّ، وهو على القسمَين الداخليّ، أي النفس، والخارجيّ، أي الشيطان.

مع هذه المكوِّنات الثلاثة يمكن أن نقيِّم أيّ محاولة من فعل أو قول، هل هو من مصاديق الجهاد أم لا؟.

لذلك في دراسة حياة سيِّدتنا الزَّهراء عليها السلام خلال كلماتها وسيرتها، يجب أن نسلِّط الضوء على هذه المؤلَّفات.

## نمط الحياة الجهادي وعدم إنفكاك الجهاد عن الحياة

نقصد من نمط الحياة كلُّ ما يقوم به الإنسان بشكل مستمرّ طيلة حياته اليوميَّة. بشكلٍ عام كلّ شخص له أساليب كليَّة تنبع من فكره وعقائده ويطبِّقه على أفعاله، ويعمل ما يعمل. بطبيعة الحال مَن له فكرة الجهاد في سبيل الله ونيَّته، لا بدَّ أن يحاول ليختار- حين العمل- العمل الذي يصدق عليه المجاهدة في سبيل الله.

الإنسان الموحِّد الذي يريد أن تنتشر كلمة لا إله إلَّا الله في أرجاء العالم، ويحب أن تكون كلمة الله هي العليا في جميع مجالات الحياة، كلُّ أفعاله بما فيها الأكل والشرب

والزواج والتكلُّم وغيرها يجب أن يكون مصداقًا للجهاد في سبيل الله؛ لأنَّ هذا الأمر يحتاج إلى السعي البالغ، وله مخالفوه وممانعوه، ولذلك يصدق عليه عنوان الجهاد. إذن لايوجد تفكيك بين ساحات الحياة وساحات الجهاد، وهذان المجالان متشابكان ومندمجان.

على هذا الأساس بإمكاننا أن نقول فيما نشهد أنَّ أولياء الله والمعصومين جاهدوا في الله حقَّ جهاده، أنَّهم عاشوا مجاهدين، وحياتهم بكافَّة شؤونها هي جهادهم نفسه.

## الجهاد الرئيس في كلِّ الأدوار لحياتها وفي شؤونها المختلفة

إنَّ حياة فاطمة الزَّهراء عليها السلام في كلٍّ من المراحل الثلاث التي أشرنا إليها، مليئة بالجهاد في سبيل الله، وإن أردنا البحث عنها بالتفاصيل يكون كتابًا أكثر من مجلَّد. بطبيعة الحال وبحسب ظروف المقالة، نشير إلى النقطة الرئيسة في هذه الثلاثة، ونأتي بنبذة من كلمات أو سيرة سيِّدتنا الزَّهراء عليها السلام في ذيلها، ونؤكِّد على المكوِّنات الثلاثة في معنى الجهاد؛ لنسلِّط الضوء على مجاهدة الزَّهراء البتول عليها السلام في حياتها.

### الأوَّل: من الطفولة إلى الزواج

أ. إنَّ فاطمة الزَّهراء منذ أن حملتها أمَّها كانت تؤثِّر على ما يحدث في المجتمع آنذاك. ما جرى على السيِّدة خديجة عليها السلام من مقاطعة النساء إيَّاها وعدم العناية بها وما يؤذيها، كان يحتاج إلى المعالجة، وإحدى هذه الممارسات التي لها دور كبير في هذا المجال، هي تكليم فاطمة أمّها من بطنها وتصبيرها. كما جاء في رواية البحار، نقلًا عن الإمام الصادق عليه السلام:

«قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللهِ الصَّادِقِ إِنَّ خَدِيجَةَ عليها السلام.. **فَلَمَّا حَمَلَتْ بِفَاطِمَةَ كَانَتْ فَاطِمَةُ عليها السلام تُحَدِّثُهَا مِنْ بَطْنِهَا وَ تُصَبِّرُهَا**»[1].

(١) بحار الأنوار: ٤٣/ ٢.

ب. التدبُّر في لقب أطلقه الرسول الأكرمﷺ على ابنته، أعني لقب «أمّ أبيها»، يظهر لنا مدى تأثير نشاطات الزَّهراء البتولعليها السلام في هذه السنين. الأمّ لها الشأن الرئيس لحماية الولد، ودور الزَّهراء سلام الله عليها بالنسبة إلى الرسول كذلك. طبعًا الإشارة إلى كلِّ ما قامت بها السيِّدة الزكيَّة الراضية قبال هذا المجال لا تسعها هذه المقالة، ولكن أكتفي بقضيَّة واحدة، وهي محاولة فاطمة الزَّهراء دفع الأذى عن أبيها الرسول الأعظم عليه آلاف التحية والكرم:

روي عن عبد الله بن مسعود أنَّه قال: بينما رسول الله ذات يوم قائمًا يصلِّي بمكَّة، وأناس من قريش في حلقة فيهم أبوجهل بن هشام، فقال: «ما يمنع أحدكم أن يأتي الجزور التي نحرها آل فلان فيأخذ سلاها ثمَّ يأتي به حتَّى إذا سجد وضعه على ظهره؟.

قال عبد الله: فانبعث أشقى القوم وأنا أنظر إليه، فجاء به حتَّى وضعه على ظهره. قال عبد الله: لو كانت لي يومئذ مَنَعة لمنعته.

وجاءت فاطمة رضوان الله عليها عليه، وهي يومئذٍ صبية، حتَّى أماطته عن ظهر أبيها. ثمَّ جاءت حتَّى قامت على رؤوسهم فأوسعتهم شتمًا»[1].

إذن تطبيق معنى الجهاد على هذَين المجالَين غير صعب. كلاهما من سنخ السعي والعمل غير العادي، وأيضًا تجاه عدو أو صعوبة أو مانع، وهي قامت بها، ونستطيع أن نسمِّي هذا العمل من مصاديق الجهاد في سبيل الله.

## الثاني: حياتها في الأسرة

**أ. العبادة وعلاقتها مع الله:** في المرحلة الثانية من حياتها، السيِّدة الزَّهراءعليها السلام قامت بإيفاء دورها مع عناوين جديدة، هي صارت زوجة أمير المؤمنين كأحد المجاهدين

(١) الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزَّهراءعليها السلام، الأنصاريّ الزنجانيّ الخوئينيّ، إسماعيل، دليل ما، قم، ١٣٨٥ش: ٢/ ١٩٨.

الكبار وأقرباء رسول الله في إدارة المجتمع، وأيضًا صارت أمّ أولادها الأربعة، وفي الوقت نفسه كانت معلِّمة الدين لأهل المدينة. لذلك نرى أنَّ فاطمة الزَّهراء تقوم بشؤون بيتها وتربِّي أطفالها، وأيضًا تُجيب إلى الأسئلة التي سُئلت عنها.

لكن قبل ذلك، الأمر المهم هو اهتمامها بعلاقتها مع خالقها، وهي الأصل في الحياة، ولها صبغة تصبغ كلَّ الأعمال والنشاطات. رغم أنَّ كلَّ ما يقوم به الإنسان بنيَّة التقرُّب إلى الله سبحانه، يُحتَسب من العبادات، لكن للعبادة بمعناها الخاص دور خاص في حياة الإنسان المؤمن، وسيِّدتنا الزَّهراء في ذروة هذه الأمور، وهذا يظهر من شهادة النبيِّ على ذلك حينما يتفضل:

**«وَأَمَّا ابْنَتِي فَاطِمَةُ فَإِنَّهَا سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَهِيَ بَضْعَةٌ مِنِّي وَهِيَ نُورُ عَيْنِي وَهِيَ ثَمَرَةُ فُؤَادِي وَهِيَ رُوحِي الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيَّ وَهِيَ الْحَوْرَاءُ الْإِنْسِيَّةُ مَتَى قَامَتْ فِي مِحْرَابِهَا بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهَا جَلَّ جَلَالُهُ، زَهَرَ نُورُهَا لِمَلَائِكَةِ السَّمَاءِ كَمَا يَزْهَرُ نُورُ الْكَوَاكِبِ لِأَهْلِ الْأَرْضِ، وَ يَقُولُ اللهُ ﷻ لِمَلَائِكَتِهِ: يَا مَلَائِكَتِي انْظُرُوا إِلَى أَمَتِي فَاطِمَةَ سَيِّدَةِ إِمَائِي قَائِمَةً بَيْنَ يَدَيَّ، تَرْتَعِدُ فَرَائِصُهَا مِنْ خِيفَتِي، وَقَدْ أَقْبَلَتْ بِقَلْبِهَا عَلَى عِبَادَتِي، أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ آمَنْتُ شِيعَتَهَا مِنَ النَّارِ»**[1].

الاشتغالات اليوميَّة في الحياة هي الموانع الهامَّة قبال اهتمام الإنسان إلى العبادة فضلًا عن وسوسة الشيطان، وهذا السعي البليغ يمكننا أن نعبِّر عنه بالجهاد في سبيل الله.

ب. **الاهتمام بشؤون البيت**: رغم ما شاع وتفوَّهت به الحداثة الغربيَّة اليوم، نشاطات المرأة في البيت ليست أمرًا سيِّئًا وظلمًا لها، بل في الرؤية الصحيحة ما تقوم بها المرأة في البيت هي دورها الرئيس في إدارة المجتمع. توضيحًا لذلك نقول إنَّ المجتمع له ظاهر وباطن. الحجر الأساس في إدارة ظاهر المجتمع هو المسجد، وكثير من الروايات تحثُّ

(١) بحار الأنوار: ٤٣/ ١٧٢.

الناس- خاصَّة الرجال- للحضور فى المسجد، وفي الوقت نفسه لإدارة باطن حياة المجتمع الذي يرتكز على البيت يأتي دور النساء، وهذا معنى نفهم من رواية «**خَيْرَ مَسَاجِدِ النِّسَاءِ الْبُيُوت**»(١)، أو التعبير بعبارة «**مسجد المرأة بيتها**».

بناءً على ذلك إنَّ فاطمة الزَّهراء عليها السلام تهتمُّ بشؤون البيت كعمل حضاريّ لو صحَّ التعبير. ما نُقل عن الصادق المصدَّق عليه السلام فى هذا الأمر يجب أن يُفهم فى هذا الإطار: «عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: **إِنَّ فَاطِمَةَ عليها السلام ضَمِنَتْ لِعَلِيٍّ عليه السلام عَمَلَ الْبَيْتِ وَالْعَجِينَ وَالْخُبْزَ وَقَمَّ الْبَيْتِ وَضَمِنَ لَهَا عَلِيٌّ عليه السلام مَا كَانَ خَلْفَ الْبَابِ نَقْلَ الْحَطَبِ**»(٢).

هي فى إدارة البيت كانت قانعة بما وجد فى البيت، وحسب ما نُقل عنها، و«قَالَتْ: **كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله نَهَانِي أَنْ أَسْأَلَكَ شَيْئًا**»(٣)، كانت لا تسأل من أمير المؤمنين عليه السلام شيئًا حياءً؛ لما يحتمل أن لا يكون بمقدرته تهيئته.

فاطمة الزَّهراء بذلت غاية جهدها فى هذا المسار، وصبرت على كلِّ صعوباته وكافحت جميع موانعه احتسابًا لله سبحانه وتعالى، وبذلك نقدر أن نسمِّي هذا المجال من حياتها الجهاد فى سبيل الله أيضًا، وتأكيدًا لذلك وتفصيلًا لما مرَّ بها، نقرأ هذه الرواية المرويَّة عن النبيّ صلى الله عليه وآله في مثل هذه الأمور:

«رَأَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله فَاطِمَةَ وَعَلَيْهَا كِسَاءٌ مِنْ أَجِلَّةِ الْإِبِلِ، وَهِيَ تَطْحَنُ بِيَدَيْهَا وَتُرْضِعُ وُلْدَهَا، فَدَمَعَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله، فَقَالَ: **يَا بِنْتَاهْ تَعَجَّلِي مَرَارَةَ الدُّنْيَا بِحَلَاوَةِ الْآخِرَةِ**. فَقَالَتْ: **يَا رَسُولَ اللهِ الْحَمْدُ للهِ عَلَى نَعْمَائِهِ، وَالشُّكْرُ للهِ عَلَى آلَائِهِ**. فَأَنْزَلَ اللهُ تعالى: ﴿**وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ**﴾»(٤).

(١) من لا يحضره الفقيه، ابن بابويه، محمَّد بن عليّ، تحقيق: عليّ أكبر غفاري، مكتب النشر الإسلاميّ، قم، الطبعة الثانية، ١٤١٣ق: ١/ ٣٧٤.

(٢) بحار الأنوار: ٤٣/ ٣١.

(٣) بحار الأنوار: ٤٣/ ٣١.

(٤) بحار الأنوار: ٤٣/ ٨٦.

**ج. التربية العمليَّة للأولاد:** الشخصيَّات الأسوة والقدوة، عملهم وسيرتهم يؤثِّر على الآخرين، السيِّدة الزَّهراء عليها السلام وهي معصومة ولها شموخ المقام وأسمى مراتب الإنسانيَّة، كلُّ عمل تعمله يهدي الآخرين إلى ما هو الصواب.

فى إطار البيت، وضمن أمور مختلفة ترتبط بتربية الأطفال، ما تقوم به فاطمة الزَّهراء أداءً بواجبها الإلهيّ، وهو في الظاهر لايرتبط بعمليَّة تربية الأطفال، يؤثِّر على الأولاد، ويستطيع الباقين أن يستلهموا أشياء كثيرة، منها: الشفقة والاهتمام بالمسلمين وخاصَّة الجيران منهم، وأيضًا الإيثار، أمور تعلِّمها فاطمة كأمِّ الحسنين بشكل يثير السؤال، وعند إجابته يتعلَّم الولد الفائدة منه، هذا ما استفدنا ممَّا روي عنها: «عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ فَاطِمَةَ الصُّغْرَى عَنِ الْحُسَيْنِ ابْنِ عَلِيٍّ عَنْ أَخِيهِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليهم السلام، قَالَ:

**فَقُلْتُ لَهَا يَا أُمَّاهْ لِمَ لَا تَدْعِينَ لِنَفْسِكِ كَمَا تَدْعِينَ لِغَيْرِكِ؟ فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّ الْجَارُ ثُمَّ الدَّارُ»**[1]

**الثالث: المجالات الاجتماعيَّة والسياسيَّة**

**أ. النشاط الاجتماعيّ والسياسيّ النسويّ:** «عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام، قَالَ: **إِنَّ فَاطِمَةَ عليها السلام كَانَتْ تَأْتِي قُبُورَ الشُّهَدَاءِ فِي كُلِّ غَدَاةِ سَبْتٍ، فَتَأْتِي قَبْرَ حَمْزَةَ وَتَتَرَحَّمُ عَلَيْهِ وَتَسْتَغْفِرُ لَهُ»**[2].

هذا مثال من الأنشطة الاجتماعيَّة لفاطمة الزَّهراء سلام الله عليها، رغم أنَّه فى بادئ الأمر يبدو أن يكون هذا أمرًا تقليديًّا أو عاطفيًّا أو منسكًا شرعيًّا فحسب، لكن الأمر فى النظرة العميقة واضح، وهو أنَّه عمل اجتماعيّ ذو جهة سياسيَّة واضحة. السيِّدة الزَّهراء تريد بهذا الأمر إحياء ذكرى سيِّد الشهداء حمزة، وعبر ذلك الإيضاح

(١) بحار الأنوار: ٤٣/ ٨٢.
(٢) بحار الأنوار: ٤٣/ ٩٠.

بين خطِّ الحقِّ وخطِّ الباطل. خاصَّة مع العناية بأنَّ مدفن حمزة ليس بقريب إلى دار فاطمة ومدينة النبيّ عليهما السلام، وهذا المانع يتطلَّب المزيد من الأعمال في سبيل أداء التكليف الإلهيّ.

من السَّيرِ فى سيرة الزَّهراء يمكننا العثور على أكثر من واحد من أمثال هذه النشاطات، وهي تهتم بها.

ب. **اتِّخاذ الموقف السياسيّ بشكل صريح**: حياء فاطمة كما هو المشهور وحفظها نفسها من المواجهة مع الأجنبيّ، لايمنعها من أن تكون حاضرة فى المشهد السياسيّ، ولا يمانعها من أن تكون عارفة بما يجري فى الميدان الاجتماعيّ والمجتمع.

هي عندما تحسُّ بأنَّ عليها تكليف من جانب الله بأنَّه يجب أن تكون حاضرة ويجب عليها أن تعمل عملًا، مع مراعاة الضوابط الشرعيَّة التي على عاتق النساء، تحضر وتخطب وتبيِّن و تتَّخذ موقفًا سياسيًّا بشكل صريح.

كما نرى في خطبتها الغرَّاء، العتاب على غاصبي حقِّها وغاصبي الخلافة والناس: «**لَيْتَ شِعْرِي إِلَى أَيِّ سِنَادٍ اسْتَنَدُوا وَعَلَى أَيِّ عِمَادٍ اعْتَمَدُوا وَبِأَيَّةِ عُرْوَةٍ تَمَسَّكُوا وَعَلَى أَيَّةِ ذُرِّيَّةٍ أَقْدَمُوا وَاحْتَنَكُوا لَبِئْسَ الْمَوْلى، وَ لَبِئْسَ الْعَشِيرُ**»[1].

وفى مجال آخر منها، تُبيِّن حكمة الفرائض، وتشير إلى الإمامة وطاعة أهل البيت عليهم السلام كنقطة الخلاف بين الناس:

«**ففرض الله الإيمان تطهيرًا لكم من الشرك، والصلاة تنزيهًا عن الكبر، والصيام تثبيتًا للإخلاص، والزكاة تزييدًا في الرزق، والحجّ تسليةً للدين، والعدل تنسُّكًا للقلوب، وطاعتنا نظامًا، وإمامتنا أمنًا من الفُرقة، وحبُّنا عزًّا للإسلام**»[2].

(١) بحار الأنوار: ٤٣/ ١٦٠.

(٢) بلاغات النساء، ابن طيفور، أحمد بن أبي طاهر، الشريف الرضيّ، قم، الطبعة الأولى، بلاتا: ٢٨.

تطبيق مفهوم الجهاد على مثل هذه النشاطات، أوضح من أن يحتاج إلى المزيد من الإيضاح.

ج. **الإجابة عن الأسئلة الشرعيَّة وتعليم الناس**: فاطمة الزَّهراء عليها السلام بما أنَّها عالمة من عند الله سبحانه وتعالى، وبما أخذ الله عهدًا من العلماء حتَّى يعلِّموا الآخرين، قامت بهذه المهمة، وكانت تجيب أسئلة الناس الشرعيَّة، حتَّى يعلموا موقفهم العمليّ، وأيضًا تتشكَّل رؤيتهم الصحيحة إلى العالم. هذا الأمر بسبب صعوباته، وأيضًا بسبب فقدان ثقافة التعليم والتعلُّم بشكلٍ عامٍّ، وخاصَّة عند النساء، وأيضًا بسبب دورها في إيجاد الوعي عند الناس، ومخالفة ذلك مع ما تريده السلطة الغاصبة، يعدُّ من مجاهدات الصديقة الكبرى عليها السلام.

ففي واحدة من هذه الأمثال، قَالَ رَجُلٌ لِامْرَأَتِهِ: «إِذْهَبِي إِلَى فَاطِمَةَ عليها السلام بِنْتِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله فَسَلِيهَا عَنِّي، أَنَا مِنْ شِيعَتِكُمْ، أَوَ لَسْتُ مِنْ شِيعَتِكُمْ؟ فَسَأَلَتْهَا، فَقَالَتْ عليها السلام: **«قُولِي لَهُ: إِنْ كُنْتَ تَعْمَلُ بِمَا أَمَرْنَاكَ، وَتَنْتَهِي عَمَّا زَجَرْنَاكَ عَنْهُ، فَأَنْتَ مِنْ شِيعَتِنَا، وَإِلَّا فَلَا.»**

فَرَجَعْتُ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: يَا وَيْلِي، وَمَنْ يَنْفَكُّ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، فَأَنَا إِذَنْ خَالِدٌ فِي النَّارِ، فَإِنَّ مَنْ لَيْسَ مِنْ شِيعَتِهِمْ، فَهُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ.

فَرَجَعَتِ الْمَرْأَةُ فَقَالَتْ لِفَاطِمَةَ عليها السلام مَا قَالَ لَهَا زَوْجُهَا، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ عليها السلام: **«قُولِي لَهُ: لَيْسَ هَكَذَا، [فَإِنَ] شِيعَتَنَا مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَكُلُّ مُحِبِّينَا وَمُوَالِي أَوْلِيَائِنَا، وَمُعَادِي أَعْدَائِنَا، وَالْمُسَلِّمُ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ لَنَا- لَيْسُوا مِنْ شِيعَتِنَا إِذَا خَالَفُوا أَوَامِرَنَا وَنَوَاهِيَنَا- فِي سَائِرِ الْمُوبِقَاتِ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ فِي الجَنَّةِ، وَلَكِنْ بَعْدَمَا يُطَهَّرُونَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ بِالْبَلَايَا وَالرَّزَايَا، أَوْ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ بِأَنْوَاعِ شَدَائِدِهَا، أَوْ فِي الطَّبَقِ الْأَعْلَى مِنْ جَهَنَّمَ بِعَذَابِهَا، إِلَى أَنْ نَسْتَنْقِذَهُمْ، بِحُبِّنَا، مِنْهَا، وَنَنْقُلَهُمْ إِلَى حَضْرَتِنَا».**

د. **الدفاع عن الولاية**: إنَّ «أهمَّ الأهداف التي توخَّتها الزَّهراءعليها السلام في مطالباتها الماليَّة، هو الدفاع عن ولاية أهل البيتعليهم السلام، وإثبات أحقيَّتهم في قيادة الأُمَّة بعد الرسولصلى الله عليه وآله، ويتَّضح ذلك من خلال خطبة الزَّهراءعليها السلام في المسجد النبويّ، وخطبتها الأُخرىٰ بنساء المدينة، وفي مواقف أُخرىٰ متعدِّدة، أدَّت فيها واجبها الرساليّ في الدفاع عن إمامة أمير المؤمنينعليه السلام»(١).

هذا الخطّ يوجد فى أكثر خطاباتها ونشاطاتها، خاصَّة بعد ارتحال رسول الله وما جرى حول فدك وغصب الخلافة، وتفصيل ذلك يحتاج إلى مجال أكثر من هنا. الأمر الذى لا يمكن أن نسمِّيه إلَّا الجهاد فى سبيل الله، وأيّ جهاد أعظم من ذلك؟!

## الخاتمة

كما يوجد فى كلمات الزَّهراءعليها السلام، و منها: «**مَنْ أَصْعَدَ إِلَى اللهِ خَالِصَ عِبَادَتِهِ، أَهْبَطَ اللهُ عزوجل إِلَيْهِ أَفْضَلَ مَصْلَحَتِهِ**»(٢). من الطبيعى أن تكون عاقبة الإنسان الذى عَبَد الله خالص عبادته فى كلِّ حياته، بل جاهد فى كلِّ حياته فى سبيل الله، الوصول إلى نقطة «**فَيَقُولُ اللهُ: يَا بِنْتَ حَبِيبِي ارْجِعِي فَانْظُرِي مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ حُبٌّ لَكِ أَوْ لِأَحَدٍ مِنْ ذُرِّيَّتِكِ، خُذِي بِيَدِهِ فَأَدْخِلِيهِ الْجَنَّةَ**»(٣).

الدراسة فى تفاصيل سيرتها هي حاجة الإنسان اليوم، حيث يمكن العثور على نموذج مناسب لحياة الإنسان، وخاصَّة المرأة، حتَّى نفهم الصواب والصحيح عن الخطأ، ونتعرَّف على كيفيَّة حياة إنسانيَّة إلهيَّة فى كلِّ الأحيان. وهذه المقالة خطوة صغيرة فى هذا المجال إن شاء الله.

(١) سيِّدة النساء فاطمة الزَّهراءعليها السلام: ١/ ٢٠٤.
(٢) بحار الأنوار: ٦٧/ ٢٥٠.
(٣) بحار الأنوار: ٤٣/ ٦٥.

## المصادر

* القرآن الكريم.

١. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمَّة الأطهار عليهم السلام، مجلسيّ، محمَّد باقر بن محمَّد تقي، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ق.

٢. بلاغات النساء، ابن طيفور، أحمد بن أبي طاهر، الشريف الرضيّ، قم، الطبعة الأولى، بلاتا.

٣. تاج العروس من جواهر القاموس، حسينيّ زبيديّ، سيِّد محمَّد مرتضى، تحقيق: عليّ شيرى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤ق.

٤. التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام، العسكريّ، حسن بن عليّ، مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه، قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ق.

٥. سيِّدة النساء فاطمة الزَّهراء عليها السلام، الكعبي، عليّ موسى، مركز الرسالة، بلا مكان، بلاتا.

٦. فاطمة الزَّهراء عليها السلام قدوة الصدِّيقين، المدرِّسيّ، محمَّدتقى، دار محبِّي الحسين عليه السلام، طهران، الطبعة الأولى، ١٤٢١ق.

٧. الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزَّهراء عليها السلام، الأنصاريّ الزنجانيّ الخوئينيّ، إسماعيل، دليل ما، قم، ١٣٨٥ش.

٨. من لا يحضره الفقيه، ابن بابويه، محمَّد بن عليّ، تحقيق: عليّ أكبر غفاري، مكتب النشر الإسلاميّ، قم، الطبعة الثانية، ١٤١٣ق.

# دور السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في الدفاع عن حقِّ الإمامة

الباحثة نغم جبَّار جاسم

## ملخَّص البحث

الحمد لله ربِّ العالمين ما بقي الليل والنهار، حمدًا يليق بجلال وجهه، وسبحات جلاله وجماله وكماله، والصلاة على حبيبه وسيِّد رسله وخير خلقه، المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله الهداة المهديِّين سبل ربِّ العالمين صلوات الله عليهم أجمعين.

وبعد..

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾. آل عمران [١٤٤].

منذ بواكير عصر الولاية، وما أن قرب رحيل رسول الإنسانيَّة ومنقذ البشريَّة، حتَّى دبَّ الانحراف عن النهج القويم وهدى البشير النذير، فبعد أن قتلوا رسول الله صلى الله عليه وآله، كما نستنتج من الآية الكريمة الآنفة الذِّكر، إذ يكون معنى (أو) بمعنى (بل)، ومنذ ذلك الحين، لم يتَّبع أغلب المسلمون الوصاية النبويَّة، وتخلّوا عن وصيِّ رسول الله الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فجفوه حقَّه، وغصبوا مكانه ، فانطلقت ابنة النبوَّة وسيِّدة العترة بواجبها الشرعيّ وتكليفها الإلهيّ ومنهجها الرساليّ، مبادرة بالدفاع عن إمام زمانها ووليِّ أمرها وأمر جميع المؤمنين، خاطبة في الناس، فحمدت الله وأثنت عليه، مذكِّرةً بأبيها صلوات الله عليه وعلى آله، وبما أنقذهم منه، وما أمرهم به.

فكانت المجاهدة في الله، المحامية عن الدين، الواعظة المذكِّرة، كما كان أبوها صلى الله عليه وآله، فهي صلوات الله عليها تعلِّمنا أن ننصر إمام زماننا، ولو تظاهر الناس علينا، وأن لا نسكت عن الظلم، ونبذل الغالي والنفيس في سبيل إعلاء كلمة الله، وإحقاق الحقِّ وبغض الظلم ، وسوف نقوم بتقسيم الموضوع على مقدمة ومبحثين وخاتمة، اختصَّ المبحث الأوَّل مفهوم حقِّ الإمامة في الإسلام ، وأمَّا المبحث الثاني فقد تناول الدور القيادي للزَّهراء، والدور التعريفيّ لها صلوات الله وسلامه عليها، نسأل الله تعالى السير على نهجهم، واقتفاء أثرهم، وأن يعصمنا من عنده، ويوفِّقنا لما يحبُّ ويرضى، إنَّه حميدٌ مجيدٌ، فعَّالٌ لما يريد. والحمد لله ربِّ العالمين.

**الكلمات المفتاحيَّة**: الجهاد في سبيل الله، بغض الظلم، نصرة المظلوم

# مقدِّمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على سيِّد المرسلين محمَّد المصطفى وعلى آله الغرِّ الميامين الطيِّبين الطاهرين، وبعد..

إنَّ الشروع في كتابة سيرة عظيم من العظماء، أو قبس من عظمته، يستدعي الإلمام بشيء من شذاه، أو عبق عطاه، وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ أعظم خلق بعد رسول الله ﷺ هو أمير المؤمنين عليه السلام، والسيِّدة الطاهرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وللغوص في بحرهم الزاخر، والارتشاف من منهله الرويّ، يستدعي قابليَّة القابل، ومن أين يكون، وقد مُلِئت النفس بالخطايا، وقيَّدتها المعاصي، وفتك بها حبُّ الدنيا، ولكن، وكما يقال: «**ما لا يُدرك كلُّه لا يُترك جُلُّه**»، فمنهم عليهم السلام أطلب التوفيق والسداد في منحي الإذن لأخطَّ هذه السطور، تزكيةً للنفس، وطهارةً للروح، وذخرًا ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[1].

بعد توفيق الله عزَّ وجلَّ كان هذا البحث، ورأيت من الواجب التعرُّض إلى موضوع مهمٍّ جدًّا، ألا وهو «الاضطرار إلى الحجَّة، وأن الأرض لا تخلو من حجَّة»، وعند البحث والتدقيق وجدت أن علمائنا الربانيِّين رحم الله الماضين، وحفظ الباقين، قد تناولوا هذا المفهوم، فجزاهم الله خير جزاء المحسنين؛ لما أنـاروا لنا الطريق وعبَّدوه بفيوضاتهم الربَّانيَّة، فسأقوم بنقله بتصرُّف بما يسعه الحال، ومن الله التوفيق والسداد.

(١) سورة الشعراء، الآيتين (٨٨ – ٨٩)

يشتمل البحث الحالي على مبحثَين، اختصَّ المبحث الأوَّل منه بمفهوم حقِّ الإمامة في الإسلام، وقد احتوى على مطلب بعنوان لزوم وجود الحجَّة، وأنَّ الأرض لا تخلو من حجَّة، وقد قُسِّم إلى جزئين، الأوَّل في القرآن والتفسير، والثاني في الروايات. أمَّا المبحث الثاني فقد تناول الدور القياديّ للزَّهراء، والدور التعريفيّ لها صلوات الله وسلامه عليها.

وقد ختم البحث بخاتمة تناولت فيها أهمَّ النتائج في البحث، وتوصيات البحث، وبعدها كانت قائمة بمصادر البحث، سائلة المولى تعالى القبول، وله الحمد.

## المبحث الأوَّل

## مفهوم حقِّ الإمامة في الإسلام

### لزوم وجود الحجَّة، وأن الأرض لا تخلو من حجَّة[١]

### الجزء الأوَّل: في القرآن الكريم والتفسير

خير ما نبدأ به بحثنا المتواضع هو القرآن الكريم، فقد جاءت الآيات على سبيل المثال لا الحصر في سورة الرعد (٧): ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾، والقصص (٥١): ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

فقد جاء في تفسير الطبرسيّ رحمة الله عليه، في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾، فيه أقوال، أحدها: أن معناه إنَّما أنت منذر، أي مخوف، وهادٍ لكلِّ قوم، وليس إليك إنزال الآيات، فـ(أنت) مبتدأ، و(منذر) خبره، و(هاد) عطف على (منذر)، وفصل بين الواو والمعطوف بالظرف.

وروي عن ابن عبَّاس أنَّه قال: لـمَّا نزلت الآية، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **أنا المنذر، وعليّ الهادي من بعدي، يا عليّ بك يهتدي المهتدون.**

وروى أبو القاسم الحسكاني في شواهد التنزيل، بالإسناد عن إبراهيم بن الحكم ابن ظهير عن أبيه عن حكم بن جبير عن أبي بردة الأسلميّ، قال: دعا رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) بحار الأنوار، محمَّد باقر المجلسيّ، مؤسَّسة الأعلميّ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ج٧، ص٥.

بالطهور وعنده عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فأخذ رسول الله بيد عليّ إليه بعدما تطهَّر، فألزقها بصدره، ثمَّ قال: «**إنَّما أنت منذر**»، ثمَّ ردَّها إلى صدر عليّ عليه السلام ، ثمَّ قال: «**ولكلِّ قومٍ هادٍ**»، ثمَّ قال: «**إنَّك منارة الأنام، ورواية الهدى، وأمير القرى، أشهد على ذلك أنَّك كذلك**»[1].

وعلى هذه الأقوال الثلاثة، يكون (هاد) مبتدأ، و(لكلِّ قوم) خبره، على قول سيبويه، ويكون مرتفعًا بالظرف على قول الأخفش. انتهى[2].

**الجزء الثاني: في روايات أهل بيت الرحمة عليهم السلام**

أقول، والقول للعلَّامة المجلسي رحمه الله: على هذا الوجه الأخير تدلُّ أخبار هذا الباب، وهي أظهر من الآية الكريمة، بوجوه لا تخفى على أولي الألباب. وسوف استعرض روايات العلَّامة المجلسيّ المستفيضة بهذا المضمون، وللأمانة العلميَّة سأنقلها كما فصَّل رحمه الله.

١. **ختص**: عن أحمد بن عمر الحلبيّ، عن أبي الحسن قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: **إنَّ الحجَّة لا تقوم الله على خلقه إلَّا بإمام حيّ يُعرف**[3]. ختص، عن الرضا عليه السلام قال: قال أبو جعفر عليه السلام مثله. ختص: عن داوود الرقِّيّ عن العبد الصالح مثله.

٢. **ير**: أحمد، عن الحسين، عن ابن محبوب، عن الثماليّ قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام: يقول: دعا رسول الله صلى الله عليه وآله بطهور، فلمَّا فرغ أخذ بيد عليّ عليه السلام، فألزمها يده، ثمَّ قال: **إنَّما أنت منذر**، ثمَّ ضمَّ يده إلى صدره، وقال: **ولكلِّ قوم هاد**، ثمَّ قال:

(١) بحار الأنوار، ج٧، ص٥.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو عليّ الفضل بن الحسن الطبرسّي، تحقيق السيِّد هاشم الرسولّي المحلَّاتيّ، مكتبة العلميَّة الإسلاميَّة، طهران، سوق الشيرازيّ، ج٦، ص١٤.

(٣) الاختصاص، الإمام أبي عبد الله محمَّد بن محمَّد بن النعمان العكبريّ البغداديّ، الملقَّب بالشيخ المفيد، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، ص٢٦٨-٢٦٩.

**يا عليّ أنت أصل الدِّين ومنار الإيمان، وغاية الهدى، وقائد الغرِّ المحجَّلين، أشهد بذلك**[١].

٣. **ير**: ابن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن بريد العجليّ، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **المنذر في كلِّ زمان منَّا هاد يهديهم إلى ما جاء به نبيّ الله**. ثمَّ الهداة من بعده عليّ، ثمَّ الأوصياء واحد بعد واحد[٢].

٤. **ير**: أحمد بن محمَّد، عن الحسين، عن النضر وفضالة، عن موسى بن بكر عن الفضيل، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾، قال: **كلُّ إمامٍ هادٍ للقوم الذي هو فيهم**[٣].

٥. **ير**: أحمد، عن الحسين، عن صفوان، عن ابن حازم، عن عبد الرحيم القصير عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾، فقال: **رسول الله صلى الله عليه وآله المنذر، وعليّ الهادي، والله ما ذهبت منَّا، وما زالت فينا إلى الساعة**[٤].

**ني**: ابن عقدة عن محمَّد بن سالم عن عليّ بن الحسين بن زنباط عن ابن حازم مثله[٥].

---

(١) بصائر الدرجات في فضائل آل محمَّد، أبو جعفر محمَّد بن الحسن بن فروخ الصفَّار، صحَّحه وعلَّق عليه: ميرزا محسن التبريزيّ، قم المقدَّسة، إيران، ١٤٠٤ق، ص٤٥-٤٦، ج١، باب١٣، ح٨ و١ و٦ و٧.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) الغيبة، أبو عبد الله محمَّد بن إبراهيم بن جعفر الكاتب، المعروف ابن أبي زينب النعمانيّ، تحقيق: عليّ أكبر الغفاري، مكتبة الصدوق، طهران، إيران، ص٦٩.

٦. **ير**: الحسين بن محمَّد عن معلى بن محمَّد بن جمهور عن محمَّد بن محمَّد عن إسماعيل عن سعدان عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: ﴿**إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾، فقال: **رسول الله المنذر، وعليّ عليه السلام الهادي، يا أبا محمَّد فهل منَّا هادٍ اليوم**؟ قلت: بلى جُعِلت فداك، ما زال فيكم هادٍ من بعد هادٍ حتَّى رُفِعت إليك. فقال: **رحمك الله يا أبا محمَّد، ولو كانت إذا نزلت آية على رجل ثمَّ مات ذلك الرجل، ماتت الآية، مات الكتاب، ولكنَّه حيٌّ يجري فيمن بقي، كما جرى فيمن مضى**[١].

**بيان**: قوله عليه السلام: [لو كانت] جملة شرطيَّة، والشرط فيها قوله: [إذا نزلت] مع جزائه، أعني قوله: [ماتت الآية]، وقوله: [مات الكتاب] جزاء له، وهو على هيأة قياس استثنائيّ، وقوله: [ولكنَّه حي] رفع للتالي، والمراد بموت الآية عدم عالم بها ومفسِّر لها، وبموت الكتاب، رُفِع حكمه وعدم التكليف بالعمل به، والحاصل أنَّه لو لم يكن بعد النبيّ صلى الله عليه وآله مَن يُعلِّم الآيات ويفسِّرها، كما هو المراد منها، لزم بطلان حكمها، ورفع التكليف بها، لقُبح تكليف الغافل والجاهل مع عدم القدرة على العلم، وبطلان التالي ظاهر بالإجماع وضرورة الدين.

٧. **ير**: أحمد بن محمَّد، عن صفوان عن ابن مسكان عن الحجر عن حمران عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: ﴿**وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ**﴾[٢]. قال: هم الأئمَّة عليهم السلام[٣].

٨. **ك**: أبي وابن الوليد معًا عن سعد عن ابن أبي الخطَّاب وابن يزيد معًا عن حمَّاد عن حريز عن محمَّد بن مسلم، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ:

(١) بصائر الدرجات، ص٤٥-٤٦، ج١ باب١٣، ح٩.
(٢) سورة الأعراف: الآية ١٨١.
(٣) بصائر الدرجات، ص٥٠ ج١، باب١٧، ح٨.

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ فقال: إمامٌ هادٍ لكلِّ قومٍ في زمانهم.

٩. **ك**: أبي عن سعد عن ابن عيسى عن أبيه عن ابن أبي عمير عن ابن أذينة وبريد العجليّ قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾، فقال: **المنذر رسول الله صلى الله عليه وآله، وعليّ الهادي، وفي كلِّ زمانٍ إمام منَّا يهديهم إلى ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله** (١).

١٠. **ك، لي**: السنانيّ عن ابن زكريَّا القطَّان عن ابن حبيب عن الفضل بن الصقر عن أبي معاوية عن الأعمش عن الصادق عن أبيه عن عليّ بن الحسين عليهم السلام قال: **نحن أئمَّة المسلمين، وحجج الله على العالمين، وسادة المؤمنين، وقادة الغرِّ المحجَّلين، وموالي المؤمنين، ونحن أمان أهل الأرض كما أنَّ النجوم أمان لأهل السماء، ونحن الذين بنا يمسك الله السماء أن تقع على الأرض إلَّا بإذنه، وبنا يمسك الأرض أن تميد بأهلها، وبنا ينزل الغيث، وبنا ينشر الرحمة، ويخرج بركات الأرض، ولولا ما في الأرض منَّا لساخت بأهلها.** ثمَّ قال: **ولم تخلُ الأرض منذ خلق الله آدم من حجَّة الله فيها ظاهر مشهور، أو غائب مستور، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجَّة الله فيها، ولولا ذلك لم يُعبَد الله.** قال سليمان: فقلت للصادق عليه السلام: فكيف ينتفع الناس بالحجَّة الغائب المستور؟ قال عليه السلام: **كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب** (٢).

**بيان**: ماد الشيء يميد ميدًا: تحرَّك.

(١) كمال الدين وتمام النعمة، أبو جعفر محمَّد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القمِّيّ، الشيخ الصدوق، منشورات مؤسَّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ص٦٠٥.

(٢) كمال الدين، ص١٩٩، الأمالي، أبو جعفر محمَّد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القمِّيّ، الشيخ الصدوق، تحقيق قسم الدراسات الإسلاميَّة، مؤسَّسة البعثة، ص١٥٦، مجلس ٣٤، ص١٥.

١١. **ك، ع، لي**: أبي عن سعد عن ابن هاشم عن ابن مرار عن يونس بن يعقوب قال: كان عند أبي عبد الله الصادق عليه السلام جماعة من أصحابه، فيهم هشام بن الحكم، وحمران بن أعين، ومؤمن الطاق، وهشام بن سالم، والطيار، فقال أبو عبد الله عليه السلام: **يا هشام**. قال: لبيك يا بن رسول الله. قال: **ألا تحدِّثني كيف صنعت بعمرو بن عبيد؟ وكيف سألته؟** قال هشام: جُعِلت فداك يا بن رسول الله، إنِّي أجلُّك وأستحييك ولا يعمل لساني بين يديك. فقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: **يا هشام إذا أمرتكم بشيء فافعلوه**. قال هشام: بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد وجلوسه في مسجد البصرة، وعَظُم ذلك عليَّ، فخرجت إليه ودخلت البصرة في يوم الجمعة، فأتيت مسجد البصرة، فإذا أنا بحلقة كبيرة، وإذا أنا بعمرو بن عبيد عليه شملة سوداء متَّزر بها من صوف، وشملة مرتدٍ بها، والناس يسألونه، فاستفرجت الناس فأفرجوا لي، ثم قعدت في آخر القوم على ركبتي ثمَّ قلت: أيُّها العالم، أنا رجل غريب، أتأذن لي فأسألك عن مسألة؟.

قال: فقال: نعم، قال: قلت له: ألكَ عين؟ قال: يا بني أي شيء هذا من السؤال؟ فقلت: هكذا مسألتي، فقال: يا بني سل، وإن كانت مسألتك حمقًا. قال: فقلت: أجبني فيها، قال: فقال لي: سَلْ، فقلت: ألك عين؟ قال: نعم، قال: قلت: فما ترى بها؟ قال: الألوان والأشخاص، قال: فقلت: ألك أنف؟ قال: نعم، قال: قلت: فما تصنع بها؟ قال: أتشمم بها الرائحة، قال: قلت: ألك فم؟ قال: نعم، قلت: وما تصنع به؟ قال: أعرف به طعم الأشياء، قال: قلت: ألك لسان؟ قال: نعم، قلت: وما تصنع به؟ قال: أتكلم به، قال: قلت: ألك أذن؟ قال: نعم، قلت: وما تصنع بها؟ قال: أسمع بها الأصوات، قال: قلت: ألك يد؟ قال: نعم، قلت: وما تصنع بها ؟ قال: أبطش بها، وأعرف بها

الليِّن من الخشن، قال: قلت: ألك رجلان؟ قال: نعم، قلت: ما تصنع بهما؟ قال: أنتقل بهما من مكان إلى مكان، قال: قلت: ألك قلب؟ قال: نعم، قلت: وما تصنع به؟ قال: أميِّز به كلَّ ما ورد على هذه الجوارح، قال: قلت: أفليس في هذه الجوارح غنًى عن القلب؟ قال: لا، قلت: وكيف ذلك، وهي صحيحة سليمة، قال: يا بني إنَّ الجوارح إذا شكَّت في شيء شمَّته أو رأته أو ذاقته أو سمعته أو لمسته، ردَّته إلى القلب، فيتقن اليقين ويُبطل الشكَّ، قال: فقلت: إنَّما أقام الله القلب لشكِّ الجوارح؟ قال: نعم، قال: قلت: فلا بدَّ من القلب وإلَّا لم يستقِم الجوارح؟ قال: نعم، قال: فقلت: يا أبا مروان إنذَ الله تعالى ذِكرُه لم يترك جوارحك حتَّى جعل لها إمامًا، يصحِّح لها الصحيح، ويتقن ما شكَّ فيه، ويترك هذا الخلق كلّهم في حيرتهم وشكِّهم واختلافهم، لا يقيم لهم إمامًا يردُّون إليهم شكّهم وحيرتهم، ويقيم لك إمامًا لجوارحك تردُّ إليه حيرتك وشكَّك؟ قال: فسكت ولم يقل شيئًا.

قال: ثمَّ التفت إليَّ فقال: أنت هشام؟ فقلت: لا، فقال لي: أجالسته؟ فقلت: لا، فقال: فمن أين أنت؟ قلت: من أهل الكوفة، قال: فأنت إذًا هو، قال: ثمَّ ضمَّني إليه وأقعدني في مجلسه، وما نطق حتَّى قمت، فضحك أبو عبد الله عليه السلام ثمَّ قال: **يا هشام مَن علَّمك هذا؟** قال: فقلت: يا بن رسول الله جرى على لساني، قال: **يا هشام هذا والله مكتوبٌ في صُحف إبراهيم وموسى**[1].

وقد روى العلَّامة المجلسيّ رحمه الله هذه الرواية، فقال: أبي عن سعد عن ابن يزيد عن صفوان بن يحيى عن ابن حازم قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنِّي ناظرت قومًا، فقلت: ألستم تعلمون أنَّ رسول الله هو الحجَّة من الله على الخلق؟ فحين ذهب رسول الله صلى الله عليه وآله مَن كان الحجَّة من بعده؟ فقالوا: القرآن، فنظرت

(١) بحار الأنوار، ج٢٣، ص٨-٩.

في القرآن، فإذا هو يخاصم فيه المرجئ والحروريّ والزنديق الذي لا يؤمن حتَّى يغلب الرجل، فعرفت أنَّ القرآن لا يكون حجَّة إلَّا بقيِّم، ما قال فيه من شيء كان حقًّا، قلت: فمن قيِّم القرآن ؟ قالوا: قد كان عبد الله بن مسعود وفلان وفلان يعلم، قلت: كلُّه؟ قالوا: لا، فلم أجد أحدًا يُقَال: إنَّه يعرف ذلك كلّه إلَّا عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وإذا كان الشيء بين القوم وقال هذا: لا أدري، وقال هذا: لا أدري، وقال هذا: لا أدري، وقال هذا: لا أدري فأشهد أنَّ عليَّ بن أبي طالب كان قيِّم القرآن، وكانت طاعته مفروضة، وكان حجَّة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله على الناس كلّهم، وإنَّه ما قال في القرآن فهو حقّ، فقال: رحمكَ الله، فقبَّلت رأسه، وقلت: إنَّ علي بن أبي طالب عليه السلام لم يذهب حتَّى ترك حجَّة من بعده، كما ترك رسول الله حجَّة من بعده، وإن الحجَّة من بعد عليّ الحسن بن عليّ، وأشهد على الحسن بن عليّ أنَّه كان الحجَّة، وأن طاعته مفترضة، فقال: رحمك الله، فقبَّلت رأسه، وقلت: أشهد على الحسن ابن عليّ أنَّه لم يذهب حتَّى ترك حجَّة من بعده، كما ترك رسول الله صلى الله عليه وآله وأبوه، وأنَّ الحجَّة بعد الحسن الحسين بن عليّ، وكانت طاعته مفترضة، فقال: رحمك الله، فقبَّلت رأسه، وقلت: وأشهد على الحسين بن عليّ أنَّه لم يذهب حتَّى ترك حجَّة من بعده ،وأنَّ الحجَّة من بعده علي بن الحسين، وكانت طاعته مُفترَضة، فقال: رحمك الله، فقبلت رأسه، وقلت: وأشهد على عليّ بن الحسين أنَّه لم يذهب حتَّى ترك حجَّة من بعده، وأنَّ الحجَّة من بعده محمَّد بن عليّ أبو جعفر عليه السلام، وكانت طاعته مفترضة، فقال: رحمك الله، قلت: أصلحك الله أعطني رأسك، فقبَّلت رأسه، فضحك، فقلت: أصلحك الله قد علمت أنَّ أباك لم يذهب حتَّى ترك حجَّة من بعده، كما ترك أبوه، فأشهد بالله أنَّك أنت الحجَّة من بعده، وأنَّ طاعتك مفترضة، فقال: كفَّ رحمك الله.

ومن هذا البيان نجد أنَّه لا بدَّ من حجَّة لله ﷻ على عباده، وأنَّ الأرض لا تخلو من حجَّة، وأنَّهم عليهم السلام حجج الله، وسرُّ خلقه، وباب رحمته، وفيض كرامته، بهم تمَّت الكلمة، وعظمت النعمة، وأتلفت الفرقة، وهم عليهم السلام عين الله الناظرة، ويده الباسطة، بهم فتح الله وبهم يختم، ولهم المودَّة الواجبة صلوات الله عليهم أجمعين.

وعليه يتوجَّب على كلِّ المسلمين معرفة مفهوم حقِّ الإمامة في الإسلام، وما لهم من أهميَّة عظيمة توجِب التسليم لأمرهم، والخضوع لهم، والتذلُّل أمامهم، فبهم رحمنا الله، وبهم دفع الله عنَّا كلَّ بليَّة وبلاء، وهم سُبل النجاة، وقد صرح القرآن الكريم: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[1]، وهم عليهم السلام امتداد رسول الله، ولا يخيب من قصدهم.

(١) سورة النساء: الآية ٦٤.

## المبحث الثاني

# الدور التعريفيّ للزَّهراء والدور القياديّ لها صلوات الله وسلامه عليها

### المطلب الأوَّل: الدور التعريفيّ للزَّهراء عليها السلام

السيِّدة الطاهرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، هي ابنة أعظم قائد في البشريَّة منذ أوَّل الخلق إلى آخره، وهي سليلة النبوَّة، والأسوة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فكانت أمُّ أبيها، ولا يسعني الإحاطة بشذر من شذاها صلوات الله عليها، ومن أين للجزء الإحاطة بالكلِّ، وكيف للقاصر أن يبيِّن الكامل، ولكن نقتبس قطيرة من بحرها الزاخر، بالاستعانة بالله تعالى، ونطلب السداد بشفاعتها عليها السلام، ونتناول جزءًا من دورها القياديّ العظيم.

### المطلب الثاني: الدور القياديّ للزَّهراء عليها السلام

استُلهِم هذا الدور القياديّ الصارم من خروجها صلوات الله عليها، للمطالبة بحقِّها، وإلقائها تلك الوثيقة التاريخيَّة التي بقيت على مرِّ العصور، مذكِّرة ولسان حقٍّ مطالب لا يقبل بالظلم والحيف، تلك الخطبة المدوِّية التي زلزلت أركان قيادة الدولة، وجعلتهم متخبِّطين لا يعلمون كيف المخرج ممَّا نزل على رؤوسهم، فما كان منهم إلَّا أن هرعوا إلى الكذب والافتراء على رسول الله صلى الله عليه وآله، بأحاديث تناقض القرآن، ولا يقبلها عقل، ولا تمتُّ إلى الإنسانيَّة بصِلَة.

ولا بدَّ من ذِكر جزء من هذه الخطبة العظيمة والوثيقة التاريخيَّة؛ تبرُّكًا بها واستعراضًا لمفاصلها، وتشبُّثًا بما زخرت به صلوات الله عليها، فقد رويَ عن عبد الله بنُ الحسن عليه السلام، بإسنادِه عن آبائه عليهم السلام أنَّه لَـمَّا أجْمَعَ أبو بكر عَلى مَنْعِ فاطمةَ عليها السلام فَدَكَ، وبَلَغَها ذلك، لاثَتْ خِمارَها على رأسِها، واشْتَمَلَتْ بِجِلْبابِها، وأقْبَلَتْ في لُـمَّةٍ مِنْ حَفَدتِها ونساءِ قَوْمِها، تَطأ ذُيُولَها، ما تَخْرِمُ مِشْيَتُها مِشْيَةَ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله، حَتَّى دَخَلَتْ عَلى أَبي بَكْر، وَهُو في حَشْدٍ مِنَ المهاجِرين والأَنصارِ وَغَيْرِهِمْ، فَنيطَتْ دونَها مُلاءَةٌ، فَجَلَسَتْ، ثُمَّ أَنَّتْ أَنَّةً أَجْهَشَ القومُ لها بِالْبُكاءِ. فَارْتَجَّ الْـمَجلِسُ. ثُمَّ أمْهَلَتْ هَنِيَّةً حَتَّى إذا سَكَنَ نَشيجُ القومِ، وهَدَأَتْ فَوْرَتُهُمْ، افْتَتَحَتِ الْكَلامَ بِحَمدِ اللهِ وَالثناءِ عليه، والصلاةِ على رسولِ الله، فعادَ القومُ في بُكائِهِمْ، فَلَـمَّا أمْسَكُوا، عادَتْ فِي كلامِها- وسأقتصر على الدور القياديّ، والخطاب السياسيّ لضيق البحث- فَقالَتْ عليها السلام:

**أيُّها النَّاسُ! اعْلَمُوا أنِّي فاطِمَةُ، وَأبي مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله، أَقُولُ عَوْدًا وَبَدْءًا، وَلا أَقُولُ ما أَقُولُ غَلَطًا، وَلا أَفْعَلُ ما أَفْعَلُ شَطَطًا: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، فَإنْ تَعْزُوه وَتَعْرِفُوهُ تَجِدُوهُ أبي دُونَ نِسائِكُمْ، وَأخا ابْنِ عَمِّي دُونَ رِجالِكُمْ، وَ لَنِعْمَ الْمَعْزِيُّ إلَيْهِ صلى الله عليه وآله، فَبَلَّغَ الرِّسالَةَ صادِعًا بِالنِّذارَةِ، مائِلًا عَنْ مَدْرَجَةِ الْمُشْرِكِينَ، ضارِبًا ثَبَجَهُمْ، آخِذًا بِأكْظامِهِمْ، داعِيًا إلى سَبيلِ رَبِّهِ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنةِ، يَكْسِرُ الأَصْنامَ، وَيَنْكُتُ الْهامَ، حَتَّى انْهَزَمَ الْجَمْعُ وَوَلَّوا الدُّبُرَ، حَتَّى تَفَرَّى اللَّيْلُ عَنْ صُبْحِهِ، وَأسْفَرَ الحَقُّ عَنْ مَحْضِهِ، وَنَطَقَ زَعِيمُ الدّينِ، وَخَرِسَتْ شَقاشِقُ الشَّياطينِ، وَطاحَ وَشيظُ النِّفاقِ، وَانْحَلَّتْ عُقَدُ الْكُفْرِ وَالشِّقاقِ، وَفُهْتُمْ بِكَلِمَةِ الإخْلاصِ فِي نَفَرٍ مِنَ الْبيضِ الْخِماصِ، وَكُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ، مُذْقَةَ الشَّارِبِ، وَنُهْزَةَ الطَّامِعِ، وَقُبْسَةَ الْعَجْلانِ، وَمَوْطِئَ الأقْدامِ، تَشْرَبُونَ الطَّرْقَ، وَتَقْتاتُونَ الْوَرَقَ، أذِلَّةً خاسِئينَ، ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ﴾.**

فَأَنْقَذَكُمُ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالى بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله بَعْدَ اللُّتَيَّا وَالَّتِي، وَبَعْدَ أَنْ مُنِيَ بِبُهَمِ الرِّجالِ وَذُؤْبانِ الْعَرَبِ وَمَرَدَةِ أَهْلِ الْكِتابِ، ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُ﴾، أَوْ نَجَمَ قَرْنٌ لِلشَّيْطانِ، وَفَغَرَتْ فَاغِرَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، قَذَفَ أَخاهُ في لَهَواتِها، فَلا يَنْكَفِئُ حَتَّى يَطَأَ صِماخَها بِأَخْمَصِهِ، وَيُخْمِدَ لَهَبَهَا بِسَيْفِهِ، مَكْدُودًا في ذاتِ اللهِ، مُجْتَهِدًا في أَمْرِ اللهِ، قَرِيبًا مِنْ رَسُولِ اللهِ سَيِّدَ أَوْلِياءِ اللهِ، مُشَمِّرًا ناصِحًا، مُجِدًّا كادِحًا وَأَنْتُمْ في رَفاهِيَةٍ مِنَ الْعَيْشِ، وَادِعُونَ فاكِهُونَ آمِنُونَ، تَتَرَبَّصُونَ بِنا الدَّوائِرَ، وَتَتَوَكَّفُونَ الأَخْبارَ، وَتَنْكُصُونَ عِنْدَ النِّزالِ، وَتَفِرُّونَ عِنْدَ القِتالِ.

فَلَمَّا اخْتارَ اللهُ لِنَبِيِّهِ دارَ أَنْبِيائِهِ وَمَأْوى أَصْفِيائِهِ، ظَهَرَ فيكُمْ حَسيكَةُ النِّفاقِ وَسَمَلَ جِلْبابُ الدِّينِ، وَنَطَقَ كاظِمُ الْغاوِينِ، وَنَبَغَ خامِلُ الأَقَلِّينَ، وَهَدَرَ فَنِيقُ الْمُبْطِلِينَ.

فَخَطَرَ في عَرَصاتِكُمْ، وَأَطْلَعَ الشَّيْطانُ رَأْسَهُ مِنْ مَغْرِزِهِ، هاتِفًا بِكُمْ، فَأَلْفاكُمْ لِدَعْوَتِهِ مُسْتَجِيبِينَ، وَلِلْغِرَّةِ فِيهِ مُلاحِظِينَ. ثُمَّ اسْتَنْهَضَكُمْ فَوَجَدَكُمْ خِفافًا، وَأَحْمَشَكُمْ فَأَلْفاكُمْ غِضابًا، فَوَسَمْتُمْ غَيْرَ إِبِلِكُمْ، وَأَوْرَدْتُمْ غَيْرَ شِرْبِكُمْ، هذا وَالْعَهْدُ قَرِيبٌ، وَالْكَلْمُ رَحِيبٌ، وَالْجُرْحُ لَمّا يَنْدَمِلْ، وَالرَّسُولُ لَمَّا يُقْبَرْ، ابْتِدارًا زَعَمْتُمْ خَوْفَ الْفِتْنَةِ، ﴿أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

فَهَيْهاتَ مِنْكُمْ، وَكَيْفَ بِكُمْ، وَأَنّى تُؤْفَكُونَ؟ وَكِتابُ اللهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، أُمُورُهُ ظاهِرَةٌ، وَأَحْكامُهُ زاهِرَةٌ، وَأَعْلامُهُ باهِرَةٌ، وَزَواجِرُهُ لائِحَةٌ، وَأَوامِرُهُ واضِحَةٌ، قَدْ خَلَّفْتُمُوهُ وَراءَ ظُهُورِكُمْ، أَرَغْبَةً عَنْهُ تُرِيدُونَ، أَمْ بِغَيْرِهِ تَحْكُمُونَ، ﴿بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا﴾، ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾، ثُمَّ لَمْ تَلْبَثُوا إِلَّا رَيْثَ أَنْ تَسْكُنَ نَفْرَتُها، وَيَسْلَسَ قِيادُها، ثُمَّ أَخَذْتُمْ تُورُونَ وَقْدَتَها، وَتُهَيِّجُونَ جَمْرَتَها، وَتَسْتَجِيبُونَ لِهِتافِ الشَّيْطانِ الْغَوِيِّ، وَاطْفاءِ أَنْوارِ الدِّينِ الْجَلِيِّ، وَاهْمادِ سُنَنِ النَّبِيِّ الصَّفِيِّ، تُسِرُّونَ حَسْوًا في ارْتِغاءٍ، وَتَمْشُونَ لأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ في الْخَمَرِ وَالضَّراءِ، وَنَصْبِرُ مِنْكُمْ عَلى مِثْلِ حَزِّ الْمُدى، وَوَخْزِ السِّنانِ في الْحَشا، وَأَنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَلَا إِرْثَ لَنا،

﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أفَلا تَعْلَمُونَ؟ بَلى تَجَلَّى لَكُمْ كَالشَّمْسِ الضَّاحِيَةِ أنِّي ابْنَتُهُ.

أيُّهَا الْمُسْلِمونَ أأُغْلَبُ عَلى ارْثِيَهْ يَا ابْنَ أبي قُحافَةَ! أفِي كِتابِ اللهِ أنْ تَرِثَ أباكَ، وَلا أرِثَ أبي؟ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا، أفَعَلى عَمْدٍ تَرَكْتُمْ كِتابَ اللهِ، وَنَبَذْتُمُوهُ وَراءَ ظُهُورِكُمْ إذْ يَقُولُ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾، وَقالَ فيمَا اخْتَصَّ مِنْ خَبَرِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا عليهما السلام، إذْ قالَ: ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾، وَقالَ: ﴿وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾، وَقالَ: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾، وقال: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾، وزَعَمْتُمْ أنْ لا حِظْوَةَ لِي، وَلا أرِثَ مِنْ أبي، ولا رَحِمَ بَيْنَنَا! أفَخَصَّكُمُ اللهُ بِآيَةٍ أخْرَجَ مِنْها أبِي؟ أمْ هَلْ تَقُولونَ أهْلُ مِلَّتَيْنِ لا يَتَوارَثانِ، أوَ لَسْتُ أنَا وَأبِي مِنْ أهْلِ مِلَّةٍ واحِدَةٍ؟! أمْ أنْتُمْ أعْلَمُ بِخُصُوصِ الْقُرْآنِ وَعُمُومِهِ مِنْ أبِي وَابْنِ عَمِّي؟ فَدُونَكَها مَخْطُومَةً مَرْحُولَةً، تَلْقاكَ يَوْمَ حَشْرِكَ، فَنِعْمَ الْحَكَمُ اللهُ، وَالزَّعِيمُ مُحَمَّدٌ، وَالْمَوْعِدُ الْقِيامَةُ، وَعِنْدَ السَّاعَةِ يَخْسَرُ المبطلون، وَلا يَنْفَعُكُمْ إذْ تَنْدَمُونَ، ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ مَنْ يَأْتِيهِ عَذابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذابٌ مُقِيمٌ.

ثُمَّ رَمَتْ بِطَرْفِها نَحْوَ الْأَنْصارِ، فَقالَتْ:

يا مَعاشِرَ الْفِتْيَةِ، وَأَعْضادَ الْمِلَّةِ، وَأنْصارَ الْإِسْلامِ! ما هذِهِ الْغَمِيزَةُ فِي حَقِّي؟ وَالسِّنَةُ عَنْ ظُلامَتِي؟ أما كانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله أبِي يَقُولُ: «اَلْمَرْءُ يُحْفَظُ فِي وُلْدِهِ»؟ سَرْعانَ ما أحْدَثْتُمْ، وَعَجْلانَ ذا إهالَةً، وَلَكُمْ طاقَةٌ بِما اُحاوِلُ، وَقُوَّةٌ عَلى ما أطْلُبُ وَأزاوِلُ!.

أتَقُولُونَ ماتَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله؟! فَخَطْبٌ جَليلٌ اسْتَوْسَعَ وَهْيُهُ، وَاسْتَنْهَرَ فَتْقُهُ، وَانْفَتَقَ رَتْقُهُ، وَأظْلَمَتِ الْأَرْضُ لِغَيْبَتِهِ، وَكُسِفَتِ النُّجُومُ لِمُصِيبَتِهِ، وَأكْدَتِ الْآمالُ، وَخَشَعَتِ الْجِبالُ، وَاُضِيعَ الْحَرِيمُ، وَاُزِيلَتِ الْحُرْمَةُ عِنْدَ مَماتِهِ. فَتِلْكَ وَاللهِ النَّازِلَةُ الْكُبْرى، وَالْمُصِيبَةُ الْعُظْمى، لا مِثْلُها نازِلَةٌ وَلا بائِقَةٌ عاجِلَةٌ أعْلَنَ بِها كِتابُ اللهِ جَلَّ ثَناؤُهُ فِي

أَفْنِيَتِكُمْ فِي مُمْساكُمْ وَمُصْبَحِكَمْ هِتافًا وَصُراخًا وَتِلاوَةً وَإِلحانًا، وَلَقَبْلَهُ ما حَلَّ بِأَنْبياءِ اللهِ وَرُسُلِهِ، حُكْمٌ فَصْلٌ وَقَضاءٌ حَتْمٌ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾.

أَيْهًا بَنِي قَيْلَةَ! أَأُهْضَمُ تُراثَ أَبِيَهْ وَأَنْتُمْ بِمَرْأى مِنِّي وَمَسْمَعٍ، ومُبْتَدأٍ وَمَجْمَعٍ؟! تَلْبَسُكُمُ الدَّعْوَةُ، وتَشْمُلُكُمُ الْخَبْرَةُ، وَأَنْتُمْ ذَوُو الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ، وَالأَداةِ وَالْقُوَّةِ، وَعِنْدَكُمُ السِّلاحُ وَالْجُنَّةُ؛ تُوافيكُمُ الدَّعْوَةُ فَلا تُجِيبُونَ، وَتَأْتيكُمُ الصَّرْخَةُ فَلا تُغيثُونَ، وَأَنْتُمْ مَوْصُوفُونَ بِالْكِفاحِ، مَعْرُفُونَ بِالْخَيْرِ وَالصَّلاحِ، وَالنُّجَبَةُ الَّتي انْتُجِبَتْ، وَالْخِيَرَةُ الَّتِي اخْتيرَتْ! قاتَلْتُمُ الْعَرَبَ، وَتَحَمَّلْتُمُ الْكَدَّ وَالتَّعَبَ، وَناطَحْتُمُ الْاُمَمَ، وَكافَحْتُمُ الْبُهَمَ، فَلا نَبْرَحُ أو تَبْرَحُونَ، نَأْمُرُكُمْ فَتَأْتَمِرُونَ حَتَّى دَارَتْ بِنا رَحَى الإِسْلامِ، وَدَرَّ حَلَبُ الأَيّامِ، وَخَضَعَتْ نُعَرَةُ الشِّرْكِ، وَسَكَنَتْ فَوْرَةُ الإِفْكِ، وَخَمَدَتْ نيرانُ الْكُفْرِ، وهَدَأتْ دَعْوَةُ الْهَرْجِ، وَاسْتَوْسَقَ نِظامُ الدِّينِ؛ فَأَنّى جُرْتُمْ بَعْدَ الْبَيانِ، وَأَسْرَرْتُمْ بَعْدَ الإِعْلانِ، وَنَكَصْتُمْ بَعْدَ الإِقْدامِ، وَأَشْرَكْتُم بُعْدَ الإِيمانِ؟ ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

أَلا قَدْ أرى أنْ قَدْ أَخْلَدْتُمْ إِلَى الْخَفْضِ، وَأَبْعَدْتُمْ مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِالْبَسْطِ وَالْقَبْضِ، وَخَلَوْتُمْ بِالدَّعَةِ، وَنَجَوْتُمْ مِنَ الضِّيقِ بِالسَّعَةِ، فَمَجَجْتُمْ ما وَعَيْتُمْ، وَدَسَعْتُمُ الَّذِي تَسَوَّغْتُمْ، فـ﴿إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾. ألا وَقَدْ قُلْتُ مَا قُلْتُ عَلى مَعْرِفَةٍ مِنِّي بِالْخَذْلَةِ الَّتِي خامَرَتْكُمْ، وَالغَدْرَةِ التِي اسْتَشْعَرَتْها قُلُوبُكُمْ، وَلكِنَّها فَيْضَةُ النَّفْسِ، وَنَفْثَةُ الْغَيْظِ، وَخَوَرُ الْقَنا، وَبَثَّةُ الصُّدُورِ، وَتَقْدِمَةُ الْحُجَّةِ.

فَدُونَكُمُوها فَاحْتَقِبُوها دَبِرَةَ الظَّهْرِ، نَقِبَةَ الْخُفِّ، باقِيَةَ الْعارِ، مَوْسُومَةً بِغَضَبِ اللهِ وَشَنارِ الْأَبَدِ، مَوْصُولَةً بِنارِ اللهِ الْمُوقَدَةِ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ. فَبِعَيْنِ اللهِ ما تَفْعَلُونَ

﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾، وَأَنَا ابْنَةُ نَذِيرٍ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذابٍ شَدِيدٍ، فـ﴿ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾.

فَأَجابَها أَبُوبَكْرٍ (عَبْدُ اللهِ بْنُ عُثْمانَ)، فَقالَ: يَا ابْنَةَ رَسُولِ اللهِ، لَقَدْ كانَ أَبُوكِ بالمُؤْمِنِينَ عَطُوفًا كَرِيمًا، رَؤُوفًا رَحِيمًا، وَعَلَى الْكافِرِينَ عَذابًا أَلِيمًا وَعِقابًا عَظِيمًا؛ فَإِنْ عَزَوْناهُ وَجَدْناهُ أَباكِ دُونَ النِّساءِ، وَأَخًا لِبَعْلِكِ دُونَ الْأَخِلّاءِ، آثَرَهُ عَلى كُلِّ حَمِيمٍ، وَساعَدَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ جَسِيمٍ، لا يُحِبُّكُمْ إِلَّا كُلُّ سَعِيدٍ، وَلا يُبْغِضُكُمْ إِلَّا كُلُّ شَقِيٍّ؛ فَأَنْتُمْ عِتْرَةُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله الطَّيِّبُونَ، وَالْخِيَرَةُ الْمُنْتَجَبُونَ، عَلَى الْخَيْرِ أَدِلَّتُنا، وَإِلَى الْجَنَّةِ مَسالِكُنا، وَأَنْتِ- يا خَيْرَةَ النِّساءِ وَابْنَةَ خَيْرِ الْأَنْبِياءِ- صادِقَةٌ فِي قَوْلِكِ، سابِقَةٌ فِي وُفُورِ عَقْلِكِ، غَيْرُ مَرْدُودَةٍ عَنْ حَقِّكِ، وَلا مَصْدُودَةٍ عَنْ صِدْقِكِ، وَوَاللهِ، ما عَدَوْتُ رَأْيَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ: «نَحْنُ مَعاشِرَ الْأَنْبِياءِ لا نُوَرِّثُ ذَهَبًا وَلا فِضَّةً وَلا دارًا وَلا عِقارًا، وَإِنَّما نُوَرِّثُ الْكُتُبَ وَالْحِكْمَةَ، وَالْعِلْمَ وَالنُّبُوَّةَ، وَما كانَ لَنا مِنْ طُعْمَةٍ فَلِوَلِيِّ الْأَمْرِ بَعْدَنا أَنْ يَحْكُمَ فِيهِ بِحُكْمِهِ». وَقَدْ جَعَلْنا ما حاوَلْتِهِ فِي الكُراعِ وَالسِّلاحِ يُقابِلُ بِهِ الْمُسْلِمُونَ، وَيُجاهِدُونَ الْكُفّارَ، وَيُجالِدُونَ الْمَرَدَةَ ثُمَّ الْفُجّارَ، وَذلِكَ بِإِجْماعٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ أَتَفَرَّدْ بِهِ وَحْدِي، وَلَمْ أَسْتَبِدَّ بِما كانَ الرَّأْيُ فِيهِ عِنْدِي. وَهذِهِ حالِي، وَمالِي هِيَ لَكِ وَبَيْنَ يَدَيْكِ، لا نَزْوِي عَنْكِ وَلا نَدَّخِرُ دُونَكِ، وَأَنْتِ سَيِّدَةُ أُمَّةِ أَبِيكِ، وَالشَّجَرَةُ الطَّيِّبَةُ لِبَنِيكِ، لا يُدْفَعُ ما لَكِ مِنْ فَضْلِكِ، وَلا يُوضَعُ مِنْ فَرْعِكِ وَأَصْلِكِ؛ حُكْمُكِ نافِذٌ فِيما مَلَكَتْ يَداي، فَهَلْ تَرَيْنَ أَنْ أُخالِفَ فِي ذلِكِ أَباكِ صلى الله عليه وآله؟.

فَقالَتْ عليها السلام: **سُبْحانَ اللهِ! ما كانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله عَنْ كِتابِ اللهِ صادِفًا، وَلا لِأَحْكامِهِ مُخالِفًا، بَلْ كانَ يَتَّبِعُ أَثَرَهُ، وَيَقْفُو سُورَهُ، أَفَتَجْمَعُونَ إِلى الْغَدْرِ اعْتِلالًا عَلَيْهِ بِالزُّورِ؛ وَهذا بَعْدَ وَفاتِهِ شَبِيهٌ بِما بُغِيَ لَهُ مِنَ الْغَوائِلِ فِي حَياتِهِ. هذا كِتابُ اللهِ حَكَمًا عَدْلًا، وَناطِقًا فَصْلًا، يَقُولُ: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾، ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾، فَبَيَّنَ عز وجل فِيما وَزَّعَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَقْساطِ، وَشَرَّعَ مِنَ الفَرايِضِ وَالمِيراثِ، وَأَباحَ مِنْ حَظِّ الذُّكْرانِ وَالإِناثِ ما**

أَزاحَ عِلَّةَ المُبْطِلينَ، وأَزالَ التَّظَنّي وَالشُّبُهاتِ في الغابِرينَ، كَلاّ ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾.

فَقالَ أَبو بَكْرٍ: صَدَقَ اللهُ وَرَسولُهُ، وَصَدَقَتِ ابْنَتُهُ؛ أَنْتِ مَعْدِنُ الحِكْمَةِ، وَمَوْطِنُ الهُدى وَالرَّحْمَةِ، وَرُكْنُ الدِّينِ وَعَيْنُ الحُجَّةِ، لا أُبْعِدُ صوابَكِ، وَلا أُنْكِرُ خِطابَكِ هؤلاءِ المُسْلِمونَ بَيْنِي وبَيْنَكِ، قَلَّدوني ما تَقَلَّدْتُ، وَباتِّفاقٍ مِنْهُمْ أَخَذْتُ ما أَخَذْتُ غَيْرَ مُكابِرٍ وَلا مُسْتَبِدٍّ وَلا مُسْتَأْثِرٍ، وهُمْ بِذلِكَ شُهودٌ.

فَالتَفَتَتْ فاطِمَةُ عليها السلام، وَقالَتْ: **مَعاشِرَ النَّاسِ المُسْرِعَةِ إِلى قِيلِ الباطِلِ، المُغْضِيَةِ عَلى الفِعْلِ القَبيحِ الخاسِرِ ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾، كَلَّا بَلْ رانَ عَلى قُلوبِكُمْ ما أَسَأْتُمْ مِنْ أَعْمالِكُمْ، فَأَخَذَ بِسَمْعِكُمْ وَأَبْصارِكُمْ، وَلَبِئْسَ ما تَأَوَّلْتُمْ، وَساءَ ما أَشَرْتُمْ، وشَرَّ ما مِنْهُ اعتَضْتُمْ، لَتَجِدَنَّ وَاللهِ مَحْمِلَهُ ثَقيلًا، وَغِبَّهُ وَبيلًا إِذا كُشِفَ لَكُمُ الغِطاءُ، وَبانَ ما وَراءَهُ الضَراءُ، وَبَدا لَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ما لَمْ تكونوا تَحْتَسِبونَ، وَ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾**.

ثُمَّ عَطَفَتْ عَلى قَبْرِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله، وَقالَتْ:

قَدْ كانَ بَعْدَكَ أَنْباءٌ وَهَنْبَثَةٌ
لَوْ كُنْتَ شاهِدَها لَمْ تَكْبُرِ الخَطْبُ
إِنّا فَقَدْناكَ فَقْدُ الأَرْضِ وابِلُها
وَاخْتَلَّ قَوْمُكَ فَاشْهَدْهُمْ وَقَدْ نَكِبوا
وَكُلُّ أَهْلٍ لَهُ قُرْبى وَمَنْزِلَةٌ
عِنْدَ الإِلهِ عَلَى الأَدْنَيْنِ مُقْتَرِبُ
أَبْدَتْ رِجالٌ لَنا نَجْوى صُدورِهِمِ
لَمّا مَضَيْتَ وَحالَتْ دونَكَ التُّرَبُ

تَجَهَّمَتْنا رِجالٌ واسْتُخِفَّ بِنا
لَمّا فُقِدْتَ وَكُلُّ الأَرْضِ مُغْتَصَبُ
وَكُنْتَ بَدْرًا وَنُورًا يُسْتَضاءُ بِهِ
عَلَيْكَ تُنْزَلُ مِنْ ذي العِزَّةِ الكُتُبِ
وَكانَ جِبْرِيلُ بِالآياتِ يونِسُنا
فَقَدْ فُقِدْتَ فَكُلُّ الخَيْرِ مُحْتَجِبُ
فَلَيْتَ قَبْلَكَ كانَ المَوْتُ صادَفَنا
لِما مَضَيْتَ وَحالَتْ دونَكَ الكُثُبُ
إِنّا رُزِئْنا بِما لَمْ يُرْزَ ذُو شَجَنٍ
مِنَ البَرِيَّةِ لا عُجْمٌ وَلا عَرَبُ

ثُمَّ انْكَفَأَتْ عليها السلام وأميرُ المُؤْمِنِينَ عليه السلام يَتَوَقَّعُ رُجُوعَها إلَيْهِ، وَيَتَطَلَّعُ طُلُوعَها عَلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّتْ بِها الدّارُ قالتْ لأمير المُؤمنينَ عليه السلام: يا ابْنَ أَبِي طالِب! اشْتَمَلْتَ شِمْلَةَ الجَنِينِ، وَقَعَدْتَ حُجْرَةَ الظَّنِينِ! نَقَضْتَ قادِمَةَ الأَجْدِلِ، فَخانَكَ ريشُ الأَعْزَلِ؛ هذا ابْنُ أَبِي قُحافَةَ يَبْتَزُّنِي نُحَيْلَةَ أَبِي وَبُلْغَةَ ابْنِي، لَقَدْ أَجْهَرَ فِي خِصامِي، وَالفَيْتُهُ أَلَدَّ فِي كَلامِي، حَتَّى حَبَسَتْنِي قَيْلَةُ نَصْرَها، وَالمُهاجِرَةُ وَصْلَها، وَغَضَّتِ الجَماعَةُ دُونِي طَرْفَها؛ فَلا دافِعَ وَلا مانِعَ، خَرَجْتُ كاظِمَةً، وَعُدْتُ راغِمَةً، أَضْرَعْتَ خَدَّكَ يَوْمَ أَضَعْتَ حَدَّكَ، إِفْتَرَسْتَ الذِّئابَ، وَافْتَرَشْتَ التُّرابَ، ما كَفَفْتُ قائِلًا، وَلا أَغْنَيْتُ باطِلًا، وَلا خِيارَ لِي، لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَنِيَّتِي وَدُونَ زَلَّتِي[ذِلَّتِي]، عَذيريَ اللهُ مِنْكَ عادِيًا وَمِنْكَ حامِيًا. وَيْلايَ فِي كُلِّ شارِقٍ، ماتَ الْعَمَدُ، وَوَهَتِ الْعَضُدُ. شَكْوايَ إِلى أَبِي، وَعَدْوايَ إِلى رَبِّي. اللَّهُمَّ أَنْتَ أَشَدُّ قُوَّةً وَحَوْلًا، وَأَحَدُّ بَأْسًا وَتَنْكِيلًا.

فَقالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: لا وَيْلَ عَلَيْكِ، الْوَيْلُ لِشانِئِكِ، نَهْنِهِي عَنْ وَجْدِكِ يَا ابْنَةَ الصَّفْوَةِ وَبَقِيَّةَ النُّبُوَّةِ، فَما وَنَيْتُ عَنْ دِينِي، وَلا أَخْطَأْتُ مَقْدُورِي، فَإِنْ كُنْتِ تُرِيدِينَ الْبُلْغَةَ

**فَرِزْقُكِ مَضْمُونٌ، وَكَفيلُكِ مَأمُونٌ، وَما أعَدَّ لَكِ أفْضَلُ مِمَّا قُطِعَ عَنْكِ، فَاحْتَسِبِي اللهَ،** فَقالَتْ: **حَسْبِيَ اللهُ.** وَأمْسَكَتْ [1].

تقدَّم أنَّ أهمَّ الأهداف التي توخَّتها الزَّهراء عليها السلام في مطالباتها الماليَّة، هو الدفاع عن ولاية أهل البيت عليهم السلام، وإثبات أحقيَّتهم في قيادة الأُمَّة بعد الرسول صلى الله عليه وآله، ويتَّضح ذلك من خلال خطبة الزَّهراء عليها السلام في المسجد النبويّ، وخطبتها الأُخرى بنساء المدينة، وفي مواقف أُخرى متعدِّدة، أدَّت فيها واجبها الرساليّ في الدفاع عن إمامة أمير المؤمنين عليه السلام.

ففي خطبتها الأُولى ذكرت ولاية أهل البيت عليهم السلام كفرضٍ إلهيٍّ لا يختلف عن سائر الواجبات والفروض التي عدَّدتها في الخطبة وبيَّنت العلَّة من إيجابها، قالت عليها السلام: «**فجعل الله طاعتنا نظامًا للملَّة، وإمامتنا أمانًا من الفرقة**»[2].

وأكَّدت عليها السلام على ذكر فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، وتقدُّمه على سواه بالعلم والشجاعة، فقالت عليها السلام: «**أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمِّي**»، وقالت عليها السلام: «**كلَّما فغرت فاغرة المشركين، قذف أخاه عليًّا في لهواتها، وأنتم في رفاهية من**

(١) وهذا عدد ممَّن روى هذه الخطبة من العامَّة، فقد رواها بشيء من التفصيل وبعدَّة طرق في كتابه (شرح نهج البلاغة)، عزّ الدين أبي حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائنيّ الشهير بابن أبي الحديد المعتزليّ، مؤسَّسة الأعلمي للمطبوعات، ج١٦، بيروت، لبنان، ص٢١١-٢١٣، وص٢٤٩ و٢٥٢. ورويت في كتاب السقيفة وفدك، أبو بكر الجوهريّ، جمع وتحقيق وتعليق: باسم مجيد الساعديّ، إصدار قسم الشؤون الفكريَّة والثقافيَّة في العتبة الحسينيَّة المقدَّسة، بعدَّة طرق. ورويت في كتاب: بلاغات النساء وطرائف كلامهنَّ ومُلح نوادرهنَّ، أبي الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور، اعتنى به وفهرسه: بركات يوسف هبُّود، المكتبة العصريَّة، صيدا، بيروت، بعدَّة طرق. ورويت في كتاب منال الطالب في شرح طوال الغرائب، مجد الدين أبي السعادات المبارك ابن محمَّد المعروف بابن الأثير المتوفَّى سنة ٦٠٦هـ، تحقيق: الدكتور محمود محمَّد الطناحيّ، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ص٥٠١-٥٠٧.

(٢) مؤسسة السِّبطَين، بحث منشور على شبكة الإنترنت على الموقع:
https://www.sibtayn.com/ar/index.php.

**العيش وادعون، فاكهون آمنون، تتربَّصون بنا الدوائر، وتتوكَّفون الأخبار، وتنكصون عند النزال، وتفرُّون من القتال»**. وقالت عليها السلام في خطبتها الثانية: «**وما الذي نقموا من أبي الحسن، نقموا منه والله نكير سيفه، وقلَّة مبالاته بحتفه، وشدَّة وطأته، ونكال وقعته، وتنمُّره في ذات الله»**.

وأشارت عليها السلام إلى أحقيَّة أمير المؤمنين عليه السلام في خلافة الرسول صلى الله عليه وآله، وفضله على غيره، فقالت عليها السلام في خطبتها الأُولى: «**وأبعدتم من هو أحقُّ بالبسط والقبض»**، وقالت عليها السلام في خطبتها الثانية: «**ويحهم أنَّى زحزحوها عن رواسي الرسالة، وقواعد النبوَّة والدلالة، ومهبط الروح الأمين، والطَّبين بأمور الدنيا والدين»**.

وذكرت عليها السلام النصَّ على أمير المؤمنين عليه السلام بالتلميح الذي هو أقوى من التصريح، حيث قالت عليها السلام في خطبتها الثانية: «**وتالله لو تكافُّوا عن زمامٍ نبذهُ إليه رسول الله؛ لاعتقله، ثمَّ لسار بهم سيرًا سجحًا»**.

ونبَّهت عليها السلام على أنَّ الاختيار غير صحيح بقولها في خطبتها الأُولى: «**فوسمتم غير إبلكم، وأوردتم غير شربكم، هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لـمَّا يندمل، والرسول لـمَّا يُقبَر، بدارًا زعمتم خوف الفتنة، ألا في الفتنة سقطوا، وإنَّ جهنَّم لمحيطةٌ بالكافرين»**.

وقالت عليها السلام في خطبتها الثانية: «**استبدلوا والله الذنابى بالقوادم، والعجز بالكاهل»**، وقالت عليها السلام فيها أيضًا: «**ليت شعري إلى أي لجاءٍ لجأوا، وإلى أي سنادٍ استندوا، وعلى أيِّ عمادٍ اعتمدوا، وبأيِّ عروةٍ تمسَّكوا، وعلى أيِّ ذريَّةٍ قدِموا واحتنكوا؟!»**.

وللزَّهراء عليها السلام مواقف أُخرى في الدفاع عن الإمامة، منها ما رواه الجوهريّ عن الإمام محمَّد بن عليّ الباقر عليه السلام، قال: «**إنَّ عليًّا عليه السلام حمل فاطمة عليها السلام على حمارٍ، وسار بها ليلًا إلى بيوت الأنصار، يسألهم النصرة، وتسألهم فاطمة عليها السلام الانتصار له، فكانوا**

**يقولون: يا بنت رسول الله، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، لو كان ابن عمك سبق إلينا أبا بكر ما عدلنا به. فقال عليّ عليه السلام: أكنت أترك رسول الله صلى الله عليه وآله ميتًا في بيته لا أُجهزه، وأخرج إلى الناس أُنازعهم سلطانه! وقالت فاطمة عليها السلام: ما صنع أبو الحسن إلّا ما كان ينبغي له، وصنعوا هم ما الله حسيبهم عليه»**[1].

وخروج الزَّهراء عليها السلام ليلًا مع شدَّة اللوعة التي تنتابها لفقد أبيها صلى الله عليه وآله، وضعف حالها، وقوَّة السلطة في ملاحقة من يعارضها، إنَّما هو أداء لدورٍ رساليّ يقتضيه الواجب الإسلاميّ المقدَّس في حفظ العقيدة الحقَّة من الضياع والانحراف، وفي ذلك درس بليغ لنا حقيق بالاقتداء، وخليق بالاحتذاء.

وكان للأَنصار موقف من السلطة أقلّها الندم على البيعة، وإعلاء الهتاف باسم أمير المؤمنين عليه السلام، وأنَّى يكون ذلك لولا خروج الزَّهراء عليها السلام تطلب نصرتهم، وخطبتها عليها السلام التي ذكَّرت فيها وحذَّرت.

عن عبد الرحمن بن عوف، قال: لـمَّا بويع أبو بكر واستقرَّ أمره، ندم قومٌ كثيرٌ من الأنصار على بيعته، ولام بعضهم بعضًا، وذكروا عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وهتفوا باسمه[2].

## خاتمة

بعد أن وفَّقنا الله سبحانه وتعالى بإتمام البحث الحاليّ، لا بدَّ من وجود خاتمة نختتم بها بحثنا، وقد قسَّمت الخاتمة على قسمَين، القسم الأوَّل منها للنتائج، والقسم الثاني منها للتوصيات.

(١) شرح ابن أبي الحديد، ج٦، ص١٣، والإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء، أبو محمَّد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوريّ، تحقيق الأستاذ عليّ شيري، دار الأضواء، ج١.

(٢) الأخبار الموفقيَّات في الحوادث والسير الماضيات، أبو عبد الله الزبير بن بكار القرشيّ، تحقيق: أحمد فريد المزيديّ، كتاب- ناشرون، بيروت لبنان، ص٣٨٢-٥٨٣.

## نتائج البحث

١. الحكمة الإلهيَّة في خلق الخلق، والمطالبة بالحقِّ، وعدم الخنوع للباطل.

٢. لزوم وجود الحجَّة، وإنَّ الأرض لا تخلو من حجَّة.

٣. الأدوار التي يقوم بها العظماء عبرةً ودستورًا لبقيَّة المستضعفين في مجابهة الظلم مهما طغى.

## توصيات البحث

توصي الباحثة بالتمسُّك باتِّباع النهج القويم للسيِّدة الطاهرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وعدم السكوت عن الظلم بما لا يتعارض مع قداسة وعفَّة المرأة، فحركة السيِّدة الطاهرة عليها السلام في موكب من النساء، واشتراطها بضرب ملاءة تحجب بينها وبين المسلمين، واتِّخاذها مكانًا في مسجد أبيها، كلُّ ذلك تأسيسًا منها صلوات الله عليها بمراعاة العفَّة، وعدم اختلاط الأمور بين المطالبة بالحقِّ، وحفظ الستر.

## المصادر


* القرآن الكريم.

**الكتب:**

١. الأخبار الموفقيَّات في الحوادث والسير الماضيات، أبو عبد الله الزبير بن بكار القرشيّ، تحقيق: أحمد فريد المزيديّ، كتاب- ناشرون، بيروت، لبنان.

٢. الاختصاص، الإمام أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد بن النعمان العكبريّ البغداديّ الملقَّب بالشيخ المفيد، دار المفيد، طباعة ونشر وتوزيع.

٣. الأمالي: أبو جعفر محمَّد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القمِّيّ، الشيخ الصدوق، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة، مؤسَّسة البعثة.

٤. الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء، أبو محمَّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوريّ، تحقيق: الأستاذ عليّ شيري، دار الأضواء، ج١.

٥. بحار الأنوار، محمَّد باقر المجلسيّ، مؤسَّسة الأعلميّ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ج٧.

٦. بصائر الدرجات في فضائل آل محمَّد، أبو جعفر محمَّد بن الحسن بن فروخ الصفَّار، صحَّحه وعلَّق عليه: ميرزا محسن التبريزيّ، قم المقدَّسة، إيران، ١٤٠٤ق.

٧. بلاغات النساء وطرائف كلامهنَّ ومُلح نوادرهنَّ، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور، اعتنى به وفهرسه: بركات يوسف هبُّود، المكتبة العصريَّة، صيدا، بيروت.

٨. السقيفة وفدك، أبو بكر الجوهريّ، جمع وتحقيق وتعليق: باسم مجيد الساعديّ، قسم الشؤون الفكريَّة والثقافيَّة في العتبة الحسينيَّة المقدَّسة.

٩. شرح نهج البلاغة، عزّ الدين أبي حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائنيّ الشهير بابن أبي الحديد المعتزليّ، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، ج١٦، بيروت، لبنان.

١٠. الغيبة، أبو عبد الله محمَّد بن إبراهيم بن جعفر الكاتب، المعروف ابن أبي زينب النعمانيّ، تحقيق: عليّ أكبر الغفاريّ، مكتبة الصدوق، طهران، إيران.

١١. كمال الدين وتمام النعمة، أبو جعفر محمَّد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القمِّيّ، الشيخ الصدوق، منشورات مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، لبنان.

١٢. مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو عليّ الفضل بن الحسن الطبرسيّ، تحقيق: السيِّد هاشم الرسوليّ المحلَّاتيّ، مكتبة العلميَّة الإسلاميَّة، طهران، سوق الشيرازيّ، ج٦.

١٣. منال الطالب في شرح طوال الغرائب، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمَّد المعروف بابن الأثير، المتوفَّى سنة ٦٠٦هـ، تحقيق: الدكتور محمود محمَّد الطناحيّ، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

**مواقع الإنترنت:**

١. مؤسَّسة السِّبطين، بحث منشور على شبكة الإنترنت، على الموقع:

https://www.sibtayn.com/ar/index.php.

# المبنى الفكريّ للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام في تأصيل الحقوق والحريَّات

الباحثة إسراء فاضل حبيب العيفاريّ

## ملخَّص البحث

يمكن الوقوف على أصل الحقوق والحريَّات في الفكر المعاصر، عندما نقف على قائمة حقوق الإنسان في الإعلان العالميّ لحقوق الإنسان، ونلاحظ أنَّ كلَّ الحقوق والحريَّات الواردة في الإعلان العالميّ لحقوق الإنسان، هي من مسلَّمات حقوق الإنسان عند أهل بيت النبوَّة، وهي أعراف إنسانيَّة مألوفة ومستقرَّة في كلِّ المجتمعات، وأنَّها ذات أصول ومنابت دينيَّة، جاءت إلى البشريَّة عن طريق الشرائع الإلهيَّة؛ ولأنَّها تتَّفق مع الفطرة الإنسانيَّة، فقد استقرَّت ونالت قبول الجميع، فصارت عرفًا من أعرافهم الملزمة لهم في كلِّ الأزمان.

إذ إنَّ مشروعيَّة مقاومة الظلم في نظر السيِّدة فاطمة الزهراء عليها السلام، واحترام الحقوق والحريَّات مبرَّرة دينًا وعقلًا، وذلك لاعتبارات منها: حفظ الكرامة الإنسانيَّة، فالإنسان خلق مكرَّمًا ولا يصحُّ إذلاله؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾.

ممَّا تقدَّم يمكن لنا أن نعالج موضوع البحث من خلال تقسيمه على مقدمة مبحثَين وخاتمة، سوف نتناول في المبحث الأوَّل مفهوم احترام الحقوق والحريَّات قديمًا وحديثًا،

أمَّا المبحث الثاني فسوف نقوم بتخصيصه لبحث تجسيد الحقوق والحريَّات في فكر الزَّهراء عليها السلام.

**الكلمات المفتاحيَّة:** الحقوق والحريَّات، الإعلان العالميّ، خطب الزَّهراء عليها السلام، المجتمع الإسلاميّ.

## المقدِّمة

الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، والثناء بما قدَّم، من عموم نِعَم ابتداها، وسبوغ آلاءٍ أسداها، وتمام منن أولاها، نحمده حمد الشَّاكرين، ونؤمن به إيمان المخلصين، ونصلِّي ونسلِّم على سيِّد رُسله وأشرف خلقه، أبي الزَّهراء محمَّد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله الطيِّبين الطاهرين.

### أوَّلًا: التعريف بالبحث

فهذه شذرات مباركة من سيرة ابنة سيِّد البشر وخاتم الرسل، وزوج سيِّد الأوصياء، أمِّ الأئمَّة الطاهرين، وسيِّدة نساء العالمين، الصدِّيقة الشهيدة، فاطمة الزَّهراء عليها السلام، لنستلهم منها الحقَّ والحريَّة والثقافة والتحضُّر والرُّقيّ في تحصيلها والمطالبة بها.

### ثانيًا: أهميَّة البحث

إنَّ البحث عن مفردات الإدارة والقيادة، وأخلاقيَّة الإدارة وثقافتها في التصوُّر الإسلاميّ ضرورة لا بدَّ منها في عصرنا الحاضر، خاصَّة بعد دخول الإسلام معترك الحياة، فكانت له دولة، وكيانات سياسيَّة، وحركات ومقاومات، ومؤسَّسات إنسانيَّة عامَّة وثقافيَّة، وانتفاضات وثورات. إنَّ معرفة المبنى الفكريّ للزَّهراء عليها السلام، يُعدُّ قوَّة كبيرة لتحريك وتثقيف المسلمين تجاه حقوقهم وحريَّاتهم.

### ثالثًا: إشكاليَّة البحث

لقد دخلت الزَّهراء عليها السلام المعركة الحضاريَّة في الدفاع عن الحقوق والحريَّات، كيانًا متحدِّيًا يرفض مطاوعة الأنظمة الاستكباريَّة، ويمتلك قدرة عالية على قيادة الناس

وتحفيزهم، لذلك فمن المفيد أن نبحث عن هذه القيادة الإلهيَّة المتمثِّلة بالزَّهراء عليها السلام، والتي تستمدُّ مفرداتها من التصوُّر الإسلامي للإنسان.

لقد مارست الزَّهراء بالفعل القيادة العمليَّة للجماعة المؤمنة على مسرح التاريخ الإنسانيّ، وفي ظلِّ الأحداث التي عصفت بالمسلمين، خصوصًا في فجر الدعوة الإسلاميَّة.

لقد خلق الله الإنسان، وزوَّده بعنصرَي العقل والإرادة، فبالعقل يبصر ويكتشف الحقَّ، ويميِّزه عن الباطل، وبالإرادة يختار ما يراه صالحًا له، ومحقِّقًا لأغراضه وأهدافه، من هنا نتساءل: كيف استطاعت الزَّهراء أن تحقِّق أهدافها في حفظ الحقوق والحريَّات الأساسيَّة؟

رابعًا: منهجيَّة البحث

ولغرض الإحاطة بموضوع البحث، وحتَّى نصل إلى النتائج والأهداف المرجوَّة منه، سوف نتَّبع المنهج التأريخيّ، فضلًا عن المنهج التحليليّ.

**خامسًا: هيكليَّة البحث**

ممَّا تقدَّم يمكن لنا معالجة موضوع البحث من خلال تقسيمه على مبحثَين، سوف نتناول في المبحث الأوَّل التأصيل التأريخيّ للحقوق والحريَّات في الفكر الإسلاميّ والغربيّ، أمَّا المبحث الثاني سوف نقوم بتخصيصه لبحث تجسيد احترام الحقوق والحريَّات في فكر الزَّهراء سلام الله عليها.

## المبحث الأوَّل

### التأصيل التأريخيّ للحقوق والحريَّات في الفكر الإسلاميّ والغربيّ

مثَّل مفهوم حقوق الإنسان بأبعاده المختلفة، موضوعًا إشكاليًا بين الفكرين الديني والوضعي، يضعنا إزاء منظومتين حقوقيتين متداخلتين في بعض الأوجه ومتباينتين في وجوه أخرى، من جهة أنَّ هذا المفهوم يرتبط بوحدانية الله تعالى وبجميع بني البشر الذين كرَّمهم وفضَّلهم الله جلَّ وعلا على جميع مخلوقاته، ورسم لهم المنهج الذي يسمون عليه في الحياة، وهذا ما سنقوم بتوضيحه من خلال الآتي:

#### المطلب الأوَّل: التأصيل التأريخيّ للحقوق والحريَّات في الفكر الإسلاميّ

إنَّ دين الإسلام هو دين الدِّفاع عن الإنسانيَّة وقيمها، دين الرحمة والمروءة، دين ترويج الأخوَّة الإنسانيَّة، هذا هو نداء الإسلام، وهذا هو المجتمع الإسلاميّ الصحيح، وهذه هي حقوق الإنسان من وجهة نظره، وهذا هو النداء الذي جذب إليه الشعوب.

إنَّ مفهوم كلمة حقوق: هي جمع لكلمة حقّ، وقد استُعمل الحقُّ في لغة القرآن بمعانٍ كثيرة، منها الثابت الواجب على الغير، كقوله تعالى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾[1]، ومنها الثابت ضدَّ الباطل، كقوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ

(١) سورة البقرة/ آية ٢٤١.

وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴾[1]، إذ تناول القرآن الكريم كلمة (الحقِّ) بمعانٍ مختلفة في أكثر من مائتين وخمسين آية، وهذه المعاني يقرِّبها معنى واحد هو الثابت، والحقُّ في عُرف الفقهاء: هو ما ثبت في الشَّرع للإنسان أو لله تعالى على الغير، فهو كلُّ شيء مكَّنت الشريعة الإنسان منه وسلَّطته عليه، وكلُّ ما ثبت لله تعالى المطالبة به وأداؤه له، كالعبادات والطاعات.

أمَّا في الاصطلاح، فيأتي بمعنَيَين:

**الأوَّل**: هو الحكم المطابق للواقع، ويُطلق على الأقوال والعقائد والأديان والمذاهب، ويقابله الباطل

**والمعنى الآخر**: أن يكون بمعنى الواجب الثابت، وهو ما كان لله وما كان للعباد. فإمَّا ما يختصُّ الله به فهو ما لا مدخل للصلح فيه، كالحدود والزكاة والكفَّارات وغيرها، وأمَّا حقوق العباد، فهي التي تقبل الصُّلح والإسقاط والمعاوضة عليها[2].

وقد اختلف الباحثون الإسلاميُّون في منشأ حقوق الإنسان، ومدى تجسيدها واحترامها في إطار المنظومة الإسلاميَّة، إلى عدَّة آراء، وكما يأتي:

**أوَّلًا. إنَّها فلسفة وليست قانون**: هناك من يرى أنَّ مضمون حقوق الإنسان فلسفة وليست قانونًا؛ فيجب أن يقرّها الفلاسفة لا النوَّاب، إذ لا يمكن عن طريق التصويت والقيام والقعود أن يضعوا للشعب فلسفةً ومنطقًا، ولو كان كذلك؛ لتوجَّب أن تعرض نظرية أنشتاين الفلسفيَّة (النسبيَّة) على المجلس؛ ليصادق النوَّاب عليها، فمن ناحية نجد أنَّ القانون الطبيعيّ لا يمكن المصادقة عليه أو رفضه بواسطة القوانين الوضعيَّة، ومن ناحية أخرى فإنَّ هذه المسائل ليست مسائل تجريبيَّة ولا مختبريَّة، لكي تحتاج إلى

(١) سورة الإسراء/ آية ٨١.

(٢) د. محمَّد بن أحمد بن صالح الصالح، حقوق الإنسان في القرآن والسنَّة، ط١، مكتبة الملك فهد الوطنيَّة، الرياض، ٢٠٠٢، ص٩.

مختبرات وأجهزة لتدقيقها من قِبَل أحد، إنَّما هي الفلسفة والمنطق، وأدواتها العقل وقوَّة الاستدلال. إذن اختلاف نظر الفلاسفة والمفكِّرين في مسائل حقوق الإنسان ومانحها، هي التي تؤثِّر في تحديد هذه الحقوق وتنوُّعها[١].

**ثانيًا. إنَّها بمعنى التكليف**: إنَّ مضمون أو مفهوم حقوق الإنسان في نظر بعضهم الآخر تعني التكليف، وهذا متأتٍّ من جانبَين، أوَّلهما هو: أن يبيِّن القانون حقوق صاحب الحقِّ فقط؛ ليتعرَّف الآخرون عليها، دون أن يلزمهم ويكلِّفهم برعايتها، فتضيع تلك الحقوق؛ لعدم وجود عنصر الإلزام فيها. وثانيهما هو: أن يجعل التكليف هو المحور، بحيث يرى صاحب الحقِّ أنَّ كلَّ مَن حوله أناس مكلَّفون بحفظ حقوقه، وهو مدعوٌّ لحفظ حقوقهم أيضًا، ثمَّ إنَّ العقاب سوف يطارد المتعدي في الدنيا والآخرة ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾[٢]، فإنَّ الأمر سيكون في غاية الوضوح للجميع، ولعلَّنا إذا لاحظنا فعل طواغيت العالم في كلِّ زمان ومكان، وظُلم الإنسان الذي لا يكتفي بأخذ حقوقه، بل يدعوه جشعه لسلب حقوق الآخرين، لن نتردَّد في اختيار الأسلوب الثاني، من جهة أنَّ هذه التكاليف تحفظ حقوقه وحقوق غيره، ويُلاحَظ ذلك في مثل قوله تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾[٣]، بل كثيرًا ما تُستخدَم كلمة (الحقِّ) لتفيد معنى التكليف، من قبيل ما جاء في رسالة الحقوق للإمام السجاد عليه السلام من حقِّ الأبِ على الابن، أو الجار على جاره، وأمثالهما[٤].

(١) هذا الرأي في فلسفة حقوق الإنسان كما يراه الشهيد مرتضى مطهَّري. لمزيد من التفاصيل يُنظر: ليث الحيدريّ، الارتداد وحقوق الإنسان، دار الغدير، النجف الأشرف، ص٧٥.

(٢) سورة الفرقان/ آية ١٩.

(٣) سورة الإسراء/ آية ٣٣.

(٤) الشيخ محمَّد حسن الرمزيّ الطبسيّ، تفصيل الحقوق وشرح روائي عن رسالة الحقوق للإمام السجَّاد عليه السلام، شبكة كتب الشيعة، مشهد، ٢٠٠٦، ص١٨٣.

فإنَّ الحقوق يقابلها تكليف على الآخرين، وبالعكس، وإذا كان الفقهاء يعرِّفون موضوع علم الفقه بأنَّه فعل المكلَّف لا فعل المحقّ، فلا يعني هذا أن الدِّين لا يعطى حقوقًا للانسان، أو أنَّ دائرة التكاليف والأحكام أوسع من دائرة الحقوق، بل غالبًا ما تقع الحقوق في مقابل التكاليف الشرعيَّة، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾[1]، ظاهرة بالأمر والتكليف، لكن في الحقيقة فإنَّ لكلِّ عقد طرَفَين موجب وقابل، ولكلٍّ منهما حقٌّ على الآخر بالوفاء، وحينئذ لا يكون معنى للتكليف إذا لم يكن هناك حقٌّ، ولا معنى لإعطاء الحقِّ بدون تكليف[2].

**ثالثًا. أنَّها من الضرورات الواجبة:** ويأتي مفهوم احترام الحقوق والحريَّات تارةً أخرى بمعنى الضرورات الواجبة، فهناك من يرى أنَّ الدين الإسلاميّ امتاز على المنظومات الفكريَّة الأخرى في قضيَّة (حقوق الإنسان)، عندما ارتفع بها من مرتبة الحقوق إلى مستوى (الضرورات الواجبة)، وهو كشف لخاصيَّة إسلاميَّة، لا نعتقد أنَّ دراسة أخرى قد سبقت إليه، على كثرة ما كُتِب في هذا الموضوع، وليس الهدف من ورائه مجرَّد الاستعلاء على أمم وحضارات المنظومات الفكريَّة الأخرى؛ بقدر ما نهدف من ورائه إلى إنصاف الدين الإسلاميّ، بما يتميَّز به من تراثٍ فكريٍّ وحضاريّ[3].

**رابعًا. إنَّ أصلها هو الدَّين:** ويوضِّح بعض العلماء أنَّ منشأ احترام الحقِّ هو الدَّين (المديونيَّة)، كمن يقوم بإسداء معروف لشخصٍ ما، فيُصبح صاحب حقٍّ على من تفضَّل عليه، أو من يقوم بظلم شخص أو التعدِّي عليه بأخذ أمواله أو غيرها، فهنا سيصبح المظلوم صاحب حقٍّ على مَن ظلمه، وهذا من قبيل حقِّ الوالدين على الولد،

(١) سورة المائدة/ آية ١.

(٢) ليث الحيدريّ، مصدر سابق، ص٨٨-٨٩.

(٣) د. محمَّد عمارة، الإسلام وحقوق الإنسان ضرورات لا حقوق، المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٥، ص١٢-١٣.

نشأ من أنَّ للوالدين دَينًا في عنق الولد، جاء من كونهما سبب وجوده، فضلًا عن أنَّ استمرار حياته إنَّما هو بفضلهما، وهذا الحقُّ لا يقتصر على الدِّين، وإنَّما هو حقٌّ يقرِّه العقل[١].

بل نرى أنَّ خطاب القرآن الكريم بحقِّ الوالدين لم يكن خطابًا متعلِّقًا بمَن كان أبواه على دينه ومعتقده، وإنَّما كان التعامل مع الوالدين تعاملًا إنسانيًّا في كلِّ الأحوال، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[٢].

فإنَّ الإسلام دين البشريَّة الشامل؛ لأنَّه يقوم على عدَّة أسس في البناء، حيث يتضمَّن دستورًا يقبله العقل، وهداية يستنير بها القلب، وعمقًا يرتكز على الإيمان، وشريعة تنظِّم أحوال المجتمع، ومساواة تربط بين جميع الناس، وممَّا لا ريب فيه أنَّ التعاليم والأحكام الإسلاميَّة قد شملت العلاقات البشريَّة، ونظَّمتها بما لها من حقوق وما عليها من واجبات، بحكمة تشريعيَّة، وعدالة سماويَّة، ورحمة إلهيَّة، تتحقَّق معها للمجتمعات البشريَّة كلَّ الحقوق والواجبات والحريَّات التي تكفل لها الحياة الإنسانيَّة الكريمة، في ظلِّ مجتمع آمن عقديًّا وفكريًّا وسياسيًّا واقتصاديًّا، فيكون من ثمرة هذا الأمان التكافل الاجتماعيّ والتعاون الإنسانيّ بين أفراد المجتمع. ولقد كان الإسلام سبَّاقًا إلى الإقرار للإنسان بحقوقه، وإنَّ الحثَّ على قضيَّة حقوق الإنسان وحريَّاته من الموضوعات الجوهريَّة في هذه الشريعة[٣].

**خامسًا. إنَّها تجسيِّد لإنسانية الإنسان**: أي إنَّ حقوق الإنسان في الإسلام قد يكون منشؤها من شعور عامَّة الناس بالكرامة الإنسانيَّة، فحقوق الإنسان تتمثَّل- أساسًا-

(١) حسين عبد الرضا الأسدي، التربية منظومة حقوق، دار الكفيل للطباعة والنشر، العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة، ٢٠٢٠، ص١٣.

(٢) سورة الإسراء/ آية ٢٣.

(٣) د. محمَّد بن أحمد بن صالح الصالح، مصدر سابق، ص١٠.

وتبدأ وتنتهي من احترام كرامة الإنسان من حيث هو إنسان، وكما هو مقرَّر شرعًا، فإنَّ المفهوم الإسلاميّ للكرامة الإنسانيَّة يرتقي إلى قمَّة عالية من الكمال، ليصل إلى العدل المطلق، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[1]، إذ إنَّ الشريعة الإسلاميَّة قد منحت الإنسان حقوقًا باعتبار إنسانيَّته في كلِّ طور من أطوار حياته، فالإنسان من حيث هو إنسان، أعطاه الإسلام حقوقًا منذ ولادته إلى وفاته، بل إنَّنا نجد حقوقًا تتعلَّق بالجنين، حيث أمر الإسلام بتحصين الولد عند وضع النطفة في الرحم، وكفل له الغذاء والحماية وهو في بطن أمِّه، فحرَّم الشرع الإجهاض، كما أثبتت الشريعة للجنين الحقَّ في أن يُحفظ له نصيبه في الإرث أو الوصيَّة أو الوقف، وهكذا نجد أنَّ الإنسان في الإسلام مكفولة حقوقه على الدوام، تختلف بتطوُّرات حياته، وتتعدَّد باختلاف حالاته، حتَّى بعد وفاته، أي إنَّ حقوق الإنسان في الشريعة الإسلاميَّة تتميَّز بالسبق والعمق والشمول، وبإحاطة الإنسان وشموله بالعناية والرعاية قبل وجوده في هذه الحياة، إلى ما بعد وفاته وانتقاله إلى العالم الآخر، وما في القانون الإسلاميّ من عدالة وشمول يضمن بهما سعادة البشريَّة، ورقي الإنسان مدارج الكمال[2].

إذ إنَّ حقوق الإنسان لا تُباع ولا تشترى، فيُتَعاقَد عليها ويُتَّفق على مقدارها. إنَّ حقوق الإنسان طبيعيَّة ثابتة غير قابلة للسَّلب والإسقاط، وبعبارة أخرى حقوق الإنسان خاضعة للنظام التكوينيّ، وليست تابعة للسلطات التشريعيَّة[3].

ممَّا سبق يمكن لنا أن نستنتج أنَّ تقرير الإسلام لحقوق الإنسان يمتاز على كلِّ التنظيمات الوضعيَّة الحديثة من محليَّة ودوليَّة، بما يتضمَّنه من عدالة وشمول، يضمن بهما

(١) سورة الإسراء/ آية ٧٠.

(٢) محمَّد الصدر، نظرات إسلاميَّة في إعلان حقوق الإنسان، دار ومكتبة البصائر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلام، بيروت، ٢٠١٠، ص١٣.

(٣) ليث الحيدريّ، مصدر سابق، ص٧٥.

سعادة البشريَّة ورقيّ الإنسان مدارج الكمال. وعلى ضوء ما تقدَّم يمكن لنا أن نعرِّف حقوق الإنسان بحسب ما جاء في الفكر الإسلاميّ، بأنَّها:

(تلك الحقوق والامتيازات التي يحتاجها الإنسان، بحكم إنسانيَّته وفطرته، لكي يطوي مسيرة تكامله الروحيّ والجسديّ، والتي يتعيَّن على الجميع الالتزام بها واحترامها).

## المطلب الثاني: التأصيل التاريخيّ والقانونيّ للحقوق والحريَّات في الفكر الغربيّ

ممَّا لا ريب فيه أنَّ قضيَّة حقوق الإنسان قد حظيت بأهميَّة كبرى في العصر الحديث، على مستوى الشعوب والدول والأمم والمنظَّمات الدوليَّة، ويعدُّ الميثاق العالميّ لحقوق الإنسان، الذي أصدرته الجمعيَّة العامَّة للأمم المتَّحدة[1]، تتويجًا لحضارة الغرب، ولجهود المفكِّرين والمصلِحين فيه في العصر الحديث، وقد صدر الميثاق بعد نهاية الحرب العالميَّة الثانيَّة، تعبيرًا عن الرغبة في وحدة البشريَّة، ووحدة حقوق الإنسان في المجتمع الدوليّ، وقد دعا الميثاق في مقدمّته إلى توطيد احترام الإنسان وحريَّاته، والعمل على اتِّخاذ إجراءات قوميَّة وعالميَّة لضمان الاعتراف بها، ومراعاتها بصورة فعَّالة، ولقد حقَّق، مع ما صدر في إطاره من وثائق واتِّفاقات دوليَّة، تقدُّمًا جوهريًّا في مجال حقوق الإنسان

(١) يُعدُّ الإعلان العالميّ لحقوق الإنسان وثيقة تاريخيَّة هامَّة في تاريخ حقوق الإنسان، صاغه ممثِّلون من مختلف الخلفيَّات القانونيَّة والثقافيَّة من جميع أنحاء العالم، واعتمدت الجمعيَّة العامَّة الإعلان العالميّ لحقوق الإنسان في باريس في (١٠ كانون الأوَّل/ ديسمبر ١٩٤٨، بموجب القرار ٢١٧)، بوصفه المعيار المشترك الذي ينبغي أن تستهدفه كافَّة الشعوب والأمم، وهو يحدِّد للمرَّة الأولى، حقوق الإنسان الأساسيَّة، التي يتعيَّن حمايتها عالميًّا، وتُرجِمت تلك الحقوق إلى ٥٠٠ لغة من لغات العالم، ومن المعترَف به على نطاق واسع أنَّ الإعلان العالميّ لحقوق الإنسان قد ألهم ومهَّد الطريق لاعتماد أكثر من سبعين معاهدة لحقوق الإنسان، مطبَّقة اليوم على أساس دائم، على المستويَين العالميّ والإقليميّ، تحتوي جميعها على إشارات إليه في ديباجتها.

واحترامها، وقد دعم هذا الجهد وعزَّز منه ما صدر عن المنظَّمات المتخصِّصة ذات الصلة والمنظَّمات الإقليميَّة، من وثائق تكفل حقوق الإنسان وحريَّاته الأساسيَّة[1].

ولغرض الإحاطة بهذا الفكر، ولغرض معرفة نظرته تجاه حقوق الإنسان وحريَّاته الأساسيَّة، نجد أنَّ هناك تطوُّرات مختلفة قد رافقت موضوع الحقوق، نلاحظها من خلال ما يأتي:

**أوَّلًا. التأصيل التاريخيّ لحقوق الإنسان:** إنَّ هذا التأصيل في نظر الفكر الغربيّ، يستهدف بدايَة تخصيص نطاق أو مجال للفرد يُطلَق عليه الحقوق والحريَّات الفرديَّة والعامَّة، فالحقوق والحريَّات الفرديَّة والعامَّة مجال مخصَّص لصالح الفرد فقط، والأمر الآخر، الحدُّ من نطاق ومجال السلطة السياسيَّة، إذ تُمنع السلطة السياسيَّة من التدخل بها إلَّا من خلال تنظيمها، بهدف تسهيل ممارستها من قِبَل الفرد أو المواطن، وقد أُطلق على هذه الحقوق والحريَّات مسمَّيات مختلفة، ففي عصر ازدهار المذهب الفرديّ، أُطلق عليها اسم (الحقوق والحريَّات الفرديَّة)[2]، باعتبار أنهَّا مقرَّرة لصالح الفرد، يتمتَّع بها بمعزل عن تدخُّل الدولة، وأُطلق عليها اسم (الحقوق المدنيَّة)[3]، باعتبار أنَّ الفرد الذي يتمتَّع بها عضو في جماعة مدنيَّة منظَّمة هي الدولة، ويستخدم الفقه المعاصر تسمية (الحقوق والحريَّات العامَّة)[4]، وذلك باعتبار أنَّ هذه الحقوق والحريَّات تشكِّل امتيازات للأفراد في مواجهة السلطات العامَّة، كما أنَّها تتَّسم بصفة العموميَّة، أي إنَّ جميع الأفراد يتمتَّعون بها على قدم المساواة، دون تمييز بين المواطنين والأجانب[5].

(١) د. محمَّد بن أحمد بن صالح الصالح، مصدر سابق، ص١١.

(2) Individual rights and freedoms.

(3) Civil rights.

(4) Public rights and freedoms.

(٥) د. عصام عليّ الدبس، النظم السياسيَّة الحقوق والحريَّات العامَّة وضمانات حمايتها، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ٢٠١١، ص٩٣.

**ثانيًا. التأصيل القانونيّ لحقوق الإنسان:** في الفكر الغربيّ بدأت ثمرات هذا الفكر تظهر بعد الصراعات والثورات التي تحدَّثنا عنها في التأصيل التأريخي لهذه الحقوق بالعهد الأعظم (Magna Carta) ١٢١٥م، ثمَّ بلائحة الحقوق ١٦٨٨م في بريطانيا، ثمَّ في إعلان الاستقلال في الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة ١٧٧٦م، ثمَّ الإعلان الفرنسيّ لحقوق الإنسان عام ١٧٨٩، وأخيرًا إقرار حقوق الإنسان في أعقاب الحرب العالميَّة الثانية في ١٠/ ١٢/ ١٩٤٨م، تبعت ذلك مجموعة من المعاهدات والاتِّفاقات من أهمها: المعاهدة الأوروبيَّة لحقوق الإنسان ٤/ ١١/ ١٩٥٠م، ثمَّ الاتفاقيَّة الدوليَّة للحقوق المدنيَّة والسياسيَّة ١٦/ ١٢/ ١٩٦٦م، ثمَّ الاتفاقيَّة الدوليَّة للحقوق الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والثقافيَّة ١٦/ ١٢/ ١٩٦٦م، وهي عهود ومواثيق لاتزال تتعزَّز وتترسَّخ بالنصِّ عليها في ديباجات الدساتير أو القوانين.

ولقد كان للإعلان الفرنسيّ لحقوق الإنسان[1] الأهميَّة الكبرى، إذ نصَّت هذه الوثيقة على حقوق الإنسان الطبيعيَّة، مثل حقِّه في الحريَّة، وحقِّه في الأمن، وعلى سيادة الشعب كمصدر للسلطات في المجتمع، وعلى سيادة القانون كمظهر لإرادة الأمَّة، والمساواة بين جميع المواطنين أمام الشرائع والقوانين. ولقد فعلت هذه الوثيقة فعل السحر في الحركات الثوريَّة والإصلاحيَّة، سواء في أوروبا أو خارجها منذ ذلك

(١) إعلان حقوق الإنسان والمواطن الفرنسيّ
(La Déclaration des droits de l'Homme et du citoyen).
هو الإعلان الذي أصدرته الجمعيَّة التأسيسيَّة الوطنيَّة في ٢٦ آب/ أغسطس ١٧٨٩م، ويعتبر الإعلان وثيقة حقوق من وثائق الثورة الفرنسيَّة الأساسيَّة، وتُعرَّف فيها الحقوق الفرديَّة والجماعيَّة للأمَّة، الإعلان متأثِّر بفكر التنوير، ونظريَّات العقد الاجتماعيّ، والحقوق الطبيعيَّة التي قال بها مفكِّرون أمثال جان جاك روسو، جون لوك، فولتير، مونتيسكيو، وهو يشكِّل الخطوة الأولى لصياغة الدستور، رغم أنَّ الإعلان حدَّد حقوق البشر دون استثناء (وليس حقوق المواطنين الفرنسيِّين فقط)، لذا كان لمبادئ هذا الإعلان مكانة دستوريَّة في القانون الفرنسيّ الحاليّ وغيره من القوانين ودساتير الدول.

التاريخ، حتَّى جاء دور تدويلها، فدخلت مضامينها في ميثاق عصبة الأمم ١٩٢٠م، ثمَّ في ميثاق الأمم المتَّحدة سنة ١٩٤٥م، ثمَّ أفردت دوليًّا بوثيقة خاصَّة هي الإعلان العالميّ لحقوق الإنسان، الذي أقرَّته الأمم المتَّحدة في ١٠ ديسمبر ١٩٤٨م، ذلك هو التاريخ الشائع لنشأة مواثيق حقوق الإنسان، وهو تاريخ إذا تأمَّلناه وجدناه التاريخ الأوروبيّ لحقوق الإنسان.

وهذه اللائحة عبارة عن مجموعة من المبادئ العامَّة في بداية القانون الأساسيّ لفرنسا، وتعدُّ جزءًا لا يتجزَّأ من هذا القانون، وتشتمل على مقدِّمة وسبع عشرة مادَّة وأوَّل مادَّة في هذا القانون نصَّت على: «إنَّ أفراد البشر ولِدوا أحرارًا، ويظلُّون مدى الحياة أحرارًا ومتساوين في الحقوق..».

مَثَّلَ التطوُّر القانونيّ أيضًا نشوء منَّظمات ومؤسَّسات دولية خاصَّة بحقوق الإنسان، منها: منظَّمة العفو الدوليَّة[١]، ومنظَّمة أطبَّاء بلا حدود[٢]، ومنَّظمة (هيومن رايتس ووتش)، وتعني مراقبة حقوق الإنسان[٣]، ولهذه المؤسَّسات مكانة محترمة في الساحة

(١) منظمة العفو الدوليَّة (Amnesty Internationa): وتُعرف اختصارا باسم العفو الدولية، هي منظَّمة غير حكوميَّة يقع مقرُّها في لندن عاصمة إنجلترا، وتُركِّز في عملها على كلِّ القضايا التي تتعلَّق بحقوق الإنسان. تُؤكد المنظمة على أن لديها أكثر من ٧ ملايين من عضو ومؤيِّد في جميع أنحاء العالم.

(٢) منظِّمة أطبَّاء بلا حدود، ويُطلق عليها بالفرنسيَّة (Médecins Sans Frontières)، واختصارًا (MSF)، وهي منظَّمة طبيَّة إنسانيَّة غير حكوميَّة دوليَّة، من أصلٍ فرنسيّ، معروفة بمشاريعها في مناطق الصراع والدول المتأثِّرة بالأمراض المتوطِّنة، يمتدُّ نشاطها إلى سبعين دولة حول العالم.

(٣) منظمة هيومن رايتس ووتش، وهي بالإنجليزيَّة (Human Rights Watch)، وتعني مراقبة حقوق الإنسان، هي منظمة دوليَّة غير حكوميَّة، معنيَّة بالدفاع عن حقوق الإنسان، والدعوة لها، تأسَّست في سنة ١٩٧٨م؛ للتحقُّق من أنَّ الاتِّحاد السوفياتيّ يحترم اتِّفاقيات هلسنكي، وكانت منظمات أخرى قد أُنشئِت لمراقبة حقوق الإنسان في مختلف أنحاء العالم. دمجُ هذه المنظَّمات نتج عن تأسيس هذه المنظمة، ويرمز لها إختصارًا (HRW).

الدوليَّة، وهي تضع مقاييس أمام الدول المختلفة، بما في ذلك الدول غير المنضمَّة إليها، ويعني هذا التطوُّر أنَّه حتَّى الدول التي تعدُّ غير ملتزمة بهذه القيم، تأخذ بعين الاعتبار مكانتها في الساحة الدوليَّة، والانتظام والالتزام بهذه المعايير، أو محاولة الالتفاف عليها بشكل لا يضعها أمام مراقبة دوليَّة.

**ثالثًا. إنَّها جاءت نتيجة صراعات مختلفة**: صحيح أنَّ منظومة الحقوق هذه اقتصرت على مجموعة صغيرة من المتنفِّذين في المجتمع، إلَّا أنَّها كانت النواة التي حولَّت قضيَّة حقوق الإنسان إلى هاجس ينبغي التعامل معه على نحوٍ موسَّع، إذ إنَّ الصراعات على النفوذ بين السلطة الملكيَّة والأرستقراطيَّة أدَّت إلى تعاقدات سياسيَّة جديدة، أعطت البرجوازيَّة الصاعدة الحقَّ في دخول البرلمانات في بعض الدول الأوروبيَّة، وبالتالي أدَّت إلى توسيع رقعة الحقوق السياسيَّة، وفي تلك الفترة بدأ بعض المفكِّرين بتوسيع إطار فكرة الحقوق، لتشمل كلَّ أفراد المجتمع، وذلك بناءً على المنطق القائل بأنَّه إذا كان المجتمع الإنسانيّ مركَّبًا من أشخاص يولدون سواسية، فلا بدَّ أن يعكس التنظيم السياسيّ هذا المبدأ[1].

وهكذا سبقت هذه الأفكار والرؤى الميثاق العالميّ لحقوق الإنسان، إذ تُعدُّ خطوة هامَّة وحاسمة، بعد جهود المفكِّرين والفلاسفة الأوروبيِّين لعدَّة قرون، والتي استهدفت حماية الشعوب من المعاناة والآلام، التي كانت ترزأ تحتها من السلطات الإداريَّة والدينيَّة في أوروبا، خلال عصور الظلام، وبدايات عصر النهضة الأوروبيَّة، تلك المعاناة التي ترجع إلى استبداد الحكم الإقطاعيّ، ورجال الكنيسة، واندفاع الكنيسة إلى محاربة كلِّ الاتِّجاهات الفكريَّة التي تسعى إلى تحرير عقل الإنسان ونفسه.

كما أنَّها تمَّ صياغتها بصيغة الفردانيَّة المطلقة، إذ ارتبطت هذه التطوُّرات في منظومة

(١) أمل جمال، سماح بصول، هامشيَّة خطاب حقوق الإنسان في الصحف العربيَّة المحليَّة، مؤسَّسة أعلام، فلسطين، ٢٠١٢، ص١٧.

حقوق الإنسان مع تطوُّرات أخرى، منها الدينيَّة والثقافيَّة والاجتماعيَّة، والتي صبغت هذه الحقوق بصبغة ثقافيَّة محدَّدة تعكس الثقافة الغربيَّة، إلَّا أنَّ المبدأ الأساس في الحقوق كان، ومازال، كونيًّا يشكِّل أفقًا إنسانيًّا تصبو إليه أغلبيَّة المجتمعات الإنسانيَّة، دون الخضوع للتبعات الثقافيَّة المحدِّدة للثقافة الغربيَّة، وعلى رأسها الفردانيَّة المطلقة، نجحت بعد ذلك في أن تتحوَّل إلى سلطة لا يمكن التغاضي عنها كمنظومة قيميَّة[1].

إنَّ فكرة حقوق الإنسان هذه، والتي نشأت في داخل القارَّة الأوروبيَّة، استُخدمت في تحرير الإنسان الأوروبيّ من طغيان السلطة ورجال الكنيسة، ولم تمتد هذه الفكرة، لتشمل بالحماية شعوبًا بأكملها، خضعت للاستعمار الأوروبيّ في العصر الحديث، بل لاقت منه من المظالم والاستبداد، كلّ ما يتعارض مع مبادئ حقوق الإنسان.

**رابعًا. إنَّها نشأت مرتبطة بالسلطة السياسيَّة:** إنَّ ما يميِّز حقوق الإنسان في هذا الفكر أنَّ الميثاق العالميّ لحقوق الإنسان، والذي يربط بعضهم بينه وبين ميثاق الأمم المتَّحدة، قد ركَّز النظر على حقوق الإنسان على المستوى الدوليّ، ولم تصبح هذه القضية، في كلِّ دولة، خاضعة لاعتبارات السيادة الوطنيَّة، بل امتزج الاعتراف بهذه الحقوق وممارستها بطابع دوليّ، ولم تعد علاقة الدولة بالفرد خارجة عن إطار القانون الدوليّ، بل أصبح لها طابعها الدوليّ المميَّز، والذي جعل موضوع حقوق الإنسان يخرج من إطار النسبيَّة الزمانيَّة والمكانيَّة، التي كانت تُستغلُّ من جانب النُّظم الاستبداديَّة، كالنازيَّة والفاشيَّة والنُّظم الماركسيَّة، في إهدار كرامة الأفراد، كما استُغلَّت من جانب الدول، أي إنَّه أضفى عليها الطابع الدوليّ لحقوق الإنسان، مع مراعاة الخصوصيَّة الاجتماعيَّة والثقافيَّة والدينيَّة للشعوب[2].

(١) أمل جمال، سماح بصول، المصدر السابق، ص١٩.

(٢) د. عبد الله عبد المحسن التركيّ، حقوق الإنسان في الإسلام، ط١، المملكة العربيَّة السعوديَّة، ١٤١٩هـ، ص٩.

ولذلك ارتبطت حقوق الإنسان في أوروبا، بموضوع الحريَّات العامَّة، التي كانت تنصُّ عليها الدساتير، ولم يكن ذلك سديدًا؛ لأنَّ الأنظمة السياسيَّة تختلف، ومن شأن ذلك إضعاف فكرة حقوق الإنسان، وإضفاء طابع النسبيَّة عليها، وجعل الحقوق والحريَّات العامَّة، كأداة تمارَس ضدَّ السلطة أو رغمًا عنها، إذ كان تأكيد الحقوق والحريَّات العامَّة، وترسيخ مبدأ حصول الفرد عليها في مواجهة السلطة، هو ما شغل المفكِّرين، لاسيما من رجال القانون؛ ذلك لأنَّ بعض هذه الحقوق والحريَّات العامَّة، مثل حريَّة الفكر والرأي، شديدة الاتِّصال بالسلطة، وبالنظام السياسيّ السائد، فكان الهدف، هو أن تتضمَّن الدساتير نصوصًا لهذه الحريات، وضمانات لتطبيقها، ويرجع ذلك في الأساس إلى أنَّ شعوب دول أوروبا على وجه العموم، كانت تعاني من استبداد السلطة، وتحكُّم رجال الكنيسة[١].

من هنا برزت إرادة بشريَّة عارمة تطالب بالحقِّ الإنسانيّ في الحريَّة والكرامة والحياة، تمَّ التعبير عنها بالدعوة إلى إقرار حقوق الإنسان، وكانت هذه الدعوات تعبيرًا صادقًا عن معاناة طويلة مرَّت بها البشريَّة[٢].

وهكذا نرى أنَّ المدرسة الأوروبيَّة في حقوق الإنسان قد تطوَّرت، ناظرة إلى فكرة الحقِّ، ومقتضى ذلك أن تكون حقوق الإنسان، هي تلك الحقوق التي يتعيَّن الاعتراف بها للفرد كونه إنسانًا، ولا يشترط أن يكون لها حماية قانونيَّة، بل العبرة بكونها من حقوق الإنسان، لا يكون للسلطة أن تمنحها أو تحميها، إذ إنَّ فلسفة الحقوق والحريَّات في الحضارة الماديَّة ترى أنَّ الإنسان حرٌّ بذاته، وليس مسؤولًا أمام أحد، وما جاء في الإعلان العالميّ لحقوق الإنسان وفي ميثاق الأمم المتحدة من إطلاق الحريات الشخصية والسياسية والفكرية والاقتصادية وغيرها.

(١) د. عبد الله عبد المحسن التركيّ، المصدر نفسه، ص١١.

(٢) محمَّد عليّ التسخيريّ، حقوق الإنسان بين الإعلانَين الإسلاميّ والعالميّ، رابطة الثقافة والعلاقات الإسلاميَّة، طهران، ١٩٩٧، ص٧.

## المبحث الثاني

### تجسيِّد احترام الحقوق والحريَّات في فكر الزَّهراء عليها السلام

الحقوق والحريَّات يجب أن يُرافقها مُراعاة الجوانب والضوابط التي حدَّدتها الشريعة؛ حتَّى لا تُنتهك حُقوق الآخرين المشروعة في العيش بسلام وأمان، وتُصان الحياة العامَّة والنُظم التي تحمي الحياة الاجتماعيَّة من كلِّ انحراف أو تجاوز، مع احترام القوانين التي تُنظِّم المسيرة الاجتماعيَّة، وهذا ما سوف نقوم بتوضيحه من خلال تقسيم هذا المبحث إلى مطلبَين، وكما يأتي:

#### المطلب الأوَّل: احترام الحقوق في ضوء الفكر الفاطميّ

إنَّ المسير مع الحقوق الإنسانيَّة التي طالبت بها الزَّهراء عليها السلام، والتي يعيش في ظلِّها الإنسان، تعدُّ خطوة مهمَّة ومتقدِّمة على زمانها، ظلَّت نبراسًا يضيء طريق الشعوب والثوَّار، حتَّى أنَّنا إن أحصينا غايات الثورات والانتفاضات التي زلزلت العالم قرونًا طوالًا، وقضَّت مضاجع الطغاة، نجدها الغايات الاجتماعيَّة التي من أجلها كافحت الزَّهراء، وإليها دعت لترسيخ احترام حقوق الآخرين، وسوف نحاول في هذا المطلب التعرُّف على نوعَين من الحقوق التي جسَّدتها السيِّدة سلام الله عليها، وكيف نستطيع أن نقتدي بها، ونعكس منهجها على واقعنا الاجتماعيّ والسياسيّ المعاصر.

## أوَّلًا: الحقُّ في التملُّك

لا شكَّ أنَّ الإسلام قد أعطى لكلِّ فردٍ الحقَّ في أن يعطي مُلكه لمن يشاء، خاصَّة إذا كان هناك مصلحة فيه، ومع ضمان سلامة الحقوق ضمن إطار الشريعة الإسلاميَّة، فإنَّ الإنسان سيتحرَّر ذهنه من الضغوطات القاتلة لحركة الإبداع والتطوُّر، حتَّى يضمن التماسك والرصانة أمام كلِّ التيَّارات[١].

ونحن على يقين من أنَّ الرسول المعصومﷺ لم يفعل شيئًا بدون فائدة، ولذلك فإنَّ فدك التي كانت في يد الرسول الكريم، فضلًا عن ذلك، أراد أن تكون في حوزة فاطمةعليها السلام، إذ أرسل إليها وأعطاها فدك، وقال: **أترك لك فدك من مهر والدتك خديجةعليها السلام التي على رقبتي**. ففلسفة تسليم فدك إليها: كان نبيّ الإسلام في ذهنه أنَّ فاطمة الزَّهراءعليها السلام مثل والدتها التي ساعدت الرسول الكريم في دينه، فهي تساعد أيضًا عليّ بن أبي طالبعليه السلام، لأنَّ الدَّخل السنويّ لفدك كان أربعة وعشرين ألف دينار من الذهب، إذ نجد أنَّ من الصعب أن يتمكن عامَّة الناس من فهم الفضائل والقيم الروحيَّة، ومعظمهم عبيد لبطنهم، وتلاميذ للمال، لا يعرفون عن العلم والتقوى، ولا يعرفون أهل الفضيلة، لذلك هذا هو مخطَّط الحكَّام الإلهيِّين في المرحلة الأولى، يجذبون هذه الفئة من الناس بالعطاء ومساعدتهم، ثمَّ يعلِّمونهم الكلمات والفضائل الدينيَّة، لذلك أعطى نبيّ الإسلام فدكًا لها، لتظلَّ أرض فدك في حضانتها، ويكون دخلها وسيلة لنشر الإسلام وتعاليمه[٢].

ونجد هذا المعنى (أهميَّة فدك سياسيًّا واقتصاديًّا)، الذي أراده الرسول أيضًا، فيما قاله أحد المتكلِّمين، وهو ابن أبي الحديد، يقول: قلتُ لمتكلِّم من متكلِّمي الإماميَّة

(١) د. إحسان عيدان عبد الكريم، الفلسفة الأخلاقيَّة ومبادئ حقوق الإنسان في فكر الإمام عليّعليه السلام، ط١، مؤسَّسة علوم نهج البلاغة، العتبة الحسينيَّة المقدَّسة، كربلاء، ٢٠١٧، ص٦٦.

(٢) السيِّد حسن ابطحي، انوار الزهرا سلام الله عليها، انتشارات آل طه، ايران، بدون سال چاپ، ص٥١.

يُعرَف بعلي بن تقي، من بلدة النيل: وهل كانت فدك إلَّا نخلًا يسيرًا وعقارًا ليس بذلك الخطير! فقال لي: ليس الأمر كذلك، بل كانت جليلة جدًّا، وكان فيها من النخل نحو ما بالكوفة الآن من النخل، وما قصد أبو بكر وعمر بمنع فاطمة عنها إلَّا ألَّا يتقوَّى عليّ بحاصلها وغلَّتها على المنازعة في الخلافة، ولهذا اتَّبعا ذلك بمنع فاطمة وعليّ وسائر بني هاشم وبني المطَّلب حقَّهم في الخُمس، فإنَّ الفقير الذي لا مال له تضعف همَّته، ويتصاغر عند نفسه، ويكون مشغولًا بالاحتراف والاكتساب عن طلب المُلك والرئاسة[1].

لقد حُرمت ابنة الرسول من ملكها الخالص فدك بعد وفاة أبيها لأغراض سياسيَّة خاصَّة، وأخرجوا عمَّالها من تلك الارض، فعمدت إلى إثبات حقِّها، واسترداد ملكها عن طريق الشرع والقانون، ففي الدرجة الأُولى كانت فدك في يدها، واليدُ دليل الملك، ولكن جهاز الخلافة طلب منها مع ذلك دليلًا على كون فدك ملكها، خلافًا لكلِّ الموازين القضائيَّة الإسلاميَّة؛ إذ لا يُطلبُ من أيِّ واحدٍ له يد على شيء (أي يكون ذلك الشيء تحت تصرُّفه) أن يقيم دليلًا على ملكيَّته لذلك الشيء، ولكن الخلافة لم تعر ليد الزَّهراء على فدك أهميَّة، بل طالبتها بأن تأتي بشاهد على ملكيَّته، ولهذا اضطرت فاطمة الزَّهراء عليها السلام إلى أن تأتي للشهادة على ذلك بشخصيَّة ذات مكانة هامَّة كعليّ عليه السلام، وامرأة تدعى أُمُّ أيمن، التي شهد لها الرسول بأنَّها من نساء الجنَّة، ولكن جهاز الخلافة

(١) وتكرَّر هذا المشهد مرَّة أخرى مع الرشيد، فروي أنَّه كان يقول لموسى بن جعفر عليهما السلام: خذ فدكًا حتَّى أردَّها إليك، فيأبى، حتَّى ألحَّ عليه، فقال عليه السلام: «**لا آخذها إلَّا بحدودها**»، قال: وما حدودها؟ قال: «**إن حدَّدتها لم تردَّها**»، قال: بحقِّ جدِّك إلَّا فعلت، قال: «**أمَّا الحدُّ الأوَّل فعدن**»، فتغيَّر وجه الرشيد، وقال: إيهًا! قال: «**والحدُّ الثاني سمرقند**»، فاربد وجهه، «**والحدُّ الثالث إفريقية**»، فاسودَّ وجهه، وقال: هيه! قال: «**والرابع سيف البحر ممَّا يلي الجزر وأرمينية**»، قال الرشيد: فلم يبقَ لنا شيء، فتحوَّل إلى مجلسي، قال موسى: «**قد أعلمتك أنَّني إن حدَّدتها لم تردَّها**». ينظر: أبو جعفر محمَّد بن عليّ بن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ط٢، ج٤، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ١٩٩١، ص٣٤٦.

لم يعر اهتمامًا لشهادة هؤلاء الشهود، وحرم ابنة الرسول من ملكها الذي وهبه إيَّاها والدها[١]. حصل هذا وهي وعليّ وابناهما الحسن والحسين عليهم السلام مطهَّرين من كلِّ رجسٍ، كما صرَّح بذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٢].

أمَّا الأمر الآخر فإنَّ الحقَّ مع المتصرِّف إلَّا بدليل، أنَّ القاعدة الفقهيَّة المعتَرف بها من قِبَل جميع مذاهب المسلمين، هي قاعدة التصرُّف، وهي: إنَّه إذا كان مال ما تحت تصرُّف شخص، فلا يستطيع أحد أخذه إلَّا أن يأتي بدليل قويّ على خلاف ذلك، أي إنَّه إذا أراد شخص أن يأخذ المال المتصرَّف، وجب أن يثبت أنَّ المال ليس لذلك الشخص، بل له هو المدَّعي؛ لأنَّ التصرُّف إمارة الملكيَّة، فالبيِّنة على المدَّعي، وليست على المنكِر، لذا فإنَّ الزَّهراء بعد أن جاءت إلى المسجد، وألقت تلك الخطبة الغرَّاء، مطالبةً بحقِّها، ولم يُصغِ لها أحد، التقى عليّ عليه السلام بأبي بكر في المسجد، وقال له: **لو كان لأحد مُلك، وهو يتصرَّف به، وادَّعيت أنا أنَّه لي، فهل تطلب منِّي بيِّنة أم منه؟** أجاب أبو بكر: أطلبها منك، قال الإمام: **فلماذا تطلب من الزَّهراء بيِّنة؟ وقد كان عمَّالها في فدك منذ ثلاث سنين، ولماذا أخرجتهم منها**[٣].

حدث هذا وفاطمة هي ميزان الحقِّ، وبها يُعرف طريق الهدى، ويُنال رضى الله تبارك وتعالى، فمن أراد أن يصل إلى الهدف المنشود، عليه أن يسير على نهج فاطمة، ويجعلها معيارًا لتمييز الحقِّ من الباطل، وأنَّ الله تعالى ورسوله يغضبان لغضبها، ويرضيان لرضاها[٤]»

(١) ينظر: أبو جعفر محمَّد بن عليّ بن شهر آشوب، المصدر السابق، ص٣٤٦.

(٢) سورة الأحزاب/ آية ٣٣.

(٣) السيِّد عبد الحسين دستغيب، سيرة الزَّهراء عليها السلام، ط٣، دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ترجمة لجنة الهدى، ٢٠١٣، ص١٦٠.

(٤) ورد في الرواية عن أبي عبد الله الحسين بن محمَّد الأشنانيّ الرازيّ العدل ببلخ، قال: حدَّثنا=

ممَّا تقدَّم يتبيَّن لنا أنَّ الزَّهراء عليها السلام قد أعطت لنا أنموذجًا رائعًا وفعَّالًا في المطالبة بالحقِّ الثابت شرعًا وقانونًا، كيف لا وقد حازت على الكمالات النفسانيَّة والصفات الروحيَّة، وقد حباها الله بنفس ملكوتيَّة لا توجد عند سائر الناس، تعدَّت شخصيَّتها العظيمة إطار المسلمين إلى غيرهم من الديانات الآخرى، والبلدان الآخرى.

## ثانيًا: الحقُّ في طلب العلم

أمَّا القضيَّة الأخرى التي نودُّ أن نخصِّص لها هذا الحديث، هي موقف الزَّهراء عليها السلام من الحقِّ في طلب العلم، وكيف كان هذا الموقف الثابت والمبدئيّ للإسلام من هذا الحقّ، هو العامل الأوَّل والفاعل الأساسيّ وراء الانتقال بالجماعة العربيَّة من الجاهليَّة وبداوتها إلى العلم وحضارته؛ لأنَّ هذا الحقّ بسبب من ثباته، وما له من قداسة، لاتزال له الصلاحيَّة اليوم وغدًا؛ لينتقل بالأمَّة من التخلُّف إلى التقدُّم، ومن الركود إلى النهضة، ومن الكسل العقليّ إلى التوقُّد العقلانيّ، ومن الخرافة الساذجة إلى البروج العلميَّة، التي طبعت فكر الإسلام ونهج المسلمين الذين وعَوا خصائص هذا الدين الحنيف.

إنَّ الإشارة إلى موقف الزَّهراء عليها السلام من العلم، وهو الموقف الذي رأت فيه أنَّه ضرورة إنسانيَّة ودينيَّة واجبة، وأنَّه هدف مهمٌّ جدًّا التركيز عليه، لاسيما وأنَّه قد بدأ به الوحي رسالة الاسلام إلى رسوله محمَّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله. لقد كان استهلالًا يعلن ميلاد طور جديد للإنسانيَّة، فكانت كلمته الأولى في الأمَّة الأميَّة، وإلى النبيِّ الأمِّي، وبصيغة الأمر والوجوب، هي قوله تعالى:

=عليّ بن محمَّد بن مهرويه القزويني، عن داوود بن سليمان الفرَّاء، عن عليّ بن موسى الرضا، قال: حدَّثني أبي موسى بن جعفر، قال: حدَّثني جعفر بن محمَّد، قال: حدَّثني أبي محمَّد بن عليّ، قال: حدَّثني عليّ بن الحسين، قال: حدَّثني أبي الحسين بن عليّ، قال: حدَّثني أبي عليّ بن أبي طالب قال: قال رسول الله: «**إنَّ الله تعالى يغضب لغضب فاطمة، ويرضى لرضاها**». لمزيد من التفاصيل يُنظر: محمَّد جواد المحموديّ، خطبة سيِّدة النساء فاطمة الزَّهراء عليها السلام مصادرها وأسانيدها، ط١، مكتبة فخراوي، البحرين، ٢٠٠٨، ص٦٩.

﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾[١]. وحتَّى يوضع هذا التكليف الواجب الذي يبدو غريبًا، بل ومستحيلًا على التحقيق في الوهلة الأولى، حتَّى يوضع في الإطار الذي يؤكِّد إمكانه، اقترن الأمر ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ بالحديث عن قدرة الشارع سبحانه وتعالى، وعن نِعَمِه وآلائه، ومنها الحقُّ في طلب العلم.

لقد جسَّدت الزَّهراء عليها السلام دور المرأة القياديَّة المسؤولة عن تبليغ الرسالة الإلهيَّة للناس أجمع، والمستعدَّة دائمًا لمواجهة كُلِّ الظروف، وتحمُّل كلِّ المسؤوليَّات التي يتطلَّبها المجتمع الإسلاميّ، ولم يقتصر دورها على جانب رعاية شؤون بيتها وأسرتها، بل كانت تشارك في عمليَّة نشر الرسالة الإسلاميَّة، فكانت تقوم بعمليَّة نقل وتعليم ما تسمعه عن أبيها إلى المسلمات، فهي كانت المعلِّمة الأولى للمسلمات اللواتي يقبلن على بيتها، فتفيض عليهنَّ بما وعته من علم، وتثقفهنَّ بثقافة العصر، وتشجِّعهنَّ على طلب العلم والمعرفة، وهكذا كان بيتها المدرسة الأولى في الإسلام للمرأة، إذ تمكَّنت من قيادة المجتمع، وبالأخص الشريحة النسويَّة من بيتها، ركزت اهتمامها بالعلم وتدوين السنَّة.

وكان الحسن عليه السلام يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو ابن سبع سنين، فيسمع الوحي فيحفظه، فيأتي أمَّه فيلقي إليها ما حفظه، وكلَّما دخل عليّ عليه السلام وجد عندها علمًا بالتنزيل، فيسألها عن ذلك، فتقول من ولدك الحسن، حتَّى كانت قمَّة في العلم والمعرفة[٢].

وهذا ما نلاحظه أيضًا في سيرة الزَّهراء واهتمامها بتعليم ما تعلمه، إذ حضرت امرأة عند الصدِّيقة فاطمة عليها السلام، فقالت: إنذَ لي والدة ضعيفة، وقد لبس عليها في أمر صلاتها شيء، وقد بعثتني إليك أسألك، فأجابتها فاطمة عن ذلك، فثنَّت فأجابت،

(١) سورة العلق/ آية ١.

(٢) الشيخ العلَّامة زين المحدِّثين محمَّد بن الفتَّال النيشابوريّ، روضة الواعظين، ج١، تحقيق محمَّد مهدي حسن الخرسان، منشورات الشريف الرضيّ، قم المقدَّسة، ص١٨٦.

ثمَّ ثلثت إلى أن عشَّرت فأجابت، ثمَّ خجلت من الكثرة، فقالت: لا أشقُّ عليك يا ابنة رسول الله، قالت فاطمة: **هاتي وسَلي عمَّا بدا لك، أرأيت من أُكتري يومًا يصعد إلى سطح بحمل ثقيل، وكراه مائة ألف دينار، يثقل عليه؟** فقالت: لا، فقالت: **اكتريت أنا لكلِّ مسألة بأكثر من ملء ما بين الثرى إلى العرش لؤلؤًا، فأحرى أن لا يثقل عليّ**[1].

فكانت سلام الله عليها بحقٍّ تفتح جبهة للجهاد الثقافيّ، إذ إنَّ محاولة القضاء على الجهل عبر ازدهار عقول الناس وفطرتهم، كانت من أهم أعمال الأنبياء والأئمَّة، لن يتمَّ إصلاح أيِّ مجتمع من ظواهر الفساد التي تثقله، ما لم يحصل سكَّان ذلك المجتمع على أخلاقيَّات وثقافات متعالية، ترفع من شؤون الناس وتعزِّز مكانتهم، ومن هذا المنطلق، يمكننا ملاحظة أنَّ إصلاح الفرد والمجتمع، لاسيما الإصلاح الخلقيّ والثقافيّ، يتصدَّران الإصلاحات الأخرى.

لذا يتمتَّع جهاد فاطمة عليها السلام الثقافيّ بمكانة مرموقة من بين الأئمَّة المعصومين، إذ إنَّها ربيبة رسول الله بشكلٍ مباشر، واستمرار لوجوده المبارك، علمها مأخوذ من علم الرسول، وسيرتها تعدُّ من السيرة النبويَّة. إنَّها كانت مدرِّبة للأخلاقيَّات، ومدرسة للقرآن الكريم، تلك المكانة السامية التي كانت مختصَّة بالنبيّ وابنته وأهل بيته الطاهرين المنتجبين[2].

فعند ظهور الإسلام، لم يقتصر التراث الفكريّ الإسلاميّ على الرجال، فقد كان للنساء نصيب من العطاء والنتاج الفكريّ والوظيفيّ والحضاريّ، وقد قدَّمت الزَّهراء عليها السلام أنموذجًا حول أهميَّة دور الإنسان في مجال الإصلاح والمطالبة، ومقاومة

(١) المجمع العالميّ لاهل البيت عليهم السلام، أعلام الهداية فاطمة الزَّهراء عليها السلام سيِّدة النساء، ط١، الأميرة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٥، ص١٩٦.

(٢) د. عبد الواحد بامري، د. حبيب حاتمي كنكبود، دراسة في طريق الاقتداء بالسيرة الصحيحة للسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، بحث منشور، مجلَّة الكليَّة الإسلامية الجامعة، العدد٦٠، الجزء١، ص٦٨٣.

الظلم، وأعطت أنموذجًا جميلًا حول قدرة ومكانة المرأة على هَزِّ عروش الظالمين، وصناعة جيل يتَّصف بالوعي، ويعشق الحريَّة، ويؤمن بالتغيير ومقاومة التحدِّيات والظالمين، دعت إلى نصرة المظلوم والدفاع عن الحقِّ، بغضِّ النَّظر عن دين المظلوم ومذهبه وعشيرته وقوميَّته ووطنه، وسعت جاهدًة لحماية تلك الحقوق والحريَّات وتطبيقها[١].

## المطلب الثاني: احترام الحريَّات في ضوء الفكر الفاطميّ

تحدَّث القرآن في بداية الدعوة عن الحريَّة الدينيَّة، وقال: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾[٢]، فجذر الحريَّة، هو أن يتحرَّر الإنسان من كلِّ الضغوطات والأهواء والشهوات التي تدفعه إلى الخضوع والانسياق ورائها؛ فحينما يغمر الإيمان بالله ﷻ قلب الإنسان، تنمو لديه القدرة على الانعتاق من كلِّ الأشياء التي تناقض حريَّته، فطريق الحريَّة الإنسانيَّة، يبدأ بالإيمان والعبوديَّة المطلقة للباري ﷻ، ولعلَّ هذا الإحساس هو الذي يتعمَّق في وعي الإنسان من حركة إيمانه، فيمنعه عن الجريمة الخفيَّة، والمعصية المستورة، والنيَّات الشريرة التي تتحفَّز للاندفاع والظهور[٣].

والحريَّة الإنسانيَّة بالمعنى الفرديّ والجماعيّ والاجتماعيّ في عُرف الإسلام واحدة من أهمِّ الضرورات اللازمة لتحقيق إنسانيَّة الإنسان، بل إنَّنا لا نغالي إذا قلنا: إنَّ الإسلام يرى في الحريَّة، الشيء الذي يحقِّق معنى الحياة الحقيقيَّة للإنسان، وبفقدها يموت، حتَّى ولو عاش يأكل ويشرب ويسعى في الأرض، والذين يتأمَّلون اهتمام الإسلام بالتحرير

(١) د. ثريَّا عليّ حسين، د. سوسن عبد عليّ كاظم، أثر السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام في رفع المكانة القيميَّة في المجتمع، بحث منشور، مجلَّة قرطاس المعرفة، العتبة الكاظميَّة المقدَّسة، السنة الثانية، العدد الثالث، ٢٠٢٠، ص١٠٢.

(٢) سورة البقرة/ آية ٢٥٦.

(٣) محمَّد محفوظ، حريَّة التعبير في التشريع الإسلاميّ المعاصر رؤية أوليَّة، لبنان، ١٤٣٠هـ، ص٨.

التدريجيّ للأرقَّاء في المجتمع الذي ظهر فيه، يدركون هذا الإنجاز الإحيائيّ الذي صنعه هذا التحرير، الذي كان مصرفًا من مصارف الأموال العامَّة للدولة الإسلاميَّة، فضلًا عن كونه قربة إلى الله، وكفَّارة لذنوب المسلمين(١).

إنَّ هذا المفهوم الإسلاميّ الرائع للحريَّة قد جسَّدته الزَّهراء عليها السلام في مواقف خلَّدها التاريخ عبر العصور، أصبحت معها أنموذجًا يُقتدى به، ومن هذه المواقف ما يأتي:

## أوَّلًا: حريَّة التعبير عن الرأي(٢)

عندما نتعامل مع حريَّة التعبير عن الرأي كضرورة لازمة للإنسان، فهو كذلك مسؤوليَّة وأمانة، ينبغي لنا أن نستخدمها أفضل استخدام، فهي ليس غاية نهائيَّة، وإنَّما هو وسيلة لإنجاز شهود الإنسان في هذه الأرض، وخلافته، وتحمُّله للأمانة التي حملها الله سبحانه وتعالى له، لهذا من الضروريّ أن يتمَّ التعامل مع هذا الحقّ العظيم بدافع من الحبِّ والإخلاص، حتَّى يتسنَّى لنا تحقيق المراد الأسمى، فالحريَّة هي بوَّابة لكي يكون الإنسان سيِّد نفسه ومصيره، وهي التي تدفعه إلى اجتراح أساليب التطوُّر، وهي

(١) د. محمَّد عمارة، مصدر سابق، ص٦٧.

(٢) الحريَّة في التعبير عن الأفكار والآراء، عن طريق الكلام أو الكتابة، أو حريَّة التعبير هي الأعمال الفنيَّة بدون رقابة أو قيود حكوميَّة، بشرط أن لا يمثِّل طريقة عرض الأفكار والآراء أو مضمونها ما يمكن اعتباره خرقًا أو مخالفة لقوانين وأعراف الدولة أو المجموعة التي سمحت بحريَّة التعبير، ويصاحب حريَّة الرأي والتعبير على الأغلب بعض أنواع الحقوق والحدود، مثل حقّ حريَّة العبادة، حريَّة الصحافة، وحريَّة التظاهرات السلميَّة. وتحمي الشرعيَّة الدوليَّة في مجال حقوق الإنسان حريَّة التعبير، وتلتزم الدول المنظمة إليها بحماية هذه الحريَّة عن طريق سنِّ القوانين والنظم المحليَّة وتطبيقها، لتشجيع تداول الآراء والأفكار، وحماية أصحابها وعدم تحريم الآراء المخالفة وإيقاع العقوبات. لمزيد من التفاصيل يُنظر: د. لامية طالة، حريَّة التعبير عن الرأي قراءة في المفهوم وأهم التجليَّات الإعلاميَّة والسياسيَّة، بحث منشور، مجلَّة قبس للدراسات الإنسانيَّة والاجتماعيَّة، المجلَّد ٥٠، العدد١، ٢٠٢١، ص١١٩٥.

معيار التقدُّم للأفراد والجماعات، والحضارات لا تُبنى بدونها، فهي بوَّابة الحياة الكريمة والسعيدة والمتطوِّرة[١].

وخلال هذه العهود الطويلة لم يتجسَّد البناء النظريّ لحريَّة التعبير، التي كفلها القرآن الكريم، على أرض الواقع إلَّا نادرًا، في ظلِّ تلك الأنظمة الدكتاتوريَّة، صحيح أنَّ هناك بعض الحوادث المنفردة التي ارتفع فيها صوت معارض بوجه الخليفة أو ولاته، ولكن لم يقبل فيها ذلك الصوت إلَّا نادرًا، ويعود ذلك إلى طبيعة الخليفة وخلفيَّته الفكريَّة والسياسيَّة والدينيَّة، وإلى طبيعة الصوت المعارض والظروف السياسيَّة آنذاك، ولكن بشكلٍ عام لم توجد حريَّة التعبير في المجتمع الإسلاميّ إلَّا في حدود ضيِّقة، أو في أمور لا علاقة لها بالسياسة والسلطة، وللأسف بقيت المبادئ الإسلاميَّة العظيمة التي تؤكِّد حريَّة التعبير، مجرَّد أفكار ونظريَّات[٢].

إلَّا ما حدَّثنا التاريخ من أنَّ السيِّدة العظيمة قد استخدمت أساليب مختلفة في حريَّة التعبير عن الرأي، منها خروجها ودعوتها المسلمين، إذ تذكر لنا الروايات أنَّه: خرج عليّ كرَّم الله وجهه يحمل فاطمة بنت رسول الله على دابة ليلًا، في مجالس الأنصار تسألهم النصرة، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، لو أنَّ زوجك وابن عمِّك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به. فيقول عليّ كرَّم الله وجهه: أفكنت أدع رسول الله في بيته لم أدفنه وأخرج أنازع الناس سلطانه؟! فقالت فاطمة: ما صنع أبو الحسن إلَّا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم[٣].

(١) محمَّد محفوظ، مصدر سابق، ص٢٤.

(٢) حيدر حبّ الله، العنف والحريَّات الدينيَّة قراءات واجتهادات في الفقه الإسلاميّ، مكتبة مؤمن قريش، لبنان، ط١، ج١، ٢٠١١، ص٥١.

(٣) محمَّد جواد المحموديّ، مصدر سابق، ص٧.

فهي قد جسَّدت أوَّل تعليم علَّمه الله تعالى لآدم عليه السلام، هو الكلام والتعبير، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾[1]، علَّمه الأسماء كلَّها ليقول كلّ ما يريد، قد علمت سلام الله عليها لأنَّ علمها من علم أبيها، وهو ما ينطق عن الهوى، ثمَّ عبَّرت عمَّا أرادت، وهي قد جسَّدت العلاقة الواقعيَّة والمتينة بين خلق الله للإنسان وتعليمه البيان، قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾[2]، فلم يكن أوَّل شيء علَّمه لآدم، هو أداء صلاته، أو كسب قوته، بل أوَّل شيء علَّمه إيَّاه بعد خلقه، هو البيان والتعبير؛ لأجل إحقاق الحقوق والحريَّات.

وقديمًا حينما أراد الفلاسفة تعريف الإنسان وتمييزه عن غيره من الكائنات، قالوا: الإنسان حيوان ناطق[3]، والإنسان ليس بحيوان، وإنَّما هو إنسان يمارس وظيفة التعبير والبيان، وهي من أعظم الخصائص والمواهب الفطريَّة التي ميَّز الله بها الجنس البشريّ، وجعلها في مكنته من أوَّل أمره، فهي تشكِّل جزءًا من هويَّة الإنسان وماهيَّته، وهذا يدلُّ على الأهميَّة البالغة التي تكتسبها وظيفة التعبير في حياة الإنسان، وفي حياة الجماعة البشريَّة، ولا شكَّ أنَّ البيان الذي يشكِّل جزءًا من فطرة الإنسان وهويَّته، إنَّما كانت الزَّهراء تمثِّل التعبير الصادق الصريح عمَّا في النفس وما في العقل وما في القلب. إنَّ الناظر والباحث عن موقع حريَّة التعبير في فكرها، ليندهش لهذا الرُّقيّ والقمَّة والتحضُّر والثقافة العالية.

أمَّا الإسلوب الآخر الذي استخدمته السيِّدة الزَّهراء عليها السلام هذا الخطاب (في الخطبة الفدكية) من أجل التعبير عن الرأي وكان من أهم ما جاء فيه:

(١) سورة البقرة/ آية ٣١-٣٢.
(٢) سورة الرحمن/ آية ١-٤.
(٣) العلَّامة محمَّد رضا المظفَّر، المنطق، ط١، ج١، دار التفسير، نينوا، إيران، ١٤٤٢هـ، ص٣٠.

١. **بيان أدب الاحتجاج**: فبينما كانت جماعة تحتجُّ على معتقدها ومرادها، بالعنف والاستبداد والضرب والقهر، جاءت مولاتنا الزَّهراء لتعلِّم المنهج الأخلاقيّ في الاحتجاج.

٢. **بيان الحقِّ من الباطل**: ولهذا الإطار حدَّدت الزَّهراء بالدليل والبرهان مفهوم الحقِّ، وحدَّدت أسس الظلم والجور، في خضمِّ الجدل القائم حول منشأ المظلوميَّات والطغيان، تأتي هذه الخطبة الوثيقة، لتبيِّن بعد تفصيل تاريخ جملة ممَّن نسبوا أنفسهم للرسالة وللرسولﷺ، لتبيِّن حقيقتهم ببيان تاريخهم قبل الإسلام، وواقعهم في الإسلام، وتحدُّ هذه الحقيقة الازدواجيَّة في النفاق الذي أسَّس الظلم والجور.

٣. **المطالبة بالحقوق المغتصبة**: ولقد طالبت (سلام الله عليها) بحقِّها في فدك، وكانت ترمي إلى أساس، هو المطالبة بالحقِّ المغتصب، كي لا تشيع الفاحشة في أمَّة أبيها، بأن يعتدي مَن يريد على ما يريد، ولا يعترض عليه أحد[١].

٤. **دفاعها عن الثوابت الإلهيَّة**: بعد أن ذكرت فلسفة التشريع، ووصفت كتاب الله، وشرحت جهاد النبيّﷺ[٢]، وبيان قدرة الخالق وعظيم صنعه، عرَّفت بنفسها[٣]؛ لبيان حرصها على مستقبل الأمَّة، ودفاعها عن الثوابت

(١) لمزيد من التفاصيل يُنظر: السيِّد أبو القاسم جعفر بن الحسين الخوانساريّ، شرح خطبة الزَّهراءعليها السلام، ط١، ١٤٣١هـ، دار حفظ التراث البحرانيّ، البحرين، ص٧-٨.

(٢) ورد في نصّ الخطبة: «**ابتعثه الله إتمامًا لأمره، وعزيمة على إمضاء حكمه، وإنفاذًا لمقادير حتمه، فرأى الأمم فرقًا في أديانها، عُكَّفًا على نيرانها، عابدة لأوثانها، منكرة لله مع عرفانها، فأنار الله بأبي محمَّدﷺ ظُلَمَها، وكشف عن القلوب بهمها، وجلَّى عن الأبصار غممها**».

(٣) قالت سلام الله عليها: «**أيُّها الناس، اعلموا أنِّي فاطمة وأبي محمَّدﷺ، أقول عودًا وبدوًا، ولا أقول ما أقول غلطًا، ولا أفعل ما أفعل شططًا، لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم، حريص عليكم، بالمؤمنين رؤوف رحيم**».

الإلهيَّة؛ لكي لا يقول قائل إنَّها أغفلت ارتباطها برسول الله وبالوحي والسماء.

٥. **إيراد الدليل الشرعيّ على ثبوت الحقِّ**[١]: وخاطبت الحاكم الغاصب الظالم، واحتجَّت عليه بكتاب الله وسنَّة رسوله الكريم، وذكرت الحقوق الماليَّة للرجل والمرأة على حدٍّ سواء، وأشارت إلى باب من أبواب الفقه، وهو الإرث، ولو لاحظنا اليوم المآسي، حيث استحوذ الكثير على حقوق أقرب الناس إليهم، بحجج واهية، لا تمتُّ للدِّين بصلة، ولو اطَّلعنا على مشاكل الإرث في هذا الزمان؛ لأدركنا ما حذَّرت منه الصدِّيقة الطاهرة في أوَّل وهلة للظلم الذي تعرَّضت له[٢].

## ثانيًا: حريَّة التظاهر السلميّ

أصبحت اليوم حريَّة التظاهر السلميّ من الحريَّات العامَّة البالغة الأهميَّة والمؤثِّرة على صعيد الفرد والمجتمع، ولم تعد هذه الحريَّة من الحريَّات البعيدة المنال على المواطن، إذ تكمن أهميَّة هذه الحريَّة في كونها من أهمِّ المخارج للتنفيس عن الآراء السياسيَّة وغير السياسيَّة، ولها دور كبير في تفعيل دور الشعوب في المشاركة في الحياة السياسيَّة، وتُعَدُّ أيضًا من وسائل الضغط التي تمارسها الشعوب على الحكَّام، من أجل دفعهم على

(١) وقالت: **أيُّها المسلمون، أأغلب على إرثي؟ يابن أبي قحافة، أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي؟ لقد جئت شيئًا فريًّا على الله ورسوله، أفعلى عمدٍ تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟ إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾، وقال في ما اقتصَّ من خبر يحيى بن زكريا عليه السلام، إذ قال: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾**. يُنظر: الشيخ باسم محمَّد الموصليّ، الصدِّيقة الطاهرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، ط٢، دار البذرة، النجف الأشرف، ٢٠١٥، ص٤٨-٤٩. نصُّ الخطبة برواية عبد الله بن الحسن عن آبائه عليهم السلام.

(٢) ماجد الخاقانيّ، الشمس الساطعة في شرح خطبة فاطمة، ط١، مطبعة الثَّقَلين، النجف الأشرف، ٢٠١٧، ص١٥-١٦.

اتِّخاذ القرار الذي يريده، فقد أحدثت الزَّهراء عليها السلام تغييرًا تأريخيًّا في مفهوم هذه الحرية واستخدامها.

وعليه لا يمكن لأيِّ سلطة في أيَّة دولة في العالم أَن تلبِّي متطلَّبات جميع أفراد المجتمع الذي تحكمه، كما لا يمكن تصوُّر وجود سلطة من دون وجود مَن يعارضها في شؤون الحكم، ومن ثمَّ لا توجد سلطة تحظى بقبول الجميع، فعملها لا بدَّ من أن يكون له معارضون، وطرق الاعتراض كثيرة، لكن أهمّها وأكثرها تأثيرًا هو الخروج إلى الشارع، كان ذلك ومايزال منبرًا للسلطة والمعارضة على حدٍّ سواء[١].

هذه الحريَّة في ممارسة التظاهر السلميّ قد جسَّدته سلام الله عليها عندما خرجت في لـمَّة من نسائها، أي في جماعة منهنَّ، من غير حصر في عدد، والهاء عوض عن همزة في وسطه وهي فعلة من الملائمة: الموافقة[٢]، وقيل هي ما بين الثلاثة إلى العشرة[٣]. والحَفَدة: بالتحريك، الأعوان والخدم، جمع حافد، وحفدة الرجل بناته، وأولاد أولاده[٤].

(١) كفلت العديد من المواثيق والمعاهدات الدوليَّة الحقَّ في التظاهر والتجمُّع السلميّ، وحدَّدت لذلك أُطر محدَّدة، وبذلك اعترف الإعلان العالميّ لحقوق الإنسان أنَّه لا يجوز إرغام أحد على الانضمام إلى جمعيَّة ما. ويتَّضح من هذا النص أنَّه لم يضع أيَّة قيود على الحقِّ في ممارسة التظاهر والتجمُّع السلميّ، أقرَّ المعهد الدوليّ للحقوق المدنيَّة والسياسيَّة الحقَّ في التجمُّع السلميّ، وذلك في المادَّة (المادَّة ١٩)، التي نصَّت على أنَّ: «لكلِّ شخص حقُّ التمتُّع بحرِّية الرأي والتعبير، ويشمل هذا الحقُّ حريَّته في اعتناق الآراء دون مضايقة، وفي التماس الأنباء والأفكار وتلقِّيها ونقلها إلى الآخرين، بأيَّة وسيلة ودونما اعتبار للحدود»، و(المادة ٢٠)، التي نصَّت على أنَّ: «١. لكلِّ شخص حقٌّ في حريَّة الاشتراك في الاجتماعات والجمعيَّات السلميَّة. ٢. لا يجوز إرغامُ أحدٍ على الانتماء إلى جمعيَّة ما».

(٢) الشيخ فخر الدين الطريحيّ، مجمع البحرين، تحقيق: أحمد الحسينيّ، مؤسَّسة التأريخ العربّي للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط٢،ج٤، ٢٠٠٧، ص١٤٣.

(٣) إسماعيل بن حمَّاد الجوهريّ، الصِّحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطَّار، دار العلم، لبنان، ط٣، ج٦، ١٩٨٣، ص١٤٣.

(٤) الشيخ الإمام محمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازيّ، مختار الصِّحاح، دار المعاجم في مكتبة=

وكانت حولها نسوة متعدِّدات من حفدتها ونساء قومها، كالنجوم المتناثرة، يلتفِفن بها بغير انتظام، وهنَّ جميعًا سواسية في هذا الاندفاع، وقائدتهنَّ بينهنَّ تستعرض ما ستُقدم عليه من وثبة كريمة تهيِّئ لها العدَّة والذخيرة، وهي كلَّما استرسلت في استعراضها هذا ازدادت رباطة جأش وقوَّة جنان، وتضاعفت قوَّة الحقِّ التي تعمل في نفسها، واشتدَّت صلابة في الحركة، وانبعاثًا نحو الدفاع عن الحقوق المسلوبة، ونشاطًا في الاندفاع، وبسالة في الموقف الرهيب[1].

فالجهاد هو أن تهب نفسك وروحك لقضيَّة ما، إمَّا أن تكون دفاعًا عن وطنك أو دينك أو حريَّتك، فالجهاد شيء جميل إذا كان بهدف جيِّد، وقليل هم الذين يحملون المبادئ، وقليل من هذا القليل الذين ينفرون من الدنيا من أجل تبليغ هذه المبادئ، وقليل من هذه الصفوة الذين يقدِّمون أرواحهم ودماءهم من أجل نصرة هذه المبادئ والقيم.

لا شكَّ أنَّ مثل هذه الخطبة اشتملت على مضامين دينيَّة واجتماعيَّة وسياسيَّة، إذ استطاعت الزَّهراء عليها السلام أن تحقِّق أهدافًا كبيرة من خلالها، فجاءت خطبتها غاية في الدقَّة من حيث العمق الدلاليّ والبلاغيّ.

فإنَّنا نجد أنَّها من خلال خطبتها كانت تعبِّر بشكلٍ دقيقٍ عن رأيها، وتعرض ما يختلج في صدرها من أفكار وتطلُّعات، وتدافع عن قضايا، وتقوِّي دفاعها بأدلَّة وبراهين، كما أنَّها كانت طريقة من طرق الإقناع، فقد احتاجت إلى هذا الأسلوب البلاغيّ الرفيع محاولةً منها للتأثير والإقناع[2].

=لبنان، لبنان، ١٩٨٦، ص٨٣.

(١) السيِّد الشهيد محمَّد باقر الصدر، فدك في التأريخ، ط١، دار الصدر (مركز الأبحاث والدراسات التخصصيَّة للشهيد الصدر قدس سره)، قم المقدَّسة، ١٤٢٩هـ، ص١٢.

(٢) د. حسين لفتة حافظ، د. عوَّاد كاظم لفتة، خطبة الزَّهراء عليها السلام الكبرى دراسة في الأسلوب والفن، بحث منشور، ص٥١٣-٥١٤.

فكان موقف الزَّهراء السياسيّ من قضيَّة الإسلام والخطِّ الأصيل للإسلام، فلم تكن معزولة عن حركة المجتمع، وكذلك عن الحركة السياسيَّة، وقضايا الحقِّ والعدل والظلم، بل كانت تشارك مشاركة حقيقيَّة، حسب ما قدِّر لها، وعندما تقتضي الحاجة والضرورة فإنَّها تساهم بدرجة بحيث تتعرَّض للآلام والأذى.

لفاطمة بنت محمَّد عليها السلام مكانة عظيمة عند المسلمين بشتَّى طوائفهم؛ فتُجمِع على أنَّ لها شأن عند الله يفوق كلَّ نساء العالم.

## الخاتمة

### أوَّلًا/ النتائج:

إنَّ أهمَّ ما توصَّل إليه البحث من نتائج تتلخَّص بما يأتي:

١. إنَّ الحقوق في الإسلام من تقرير الوحي السماويّ، وجاء بها الرسول صلى الله عليه وآله، في حين أنَّ حقوق الإنسان في القوانين الوضعيَّة جاءت نتيجة ظروف طارئة، من خلال مطالب تقدَّم بها الناس، أو بسبب تطوُّر تاريخيّ وبعد معاناة وآلام.

٢. إنَّ حقوق الإنسان في الإسلام جزء لا يتجزَّأ من الإسلام عقيدة وشريعة، تتجسَّد في علاقة الإنسان بربِّه وبنفسه وبغيره، بينما جاءت حقوق الإنسان في القوانين الوضعيَّة لتنظيم علاقة السلطة مع الأفراد.

٣. إنَّ تلك الحقوق عند المسلمين جاء تنظيمها على أساس واقع عمليّ وممارسة سلوكيَّة، وليست مجرَّد تصوُّر نظريّ، أمَّا حقوق الإنسان في القوانين الوضعيَّة، فنُظِّمت أصلًا على أساس تصوُّر نظريّ، ثمَّ تنتقل للتطبيق.

٤. إنَّ حقوق الإنسان في الإسلام لها صفة الإلزام بالنسبة للمسلمين؛ لأنَّها من مقرَّرات الدين، ولأنَّها تتضمَّن جزاءات دينيَّة ودنيويَّة على من يخالفها، أمَّا

إعلانات الحقوق، فليس من شأنها حماية تلك الحقوق، ولا تُعطيها صفة الإلزام؛ لأنَّها لا تتضمَّن جزاءات لمخالفة أحكامها، أو ضمانات لتنفيذها بمعنى ما موجود في الشريعة الإسلاميَّة.

٥. هنا يظهر الفرق جليًّا بين حقوق الإنسان التي أكَّد عليها الإسلام، وما في الإعلانات الوضعيَّة من ضيق في الأفق وقصر في النظر، وما في القانون الإسلاميّ من عدالة وشمول يضمن بهما سعادة البشريَّة ورقيِّ الإنسان مدارج الكمال، وإعلان حقوق الإنسان قد وضعته أذهان بشريَّة قاصرة عن إدراك مصالحها الروحيَّة وكمالها الحقيقيّ.

٦. جسَّدت الزَّهراء دور المرأة القياديَّة المسؤولة عن تبليغ الرسالة الإلهيَّة للناس، والمستعدَّة دائمًا لمواجهة كُلِّ الظروف وتحمُّل المسؤوليَّات التي يتطلَّبها المجتمع، فغيَّرت بذلك، وعبر التاريخ، صورة المرأة الضعيفة والمسلوبة القيمة والمكانة الاجتماعيَّة بعد أن أصبحت مثلًا للجميع.

٧. إنَّ هذا المفهوم الإسلاميّ الرائع للحريَّة قد جسَّدته الزَّهراء عليها السلام في مواقف خلَّدها التأريخ عبر العصور، أصبحت معها أنموذجًا يُقتدى به.

٨. إنَّ الإسلام لا يريد دفن طاقات المرأة وسلب أي دور لها في المجتمع، بل العكس تمامًا، فهو يسعى إلى تفعيلها في الاتِّجاه الصحيح، لتكون عنصرًا له دوره الإيجابيّ والبناء في المجتمع.

٩. لقد حقَّقت الزَّهراء إنجازات واسعة بهذه القيادة الفذَّة، بلغت في مداها الزمنيّ حدَّ الإعجاز التاريخيّ، فقد قدَّمت أروع مثل في أحرج لحظات التاريخ الإسلاميّ الذي كان يريد أن يختطَّ طريق الخلود والعُلى في بيئة جاهليَّة وأعراف قبليَّة.

١٠. إنَّ بنت الرسالة المحمَّدية الغرَّاء، ووليدة النهضة الإلهيَّة الفريدة، كانت تضرب بسلوكها الفرديّ والاجتماعيّ مثلًا حقيقيًّا وعمليًّا يجسِّد مفاهيم الرسالة وقيمها تجسيدًا واقعيًّا.

**ثانيًا/ التوصيات:**

بعد نهاية البحث، توصلنا إلى مجموعة من المقترحات، وكما يأتي:

١. إنَّ للزَّهراء خطبتَين عظيمتَين فيهما من الآثار العقائديَّة والتربويَّة التي يجب علينا أن ندرسها دراسة منهجيَّة تحليليَّة؛ من أجل تحصيل الفائدة منها.

٢. نرى ضرورة تضمين المناهج التعليميَّة في وزارة التربية والتعليم العالي سيرة الزَّهراء عليها السلام الاجتماعيَّة والسياسيَّة؛ ليتعرَّف الأجيال على التراث الخالد لها.

٣. إعادة قراءة تراث الزَّهراء عليها السلام وفق منهج فلسفيّ تحليليّ يتلائم مع متطلَّبات واقعنا في الوقت الحاضر.

٤. ندعو المشرفين على المؤتمر إلى إقامة المؤتمرات والندوات الخاصَّة بالمرأة، وتشجيع المشاركة في نشر بحوث يتمُّ تسليط الضوء من خلالها على الجانب الجهاديّ من سيرة الزَّهراء عليها السلام.

٥. ندعو المشرفين على المؤتمر إلى تأسيس مركز دراسات تخصُّصيَّة يسلِّط الضوء على المبنى الفكريّ للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، فإن كان من الصعب في الوقت الحاضر تضمين المناهج الدراسيَّة هذا الفكر التربويّ النيِّر، يمكن لنا ذلك من خلال إنشاء وحدة في المركز التخصُّصيّ معنيَّة بنشر فكر الزَّهراء عليها السلام في المدارس الأكاديميَّة بطرق مختلفة.

## مصادر البحث

* القرآن الكريم.

١. أبو القاسم جعفر بن الحسين الخوانساريّ، شرح خطبة الزَّهراء عليها السلام، ط١، ١٤٣١هـ، دار حفظ التراث البحرانيّ، البحرين.

٢. أبو جعفر محمَّد بن عليّ بن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ط٢، ج٤، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ١٩٩١.

٣. إحسان عيدان عبد الكريم، الفلسفة الأخلاقيَّة ومبادئ حقوق الإنسان في فكر الإمام عليّ عليه السلام، ط١، مؤسَّسة علوم نهج البلاغة، العتبة الحسينيَّة المقدَّسة، كربلاء، ٢٠١٧.

٤. إسماعيل بن حمَّاد الجوهريّ، الصِّحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطَّار، دار العلم، لبنان، ط٣، ج٦، ١٩٨٣.

٥. أمل جمال، سماح بصول، هامشيَّة خطاب حقوق الإنسان في الصحف العربيَّة المحليَّة، مؤسَّسة أعلام، فلسطين، ٢٠١٢.

٦. باسم محمَّد الموصلِّيّ، الصدِّيقة الطاهرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، ط٢، دار البذرة، النجف الأشرف، ٢٠١٥.

٧. ثريَّا عليّ حسين، سوسن عبد عليّ كاظم، أثر السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام في رفع المكانة القيميَّة في المجتمع، بحث منشور، مجلَّة قرطاس المعرفة، العتبة الكاظميَّة المقدَّسة، السنة الثانية، العدد الثالث، ٢٠٢٠.

٨. حسن ابطحى، انوار الزهرا سلام الله عليها، انتشارات آل طه، ايران، بدون سال چاپ.

٩. حسين عبد الرضا الأسدي، التربية منظومة حقوق، دار الكفيل للطباعة والنشر، العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة، ٢٠٢٠.

١٠. حسين لفته حافظ، عوَّاد كاظم لفتة، خطبة الزَّهراءعليها السلام الكبرى دراسة في الأسلوب والفن، بحث منشور.

١١. حيدر حبّ الله، العنف والحريَّات الدينيَّة قراءات واجتهادات في الفقه الإسلاميّ، مكتبة مؤمن قريش، لبنان، ط١، ج١، ٢٠١١.

١٢. عبد الحسين دستغيب، سيرة الزَّهراءعليها السلام، ط٣، دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ترجمة لجنة الهدى، ٢٠١٣.

١٣. عبد الله عبد المحسن التركيّ، حقوق الإنسان في الإسلام، ط١، المملكة العربيَّة السعوديَّة، ١٤١٩هـ.

١٤. عبد الواحد بامري، حبيب حاتمي كنكبود، دراسة في طريق الاقتداء بالسيرة الصحيحة للسيِّدة فاطمة الزَّهراءعليها السلام، بحث منشور، مجلَّة الكليَّة الإسلاميَّة الجامعة، العدد٦٠، الجزء١.

١٥. عصام عليّ الدبس، النظم السياسيَّة الحقوق والحريات العامَّة وضمانات حمايتها، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ٢٠١١.

١٦. فخر الدين الطريحيّ، مجمع البحرين، تحقيق أحمد الحسينيّ، مؤسَّسة التأريخ العربيّ للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط٢، ج٤، ٢٠٠٧.

١٧. لامية طالة، حريَّة التعبير عن الرأي قراءة في المفهوم وأهم التجلِّيات الإعلاميَّة والسياسيَّة، بحث منشور، مجلَّة قبس للدراسات الإنسانيَّة والاجتماعيَّة، المجلَّد٥٠، العدد١، ٢٠٢١.

١٨. ليث الحيدريّ، الارتداد وحقوق الإنسان، دار الغدير، النجف الأشرف.

١٩. ماجد الخاقانيّ، الشمس الساطعة في شرح خطبة فاطمة عليها السلام، ط١، مطبعة الثَّقلَين، النجف الأشرف، ٢٠١٧.

٢٠. المجمع العالميّ لاهل البيت عليهم السلام، أعلام الهداية فاطمة الزَّهراء عليها السلام سيِّدة النساء، ط١، الأميرة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٥.

٢١. محمَّد الصدر، نظرات إسلاميَّة في إعلان حقوق الإنسان، دار ومكتبة البصائر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلام، بيروت، ٢٠١٠.

٢٢. محمَّد باقر الصدر، فدك في التأريخ، ط١، دار الصدر (مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر قدس سره)، قم المقدَّسة، ١٤٢٩هـ.

٢٣. محمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصِّحاح، دار المعاجم، لبنان، ١٩٨٦.

٢٤. محمَّد بن أحمد بن صالح الصالح، حقوق الإنسان في القران والسنَّة، ط١، مكتبة الملك فهد الوطنيَّة، الرياض، ٢٠٠٢.

٢٥. محمَّد بن الفتَّال النيشابوريّ، روضة الواعظين، ج١، تحقيق محمَّد مهدي حسن الخرسان، منشورات الشريف الرضيّ، قم المقدَّسة.

٢٦. محمَّد جواد المحموديّ، خطبة سيِّدة النساء فاطمة الزَّهراء عليها السلام مصادرها وأسانيدها، ط١، مكتبة فخراوي، البحرين، ٢٠٠٨.

٢٧. محمَّد حسن الرمزيّ الطبسيّ، تفصيل الحقوق وشرح روائي عن رسالة الحقوق للإمام السجَّاد عليه السلام، شبكة كتب الشيعة، مشهد، ٢٠٠٦.

٢٨. محمَّد رضا المظفَّر، المنطق، ط١، ج١، دار التفسير، نينوا، إيران، ١٤٤٢هـ.

٢٩. محمَّد عليّ التسخيريّ، حقوق الإنسان بين الإعلانَين الإسلاميّ والعالميّ، رابطة الثقافة والعلاقات الإسلاميَّة، طهران، ١٩٩٧.

٣٠. محمَّد عمارة، الإسلام وحقوق الإنسان ضرورات لا حقوق، المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٥.

٣١. محمَّد محفوظ، حريَّة التعبير في التشريع الإسلاميّ المعاصر رؤية أوَّليَّة، لبنان، ١٤٣٠هـ.

# حياة السيِّدة الزهراء عليها السلام بعد النبيّ صلى الله عليه وآله في ضوء الخطبة الفدكيَّة

الباحثة زينب عليّ حسين الحسناويّ

## الملخَّص

تعرَّضت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بعد استشهاد النبيِّ الأكرم محمَّد صلى الله عليه وآله إلى كثيرٍ من الظلم والاضطهاد، جسَّدتها مولاتنا في مواقف عدَّة، لعلَّ من بين تلك المواقف وأبرزها خطبتها أمام أبي بكر وعمر بن الخطَّاب، عندما استنكرا عليها فدك، ومن خلال اطِّلاعنا على الخطبة، والتأمُّل في كلمات السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، يتجلَّى الغبار من التدليس في حياة مولاتنا من قِبَل بعض المؤرِّخين من وعَّاظ السلاطين آنذاك، فهنا تكمن مشكلة البحث، وهي: ما هي فدك؟ وهل النبيّ صلى الله عليه وآله وهبها لابنته الصدِّيقة الزَّهراء عليها السلام؟ وهل الخطبة الفدكيَّة هي حقًّا للزَّهراء عليها السلام؟ أم هي منسوبة إليها؟ وكيف تعرَّضت الزَّهراء عليها السلام للظلم بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وآله؟.

## المقدِّمة

الحمدُ لله الذي هدانا لهذا، وما كنَّا لنهتديَ لولا أن هَدانا الله.. نحمده ونشكره على ما أنعم علينا، وتفضَّل به إلينا، كما نسأله تعالى أن يرزقنا حُسن العاقبة، ويمنَّ علينا بالصحَّة والعافية.

**موضوع البحث**: بداية موضوعنا نتحدَّث عن حياة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بعد النبيّ صلى الله عليه وآله في ضوء الخطبة الفدكيَّة، وكيف أنَّ المطالبة بفدك وفكرة فدك الأساسيَّة هي الإشارة والإعلان عن غصب حقوق أهل البيت عليهم السلام على وجه العموم، وليس المطالبة بفدك فقط من أجل الأمور الماديَّة حتَّى ترتفع بردِّها إلى أهلها.

**أهميَّة البحث**: تندرج أهميَّة هذا الموضوع من خلال تسليط الضوء على جانبٍ مهمٍّ من حياة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام على لسانها، من خلال معرفة ما جرى عليها بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وآله، كما أوضحته في خطبتها الفدكيَّة، ومن هنا تأتي الأهمية كون الخطبة الفدكيَّة هي لسان حال الزَّهراء عليها السلام؛ لما قاسته من خـذلانٍ وجـورٍ من المتمسِّكين بالسلطة.

**إشكاليَّة البحث**: لقد كثر الجدل عن موضوع فدك وحقِّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام فيها، لدرجة وصل الأمر إلى تكذيب بعض المؤرِّخين خطبة الزَّهراء عليها السلام الفدكيَّة، الذين أنكروا وجودها، وهو نوع من أنواع التغطية على سلب حقِّ الزَّهراء عليها السلام، وهذه المشكلة دفعتني للغوص في أعماق المصادر، واستنباط الصحيح منها؛ لإثبات وجود فدك، وحقيقة الخطبة الفدكيَّة.

**منهجيَّة البحث**: اعتمدتُ على مجموعة من المناهج، لعلَّ من أبرزها المنهج التحليليّ والاستنباطيّ، الذي نقوم من خلاله بتحليل ما بين السطور، واستنباط الحكم على كلام المؤرِّخين للوصول إلى حقائق تزداد نسب صوابها إلى اليقين.

**خطَّة البحث**: قمتُ بتقسيم بحثي على مقدِّمة وثلاثة مباحث، جاء **المبحث الأوَّل**: (الخطبة الفدكيَّة دراسة تحليليَّة)، بثلاثة أقسام، القسم الأوَّل (مضمون الخطبة الفدكيَّة)، والقسم الثاني (إثبات الحقِّ من خلال الخطبة الفدكيَّة)، والقسم الثالث (ما هي فدك).

**أمَّا المبحث الثاني**: فقد كان (فضل الزَّهراء عليها السلام وأبيها صلى الله عليه وآله على الأمَّة)، وجاء بقسمَين، القسم الأوَّل (نسب الزَّهراء وفضلها وكراماتها)، والقسم الثاني (الخيانة والخذلان للرسول صلى الله عليه وآله، وتأثيره على الزَّهراء عليها السلام).

في حين كان **المبحث الثالث** والأخير (بلاغة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في الخطبة الفدكيَّة) بقسمَين أيضًا، القسم الأوَّل (بلاغة الكلمات وصياغة الجمل)، والقسم الثاني (استنباط الأحكام الشرعيَّة من خلال الاستدلال بالآيات القرآنيَّة).

وفي ختام هذه المقدِّمة اليسيرة، نسأل الله تعالى أن يكون عملنا هذا حسنة في ميزان أعمالنا، والحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله على محمَّد وآله الطيِّبين الطاهرين.

## المبحث الأوَّل

### الخطبة الفدكيَّة دراسة تحليليَّة

بعد اطِّلاعنا على الخطبة الفدكيَّة للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وجدنا عددًا من الرسائل المتضمِّنة في هذه الخطبة، والتي توحي للقارئ مدى مظلوميَّة آل البيت عليهم السلام. ولعلَّ أبرز تلك الرسائل، هي ما ابتدأت به الزَّهراء عليها السلام عندما ذكرت مظلوميَّة الإمام عليّ عليه السلام، وذلك في الأيَّام الماضية، قبل حادثة فدك، غصب حقِّ عليّ عليه السلام في الخلافة، فهذا تذكير لمظلوميَّة آل البيت عليهم السلام بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله، فهي كانت مبيِّنة أنَّ الظالمين لم يكتفوا بذلك الظلم، بل عادوا ليغتصبوا حقًّا آخر من حقوق آل البيت الأطهار عليهم السلام[1].

إنَّ المقصود بالحقِّ الآخر هو أرض فدك، تلك التركة التي أورثها الرسول صلى الله عليه وآله لابنته الزَّهراء عليها السلام، هذه الأرض التي تعدُّ هي الذكرى الوحيدة للسيِّدة الزَّهراء من ميراث أبيها الرسول صلى الله عليه وآله، وقد أنحلها هذه الأرض على حياته، وذلك عندما نزل قوله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾[2].

وبعد نزول هذه الآية، قام الرسول محمَّد صلى الله عليه وآله بدعوة ابنته الزَّهراء عليها السلام وأنحلها فدك قائلًا: «**بهذا قسم قسَّمه الله لك ولعقبك**»[3].

(١) أمُّ الحسَنَين، الزَّهراء عبق الرسالة وعبير محمَّد، إشراف: قاسم البغداديّ (د.مر، د.مط، ١٩٩٢م)، ط١: ١٦٠.
(٢) الإسراء، آية: ٢٦.
(٣) انظر: السيوطيّ، الدرُّ المنثور: ٥/ ٢٧٣، الآلوسيّ، روح المعاني: ١٥/ ٦٢، الذهبيّ، ميزان=

لكن ما حدث بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله هو نكرانٌ لحقِّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام التي لم تكتفِ بالردِّ الشفهيّ، بل أرادت إلقاء الحجَّة على المسلمين، وذلك عندما أصيبت بضلعها، ورقدت في فراش المرض، وهذا المرض قد أخذ ما أخذه من جسم الزَّهراء عليها السلام، لكنها، ومن جديد، تركت آلامها، وقامت من فراش المرض، تجفِّف دموع عينيها، وقد لاحت عليها معاني الوهن والحزن، فمدَّت بيديها المرتجفَتَين وتناولت خمارها، ولاثته على رأسها الشريف، واشتملت جلباها المطروح، ثمَّ أخذت بيدي شِبلَيها عليهما السلام، وأقبلت تشقُّ الأرض بخطواتها، في حين تطبع عليها آثارًا من التعب والمرض والحزن في روحها الطاهرة عليها السلام[1].

في حين لم تتوقَّف الزَّهراء عليها السلام في طريق الحقِّ، رغم ما أوجده الحاقدون على الإسلام من جميع الموانع والعقبات أمامها، بل قامت بفضح الجرائم المنكرة التي قام بها حكَّام المدينة من الظلم آنذاك، وأعلنت للمسلمين كفر الغاصِبين لحقِّ آل البيت عليهم السلام، وانحرافهم عن الإسلام، وكانت أوَّل خطوة لها هي الخطبة الفدكيَّة في المسجد النبويّ الشريف، ولكن هذه الخطوة لم تُثمر ثمارها في تلك المدَّة؛ للكيد الذي كادوه لها عليها السلام آنذاك، والإرهاب الذي أوجده عمر منذ اللحظات الأولى من اغتصاب فدك، والخلافة التي سُلبت من آل البيت عليهم السلام[2].

ومن الرسائل في الخطبة الفدكيَّة للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، أنَّه من الضروريّ فضح سياسة السلطات الجائرة ورجالاتها، وتربية الناس على ذلك، إذ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أفضل الجهاد كلمة حقٍّ عند سلطانٍ جائر**»[3].

---

=الاعتدال: ٢/ ٢٢٨.

(١) حسين شيخ الإسلاميّ التويسركانيّ، مسند فاطمة الزَّهراء، مطبعة دار القرآن الكريم، قم، ١٤١٢هـ: ٢٠.

(٢) محمَّد الريشهريّ، ميزان الحكمة: ٣/ ١٩٤٤، رواه النسائيّ بإسناد صحيح، كما قاله النوويّ رحمه الله.

(٣) محمَّد الحسينيّ الشيرازيّ، من فقه الزَّهراء خطبتها في المسجد، ط٢، ١٤٢٠هـ، إيران، أصفهان،=

ويجوز بالمعنى الأعم المطالبة بالحقِّ، فيشمل المستحبَّ والواجبَ، وأيضًا كلٌّ في مورده، ولو كان الحقُّ مادِّيًّا ودنيويًّا، ولا يخفى أنَّ فاطمة الزَّهراء عليها السلام كانت تهدف من مواقفها وخطبتها بالدرجة الأولى هدَفَين، هما من أهمِّ الجوانب، الجانب المادِّيّ، هو كشف القناع عن الحقيقة، وإثبات أنَّ الحقَّ في أمر الخلافة مع عليّ عليه السلام، عِبر الاستدلال والمطالبة بحقِّه، وهي من أهمِّ النتائج المعنويَّة والتاريخيَّة، عِبر فضح الغاصبين إلى يوم القيامة، ورسم السكوت عن الحقِّ، والتضحية بكلِّ غالٍ ونفيس في سبيل ذلك، وقد حقَّقت عليها السلام كِلَا الهدفَين[1].

والسؤال المطروح الآن هو: أين نحن من سيرة سيِّدة نساء العالمين عليها السلام التي نعتبرها المعيار والقدوة، لاسيما أنَّنا نطلب شفاعتها، ونؤكِّد أنَّنا من شيعتها، فهل نحن كذلك؟.

إنَّ الجواب يبدو واضحًا وجليًّا للغاية، وإنَّ بإمكاننا معرفته بواسطة مقارنة سلوكنا بأفعالها ومواقفها، والأمر ليس مستعصيًا في أن تتعرَّف كلُّ واحدةٍ منَّا فعل السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، حتى يقِسنَ أنفسهنَّ بها. إنَّ أبرز ما خلَّدته الزَّهراء عليها السلام من سُبل فاضلة مجاهدة، هو أنَّها لم تعش لنفسها أو تفكر في نفسها، كإنسانة لها غرائزها البشريَّة، ورغباتها الدنيويَّة، بل هي عليها السلام عاشت لنهج الإسلام الأصيل، دين أبيها محمَّد صلى الله عليه وآله، ومن نماذج هذه الحقيقة أنَّها حينما عادت من المسجد، بعد احتجاجها على مصادرة حقِّها، وجدت أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في البيت، وبعد أن تحاورت معه بهذا الخصوص، توصَّلت إلى نتيجة أن تحتسب لله تعويضًا عن حقِّها، دفاعًا عن استمراريَّة الدين الإسلاميّ، وهذا هو الإيثار في سلوك الزَّهراء عليها السلام.

وللتفصيل في هذا الموضوع، قمت بتقسيمه على ثلاثة أقسام:

---

=(بلا.مط): ١٥٨.

(١) شعبة التبليغ في قسم الشؤون الدينيَّة، شذرات من حياة فاطمة الزَّهراء، العتبة العلويَّة المقدَّسة، ط١، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م: ٦٥.

## القسم الأوَّل: ما فدك؟

إنَّ فدك قرية بخيبر، وفي معجم البلدان لياقوت الحمويّ، هي قرية بالحجاز، بينها وبين المدينة يومان، وقيل ثلاثة أيَّام، أفاءها الله على رسوله محمَّدﷺ، في سنة (٧هـ)، وذلك أنَّ النبيّﷺ لـمَّا نزل خيبر وفتح حصونها، ولم يبقَ إلَّا ثلث، واشتدَّ بهم الحصار، أرسلوا إلى رسول اللهﷺ يسألونه أن ينزلهم على الجلاء وفعل، وبلَّغ ذلك أهل فدك، فأرسلوا إلى رسول الله أن يصالحهم على النصف من ثمارها وأموالها، فأجابهم إلى ذلك، فهوَ ممَّا لم يؤجف عليها بخيل ولا ركاب، فكانت خالصة لرسول اللهﷺ.

وذكر ابن حجر في صواعقه، والسمهوري في تاريخ المدينة، أنَّ عمر قال: إنِّي أحدِّثكم عن هذا الأمر، إنَّ الله عزَّ وجلَّ خصَّ نبيَّهﷺ هذا الفيء، ولم يُعطِه أحدًا غيره، فقال: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[١].

فكانت هذه فدك خالصة لرسول اللهﷺ، وإنَّ أبا بكر انتزع من فاطمة فدك، وهذا التصريح بغاية الوضوح، في اغتصاب حقِّ بضعة رسول الله فاطمةعليها السلام[٢]، الذي قال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ «**ليغضب لغضب فاطمة، ويرضى لرضاها**»[٣].

وأنَّه عندما منحها إلى الصديقة الطاهرة فاطمةعليها السلام في السنة (٧هـ)، وبذلك تكون خارجة عن الإرث، وتصرَّفت بها الزَّهراءعليها السلام مدَّة ثلاث سنين كاملة، وكانت أدلَّة فاطمةعليها السلام في إثبات ملكيَّة فدك تتمثَّل بتسليط اليد، فَيَدُ فاطمةعليها السلام مسلَّطة على فدك

(١) الطباطبائيّ، تفسير الميزان: ١٩/ ٢٠٣، الحشر، الآية: ٦-٧، تفسير ابن كثير، تفسير الجلالَين، تفسير الطَّبريّ، تفسير القرطبيّ.

(٢) أسعد عبُّود: حيفة الزَّهراءعليها السلام، دار الإرشاد، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م/ ١٤٢٠هـ: ١٨٢-١٨٣.

(٣) الصدوق، الأمالي: ٤٦٧، المتَّقي الهنديّ، كنز العمَّال: ١٢/ ١١١، المجلسيّ، بحار الأنوار: ٢٣/ ٢٢.

منذ السنة (٧هـ)، أي منذ أن فتحها الرسول صلى الله عليه وآله بدون حرب، ونظريَّة سلطة اليد من الناحية الفقهيَّة والقانونيَّة تُثبت ملكيَّتها لفدك، وعامَّة المسلمين كانوا يعرفون بتسلُّط فاطمة عليها السلام عليها[١].

وحينما صالح أهلها اليهود رسول الله صلى الله عليه وآله بهذه الأرض، ليكفَّ عن قتالهم، وأنَّ الله سبحانه وتعالى وهبها إلى النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله، وأمره بأن يهب هذه الارض لبضعته الزَّهراء عليها السلام بقوله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾[٢].

ولم تكن فدك الهبة الوحيدة للرسول، بل كان صلى الله عليه وآله قد وهب أمثالها لبعض أصحابه، قبل فدك وبعدها، وذلك لأنَّهم علموا بأنَّ ما تعود به فدك، هي (أربعة وعشرون ألف دينار) سنويًّا، وسوف يستفيد منه عامَّة المسلمين، دون الأراضي الاخرى التي تنحصر عوائدها بعائلة أو بشخصٍ واحد، ولعلَّ ذلك يكون سببًا لميل القلوب مع عليّ عليه السلام وفاطمة عليها السلام اللذَين يتولَّيان هذا التقسيم العادل[٣].

## القسم الثاني: مضمون الخطبة الفدكيَّة

امتازت الخطبة الفدكيَّة بالفصاحة والبلاغة، وكانت على درجة عالية من التكثيف الدلاليّ، لذا تعدُّ من أرقى النصوص الفنيَّة، ولجأت الزَّهراء عليها السلام إلى التناص والتضمين، وسادت الخطبة النصوص القرآنيَّة، مثلًا حينما أخبرت أبا بكر، فقالت له: «**ترث أباك ولا أرث أبي، لقد جئت شيئًا فريًا**»[٤].

ومن أهم الجوانب أنَّنا نجد عنصر التساؤل من جانب، والتعقيب عليه من جانب

(١) نجاح الطائيّ، السقيفة إنقلاب أبيض، ط٢، دار الهدى لإحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
(٢) الروم، الآية: ٣٨.
(٣) حسين شيخ الإسلاميّ التويسركانيّ، مسند فاطمة الزَّهراء: ١/ ١٨-١٩.
(٤) محمَّد البستانيّ، أدب فاطمة الزَّهراء، دار الحسَنَين، قم: ٧١ (بلا.ت).

آخر. وهنا أقامت سيِّدة النساء الحجج البالغة على ميراثها من أبيها، والتي منها الآيات البيِّنات الدالَّة بعمومها على أنَّ توريث الأب للابن، إلَّا أن يكون الميت من ملَّة وورثته من ملَّة أخرى، كأن يكون الميت مسلمًا، وابنه غير مسلم، فإنَّه لا يرث أباه، فكيف الحال بسيِّدة النساء فاطمة الزَّهراءعليها السلام وأبيها محمَّدصلى الله عليه وآله ملَّة الاسلام؟ فلماذا تحجب ابنته الزَّهراءعليها السلام من ميراث أبيهاصلى الله عليه وآله، بعد هذا التفتت إلى أبي بكر فقالت له: خذ فدكًا وتصرَّف فيها، فهناك موعد عند الله، وهو الحاكم بين عباده[١].

إنَّ خطبة الزَّهراءعليها السلام التي ألقتها على مسامع الناس بعد وفاة أبيهاصلى الله عليه وآله وفي مسجده، تعتبر منشورًا متكاملًا، وميثاقًا مهمًّا للحقِّ والعدل والحريَّة عبر التاريخ، وقد ضمَّنت الزَّهراءعليها السلام خطبتها الحِكَم المثاليَّة، ابتداءً من حكمة الخلق، مرورًا بحكمة القيم الشرعيَّة، وانتهاءً بحكمة الوفود على الله تبارك وتعالى في يوم المحشر، فضلًا عن تبيانها لفلسفة الرسالة، ومقام الرسولصلى الله عليه وآله، والولاية لأهل البيتعليهم السلام، واتِّباع نهجهم المنبثق أساسًا عن القران الكريم لا غير[٢].

## القسم الثالث: أثبات الحقِّ من خلال الخطبة الفدكيَّة

ألزمت فاطمة الزَّهراءعليها السلام الخليفة الأوَّل الحجَّة البالغة بحقِّها الموروث من أبيها رسول اللهصلى الله عليه وآله في أرض فدك، إنَّ فدك هي التي أمر الله سبحانه وتعالى جبرائيلعليه السلام أن يخطَّها بجناحيه لنبيِّه محمَّدصلى الله عليه وآله، بعدما اشتكت له حبيبته فاطمة الزَّهراءعليها السلام من أنَّها بأمسِّ الحاجة إليها من بعده، فوهبها إلى ابنته الزَّهراءعليها السلام، والفرحة تعلو محيَّاها، وقد استبشرت، وفي أخيلتها صور الجياع والمحرومين واليتامى والمساكين، فهي تستطيع

(١) باقر شريف القريشيّ، موسوعة سيرة أهل البيت، ط٢، دار المعروف، مؤسَّسة الامام الحسنعليه السلام، النجف الأشرف: ٣٤٩.

(٢) محمَّد تقي المدرسي، فاطمة الزَّهراء قدوة الصدِّيقين، ط٤، دار البصائر، النجف الأشرف، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٥م: ٥٦.

أن تسدَّ ولو جزءًا بسيطًا من حاجياتهم، وتقوِّي شوكة المسلمين على الكفَّار، وهي سجيَّتها، ففاضت شفتا الرسول صلى الله عليه وآله بابتسامة عذبة، وهو يُشهِد أمّ أيمن وعليّ عليه السلام والحسَنَين عليهما السلام بأنَّهم قد شهدوا للزَّهراء عليها السلام في حقِّها من فدك، وبعد ارتحال النبيّ صلى الله عليه وآله أتت فاطمة عليها السلام بأمِّ أيمن ووصيِّ رسول الله عليّ عليه السلام بعدما رُدَّت شهادتهم، رغم الحجج الدامغة التي حاججته بها، من تأويل القرآن الكريم حينما قالت[1]: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾[2].

إنَّ إعطاء فدك لم تكن قضيَّة واقعة، بل هو حقٌّ مستمرٌّ إلى يوم القيامة، وإنَّ خصام الصدِّيقة عليها السلام مع أبي بكر في أمر فدك كان احتجاجًا بحقِّ ذوي القربى، وملكيَّة تفرقهم، فلم يكن خصامها منصبًّا على خصوص فدك، بل كان احتجاجًا بحقِّ ذوي القربى، وهي كانت مقدِّمة أو كناية للاحتجاج في ولاية عليّ عليه السلام، بل إنَّ الخصام كان في قضيَّة فدك بعينه، وفي ولاية أهل البيت عليهم السلام، بل إن كان ملكيَّتها عليها السلام لفدك هي بوجود متعدِّد من كونها نِحلة، وكونها أداءً لدين مهر خديجة، وكونها إرثًا، وكونها تحت يدها، وكونها مطهَّرة معصومة، ولا تقول إلَّا الصدق[3]، إذ إنَّ طهارتها التي وُصِفت في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[4].

إذ إنَّ الزَّهراء لم تخرج في جميع ذلك عن إطار الحجاج الدينيّ والمنطقيّ، فاستعملت فدكًا، والميراث، وسهام الخمس، وغيرها كحجج شرعيَّة لإدانة الخلافة، وتزييف مواقفها، فجرت بينها وبين أبي بكر ما هو معروف وثابت في كتب الحديث والتاريخ،

(١) أمُّ الحسَنَين، الزَّهراء عبق الرسالة وعبير محمَّد، إشراف: قاسم البغداديّ، ط١، (د.مر، د.مط)، ١٩٩٢: ١٦٧.

(٢) الروم، الآية: ٣٨.

(٣) محمَّد عليّ الحلو، مقامات فاطمة الزَّهراء، ط٢، دار النشر للطباعة والنشر، العراق، كربلاء، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م: ١٦٤.

(٤) الأحزاب، الآية: ٣٣.

ولم تفلح جميع تلك المحاولات، فقد أصرَّ أبو بكر على عدم تصديق الزَّهراءعليها السلام في دعواها، ولم يقف المسلمون إلى جانبها الموقف المناسب، فأدركت أنَّ المسيرة النبويَّة التي قادها أبوها النبيّ محمَّدصلى الله عليه وآله، وبذل من أجلها حياته واستقراره، ولاقى في سبيل ذلك العذاب والعنت والأذى ما لم يلقه نبيّ قط، وحينئذ قرَّرت أن تتَّخذ موقفًا غاضبًا، وهو آخر محاولة لإصلاح الأمور؛ لأنَّها كانت، كما لم يعلم كلُّ الصحابة، أنَّ الرسولصلى الله عليه وآله حين قال: «**إنَّ الله يرضى لرضا فاطمة، ويسخط لسخطها**»[1].

فهل يمكن لمسلم أن يُسخط ربَّ العالمين بإيذاء بنت رسول اللهصلى الله عليه وآله، وتحت مبرِّرات من قبيل خوف الفتنة، أو مصالح الأمَّة، ولأجل تأكيد هذه الحقيقة، أعلنتعليها السلام سخطها على السلطة الحاكمة المتمثِّلة بشخص الخليفة[2].

(١) العلَّامة المجلسيّ، بحار الأنوار: ٤٣/ ٢٢، المتَّقي الهنديّ، كنز العمَّال: ١٢/ ١١١، الطبريّ، المعجم الكبير: ١/ ١٠٨.

(٢) محمَّد رضا النعمانيّ، فاطمة والخلافة، ط١، نور وحي مطبعت شريعت، إيران، قم (بلا. ت): ١٨٥.

## المبحث الثاني

### فضل الزَّهراء عليها السلام وأبيها صلى الله عليه وآله

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1].

حدَّثنا القاضي أبو بكر محمَّد بن أحمد بن أبي الثلج، قال حدَّثنا عيسى بن مهران، قال حدَّثنا منذر السراج، قال حدَّثنا إسماعيل بن جيل: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: **إنَّ الله عزَّ وجلَّ خلقني وعليًّا وفاطمة والحسن والحسين قبل أن يخلق الدنيا بسبعة آلاف عام**. قلتُ: وأين كنتم يا رسول الله؟ قال: **أمام العرش نسبِّح لله عزَّ وجلَّ ونقدِّسه ونمجِّده. قلتُ: على أيِّ مثال؟ قال: أشباح نُورٍ حتَّى إذا أرادَ اللهُ عزَّ وجلَّ أن يخلقَ صُورَنا صيَّرَنا عمُودَ نُورٍ، ثمَّ قذفنا في صلب آدم، ثمَّ أخرجنا إلى أصلاب الآباء وأرحام الأمَّهات، فلا يصيبنا نجس الشرك، ولا سفاح الكفر يسعد بنا قومنا، ويشقى بنا الآخرون**[2].

(١) آل عمران، الآية: ٣٣-٣٧.

(٢) أبي جعفر محمَّد بن جرير بن رشم الطبريّ، نوادر المعجزات في مناقب الأئمَّة الهداة، سليمان زاده، قم، ياساز، ط١، ١٤٢٧هـ: ٩٧.

فقال سبحانه وتعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾[1].

عن أبي جعفر عليه السلام قال: لفاطمة عليها السلام وقفة على باب جهنم، فإذا كان يوم القيامة، كُتِب بين عينَي كلِّ رجل مؤمن أو مؤمنة، أو كافر أو كافرة، فيؤمَر بمحبٍّ قد كثُرت ذنوبه إلى النار، فتقرأ فاطمة بين عينيه محبًّا، فتقول: الهي وسيِّدي سمَّيتني فاطمة، وفطمت بي من تولَّاني وتولَّى ذريَّتي من النار، فقال سبحانه وتعالى: ووعدي الحقُّ وأنا لا أُخلف الميعاد، وإنَّما أمرت بعبدي هذا إلى النار؛ لتشفعي له فأُشفعك، وليتبيَّن لملائكتي وأنبيائي ورُسلي وأهل الموقف، موقفك منِّي، ومكانتك عندي، فمن قرأتِ بين عينيه مؤمنًا، فخذي بيديه وأدخليه الجنَّة[2].

قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[3].

فقد نالت هذه الأمَّة الفضيلة الخيريَّة من بين الأمم، لثلاثة أسباب، وهي:

١. الأمر بالمعروف.

٢. النهي عن المنكر.

٣. الإيمان بالله تعالى.

فإذا فقدت هذه الأمَّة كلَّ تلك الميزات، فإنَّها لا تستحقُّ تلك الفضيلة، ولاشكَّ أنَّ الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، من أهمِّ مكارم الأخلاق، وفي مقدِّمتها، بعد الإيمان بالله تعالى، وهما أمران لا يقدر على تنفيذهما إلَّا من رزقه الله إيمانًا قويًّا لا يزعزعه شيء، لذلك قدَّمناه على الإيمان، وما كان ذلك إلَّا لصعوبته وأهميَّته في

(١) البقرة، الآية: ٢٥٣.

(٢) محمَّد الحسينيّ الشيرازيّ، من كرامات الأولياء، دار العلوم، بيروت، لبنان، ط٣: ٩٦-٩٧.

(٣) آل عمران، الآية: ١١٠.

المجتمع المؤمن[1]. وللتفصيل في هذا الموضوع قسَّمناه إلى قسمَين:

## القسم الأوَّل: نسب الزَّهراء عليها السلام وفضلها وكرامتها

الزَّهراء عليها السلام هي بنت سيِّد العرب حَسَبًا ونَسَبًا، فهي بنت أعظم رجالات العرب، وخاتم الأنبياء والرُّسل محمَّد صلى الله عليه وآله، ومن نافلة القول في هذا المقام، والإشارة إليه، هي أنَّنا لم نقف في هذا الكتاب فقط، بل بالإجماع إلى كلِّ هذا البُعد الفقهيّ، مع شيء موجَز من الشَّرح والتوضيح، وإلَّا فهي (صلوات الله عليها) أعلى وأجلّ من أن أتمكَّن أنا الفقيرة العاجزة، عن ذِكر بعض ما يليق بمن دارت على معرفتها القرون الأولى، كما دلَّ على ذلك قوله تعالى في حديث الكساء (فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها)، فإنَّ مكانتها وعظمتها (صلوات الله عليها) أعظم من كلِّ هذا، إذ لا يمكن أن يستوعبها أي واحدٍ من المخلوقات إلَّا النبيّ صلى الله عليه وآله والوحي جبرائيل عليه السلام[2].

وقد سُئِل أبو عبدالله عليه السلام عن فاطمة، لم سمِّيت الزَّهراء؟ فقال: **لأنَّها كانت إذا قامت في محرابها زهر نورها لأهل السماء، كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض.**

فإنَّ فاطمة عليها السلام لها فضائلها وكراماتها، ولها مكانة سامية في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[3]، أن جعل الله تعالى أجر الرسالة مودَّة أهل البيت، ومنهم فاطمة عليها السلام، إذ إنَّ الآية نزلت في قربى الرسول، وهم: (عليّ وفاطمة والحسن والحسين)[4].

(١) عبد الله عبد الرحيم عبدالله العبادي، فضائل الأمَّة الإسلاميَّة في الدنيا والآخرة، دار البشائر الإسلاميَّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م: ١١.

(٢) محمَّد الحسيني الشيرازيّ، من فقه الزَّهراء عليها السلام، ج١، حديث الكساء، الحسينيَّة الكربلائيَّة في أصفهان، ط٣، ١٤٢٠هـ: ١٠.

(٣) الشورى، الآية: ٢٣.

(٤) ينظر: أعلام الحديث والتفسير، الحاكم الحسكانيّ الحنفيّ في شواهد التنزيل: ٢/ ١٣٠، والحاكم النيسابوريّ في المستدرك.

فقد كانت في رواية عن ميمونة، قالت: بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله بقمحٍ إلى فاطمة لتطحنه، ثمَّ ردَّني إليها فوجدتها قائمة والرحى تدور، فأخبرت النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: **إنَّ الله سبحانه وتعالى علم ضعف فاطمة، فأوحى إلى الرحى أن تدور فدارت**. وروي أنَّها عليها السلام عندما اشتغلت بصلاتها وعبادتها فبكى ولدها فرؤي المهد يتحرَّك، وكان الملك يحرِّكه[١].

وكانت من أهمِّ سمات سيرة سيِّدة النساء فاطمة الزَّهراء عليها السلام الروحانيَّة والاجتماعيَّة البارزة هي الكرم، والفكر المتعالي، وإغاثة الجياع، ودعم المحرومين والمساكين، فتلك السيِّدة الكريمة هي فاطمة الزَّهراء عليها السلام ابنة كريم الكرماء محمَّد صلى الله عليه وآله، فهي كانت من شلَّال النعمة والسخاء في كلٍّ من القيم العلميَّة والثقافيَّة والاجتماعيَّة والروحانيَّة، كما أنَّها عليها السلام كانت توصل الرزق للمحتاجين إليه، وتساعدهم للتغلُّب على الصعوبات الاقتصاديَّة، حيث كانت عليها السلام من ضمن كراماتها في ليلة زواجها من عليّ عليه السلام، حينما أمر النبيّ أن يصنعوا لها قميصًا جديدًا لترتديه في ليلة زفافها؛ لكي تذهب إلى منزل عليّ عليه السلام، وكان لها قميص مرقَّع، فإذا بخلقٍ على باب النبيّ صلى الله عليه وآله سائلة تقول: أطلب من بيت النبوَّة قميصًا خلقًا، فارادت عليها السلام أن تدفع إليها القميص المرقوع، فتذكرت قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[٢]، فأخرجت قميص عرسها، فوضعته في قطعة من القماش، بعيدًا عن عيون الآخرين، ووهبته إيَّاها كهدية لها، وارتدت عليها السلام الفستان الذي كانت ترتديه قبل الزفاف، فنزل جبرائيل قال: يا محمَّد إنَّ الله يقرئك السلام وأمرني أن أُسلِّم على فاطمة، وقد أرسل معي هديَّة ثياب الجنَّة من السندس الأخضر[٣].

(١) أحمد الرحمانيّ الهمدانيّ، فاطمة الزَّهراء عليها السلام مهجة قلب المصطفى، ط٢، مطبعت افست مهارت: ٩٩.

(٢) آل عمران، الآية: ٩٢.

(٣) عبد الواحد بامري، دراسة في طريق الاقتداء بالتركيز على التأسِّي بالسيرة الصحيحة للسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام.

ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾[1].

## القسم الثاني: الخيانة والخذلان للرسول صلى الله عليه وآله وتأثيره في الزَّهراء عليها السلام

ما يُعاب على المتخاذلين أنَّهم طعنوا رسول الله صلى الله عليه وآله في آل بيته الاطهار عليهم السلام من بعد رحيله عن هذه الدنيا الفانية، وبعد شهادة النبيّ صلى الله عليه وآله مباشرةً، واجتماع الأنصار في سقيفة بني ساعدة، ولحاق المهاجرين بهم، والنبيّ صلى الله عليه وآله بعده لم يُدفن، إذ تمَّ اختيار أبي بكر خليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله، وفق آليَّة شرحها المؤرِّخون، ثمَّ جرت من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وهي باستبعاد أهل البيت عليهم السلام عن حقِّهم الذي سُلِب قسرًا، وبالذات حقِّ فاطمة عليها السلام الذي سلبه أبو بكر، وذلك خيانة لرسول الله الذي سُلب من ابنته الزَّهراء عليها السلام[2]. وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[3].

استشهد الرسول صلى الله عليه وآله وخلَّف وراءه الألم والحسرة والحرمان، وترك أهل بيته بمخاضٍ صعبٍ مع كلٍّ من الأحداث المؤلمة، فمن جهة خسروا برحيله أصلب وأرسى دعامة كانت تقيم وتثبت لهم بها، لمكانته الاجتماعيَّة بكلِّ أبعادها ومميِّزاتها بأكمل صورة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أثار رحيله عنهم الثائرة والحقد والحسد والبغض عليهم من كلِّ حدبٍ وصوب من قبيل الأعداء، بل لم يكتفوا بكلِّ ذلك من مؤامرات، ومصادرة حقوق، وخيانة للرسول صلى الله عليه وآله، ولم يكتفوا بها خلَّفته هذه الأحداث من لوعة وشجن في قلوب أصحاب الحقِّ المضيَّع[4].

(١) تفسير الطبريّ، تفسير فخر الدين الرازي: ٦٠٦هـ، الإنسان، الآية: ١١-١٢.
(٢) عليّ عبد المحسن البغداديّ، دور السيِّدة الزَّهراء في الحراك السياسيّ بعد استشهاد الرسول الأعظم: ٢١.
(٣) الأنفال، الآية: ٢٧.
(٤) عبد العبَّاس مصطفى الأسديّ الكربلائيّ، ملحمة الزَّهراء، ط١، ١٤٢٠هـ.

وهو الحقُّ الذي سطرته السماء لهم، باعتبارهم ورثة النبيّ صلى الله عليه وآله، وأوصياء الأمر من بعده، واهتضام حقوقهم، سواء كانت نحلة أو إرثًا أو فيئًا أو خُمسًا، هذا والجرح لـمَّا يندمل، والنبيّ صلى الله عليه وآله لـمَّا يجفُ تراب رمسه الشريف المطهَّر، في حين لم تنته تلك المؤامرة، بل عادوا بقتل الحسن والحسين عليهما السلام سيِّدَي شباب أهل الجنَّة، وقتل أولادهم، وسبي ذريَّتهم، ولقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بحصول كلِّ هذا من بعده، فقال صلى الله عليه وآله[1]: «**إنَّ أهل بيتي سيلقَون من بعدي من أمَّتي قتلًا وتشريدًا**»[2]، وقال صلى الله عليه وآله: «**إنَّكم المقهورون والمستضعفون من بعدي**»[3].

(١) عليّ موسى الكعبيّ، سيِّدة النساء فاطمة الزَّهراء، ط١، ١٤٢٠هـ، مطبعة ستاره، قم، إيران: ١٣٥.

(٢) للمزيد انظر: الموسوعة الشاملة، المستدرك على الصَّحيحَين، السيِّد ابن طاووس: ١/ ٨٠، الملاحم والفتن.

(٣) علّي بن يونس العامليّ، الصراط المستقيم من بعدي: ٣/ ٥٩.

## المبحث الثالث

# بلاغة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في الخطبة الفدكيَّة

من عبق تلك الروح الهاشميَّة، يلوح لنا أن نشمَّ أريج الحكمة الفوَّاح المودع في خطاب ربيبة النبوَّة، الذي كانت قد ارتجلته بين أروقة مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، وقبل أن نطوف في رحاب هذا البيان العظيم، لا بدَّ من الوقوف على ضفاف البلاغة الفاطميَّة، فقد اختارت عليها السلام الموقع الموآتي لإلقاء خطابها، وهو فناء مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، فهو ملتقى المسلمين في كلِّ يوم، وإنَّ التاريخ ينقل لنا أنَّ المسجد في ذلك العهد قد كان غاصًّا بالمسلمين الذين كانوا على اتِّصال وثيق مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان المسجد محطَّ الحوادث الجديدة التي تطرأ على الساحة آنذاك، وقبل أن تشرع الزَّهراء عليها السلام بخطابها، أجهشت بالبكاء، وأبكت مَن كان في المسجد، وذلك إذ يعبِّر عن شيء، إنَّما يدلُّ على التسلُّط التامِّ على أحاسيس الجمهور، فضلًا عن البوح عن عظم مظلوميَّتها أمام الملأ العام، إذ قد لا يستوعب بعض لغة البيان والبلاغة والمجادلة بالتي هي أحسن، فتكون هذه الدموع ترجمة صادقة عن مظلوميَّتها عليها السلام[1].

نحن بصدد الكلام عن الزَّهراء عليها السلام وحقها في فدك، فنرى لزامًا علينا ذكر تلك الخطبة العصماء البليغة، ليلمس القارئ من خلالها مدى علمها، وإيمانها، وبلاغتها عليها السلام، وتفقُّهها، وقد كان الردُّ من خلالها على من يدَّعي أنَّ الإسلام انتقض من مكانة المرأة في

(١) جاسم الأديب، يسألونك عن الزَّهراء، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، قم المقدَّسة، لجنة أصحاب الكساء: ٢٤٩.

مجتمعه، فهذه السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام سيِّدة نساء العالمين، فهي تقف أمام جمهرة من المسلمين، تخطب وتناقش وتدافع عن حقوقها[١].

فقالت عليها السلام: «**نحن وسيلته في خلقه، ونحن خاصَّته ومحلَّ قُدسه، ونحن حجَّته في غيبه، ونحن ورثة أنبيائه**»[٢].

قال أبو بكر: وحدَّثني أحمد بن محمَّد بن زيد عن عبدالله بن محمَّد بن سليمان عن أبيه عن عبد الله بن الحسن، قالوا جميعًا أنَّه لـمَّا بلغ فاطمة الزَّهراء عليها السلام إجماع أبي بكر على منعها فدكًا، لاثت خمارها، وأقبلت في لـمَّة من نساء قومها، تطأ ذيولها ما تخرم مشيتها من مشية رسول الله صلى الله عليه وآله حتَّى دخلت على أبي بكر، وقد حشد الناس من المهاجرين والأنصار، فضربت بينها وبينهم ربطة بيضاء، ثمَّ أنَّت أنَّةً أجهش القوم بالبكاء، ثمَّ أمهلت طويلًا حتَّى سكتوا من فورهم، ثمَّ قالت عليها السلام **أبتدي بالحمد مَن هو أولى بالحمد والطول والمجد، والحمد لله على ما أنعم، وله الشكر بما ألهم**.. وذكرت عليها السلام خطبة طويلة جدًّا[٣].

وقالت عليها السلام: **إنِّي أُشهد الله وملائكته أنَّكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبيّ لأشكونَّكما إليه**...[٤].

ثمَّ قالت عليها السلام في آخرها: **فاتَّقو الله حقَّ تُقاته وأطيعوه فيما أمركم به**... إلى اخر الخطبة الشريفة[٥].

(١) محمود محمود عليّ، الإمام عليّ جدل الحقيقة والمسلمين، دار المنار، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م/ ١٤٢٠هـ: ٩٦.

(٢) للمزيد ينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ١٦/ ٢١١.

(٣) حسين شيخ السلاميّ، مسند فاطمة الزَّهراء، ط١، مكتب الإعلام الإسلاميّ، قم، مركز انتشارات دفتر تبليغات اسلامي، بلا.ت: ١٣٥.

(٤) ينظر: صحيح مسلم: ٢/ ٧٢، صحيح البخاريّ: ٥/ ٥.

(٥) الطباطبائيّ، تفسير الميزان: ١٩/ ٢٠٨، الطوسيّ، التبيان: ١٠/ ٢٦، تفسير القرطبيّ: ٦٧١.

## القسم الأوَّل: بلاغة الكلمات وصياغة الجمل

إنَّ فكرة هذا المبحث، هي إبراز جانب من جوانب بلاغة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وصياغتها للجمل، وعلمها وقدرتها البليغة على جعل الكلمات ناطقة بلسان حالتها، ومعبِّرة بظلالها عن قدرة عالية في استثارة النفوس والأرواح، وإخراجها من غفلتها وسهوتها، فكانت الأساليب التي وظَّفتها الزَّهراء عليها السلام لتلك الغاية متنوِّعة بإيحاءٍ دلاليٍّ يظهر فيه تنوُّع البنى والتراكيب التي تألَّف منها كلامها عليها السلام، ولا عجب أنَّ بلاغتها وثقافتها كانت موهبة فطريَّة، إذ كانت عليها السلام تنمُّ بقوَّة شخصيَّتها وأسلوبها الذي بان وتجلَّى في رصفها للألفاظ والتراكيب ذات الإيحاء المعبِّر عن الطاقات والدلالات الكامنة[1].

وخطبة الزَّهراء عليها السلام الغرَّاء ظاهرة بلاغيَّة تُغني عن الإطراء، فهي تفرغ عن فصاحة أبيها محمَّد صلى الله عليه وآله في البيان، وتفصح عن لغة بعلها عليّ عليه السلام في الأداء، وحسبها الشاهد القرآنيّ في كلِّ مقطع من مقاطعها؛ ترصينًا للجملة والحجَّة، واستيعابًا للبرهان، والآيات القرآنيَّة المترادفة في سياق الآيات للخطبة، وهي تتراصف نسقًا وتتوائم انسجامًا حتَّى طبَّقت المفصل وحقَّقت الهدف، والتنقُّل من الخطاب للغيبة ومن الغيبة للمتكلِّم، وبالعكس، مع صحَّة التعبير، ودقَّة الارادة، ووضع النقاط على الحروف، ولستُ سادرًا في استقصاء آراء القدامى والمحدثين من كلِّ الكتب وأرباب الصناعة في قوَّة أسرها وبلاغة كلامها وأسلوبها وأصالة محتوياتها وانتقائها للجمل وبلاغتها، يثبت صحَّة ما نقول[2].

قال أبو الفضل ذكرت لأبي الحسن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنَّ كلام فاطمة عليها السلام عندما منعها أبو بكر فدكًا، وقالت له إنَّ هؤلاء يزعمون أنَّه مصنوع،

(١) جنان محمَّد مهدي، الإيحاء والتصوير في خطبة السيِّدة فاطمة الزَّهراء: ٨.
(٢) محمَّد حسين عليّ الصغير، الزَّهراء من الوجه الآخر، ط١، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، العتبة العلويَّة المقدَّسة، قسم الشؤون الفكريَّة، لبنان، بيروت: ١١٧.

وأنَّه من كلام (أبي العيناء)[١].

في حين إن كلام الزَّهراء عليها السلام هذه الحكاية ورواه مشايخ الشيعة وتدارسوه بينهم، قبل أن يولد جدّ أبي العيناء، وذكر هذا من كلام فاطمة عليها السلام، فهم ينكرونه، ويروون من كلام عائشة ما هو أعجب من كلام فاطمة عليها السلام يتحقَّقونه: لولا عداوتهم لنا أهل البيت، ثمَّ ذكرت الحديث وبلاغتها عليها السلام[٢].

وقالت عليها السلام: **أما والله لو تركوا الحقَّ عن أهله واتَّبعوا عترة نبيِّه لما اختلف بعد خلف حتَّى يقوم قائمنا التاسع من ولد الحسين عليه السلام...**[٣].

وقالت عليها السلام: **لا تصلِّي عليَّ أمَّة نقضت عهد الله وعهد أبي رسول الله صلى الله عليه وآله في أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، وظلموا لي حقِّي، وأخذوا إرثي، وخرقوا صحيفتي التي كتبها لي أبي بملك فدك**[٤].

## القسم الثاني: استنباط الأحكام الشرعيَّة من خلال الاستدلال بالآيات القرآنيَّة

لقد استخدمت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام القرآن الكريم في عدد من مواطن خطبتها، ووظَّفت الآيات القرآنيَّة توظيفًا بلاغيًّا وفقهيًّا وعقائديًّا، وسوف نقوم بتقسيم تلك التوظيفات على موضوعات الخطبة[٥].

(١) أبي العيناء، هو عبدالله محمَّد بن القاسم بن خلَّاد بن ياسر بن سليمان اليماميّ الهاشميّ (١٩١هـ/ ٧١٩م-٢٨٣هـ/ ٨١١م)، ولقِّب بأبي العيناء شاعر من العصر العبَّاسيّ الأوَّل، عُرِف بالفصاحة والظرافة، وتروى عنه نوادر كثيرة.

(٢) أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر ابن طيفور، بلاغات النساء، صحَّحه وشرحه أحمد الألفي، مطبعة مدرسة والدة عبَّاس الأوَّل، القاهرة، ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م: ١٢.

(٣) العلَّامة المجلسيّ، بحار الأنوار: ٣٦/ ٢٢٤.

(٤) بيت الأحزان: ١١٣، كشف الغمَّة: ٢/ ٤٩٤.

(٥) عبد العبَّاس مصطفى الأسديّ الكربلائيّ، ملحمة الزَّهراء، ط١، ١٤٢٠هـ، المطبعة العلميَّة، قم المقدَّسة.

عندما أرادت أن تحذِّرهم من إطاعة الشيطان وسوء العاقبة، قالت في خطبتها: ... **فألفاكم غضابا فوسمتم غير إبلكم ووردتم غير شربكم هذا والعهد قريب والكلم رحيب والجرح لمَّا يندمل إنَّما زعمتم ذلك خوف الفتنة ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾**[1]، **فهيهات! وأنى بكم وأنى تؤفكون وكتاب الله بين أظهركم**[2].

وعندما دعت الحاضرين للتفكير بالقرآن والرجوع إليه، قالت: **أُموره ظاهرة، وأحكامه زاهرة، وأعلامه باهرة، وزواجره لائحة، وأوامره واضحة، قد خلفتموه وراء ظهوركم، أرغبة عنه تريدون، أم بغيره تحكمون، بئس للظالمين بدلا..**[3]، **﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾**[4]، **ثمَّ لم تلبثوا إلاَّ ريث أن تسكن نفرتها، ويسلس قيادها..**[5].

وعندما أرادت إثبات ميراثها من القرآن الكريم، حاججت أبا بكر في كتاب الله، قالت: يا ابن أبي قحافة! أفي كتاب الله أن ترث أباك، ولا أرث أبي؟ لقد جئت شيئًا فريا، أفعلى عمدٍ تركتم كتاب الله، ونبذتموه وراء ظهوركم، إذ يقول[6]: **﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾**[7]، وقال فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا إذ قال: **﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾**[8].

---

(١) التوبة، الآية: ٤٩.
(٢) ينظر: عبَّاس القمِّيّ، بيت الأحزان: ١٤٤.
(٣) ينظر: محمَّد بيُّومي، السيِّدة فاطمة الزَّهراء: ١٤٣.
(٤) آل عمران، الآية: ٨٥.
(٥) العلَّامة المجلسيّ، بحار الأنوار: ٢٩/ ٢٧٦.
(٦) العلَّامة المجلسيّ، بحار الأنوار: ٢٩/ ٢٢٦.
(٧) النمل، الآية: ١٦.
(٨) مريم، الآية: ٥-٦.

وقالت: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾[١].

وقالت: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾[٢].

وقالت عليها السلام: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾[٣].

**وزعمتم أن لا حظوة لي ولا إرث من أبي، أفخصَّكم الله بآية أخرج أبي منها، أم تقولون إنَّ أهل ملَّتين لا يتوارثان...**[٤].

وعندما ذكَّرتهم بأنَّهم يخونون الرسول صلى الله عليه وآله بعترته مستخدمة الآية القرآنيَّة قائلة: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[٥].

﴿إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[٦]، **ألا وقد قلت ما قلت هذا على معرفة منّي بالخذلة (بالجذلة) التي خامرتكم، والغدرة التي استشعرتها قلوبكم**[٧].

**ولكنَّها فيضة النفس ونفثة الغيظ، وخور القناة، وبثَّة الصدر، وتقدمة الحجَّة، فدونكموها فاحتقبوها دبرة الظهر، نقبة الخف، باقية العار، موسومة بغضب الجبَّار وشنار الأبد، موصولة بنار الله الموقدة التي تطلَّع على الأفئدة، فبعين الله ما تفعلون**[٨]،

(١) الانفال، الآية: ٧٥.
(٢) النساء، الآية: ١١.
(٣) البقرة، الآية: ١٨٠.
(٤) ينظر: عبَّاس القمِّيّ، بيت الأحزان: ١٤٥.
(٥) آل عمران، الآية: ١٤٤.
(٦) إبراهيم، الآية: ٨.
(٧) محمَّد بيُّومي، السيِّدة فاطمة الزَّهراء: ١٤٣، ابن أبي الفتح الأربلِّيّ، كشف الغمَّة: ٢/ ١١٤.
(٨) الطبرسيّ، الاحتجاج: ١/ ١٤٤.

﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[1].

وختمت خطبتها بالقاء الحجَّة من خلال بيان عواقب الأعمال السيِّئة وجزائها عند الله، وقالت: **فأخذ بسمعكم وأبصاركم، ولبئس ما تأوَّلتم، وساء ما به أشرتم، وشرّ ما منه اغتصبتم! لتجدنَّ والله محمله ثقيلًا، وغبّه وبيلا[2]، إذا كشف لكم الغطاء، وبان ما وراءه (من البأساء) والضراء، وبدا لكم من ربِّكم ما لم تكونوا تحتسبون، وخسر هنالك المبطلون[3].**

والحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين محمَّد وآله الطيِّبين الطاهرين.

## الخاتمة

### الاستنتاجات:

جاء فيما تقدَّم من خلال استنطاق خطبة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام المعروفة بالخطبة الفدكيَّة، مدى المظلوميَّة التي تعرَّضت لها السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بصورة خاصَّة، والإسلام بصورة عامَّة، فأولئك الذين بخسوا حقَّ آل البيت، لم يكتفوا بالظلم المادِّيّ، وإنَّما تعدَّوا ليصلوا إلى الظلم المعنويّ من خلال الإساءة للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، واتِّهامها بالكذب، بناءً على رواية لإحدى زوجات النبيّ صلى الله عليه وآله، بأنَّ النبيّ قال: (نَحن آل البيت لا نورِّث).

فتأسَّس ذلك العُرف على باطل، أساء للإسلام بصورة عامَّة، وآل البيت بصورة خاصَّة، هذا ما أوضحته السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في بناء خطبتها من خلال المقارنة العلميَّة

(١) تفسير ابن كثير، الشعراء، الآية: ٢٢٧.
(٢) العلَّامة المجلسيّ، بحار الأنوار: ٢٩/ ٣٠٥، الطبرسيّ، الاحتجاج: ١/ ١٤٤.
(٣) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب: ٢/ ٥٠، عبَّاس القمِّيّ، بيت الأحزان: ١٤٩.

بين الماضي والحاضر، وبيان أنَّ من يحكم قد ابتعد عن مضامين القرآن الكريم التي تشمل جميع الأحكام والتشريعات الإسلاميَّة.

**التوصيات:**

إنَّ هذه الوريقات البسيطة ما هي إلَّا غيث من فيض هذا الموضوع الواسع، فهناك معالجات علميَّة أوحى بها الباحثون والمهتمِّون بالشأن التاريخيّ الإسلاميّ والفكر العقائديّ، بدراسة هذا الموضوع وتحليله، من خلال المقارنة بين المرويَّات التاريخيَّة، والتفسيرات الفقهيَّة المعتمدة على التشريع الإسلاميّ لإثبات مَن كان على حقٍّ، ومن افترى، ولا شكَّ أنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام قد اغتصب حقَّها أولئك الدنيويِّون.

نوصي بأقامة أكثر من مؤتمر ومهرجان للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، ومن خلال المؤتمر نقوم بعرض خطبتها العصماء خطبة فدك ومظلوميَّتها عليها السلام.

والله ولي التوفيق، والحمد لله ربِّ العالمين.

## قائمة المصادر


* **القرآن الكريم.**

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة.

٢. ابن أبي الفتح الأربـلِّيّ، كشف الغمَّة ج٢، محمَّد بيُّومي، السيِّدة فاطمة الزَّهراء.

٣. أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر ابن طيفور، بلاغات النساء، صحَّحه وشرحه أحمد الألفي، مطبعة مدرسة والـدة عبَّاس الأوَّل، القاهرة، ١٣٢٦هـ/

١٩٠٨م.

٤. أبو جعفر محمَّد بن جرير بن رستم الطبريّ، نوادر المعجزات في مناقب الأئمَّة الهداة، ط١، دار العلوم، بيروت، لبنان، ١٤٢٧هـ.

٥. أحمد الرحمانيّ الهمدانيّ، فاطمة الزَّهراء مهجة قلب المصطفى، ط٢، مطبعت أفست مهارت، إيران، قم (بلا.ت).

٦. أسعد عبُّود، صحيفة الزَّهراء، دار الإرشاد، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م، ١٤٢٠هـ.

٧. أعلام الحديث والتفسير، الحاكم الحسكانيّ الحنفيّ في شواهد التنزيل، ج٢.

٨. الآلوسيّ، روح المعاني، ج١٥.

٩. أم الحسنين، الزَّهراء عبق الرسالة وعبير محمَّد، إشراف قاسم البغداديّ ط١، ١٩٩٢ (بلا.مر، بلا.مط).

١٠. باقر شريف القريشيّ، موسوعة سيرة أهل البيت، ج٩، مطبعة ستار، دار المعروف، مؤسَّسة الإمام الصادق (بلا.مر، بلا. ت)

١١. تفسير ابن كثير، تفسير الجلالين.

١٢. تفسير الجلالين.

١٣. تفسير الطبري.

١٤. تفسير فخر الدين الرازي.

١٥. جاسم الأديب، يسألونك عن الزَّهراء، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، مطبعة أمير، قم المقدَّسة، الناشر: لجنة أصحاب الكساء.

١٦. جنان محمَّد مهدي، الإيحاء والتصوير في خطبة السيِّدة الزَّهراء، دراسة في البنى الأسلوبيَّة (بلا.مر، بلا.مط، بلا.ت).

١٧. حسين شيخ الإسلاميّ التويسركانيّ، مسند فاطمة الزَّهراء، ج١، دار القرآن الكريم، قم، ١٤١٢هـ.

١٨. حسين شيخ الإسلاميّ، مسند فاطمة الزَّهراء، ط١، مطبعة مكتب الإسلام، قم، مركز انتشارات دفتر تبليغ إسلامي، إيران.

١٩. الذهبي، ميزان الاعتدال، ج١.

٢٠. السيوطيّ، الدر المنثور، ج٥.

٢١. شعبة التبليغ في قسم الشؤون الدينيَّة، شذرات من حياة فاطمة الزَّهراء، الناشر: العتبة العلويَّة المقدَّسة، ط١، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.

٢٢. الطباطبائيّ، تفسير الميزان ج١٩.

٢٣. الطبرسيّ، الاحتجاج، ج١.

٢٤. الطبريّ، المعجم الكبير ج١.

٢٥. عبَّاس القمِّيّ، بيت الاحزان.

٢٦. عبد العبَّاس مصطفى الأسديّ الكربلائيّ، ملحمة الزَّهراء، ط١،قم المقدسة، (بلا.مط)، ١٤٢٠هـ.

٢٧. عبد الواحد بامري، دراسة في طريق الاقتداء بالتركيز على التأسي بالسيرة الصحيحة للسيِّدة فاطمة الزَّهراء، أستاذ مساعد في قسم المعارف الإسلاميَّة، جامعة ولاية إيرانشهر، إيران، (بلا.مر، بلا.مط، بلا.ت).

٢٨. عبد الله الرحيم عبد الله العباديّ، فضائل الأمَّة الإسلاميَّة في الدنيا والآخرة، ط١، دار البشائر الإسلاميَّة، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٢٩. عليّ عبد المحسن البغدادي، دور السيِّدة الزَّهراء في الحراك السياسيّ بعد استشهاد الرسول الأعظم (بلا.مر، بلا.مط، بلا.ت).

٣٠. عليّ موسى الكعبيّ، سيِّدة النساء فاطمة الزَّهراء، ط١، مركز الرسالة، المطبعة العلميَّة، قم المقدَّسة، ١٤٢٠.

٣١. المتلقي الهندي، كنز العمَّال، ج١٢.

٣٢. محمَّد البستانيّ، آداب فاطمة الزَّهراء، دار الحسنين، قم.

٣٣. محمَّد الحسيني الشيرازيّ، من كرامات الاولياء، دار العلوم، بيروت، لبنان.

٣٤. محمَّد الحسيني الشيرازيّ، من فقه الزَّهراء، خطبتها في المسجد، ط٢، ايران، الحسينيَّة الكربلائية، أصفهان، ١٤٢٠هـ.

٣٥. محمَّد بيُّومي، السيِّدة فاطمة الزَّهراء.

٣٦. محمَّد تقي المدرِّسي، فاطمة الزَّهراء قدوة الصدِّيقين، ط٤، دار البصائر للثقافة والنشر، النجف الأشرف، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٥م.

٣٧. محمَّد حسين عليّ الصغير، الزَّهراء من الوجه الآخر، ط١، نشر العتبة العلويَّة المقدَّسة، قسم الشؤون الفكريَّة والثقافيَّة، لبنان، بيروت، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

٣٨. محمَّد رضا النعمانيّ، فاطمة والخلافة، ط١، الناشر نوروحي، مطبعة شريعت، مكتبة الإمام الصادق، إيران، قم، ياساز.

٣٩. محمَّد عليّ الحلو، مقامات فاطمة الزَّهراء، ط٢، دار الصادق للطباعة والنشر، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٤٠. محمود محمَّد عليّ، الإمام عليّ جدل الحقيقة والمسلمين، مطبعة دار المنار،

بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م/ ١٤٢٠هـ.

٤١. الموسوعة الشاملة، المستدرك على الصحيحين، السيِّد ابن طاووس، ج١، الملاحم والفتن.

٤٢. نجاح الطائي، السقيفة إنقلاب أبيض، ط٢، دار الهدى لإحياء التراث، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

# سيرة الزَّهراء عليها السلام ومكانتها بين وجود أبيها صلى الله عليه وآله وفقده

الباحثة سناء حسين عليّ الكنانيّ

## ملخَّص البحث

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين، سيِّدنا ونبيِّنا محمَّد وعلى آل بيته الطيِّبين الطاهرين، وعلى ابنته الحوراء الإنسيَّة الزكيَّة فاطمة الزَّهراء سيِّدة نساء العالمين، زوج الوصيِّ الكرَّار، وأمّ الأئمَّة الأطهار، المنصوص عليهم في القرآن الكريم بأهل البيت، الذين أذهب الله تعالى عنهم الرجس وطهرَّهم تطهيرًا.

أمَّا بعد، فقد تميَّزت حياة الصدِّيقة فاطمة الزهراء عليها السلام القصيرة الأمد، كثيرة الأحداث، جمَّة المآسي، وقد أولى العلماء الأعلام الأجلَّاء من القدماء والمحدثين المعاصرين على مستوى الدراسة الحوزويَّة والأكاديميَّة اهتمامًا كبيرًا في أبحاثهم ودراساتهم بحياة الصدِّيقة الطاهرة، بوجود أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، وبعد وفاته، وقد امتلأت المكتبات الإسلاميَّة على وجه الخصوص بشرح نتاج تراثها الفكريّ وتفسيراته، وشرح خطبتها المباركة في مسجد المسلمين، وتفكيك مفرداتها إلى ما تناولته من علوم كلٌّ في مضانِّه من علوم العقائد، وبيان الأحكام الشرعيَّة، والتركيز على التذكير بأنَّ الإسلام انتشل المجتمع من واقع الجهالة إلى نور الإيمان .

وقد قدَّم هذا البحث ما استطاع الباحث التقاطه من شذرات من هذه السيرة العطرة، مع الاعتراف بأنَّ سيرتها لا يمكن لبحث متواضع كهذا أن يفي بما قدَّمته هذه السيِّدة الجليلة من عطاءٍ ثـرٍّ في سبيل الانتصار للإسلام وأهله.

وسوف نقوم ببحث هذا الموضوع من خلال تقسيمه على مقدمة ومبحثَين وخاتمة:

**المبحث الأوَّل**: سيرة الزَّهراء عليها السلام قبل وفاة أبيها صلى الله عليه وآله.

**المبحث الثاني**: سيرة الزَّهراء عليها السلام بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وآله.

**الكلمات المفتاحيَّة**: سيرة العلماء، الزَّهراء عليها السلام، شذرات.

## المقدِّمة

الحمد لله ربِّ العالمين وأفضل الصلاة وأتـمُّ التسليم على الحبيب المصطفى والأمين، والد الهداة الميامين، سيَّما قرَّة عين النبيّ، وبهجة قلب الوصيّ، ثمرة النبوَّة، ودعاء الإمامة، سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزهراءعليها السلام، هالة النور والجلالة والعظمة والشرف الذي لا تنازع فيه، وعلى آله الطاهرين.

موضوع البحث، هو سيرة الزَّهراءعليها السلام قبل وفاة أبيهاصلى الله عليه وآله، وبعدها، فإنَّ سيرة الزَّهراءعليها السلام التي هي شجرة النبوَّة، وتلك الشجرة تسمو وتنمو بتغذيتها من أصلها، وقد سمت هذه الشجرة من خلال مجاهداتهاعليها السلام ودفاعها عن الرسالة، وقد تحمَّلت كلَّ المصائب والمحن من أجل الرسالة .

### أهميَّة البحث

تتجلَّى أهميَّة البحث في تاريخ سيرة الزَّهراءعليها السلام قبل وفاة أبيها، ووقوفها جنبًا إلى جنب مع أبيها الرسولصلى الله عليه وآله، ومشاركته جميع مجالات الحياة حتَّى في الحروب، ممَّا يوضِّح أهميَّة العلاقة بين الزَّهراءعليها السلام وأبيهاصلى الله عليه وآله؛ لحنوِّها عليه، واهتمامها العالي الرائع.

وأهميَّته بعد وفاة أبيهاصلى الله عليه وآله، وموقفها الشامخ القويّ، وذِكر مجموعة من خصائصها ومواقفها التي ميَّزتها عن غيرها، والمطالبة بحقِّها، ووقوفها بوجه الطاغية، ولم تقف مكتوفة الأيدي، بل دعت وطالبت بحقِّها بشكل رائع، وصياغة لغويَّة فصيحة، أذهلت جميع الموجودين في ذلك الموقف، وهذا يترك لنا درسًا كبيرًا ومتميِّزًا، بأنَّ علينا عدم السكوت عن الظلم، والمطالبة بالحقِّ إلى آخر لحظة، وعدم ترك الحقوق للظالمين.

## إشكاليَّة البحث

### الإشكاليَّة الأولى:

في توضيح بطلان ما ادَّعاه أبو بكر في عدم توريث الأنبياء عليهم السلام، استدلَّ أصحابنا على بطلان ذلك بآيٍ من القرآن الكريم:

**الأولى**: في قوله تعالى مخبرًا على لسان زكريَّا عليه السلام: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلِيًّا﴾، أي ولدًا يكون أولى بميراثي، وليس المراد بـ(الوالي) من يقوم مقامه ولدًا أو غيره، لقوله تعالى حكايةً عن زكريا ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ وقوله: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ۝٨٩ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ﴾، والقرآن يفسِّر بعضه بعضًا، واختلف المفسِّرون في أنَّ المراد بالميراث العلم أو المال؟.

فقال ابن عبَّاس والحسن الضحَّاك أنَّ المراد به في قوله تعالى ﴿يَرِثُنِي﴾، وبقوله سبحانه: ﴿وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۖ﴾ ميراث المال.

### الإشكاليَّة الثانية:

إنَّ طلب الحقِّ والمبالغة فيه، وإن لم يكن منافيًا للعصمة، ولكنَّ زهدها صلوات الله عليها، وتركها للدنيا، وعدم اعتدادها بنعيمها ولذَّاتها وكمال عرفانها، ويقينها بفناء الدنيا، وتوجُّه نفسها القدسيَّة، وانصراف همَّتها العالية دائما إلى اللذَّات المعنويَّة، والدرجات الأُخرويَّة، لا تناسب هذا الاهتمام في أمر فدك، والخروج إلى مجمع الناس، والمنازعة مع المنافقين في تحصيله.

والجواب عنه من وجهتَين:

**الأوَّل**: إنَّ ذلك لم يكن حقًّا مخصوصًا لها، بل كان أولادها البررة الكرام مشاركين

لها فيه، فلم يكن يجوز لها المداهنة والمساهلة والمحاباة وعدم المبالاة في ذلك؛ ليصير سببًا لتضييع حقوق جماعة من الأئمَّة الأعلام والأشراف الكرام. نعم لو كان مختصًّا بها، كان لها تركه والزُّهد فيه وعدم التأثُّر من فوته.

**الثاني**: إنَّ تلك الأمور لم تكن لمحبَّة فدك وحبِّ الدنيا، بل كان لغرض إظهار ظلمهم وجورهم، وكفرهم ونفاقهم.

وهذا كان من أهمِّ أمور الدين، وأعظم الحقوق على المسلمين، ويؤيِّده أنَّها صلوات الله عليها صرَّحت في آخر الكلام، إذ قالت: «**قلت ما قلت على معرفة منِّي بالخذلة**».

وكفى بهذه الخطبة بيِّنة على كفرهم ونفاقهم.

## منهجيَّة البحث

نحاول في بحثنا هذا الخروج من أرق التقليديَّة للكتابة، حيث نأمل في تقديمه العِظة والعبرة بالدرجة الأولى، فقد اتَّبع البحث منهج البحث التاريخيّ في جميع المعلومات، وتصنيفها ونقدها، واستخلاص ما يقارب الحقيقة والمنطق منها، مقدِّما المصادر والروايات المعتمدة عند أهل البيت عليهم السلام.

## هيكليَّة البحث

يتألَّف البحث من مقدمة ومبحَثَين وخاتمة:

**المبحث الأوَّل**: سيرة الزَّهراء عليها السلام، ومكانتها قبل وفاة أبيها صلى الله عليه وآله.

**المطلب الأوَّل**: مفهوم السيرة لغةً واصطلاحًا.

**المطلب الثاني**: السيرة الفاطميَّة في ظلِّ الرسالة.

**المطلب الثالث**: السيرة العباديَّة للزَّهراء عليها السلام.

**المبحث الثاني**: سيرة الزَّهراء عليها السلام، ومكانتها بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وآله.

**المطلب الأوَّل**: الزَّهراء عليها السلام في خضمِّ الأحداث.

**المطلب الثاني**: الزَّهراء عليها السلام تتصدَّى المعارضة.

**المطلب الثالث**: خطبة الزَّهراء عليها السلام مع نساء المهاجرين والأنصار.

## المبحث الأوَّل

### سيرة الزَّهراء ومكانتها قبل وفاة أبيها

إنَّ السيِّدة الزَّهراء توفَّرت فيها خصوصيَّة اتَّفق المسلمون عليها، ولم يتَّفق على وجودها في غيرها، وهي أنَّها عليها السلام امتداد طبيعيّ لرسول الله صلى الله عليه وآله، ولا نقصد هنا بقولنا (طبيعي) مجرَّد البنوَّة، والعلاقة النسبيَّة، بل نريد من هذا التعبير أنَّه ثبت بالأدلَّة الصحيحة والنصوص الصريحة أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله ربط بينها وبينه في كلِّ شيء. فاطمة الزَّهراء التي يرضى الله لرضاها، ويغضب لغضبها، كما في بعض الروايات، والتي قضت مشيئة الله التي تنحصر بها ذريَّة محمَّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، وأن يكون أشرف الخلق وسيِّد الأنبياء أبًا لأولادها.

#### المطلب الأوَّل: مفهوم السيرة

**مفهوم السيرة لغة واصطلاحًا:**

خصَّص بعض الباحثين دراسات مستقلَّة تناولت تعريف المصطلح (سيرة)، واستعمالاته بكتب مستقلَّة، وبنيت هذه الدراسات تطوُّرات هذا المدلول واستعمالاته، إذ أشار أحد الباحثين إلى تطوُّر هذا المدلول من حيث الاستعمال، بقوله: السيرة نوع من الأدب يجمع بين التحرِّي التاريخيّ القديم والامتاع القصصيّ، ويراد به درس حياة فرد من الأفراد، ورسم صورة دقيقة لشخصيَّة ما، والسيرة قسمان، العامُّ: الذي يتناول أشخاصًا كثيرين، مثل كتب الطبقات.. ومنها الخاصُّ: كالسيرة النبويَّة الشريفة[1].

(١) المجلَّة الرئيسيَّة، السير والتاريخ، نفحات من علوم المسلم.

والسيرة بوصفها علمًا نقديّ، هو الجزء الرابع في العلوم النقليَّة طبقًا لترتيبها المنطقيّ:

**أوَّلًا: علوم القرآن**، باعتبار أنَّ الوحي هو المصدر الأوَّل للعلم من المحمول إلى الحامل.

**ثانيًا: علوم الحديث**، باعتبار الحديث هو المصدر الثاني للعلم، وكيفيَّة تحويله من نقد السَّند إلى نقد المتن.

**ثالثًا: علوم التفسير** وكيفيَّة فهمها، من التفسير الطوليّ إلى التفسير العرضيّ.

**رابعًا: علوم السيرة**، عودًا إلى المصدر الثاني، وكيفيَّة تصحيح مساره، من الرسول صلى الله عليه وآله إلى الرسالة.

**خامسًا: علوم الفقه**، بوصفها تقنيًّا للسلوك، اعتمادًا على المصدَرَين الأوَّلَين، وكيفيَّة قلب الأولويَّة من العبادات إلى المعاملات.

فالسيرة ليست عملًا لاهوتيًّا ولا فلسفيًّا ولا صوفيًّا ولا فقهيًّا، بل هي تاريخ إخباريّ خالص، من التأويل والتنظير والتوجيه الفكريّ[1].

والسيرة: هي الطريقة، يُقال سار بهم سيرة حسنة، والسيرة أيضًا الامتياز، المسيرة[2].

**السيرة لغةً:**

عند تعريف الكلمة السِّيرة (بكسر السين وفتح الراء)، لا بدَّ من الرجوع إلى كتب اللغة ومعاجمها؛ للوقوف على مدلول هذا اللفظ عند اللغويِّين، وذلك لكي يتَّضح ما يتضمَّنه هذا المصطلح الذي إذا أُطلق ذهب المعنى تلقائيًّا إلى سيرة المصطفى صلى الله عليه وآله.

(١) د. حسن حنفي، من النقل إلى العقل علوم السيِّدة من الرسول صلى الله عليه وآله إلى الرسالة، مكتبة مدبولي، ٢٠١٢، ص١١-١٧.

(٢) أبي نصر إسماعيل بن حمَّاد الجواهريّ الفارابّي، الصِّحاح، الجزء الثاني، دار إحياء التراث الإسلاميّ، بيروت، لبنان، ١٤٢٦هـ/ ٢٠١٥م، ص٣٨٢.

إنَّ مفهوم السيرة يعطي بُعدًا تاريخيًّا أكثر من إعطائه بُعدًا أدبيًّا، وذلك بكون حياة الفرد وخصوصيَّتها هي المحور الذي تعالجه كتابة السيرة، وهذا المحور جزء لا يتجزأ.

ومنها السيرة: تعني السنَّة والطريقة والحالة التي يكون عليها الانسان وغيره، يقال فلان له سيرة حسنة، وقال تعالى: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾.

**السيرة اصطلاحًا:**

تعني قصة الحياة وتاريخها، وكتبها تسمَّى كتب السِّيَر، يقال قرأت سيرة فلان، أي تاريخ حياته[1].

**مصطلح السِّيرة (أصله اللغويّ)**

الحمد لله وليّ النعمة والأفضال، العزيز الجبَّار الكبير المتعال، والصلاة والسلام على من حاز خصال الشرف جميعًا على جهة الكمال، وعلى آله إلى يوم المآل. إنَّ مصطلح السيرة أحوج ما يكون إلى الكشف والإبراز، وإنَّ ما نال مصطلح الحديث من ذلك قد بلغ حدًّا أشعر الناس أنَّ مصطلح السيرة مجرَّد فرع عنه، وأشرت هناك إلى وجوه تميِّز مصطلح السيرة ومسوِّغات استحقاقه الاستقلال.

وأشرع بإذن الله هاهنا في تفصيل ذلك: يذكر أصل معناه في اللغة وحقله الدلاليّ الذي سوَّغ انتقاله من عموم اللغة إلى خصوص الاصطلاح.

١. **دلالة السير**: السير في اللغة هو «الذهاب كالمسير، والسيرورة، والاستيار).

٢. **دلالة السيرة**: ذكر أهل اللغة لاسم «السيرة أربع دلالات، فقالوا: السيرة: الضرب من السير. والسيرة: السنَّة، والسيرة، الطريقة، والسيرة: الهيئة. قال الراغب في مفرداته: وسنَّة الله تعالى قد تُقال لطريقة حكمته، وطريقة طاعته، نحو ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي

(١) مجلَّة منتدى الونشريس، المنتديات العامَّة، السيرة لغةً واصطلاحًا.

﴿الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾، فيظهر بهذا أنَّ السنة المضافة إلى الله تعالى أو إلى النبيّ صلى الله عليه وآله، تكون إلَّا حسنة مستقيمة محمودة، والسنَّة ايضًا: «الطريق القويم، قال في اللسان: وسنَّ الله سنَّة، أي بيَّن الله طريقًا قويمًا»[1].

ولا يخفى ما بين علم الاصطلاح وعلم اللغة من وثيق الصلة، وأنَّ اللغة قاعدة الاصطلاح، ومادَّته الأولى الرابط بين شطرَي (اللفظ والمعنى)، وقد ظهر من خلال العرض أنَّ السيرة تتألَّف من:

١. السين والياء والراء: أصل يدل على وفى وجريان.
٢. التاء اللاحقة بلفظ السيرة نقلته من المصدريَّة إلى الاسميَّة.
٣. هذا النقل قاعدة المراد من استعمال هذا الاطلاق في الاصطلاح، ومن ذلك:

- صيغة من السير، وصفة منه، وصنف منه، ومثال منه.
- سيرة السائر، وسنَّته وطريقته وهيئته أو صورة سيره، وطبيعة وجهه.
- تعلُّق اسم السيرة بإحدى هذه الدلالات على وجهٍ أخص منه في سائرها، فقول أهل اللغة: «طريقة القوم: ماثلهم وخيارهم»، فيه معنى (الإمامة في الخير).
- هذه الدلالات هي اللآلئ الناظمة لعقد الصلة بين معنى السيرة في اللغة، ومعناها في الاصطلاح [2].

والسيرة: يراد بها طريقة سَير الانسان في هذه الحياة، ومعنى سيرة فلان، أي طريقته

(١) الدكتور عبد الرزاق مرزوك، مصطلح السيرة، أصله اللغويّ وحقله الدلاليّ، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.
(٢) المصدر نفسه.

وسيرته، وما كان عليه شأنه في حياته[١].

وتعدُّ السيرة صورة صادقة شفَّافة للتجربة الإنسانيَّة على اختلاف زمانها ومكانها، وهي مصدر غنيّ من مصادر المعرفة والمتعة، المتعة في الاطِّلاع على دخائل النفس البشريَّة وأسرارها، وصراعها مع الحياة، فقد استُعمِلت لفظة السيرة في القرآن الكريم ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ﴾، كما أنَّ السيرة لغةً هي جمع السِّير، وهي الطريقة سواء كانت خيرًا أو شرًّا، يقال فلان محمود السيرة، وفلان مذموم السيرة.

أمَّا اصطلاحًا: ما هي إلَّا قصة قديمة تتداخل فيها الحقيقة مع الخيال، ترجع بين الأسطورة والتاريخ، وما هي إلَّا قصة طويلة تتطلَّب من الدارسين البحث الدائم والتنقيب المستمر، ينبثق منها كلُّ ما هو مدفون فيها من واقع جديدة، وقيم عريقة، والسيرة هي نوع أدبيّ يعرِّف بحياة علم أو مجموعة من الأعلام، أو هي السرد المتابع لحياة شخص، وذِكر الوقائع التي جرت له أثناء مراحل هذه الحياة، وليس تعريف السير أصطلاحيًّا قادرًا على الإلمام بكلِّ تفصيلاتها، أو صورها المختلفة[٢].

وهذا هو مجمل ما يقتضيه بيان معنى مصطلح السيرة، بدلالته اللغويَّة، ومحيطه الدلاليّ، وهي سبيل أهل كلِّ علم وديدنهم حين يسألون عن دلالة مفردة من المفردات.

ونحن في بحثنا هذا نشرع في مسيرة عظيمة، لا تتصور مدى رفعتها، وارتقاء هذه السيرة العطرة، فمصطلح السيرة مهما فصَّلنا وكتبنا، لا نستطيع أن نلمَّ بكلِّ تفاصيل سيِّدة نساء العالمين، مولاتنا فاطمة الزَّهراء عليها السلام.

(١) علّي بن عمر بادحدح، السيرة النبويَّة، مقالة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

(٢) منتديات ستار تايمرز، تطور في السيرة عبر العصور، ٢٠١١م.

## المطلب الثاني: السيرة الفاطميَّة في ظلِّ الرسالة

من يتتبَّع الروايات، يجد أنَّ النبيّ استخدم كلَّ المصطلحات التي تدلُّ على أنَّ الزَّهراء عليها السلام جزء لا يتجزَّأ منه صلى الله عليه وآله، فهي (منه)، وهي بضعةٌ وشجنةٌ منهُ، وقلبهُ وروحهُ، فهذا التعدُّد يكشف عن مراد النبيّ الحقيقيّ لما يقوله، لا على سبيل التجوُّز، كما ادَّعى البعض[1]. فما عسى أن يبتكر محرِّر سيرتها العطرة ؟ وماذا تستطيع ريشة الفنان من تصوير حقيقتها، ولها من جلالها وهيبتها وقداستها ما يجعل البليغ عاجزًا عن الإفصاح.. ويدع الفصيح متردِّدا في الأداء.

بعد خمس سنوات من البعثة النبويَّة المباركة، كانت ولادة هذا الكوكب الدرِّيّ الهادي، فاطمة بنت محمَّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، وذلك في العشرين من جمادى الآخرة، وحكمت البهجة بيت النبوَّة، ومختلف الملائكة، واحتفى رسول الله صلى الله عليه وآله وأمُّ المؤمنين عليها السلام بهذا الوليد الجديد، بما يتناسب والأهميَّة الكبرى التي تنتظر هذا الوليد الضخم[2].

وفي السنة الخامسة للمبعث المبارك، وقعت حادثة إسراء ومعراج النبيّ صلى الله عليه وآله، والعروج به لمشاهدة ملكوت السماء، وليريه الله تعالى الآيات الكبرى، ثمَّ إنَّ رسول الله في ليلة المعراج انتهى مع جبريل إلى سدرة المنتهى، فناوله من ثمارها فأكلها، وبعد عودته إلى الأرض، انعقدت نطفة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام من تلك الثمار، فتكوَّنت فاطمة عليها السلام من ثمار الجنَّة، ولحم ودم رسول الله وأمَّها خديجة الكبرى عليها السلام، شرَّفت الزَّهراء عالم الدنيا لترفع وحشة ذلك البيت الطاهر، الذي ظلَّ تحت سقفه سيِّد الأنبياء

(١) أحمد مسلحان، فاطمة الزَّهراء أحداث ما بعد رحيل الخاتم، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م، ص٢٨.

(٢) الزَّهراء عليها السلام من الوجه الآخر، الدكتور محمَّد حسين عليّ الصغير، النجف الأشرف، ١٤٣٣هـ، مؤسَّسة البلاغ، ٢٠١٢، ص٢١.

والمرسلين محمَّد بن عبد الله الأمين صلى الله عليه وآله، وسيِّدة نساء عصرها، خديجة الكبرى عليها السلام، لتكون أُنس دائم للأبوَين السعيدَين.

ولِدت فاطمة الزَّهراء عليها السلام يوم الجمعة، وقت الصبح، في آخر جزء من ليلة الجمعة، وهي الساعة الأخيرة التي هي أفضل الساعات، ومحلّ استجابة الدعاء، ولدتها خديجة عليها السلام بعد تسعة أشهر من الحمل، وذلك في العشرين من جمادى الآخرة في السنة الخامسة للمبعث، على أكثر الروايات، وكانت ولادتها في دار خديجة عليها السلام[1].

أراد الله عزّ وجلّ للنبيّ صلى الله عليه وآله الاستمرار في وجوده الإنسانيّ والرساليّ من خلال ذريَّته، ولم ينقطع في حركته الرساليَّة من ذريَّته، كما كتب ذلك لنوح عليه السلام أو موسى عليه السلام أو عيسى عليه السلام، وقدَّر أن تكون هذه الذريَّة متمثِّلة في امرأة، هي فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وكان يمكن أن يكون الاستمرار لرسول الله صلى الله عليه وآله في ذريَّته من خلال أولاد ذكور، كما حصل لإبراهيم الخليل عليه السلام، لكن شاء الله سبحانه وتعالى أن تنحصر ذريَّته بالزَّهراء عليها السلام[2].

الزَّهراء عليها السلام هي ثالث الأنوار الأربعة عشر، سيِّدتنا ومولاتنا فاطمة الزَّهراء عليها السلام، التي في حياتها وسيرتها الشريفة الكثير من الحوادث والوقائع التي تستلزم معرفتها وتحليلها بالمقدار الممكن، سواء كانت في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله أم بعد استشهاد رسول الله صلى الله عليه وآله، وما صدر منها من فضائل ومعاجز وكرامات حجيَّتها على الخلق أجمعين[3].

الحديث عن الزَّهراء عليها السلام يمثل حديثًا عن النبوَّة في آنٍ واحد، فهي الكائن الذي انفصل من جسد الرسالة، أو تمثَّلها روحًا وفكرًا و سلوكًا، ولشدَّة التداخل بين الصورَتَين، كان

(١) الأمانة العامَّة للعتبة الكاظميَّة المقدَّسة، أسماء فاطمة الزَّهراء عليها السلام دلائل ومقامات، الشؤون الفكريَّة، ١٤٣٣هـ، ص٣-٧.

(٢) مؤسَّسة تراث الشهيد الحكيم قدس سره، الزَّهراء عليها السلام أهداف، مواقف، نتائج، مطبعة العترة الطاهرة، النجف الأشرف، الطبعة الاولى، ٢٠٠٦، ص١٧.

(٣) ميثم العقيليّ، سيرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، ص٢.

يصفها الرسول الكريم صلى الله عليه وآله بـ«روحي التي بين جنبي». لقد ولدت الزَّهراء عليها السلام ودرجت في ذلك البيت المقدَّس الذي كان بحقٍّ مدرسة لكلِّ الاجيال، وسيظلُّ كذلك إلى يوم القيامة؛ لأنَّ ما فيه من قول أو فعل أصبح سُنَّة متَّبعة، وآية تهدي الناس إلى طريق الحقِّ[1].

إنَّ سعادة الإنسان والبشريَّة جمعاء في المعرفة وعبادة الله من طريق رسالات السماء المتمثِّلة بالنبوَّة العظمى، وديمومتها إلى يوم القيامة بالإمامة الكبرى، ثمَّ حلقة الوصل بين النبوَّة والإمامة إلى يوم المعاد، هي سيِّدة النساء فاطمة الزَّهراء، فإنَّها جمعت بين نورَي النبوَّة والإمامة، فهي من صُلب رسول الله النبيّ الأعظم محمَّد صلى الله عليه وآله، وزوجة وليّ الله الإمام عليّ، وأمُّ الأئمَّة النجباء الأحد عشر عليهم السلام، ومنها المهدي الموعود المنتظر عجل الله فرجه، يملأ الأرض قسطًا وعدلًا بعدما مُلئت ظلمًا وجورًا، فأصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أُكُلها كلَّ حين بإذن ربِّها، فكانت فاطمة الزَّهراء عليها السلام مشكاة أنوار الله من آدم إلى الخاتم محمَّد صلى الله عليه وآله، ومن سيِّد الوصيِّين إلى قائمهم صلوات الله عليهم أجمعين[2].

كان النور القبلي أنَّها الزَّهراء.. فماذا يصوِّر القلم.

عالمان متقابلان اكتفا مسيرة الزَّهراء عليها السلام الزاخرة بالهبة والعطاء، تلك النغمات الراقصة على مفهم الزمن، والومضات المحرقة في لفح الهجير، والبسمات الحزينة من الثغر الشاحب، قاسم مشترك احتدم أيَّام الزَّهراء عليها السلام، وما وهبت من حباء ووفاء، وما عانت من جفاء وتجاهل وما قاست من قلق.

(١) شهيد المحراب آية الله العظمى السيِّد محمَّد باقر الحكيم قدس سره، الزَّهراء عليها السلام أهداف، مواقف، نتائج، مطبعة العترة الطاهرة، النجف الأشرف، ٢٠٠٦، ص٧.

(٢) السيِّد عادل العلويّ، فاطمة الزَّهراء عليها السلام مشكاة الأنوار، المؤسَّسة العامَّة للتبليغ والإرشاد، مطبعة النهضة، قم المقدَّسة، ١٤٢٣هـ، ص١٢٠.

فالعبرة تكمن بالنتائج، فالعزَّة هي العزَّة، والكرامة هي الكرامة، فلا امتهان ولا إذلال ولا تنازع ولا إذعان، فالنهج السويّ يتعالى في خطٍّ واحدٍ على كبرياء الجراح، والإصرار الخلَّاق يصارع القدر المعاكس، والفتح الأبديّ يستمر على الظفر المؤَّقت(١).

وحينما نبحث في رحاب آيات القرآن الكريم، نجده يحدِّثنا عن عظمة سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء عليها السلام؛ إذ يعرِّفها الله سبحانه بأجمل تعريف، وأدق مفهوم، وأعمق معنى، حيث يعرِّفها في سورة النور بأنَّها المشكاة التي ضمَّت في حقيقتها الأنوار النبويَّة والولويَّة.

لماذا عرَّف الله صفيَّه ومظهر عصمته وطهارته فاطمة الزَّهراء عليها السلام بالمشكاة؟ إذ إنَّ كمال النبيّ الجامع لجماله وجلاله، أي الصفات الجماليَّة والصفات الجلاليَّة إنَّما تتجلَّى في فاطمة الزَّهراء عليها السلام.

ما أروع مقولة آية الله العظمى السيِّد الخمينيّ قدس سره أنَّه لو كان بعد النبيّ نبيَّة، لكانت فاطمة، فإنَّه أشار إلى هذا المعنى أحدهم، حيث وصفها بأنَّها أحمد الثاني(٢).

كانت بيئة قريش ومناخ جزيرة العرب عامَّة لا يقيمان للمرأة وزنًا، ولا يجدان لها أهميَّة، بل وليس لها الحقّ في الوجود والبقاء على قيد الحياة، وإنَّما يُدسُّ بها في التراب، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ (سورة التكوير: ٨-٩)، وإذا بوعيدة هذا البيت، في ذروة الاعتزاز وأوج الاعتداد، والعرب تنتظر صنيع رسول الله صلى الله عليه وآله في الاحتفاء الرفيع بابنته، فيعتريها العجب الشديد، وإذا بالرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وهو الصادق الأمين، يقول: «**فاطمة بضعة منِّي، فمن أغضبها فقد أغضبني**».

(١) الدكتور محمَّد حسين عليّ الصغير، الزَّهراء عليها السلام من الوجه الآخر، مطبعة النهضة، قم المقدَّسة مؤسَّسة البلاغيّ، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢، ص١٣٣.

(٢) السيِّد عادل العلويّ، فاطمة الزَّهراء مشكاة الأنوار، ص٦٤-٦٩.

فوجئت قريش بهذا المنظور للمرأة، والمرأة عندهم لا تساوي شيئًا، ولكن هذه المرأة بضعة من أبيها، يغضبه ما يغضبها، وهي روحه التي بين جنبيه[1]. ومن هذا الأفق الرَّحب انبعثت الزَّهراء ملاكًا في العفَّة والشرف والآباء، وبلغ بها حبُّ أبيها درجة الإيثار، وحبُّ زوجها درجة الفداء، وحبُّ ولديها مرتبة الشغف، فعاشت حياة حبٍّ رهيف تأصلَّت جذوره وتشابكت أغصانه وأينعت ثماره، فعاد متين الصلة عميق النزعة، إنسانيّ العائديَّة، وهكذا يكون الحبُّ المتبادَل جذوة من المشاعر لا تخبو ونفحة من الضمائر ينبض بالشفقة والألفة والتواصل.. ولم تكن هذه الحياة الحرَّة الرقيقة إلَّا تعبيرًا مثاليًّا عن تلك النفوس المثاليَّة التي اكتفت بجشوبة العيش وخشونة الملبس وبساطة المقتنيات، مشاركة لبني الإنسان في الشدَّة والحرج.

**طفولة فاطمة الزَّهراء عليها السلام:**

لم تزل فاطمة عليها السلام تشبُّ في اليوم كالجمعة، وفي الجمعة كالشهر، وفي الشهر كالسنة، فلمَّا هاجر الرسول الله صلى الله عليه وآله من مكَّة المكرَّمة إلى المدينة المنورَّة، وابتنى بها مسجدًا، وأنس به أهل المدينة، ظهر الإيمان، ودرّس القرآن، وتزوَّج الرسول صلى الله عليه وآله من أمِّ سلمة، فقالت أمُّ سلمة: تزوَّجني رسول الله صلى الله عليه وآله وفوَّض أمر ابنته إليَّ، فكنت أؤدبها كانت والله آدب منِّي وأعرف بالأشياء كلِّها، وتذكَّرت هذا المقام قول النبي صلى الله عليه وآله «**فاطمة بضعة منِّي**»:

١. تارة كان يقول تنبيه على ما لفضلها من الفضل، وهكذا فهم جملة من الحفاظ الذين فضَّلوا فاطمة الزَّهراء عليها السلام على الخلفاء، كما تقدَّم عن ذلك.
٢. تارة كان يتحف به أسماع صحابته به من أجل التحذير عن فضلها وأذيَّتها أنَّ من آذاها فقد آذاه؛ لأنَّها بضعة منه صلوات الله عليها.
٣. كان يقول لتحديد ثواب فعل من يصلِّي على فاطمة، فقد صلَّى على النبيّ؛ لأنَّها بضعة منه.

(١) الدكتور محمَّد حسين عليّ الصغير، الزَّهراء من الوجه الآخر، ص٢٣- ٢٨.

٤. إنَّ فاطمة كالنبيّ في القول، فما قالته فاطمة فهو قولهﷺ، وما فعلته فهو فعله[١].

وليس بغريب على قلب محمَّدﷺ وروحه أن تكون قدوة للعالمين؛ لما خُصَّت به من مزايا وكرامات وأخلاق عالية، كما يأتي مفصَّلًا، وعناية الله تعالى بها عناية خاصَّة كانت رحمة الله تحوط فاطمة ما درَّت معايشها، كما أشار إلى ذلك المصطفىﷺ في حديث طويل جاء فيه «**يا فاطمة لا تحزني فإنَّ الله ﷻ أرحم بك وأرقُّ عليك منِّي، وذلك لمكانك منِّي وموضعك في قلبي**».

وقال رسول اللهﷺ: «**أدِّبوا أولادكم على حبِّ ثلاث خصال: حبِّ نبيِّكم وحبِّ أهل بيته، وقراءة القرآن**»، فقد أخذت الزَّهراءعليها السلام الكثير من الأحاديث بما تسمعه منه أو ما كان يأمر بكتابته لها، وقد ساعدها على ذلك أنَّها ألـمَّت بعلوم القرآن، وأحاطت بأمور الشرائع السابقة، وكانت تعرف القراءة والكتابة، وقد فطمها الله بالعلم، وكان أبوها رسول اللهﷺ يكتب لها الصحف التي تسترشد بها في أمر دينها، وتبصِّرها بأمور دنياها[٢].

وكان النبيّ يعلِّم ابنته، كما في الكافي: عليّ، عن ابيه عن ابن أبي عمير عن اسراق بن عبد العزيز عن أبي عبد الله قال: «**جاءت فاطمة تشكو إلى رسولﷺ بعض أمرها، فأعطاها رسول اللهﷺ كربة وقال: تعلَّمي ما فيها، فاذا فيها: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو فليسكت**».

(١) السعيد، عادل عليّ عاشور، موسوعة فاطمة الزَّهراء بنت رسول اللهﷺ، حياة فاطمة ومناقبها، ج١، مطبعة دار نظير عبود، ط١، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ص٢٩، ٧٢.

(٢) مكرر، الجزء الثاني ص ٢٩، ٢٢، ١٠ ص٧، ٢٩

قال العلَّامة المجلسيّ: كرب النخل أصول السعف أمثال الكتف.

هذا خُلُق رسول صلى الله عليه وآله، والذي هو خُلُق القرآن، جميل بالأب أن يحادث ابنته ويعلِّمها ويثقِّفها؛ لتكون قويَّة في مجتمعها، عزيزة بين أقرانها(١).

مواقفُ من نبيّ الإسلام الذي ذاب في دعوته، وكان للناس أسوة، فأصبحت الزَّهراء خفقان قلبه، ونظرات عينه، ولمسات يده، وخطوات سعيه وفكره، وقوله وفعله، وتقدير وجوده كلّه، فأصبحت تعاليم الدين وأحكام الله، ومصابيح الهداية وسُبل النجاة، أوسمة من الخاتم المرسل على صدر فاطمة الزَّهراء، تزداد تألُّقًا كلَّما مرَّ الزمن، وكلَّما تطورت المجتمعات، وكلَّما لاحظنا المبدأ الأساس في الإسلام في كلامه لها «**يا فاطمة اعملي لنفسك، فإنِّي لا أُغني عنك مِن الله شيئًا**».

إنَّ معرفة فاطمة الزَّهراء عليها السلام فصل من كتاب الرسالة الإلهيَّة، وان دراسة حياتها محاولة لفقه الإسلام، وذخيرة قيِّمة للإنسان المعاصر(٢).

## المطلب الثالث: السيرة العباديَّة للزَّهراء عليها السلام

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

إذن لا بدَّ من عبادة المنعم لتتكامل بهذه العبادة، إلَّا أنَّ هذه العبادة على أقسام، فمنها عبادة الأحرار، ومنها عبادة التجَّار، ومنها عبادة العبيد، ولكن كلُّها تؤدِّي إلى كمال الإنسان. ما هو كمال الإنسان؟ وبأيِّ شيء يتكامل؟.

يأتي الجواب من الإمامَين الصادقَين عليهما السلام «**الكمال كلُّ الكمال التفقُّه في الدين، والصبر على النائبة، والتقدير في المعيشة**»(٣)، فإنَّه يكمن سرُّ العبادة في منح القدرة للعابد؛

(١) عليّ عاشور، موسوعة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، ج٤، دار نظيرعبود، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ.

(٢) الدكتور السيِّد محمَّد حسين المعموريّ، الزَّهراء عليها السلام (صوت كثر واتره وقلَّ ناصره)، شبكة كتب الشيعة ٣، ربيع الثاني، ١٤٣٦هـ، ص٣٦-٣٧

(٣) الشيخ عليّ الفتلاويّ، النوران الزَّهراء والحوراء عليهما السلام، منشورات الاجتهاد، قم المقدَّسة،=

لإحساسه بالاتِّصال الوثيق وتعلُّقه بقدرة أزليَّة لا متناهية، وخالق لكلِّ القدرات، يتعلَّق الإنسان عن طريق العبادة بعزَّة الله، ويطلب التوفيق منه، يلجأ إليه هربًا من النوب.

فالعمل والسلوك مهمَّان في العبادة، فلا تؤثِّر في الطفل مئة كلمة حول العبادة بمقدار ذرَّة من عمل لا يستغرق إلَّا لحظات، ولا تعادل مئات البحوث عن الصلاة صلاة واحدة.. فيجب غرس الروح الدينيَّة في الطفل عن طريق العمل لا القول، فلا مناص للأمِّ إن أرادت أن تربِّي جيلًا خاضعًا وخاشعًا لله، إلَّا أن تكون هي النموذج العمليّ للخضوع والخشوع في الحضرة الإلهيَّة، ويكون سلوكها وسيرتها قرآنيًّا، وتراعي كافَّة الشؤون الإسلاميَّة، وما أجمل أن تندمج العبادة مع كلِّ مراحل الطفل[1].

ويصل بناء الحديث عن عبادة سيِّدتي ومولاتي فاطمة الزَّهراء عليها السلام. عرفت فاطمة عليها السلام العبادة منذ نعومة أظافرها، فكيف لا وهي التي تربَّت في أطهر حجر على الإطلاق من الأوَّلين والآخِرين.. وكانت نورًا في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهَّرة، لم تنجِّسها الجاهليَّة بأنجاسها، ولم تُلبسها من مدلهمَّات ثيابها، وأنَّها من دعائم الدين وأركان المؤمنين، فهي العابدة لله بإتقان، والمخلصة له بإيمان، وقلبها ينبض بمعرفة الله، وبنانها يسبِّح ويقدِّس ويهلِّل بعظمة الله وكبريائه وعزِّ جلاله، فهي العارفة والعالمة بالله، وبحقائق الكون، وفلسفة الحياة، وهذا ما تختزله من العلوم اللدنيَّة، فهي التي كانت تفقه كنه وماهيَّة وفلسفة الصلاة ومعناها؛ لذلك عندما تقدم على الصلاة، يكتنفها الذهول والخشية، وترتعد فرائصها؛ لأنَّها تقف أمام ربٍّ عظيمٍ متعالٍ، ويعتريها الخشوع والخضوع والتذلُّل لله عزَّ وجلَّ[2].

---

=الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص٢٥.

(١) الدكتور عليّ القائمي، دور الأم في التربية، الطبعة الخامسة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، دار النبلاء، بيروت، لبنان، حارة حريك، ص١٥٤-١٥٥.

(٢) الدكتور عليّ الحدَّاد، فاطمة سرُّ أبيها، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، دار المحجَّة البيضاء، بيروت، لبنان، ص٢٥-٢٦.

إنَّ سيِّدتنا فاطمة الزَّهراء عليها السلام جعلت من نفسها قدوة صالحة لأولادها، كي تمنحهم حقَّهم في عبادة الخالق تعالى، فهي التقيَّة النقيَّة الورعة التي شهد لها القرآن الكريم في (سورة الدَّهر)، على كمال إخلاصها وخشيتها لله سبحانه وتعالى، وعظيم إيمانها به وباليوم الآخر، وكانت تخصِّص الساعات الأخيرة من نهار الجمعة للدعاء، كما كانت لا تنام بالليل في العشرة الأخيرة من شهر رمضان المبارك، وكانت تحرِّض جميع مَن في بيتها بإحياء الليل بالعبادة والدعاء، فكلُّ ما قامت به سيِّدتنا من عبادة الله وطاعته أمام أولادها، يرتسم في أذهانهم ما تقوم به، وتعلو في صوتها، كي تسمع آذانهم، وتحثُّهم على القيام به، فتفرح بهم، وهذا حقٌّ من حقوقهم..[1].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله «**أفضل الناس من عشق العبادة فعانقها وأحبَّها بقلبه وباشرها بجسده وتفرَّغ لها، فهو لا يبالي على ما أصبح من الدنيا، على عسر أم يسر**». كذلك فإنَّ الزَّهراء عليها السلام عشقت العبادة.

ومعرفة الزَّهراء عليها السلام وعلمها بالله سبحانه لا يمكننا أن نفهمه، فهم أولياء الله وخاصَّته من عباده، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وآله عن الله تعالى، حيث خاطب ملائكته قائلًا: «**يا ملائكتي انظروا إلى أَمَتي فاطمة سيِّدة إمائي قائمة بين يديَّ، ترتعد فرائصها من خيفتي، وأقبلت بقلبها على عبادتي، أُشهدكم أنِّي قد أَمَّنت شيعتها من النار..**»[2].

لقد أنشأت فاطمة بطريقتها التربويَّة أعلى مدرسة مثاليَّة، تخرَّج منها الحسنان وزينب عليهم السلام، وكانت تحرص على اصطحاب أولادها إلى محراب عبادتها، وتعلِّمهم أنواع التبتُّل والتهجُّد، حيث يروي الحسن عليه السلام أنَّ والدته أجلسته إلى سجَّادتها وهي تتضرَّع إلى الله وتدعوه.

(١) الطفولة وحقوق الطفل عند فاطمة الزَّهراء عليها السلام، الأستاذ المساعد حميد جعفر، جامعة الكوفة، كليَّة التربية الأساسيَّة، ص٣٠٠-٣٠١.

(٢) شذرات من حياة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، إعداد شعبة التبليغ في قسم الشؤون الدينيَّة، العتبة العلويَّة المقدَّسة، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م، ص٤٣-٤٤.

وذكرت الروايات أنَّ الزَّهراءعليها السلام كانت تعلِّم ولديها خطب رسول اللهصلى الله عليه وآله، وهما لم يبلغا الخامسة، وكانت تطلب منهم أعادة ما سمعاه من خطاب رسول اللهصلى الله عليه وآله على مسامعهما ثمَّ يعيدانه بحضور أبيها، وأخذت زينبعليها السلام إلى مسجد رسول اللهصلى الله عليه وآله عندما ألقت خطبتها العصماء هناك.. إنَّ اهتمام فاطمةعليها السلام بولديها هو ترجمة لاهتمام رسول اللهصلى الله عليه وآله بهما، إذ هما وصيَّتاه العظمى، وهما منبع نهر كوثرهصلى الله عليه وآله، الذي يمتدُّ إلى آخر الدنيا، ليخرج من ذريَّتهم من يحمل الهدى، ويجاهد الطغاة، وينصر المستضعفين، ويعيد الإسلام قرآنيته وروحيته..[1].

وهذه سيِّدتنا الزَّهراءعليها السلام المتهجِّدة في ليلها أسوة لنا، هذا فضلًا عن النتائج التربويَّة التي يحملها سلوك كهذا على العائلة والأولاد، فرؤية الأطفال لأمِّهم تصلِّي وتراعي المستحبَّات أفضل تربية لهم على الصعيد العباديّ، فلا تتوقَّع الأم أن يحسن أولادها صلاتهم، ويهتمُّون بالجانب العباديّ دون أن تكون قد بنيت سلوكها اهتمامها الشديد بالعبادة، عندها لن تحتاج حتَّى إلى الكلام، فهم سوف يحذون حذوها[2].

ومع أنَّها الناجية المنجية لشيعتها، وما من أحد يدخل الجنَّة دون شفاعتها، فإنَّها تقف بين يدي ربّها، ترتعد فرائصها من خيفته، فهي العارفة بربِّها وحقِّه جلَّ وعلا، فهيبته تأخذ بمجامع قلبها، حتَّى أنَّها تهابه وتخافه، فالوقوف أمام العظيم يقتضي ذلك لمن كان له لب. ومع أنَّ اللهعزَّ وجلَّ دائم الحضور في حياتها، إلَّا أنَّها تقبل بقلبها على العبادة تمسي بكلِّ وجودها في محضر الله، إنَّه الوقت الخاصّ، وقت الانقطاع إلى الله، وقت ملاقاة المحبوب دون الالتفات إلى الكثيرات.

(١) تلك هي فاطمة الزَّهراءعليها السلام، حمود عبد الله الأهنوميّ، مطبعة المجلس الزيديّ الإسلاميّ، صنعاء الجمهوريَّة اليمنيَّة، الطبعة الأولى، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م، ص١٣٧، ١٣٨٤.

(٢) السيِّدة فاطمة الزَّهراء قدوة وأسوة، إعداد مركز المعارف للتأليف والتحقيق، إصدار دار المعارف الإسلاميَّة الثقافية، الطبعة الأولى، ٢٠١٨م، ص١٣٢-١٣٤.

لم تكن حياة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام لله فحسب، بل إنَّها المعصومة الكاملة والأمَّة الحقيقيَّة التي قارن وجودها لله عزَّ وجلَّ، فوجودها الحقَّاني يبيِّن لنا أنَّ كلَّ فعل، بل كلّ خاطرة، بل كلّ نفس صدر عنها عليها السلام لم يكن سوى تجلٍّ لأراده الله عزَّ وجلَّ، وما يريده الله ويحبُّه هو مدار حياتها، فحياتها كلُّها عبادة بالمعنى العام، ومع ذلك نراها تسعى جاهدة لقيام الليل، والقيام بالمستحبَّات، وكثرة الصلاة والدعاء[1].

كانت فاطمة الزَّهراء عليها السلام أعبد نساء زمانها، وقد ضربت المثل الأعلى بعبادتها وإيمانها وطاعتها وانقطاعها إلى الله سبحانه وتعالى.. عن الامام الباقر عليه السلام في حديث قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنَّ ابنتي فاطمة ملأ الله قلبها وجوارحها إيمانا ويقينًا إلى مشاشها ففرغت لطاعة الله». وسأل النبيّ صلى الله عليه وآله عليًّا عليه السلام: «كيف وجدت أهلك؟ فقال عليّ عليه السلام: نِعم العون على طاعة الله»، وعن الطبرسيّ.. قال: «سمِّيت فاطمة عليها السلام بالبتول لانقطاعها إلى عبادة الله».

ومن مظاهر عبادتها عليها السلام طول قيامها في الصلاة، وكثرة خشوعها.. قال الدليميّ والفهد: «روي أنَّ فاطمة عليها السلام كانت تنهج في صلاتها من خيفة الله تعالى». ومن المظاهر البارزة في عبادتها عليها السلام كثرة الصلوات والأدعية والأذكار التي خصَّها بها رسول الله صلى الله عليه وآله، وكانت تواظب على أدائها في محرابها، رغم أنَّها كانت تباشر شؤون المنزل وتربية الأولاد بنفسها. فعن الإمام الصادق عليه السلام: أنَّ أمَّه الزَّهراء كانت تصلِّي للأمر المخوف العظيم ركعتين.. تقرأ في الأولى الحمد وقل الله هو الله أحد خمسين مرَّة، وفي الثانية مثل ذلك، فإذا سلَّمت صلَّت على النبيّ صلى الله عليه وآله، ثمَّ ترفع يديها بالدعاء «اللهمَّ إنِّي أتوجَّه بهم إليك، وأتوسَّل إليك بحقِّهم العظيم الذي لا يعلم كنهه سواك، وبحقِّ من حقُّه عندك عظيم، وبأسمائك الحسنى، وكلماتك التامَّات التي أمرتني أن أدعوك بها..»، إلى آخر الدعاء،

(١) السيِّدة فاطمة قدوة وأسوة، إعداد مركز المعارف للتأليف والتحقيق، إصدار دار المعارف الإسلاميَّة الثقافيَّة، الطبعة الأولى، ٢٠١٨م، ص١٢٨-١٣١.

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنَّها كانت تصلِّي صلاة الأوَّابين، وهي أربع ركعات، تقرأ في كلِّ ركعة خمسين مرَّة (قل هو الله أحد)[١].

إنَّ التوازن والاعتدال أمران مطلوبان في كلِّ شيء، وفي المقام لا بدَّ من التوازن في موضوع العبادة، وهذا ما نراه في حياة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، فمع أهميَّة العبادة التي تبرز في حياة السيِّدة فاطمة عليها السلام، إلَّا أنَّنا لا نرى أنَّها قصَّرت في أداء أدوارها المختلفة في حياتها، فلم تكن تمارس عبادتها على حساب أولادها وأهلها، بل كانت توازن بين الجميع.

ففي رواية أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله دخل عليها يومًا وهي تصلِّي، فسمعت صوته، فتوقَّفت عن الصلاة، وخرجت من المصلَّى وسلَّمت عليه، فمسح يده على رأسها وقال: «**يا بنية كيف أمسيت رحمك الله؟ عشينا غفر الله لك وقد فعل**».

فالرواية تشير إلى أنَّها كانت منشغلة بتعبُّدها لله عزَّ وجلَّ، إلَّا أنَّها لـمَّا سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله قد أتى دارها ويريد الطعام، توقَّفت عن أداء مستحبَّاتها، وخرجت إليه لتقدِّم له ما يحتاج إليه، وفي ذلك إشارة إلى كيفيَّة ترتيب الأولويَّات في حياة الفرد[٢].

ممكن القول فيما يخصُّ العبادة، وما لها من تأثير في حياة الأبناء، إذ إنَّه ممكن أن نجعل من بيتنا مسجدًا، وممكن أن نجعل أولادنا يلتزمون بأداء الواجبات من العبادات المفروضة، ونزرع حبَّ أداء الصلوات، لتكون هذه العبادة سببًا في تقويم السلوك واستقامة الأبناء، وتعويدهم على الالتزام منذ نعومة أظافرهم على ما يعود عليهم وعلى المجتمع كلّه بالنفع الدنيويّ والأخرويّ معًا، وهذا الأمر يعود على الأسرة في غرس هذه السلوكيَّات والتربية داخل البيت، مستمدًّا الالتزام والاهتمام بالعبادة من الوالدين.

---

(١) سيِّدة النساء فاطمة الزَّهراء عليها السلام، عليّ موسى الكعبيّ، مطبعة ستاره، قم، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ص١١٣-١١٥.

(٢) السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام قدوة وأسوة، إعداد مركز المعارف للتأليف والتحقيق، إصدار دار المعارف الإسلاميَّة الثقافيَّة، الطبعة الأولى، ٢٠١٨م، ص١٣٢-١٣٤.

## المبحث الثاني

## سيرة الزَّهراء عليها السلام ومكانتها بعد وفاة أبيها

### استشهاد النبي صلى الله عليه وآله في حجر عليّ عليه السلام:

في مسند أحمد والمستدرك عن أمِّ سلمة قالت: والذي أحلف به، إنَّ عليّ بن أبي طالب لأقرب الناس عهدًا برسول الله صلى الله عليه وآله، اعدنا رسول الله صلى الله عليه وآله غداة، وهو يقول: «**جاء عليّ، جاء عليّ**» مرارًا، فقالت فاطمة: **كأنَّك بعثته في حاجة؟** قالت: فجاء بعد، قالت أمُّ سلمة: فظننت أنَّ له إليه حاجة، فخرجنا من البيت، فقعدنا عند الباب، وكنت أدناهم إلى الباب، فأكبَّ عليه رسول الله صلى الله عليه وآله، وجبريل يساره ويناجيه، ثمَّ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله من يومه ذلك، فكان عليّ عليه السلام أقرب عهدًا.

ولـمَّا حضره الموت، كان أمير المؤمنين عليه السلام حاضرًا عنده، فلمَّا قرب خروج نفسه صلى الله عليه وآله، قال له: **ضع يا عليّ رأسي في حجرك، فقد جاء أمر الله تعالى، فاذا فاضت نفسي فتناولها بيدك، فامسح بها وجهك، ثمَّ وجِّهني إلى القبلة، وتولَّ أمري، وصلِّ عليَّ أوَّل الناس، ولا تفارقني حتَّى تواريني في رمسي، واستعن بالله تعالى.** فأخذ عليّ رأسه صلى الله عليه وآله، فوضعه في حجره فأغمي عليه، فاكبَّت فاطمة عليها السلام تنظر في وجهه وتنحبه وتبكي.

فبكى طويلًا، وأومأ إليها بالدنوِّ فيه، فدنت منه فأسرَّ إليها شيئا تهلَّل وجهها له، ثمَّ قُبِض صلى الله عليه وآله ويد أمير المؤمنين عليه السلام تحت حنكه، ففاضت نفسه صلى الله عليه وآله فيها، فرفعها إلى وجهه فمسحه بها، ثمَّ وجَّهه وفحصه ومدَّ عليه إزاره، واشتغل بالنظر في أمره[1].

(١) خادمة الزَّهراء عليها السلام، نور صالح، فاطمة صدِّيقة شهيدة عليها السلام الموسوعة، ص٢٣، ٢٧-٢٨.

وهكذا فبعد رحيل خاتم الأنبياءﷺ، ماذا حلَّ بالسيِّدة الزَّهراءعليها السلام؟ لقد كانت الزَّهراءعليها السلام كغيرها من عامَّة المسلمين ترى عليًّا أحقّ الناس بالخلافة بعد أبيها؛ لأنَّها سمعت أباها، كما سمعه غيرها، ينصُّ عليه بصراحة لا تقبل التأويل، ولم تكن هي، ولا بقيَّة بني هاشم، والغالبية العظمى في المسلمين ينتظرون ما حدث من المفاجأة، والنبيّﷺ لم يوارَ الثرى بعد، وأهله مشغولون عن كلِّ شيء بتجهيزه إلى مقرِّه الأخير(١).

بعد أن التحق أبي الزَّهراء محمَّدﷺ بالرفيق الأعلى، فقدت تلك الرعاية والاحترام، وانهالت عليها المصائب والأحزان حزن فقد الوالي العطوف، حزن تخلِّي الأمَّة عن إحقاق حقِّها، حزن إقصاء زوجها من منصبه الذي وضعه الله فيه، حزن إهدار كرامتها بالهجوم على دارها، حزن ضربها وإسقاط جنينها، والكارثة الكبرى هو الحزن على ضياع ما تحمَّل الرسولﷺ من المتاعب في إرساء قواعد الدين، وإرساء ونشر مبادئ الإسلام، ورجوع الأمَّة الإسلاميَّة إلى الوراء.

إنَّ المسلم المتتبِّع للتاريخ والسيرة قد يتفاجأ بهذه الأحداث الكثيرة بعد رحيل خاتم الأنبياء والمرسَلين محمَّدﷺ، فإنَّها أحداث تدهش النفوس، وتحيِّر العقول، وتجعل الإنسان يعيد النظر في كثير من الأمور، ولعلَّ شخصًا مسلمًا يسأل ويقول في نفسه: هل هذه الحوادث عندما أقرأها تغيِّر في مسيرة حياتي؟.

إنَّ المسلم إذا جال فكره في هذه التساؤلات، فالجواب يأتيه في القرآن ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

(١) هاشم معروف الحسنيّ، سيرة الأئمَّة الاثني عشر، الطبعة الأولى، (١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م)، الطبعة الثانية (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، القسم الأوَّل، دار القلم، بيروت، لبنان.

## المطلب الأوَّل: الزَّهراء عليها السلام في خضمِّ الأحداث

لقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله أحاديث بيَّن فيها ظلامة أهل بيته مِن بعده، مِن قِبَل أمَّته، والأحاديث من كتب السنَّة فقط، لكي ينتبه القارئ إلى كلام رسول الله صلى الله عليه وآله:

١. منها ما جاء في كتاب كشف الغمَّة: ١/ ٤١٦، قال صلى الله عليه وآله: «**احفظوني في عترتي وذريَّتي، فمن حفظني فيهم حفظه الله، ألا لعنة الله على من آذاني فيهم**» يقولها ثلاثًا.

٢. ومنها ما جاء في كتاب ذخائر العقبى: ١٨، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**استوصوا بأهل بيتي خيرًا، فإنِّي أخاصمكم عنهم غدًا، ومن أكن خصمه أخصمه، ومن أخصمه دخل النار**».

٣. ومنها ما جاء في المستدرك للحاكم النيسابوري: ٨٧/ ٤/ ٦/ ٤، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**سيلقى أهل بيتي من بعدي تطريدًا وتشريدًا**».

٤. ما جاء في كتاب المناقب لابن المغازليّ: ٤٠٣/ ٦٦ حديث ٩٤٠، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**الويل لظالمي لأهل بيتي، عذابهم مع المنافقين في الدَّرك الأسفل من النار**».

٥. ومنها ما جاء في ذخائر العقبى: ٢٠، قال صلى الله عليه وآله: «**إنَّ الله حرَّم الجنَّة على من ظلم أهل بيتي أو قاتلهم أو أغار عليهم أو سبَّهم**».

٦. ومنها ما جاء في كنز العمَّال: ١٢/ ٩٣، قال صلى الله عليه وآله: «**اشتدَّ غضب الله على مَن آذاني في عترتي**».

٧. وأيضًا في كنز العمَّال: ١٢/ ١٠٣، قال صلى الله عليه وآله: «**مَن آذاني في أهلي فقد آذى الله**»[1].

(١) الأستاذ شبير، الوثائق المخفيَّة في ظلامة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، الجزء الأوَّل، ص٤-٥.

لماذا اخترنا هذه الفترة؟ والسؤال الآخر: لماذا خصَّصنا البحث بهذه الفترة، أي في الأحداث التي وقعت بُعَيد استشهاد النبيّ ﷺ دون بقيَّة الأحداث التي وقعت في هذه الأمَّة؟.

والجواب: إنَّ هذه الفترة هي أكثر الفترات حساسيَّة في تاريخنا، ويمكن إثبات أهميَّتها من جهتَين، **الأولى**: هي أنَّ الفترة الأولى التي تتلو موت أيِّ زعيم في العالم، سواء كان زعيمًا دينيًّا أو سياسيًّا أو حتَّى اقتصاديًّا، تكون مهمَّة لأتباعه؛ لأنَّ غيابه يترك فراغًا كبيرًا بينهم، يسعون لسدِّه في أسرع وقت، وهذا يسبِّب في العادة ربكة في الوضع العام، وهذا ما حصل في الدولة الإسلاميَّة، إذ كان غياب النبيّ ﷺ بمثابة زلزال قويّ لهذه الدولة الفتيَّة كشف عن حقيقة كثير من الصحابة الذين اتّضحت نواياهم من خلال ردود أفعالهم. **الثانية**: هي أنَّ الافتراق الذي يعيشه المسلمون اليوم هو وليد تلك الخلافات إلى حصلت في الأيَّام الأولى من وفاته ﷺ[1]. من هنا تعلم أنَّ الزَّهراء عليها السلام طالبت بعدَّة أمور، وهي: الخُمس، الفيء، والميراث، وصدقات النبيّ ﷺ، ومطالبتها بميراثها أو بفدك، كما يحاول أن يصوِّر البعض. ونورد هنا توضيحًا لهذه المفردات:

١. الخمس: هو عبادة ماليَّة افترضها الله تعالى على المسلمين في كتابه، حيث قال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

٢. الفيء: الفاء والهمزة مع معتل بينهما كلمات تدلُّ على الرجوع، يقال: فاء الفيء رحل الظلّ من جانب المشرق إلى جانب المغرب، وكلُّ رجع في فيء، قال تعالى:

(١) أحمد سلمان، فاطمة الزَّهراء عليها السلام أحداث ما بعد رحيل الخاتم ﷺ، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م، ص٢٣، دار المحجَّة البيضاء، دار الأولياء، ص٦.

﴿حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾، وهذه الصدقات التي طلبتها فاطمة عليها السلام من أبي بكر وكذلك سهمه صلى الله عليه وآله بخيبر وفدك.

٣. فدك: وهذه أشهر ما يُذكَر عادة ،وهي ملك لفاطمة عليها السلام، وقد انتزعها أبو بكر وعمر منها. وسنفرد بابًا كاملًا في هذه المسألة، لاسيما في بيان أنَّها نِحلة وليست ميراثًا للمصطفى صلى الله عليه وآله.

٤. ميراث النبيّ صلى الله عليه وآله: وهي جملة أملاكه وتركته التي بقيت بعد استشهاده، وانتقاله للرفيق الأعلى صلى الله عليه وآله[1].

**حادثة الدَّار:**

إنَّ عمر هجم مع ثلاثمائة رجل على بيتها، أقبل عمر بقبس من نار إلى دار فاطمة عليها السلام، فجاء عمر ومعه فتيلة، فقالت فاطمة عليها السلام: **أتراك محرقًا عليَّ بابي؟**.

قال: نعم، وذلك أقوى فيما جاء به أبوك.

فقالت فاطمة عليها السلام: **يا ابن الخطَّاب أجئتَ لتحرق دارنا؟**.

قال: نعم أخرجي من في البيت وإلَّا أحرقته.

فحملوا حطبًا وحمل معهم، فجعلوه حول منزلها، وكان يصيح: أحرقوا دارها، فهجموا عليه وأحرقوا بابها، واستخرجوه منه كرهًا، فضرب عمر الباب برجله فكسره ثمَّ دخلوا.

قال عمر بن الخطاب: .. فركلت الباب، وقد ألصقت أحشائها بالباب تترسه..

فقالت فاطمة عليها السلام: آه يا فضَّة إليك فخذيني، فقد والله قتلوا ما في أحشائي من حمل.. ودخلت البيت، فأسقطت سقطًا سمَّاه عليّ عليه السلام (محسنًا)[2].

(١) أحمد سلمان، فاطمة الزَّهراء (٨)، أحداث بعد رحيل الخاتم صلى الله عليه وآله، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م، مطبعة دار المحجَّة البيضاء.

(٢) عبد الله عبد العزيز الهاشميّ، فاطمة الزَّهراء عليها السلام من قبل الميلاد إلى بعد الاستشهاد، ص٢٢٨-٢٣٠.

ما كانت الزَّهراء عليها السلام تنتظر أن ترى في حياتها يومًا كذلك اليوم، ومأساة كتلك المأساة، وإن كان أبوها الرسول صلى الله عليه وآله قد أخبرها بذلك إجمالا أو تفصيلًا، ولكنَّ السماع شيء والرؤية شيء آخر، وتأثير المصيبة يختلف سماعًا ورؤيةً، وترى الشعراء يتألَّمون من هذه المأساة المروِّعة، ويتحدَّثون عنها، يقول أحدهم:

**فأسقطت بنت الهدى وا حزنا**

**جنينها ذاك المسمى محسنا**

ويقول الآخر:

**أوَ تدري ما صدر فاطم ما المسما**

**ر ما حال ضلع المكسور**

**ما سقوط الجنين؟ ما حمرة**

**العين؟ ما بال قرطها المنثور**[1]

لمَّا جاءت فاطمة عليها السلام خلف الباب لتردَّ عمر وأصحابه، عصر عمر (فاطمة) خلف الباب، حتَّى أسقطت جنينها، وبقي مسمار الباب في صدرها، وسقطت مريضة حتَّى ماتت.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**اللهمَّ العن من ظلمها، وعاقب من أغضبها، وأذلَّ من أذلَّها، وخلِّد في نارك من ضرب جنينها حتَّى ألقت ولدها**»[2].

ومن رواية لابن جرير الطبريّ، قال:

حدَّثنا جرير عن زياد بن كليب قال: أتى عمر بن الخطَّاب إلى منزل عليّ عليه السلام وبه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين، وقال: والله لأحرقنَّ عليكم أو لتخرجنَّ إلى

(١) محمَّد كاظم القزوينيّ، الزَّهراء عليها السلام من المهد إلى اللحد، ص٢٦٧-٢٧٠.

(٢) عبد الله عبد العزيز الهاشميّ، فاطمة الزَّهراء عليها السلام من قبل الميلاد إلى بعد الاستشهاد، ص٢٣٠-٢٣١.

البيعة، فخرج عليه الزبير معلنًا بالسيف، فسقط السيف من يده، فوثبوا عليه فأخذوه.. إلى آخر كلامه، وقد روى الشهرستاني عن النظام قال: إنَّ عمر ضرب بطن فاطمة عليها السلام يوم البيعة حتَّى ألقت الجنين (المحسن) من بطنها، وكان يصيح أحرقوا دارها بمن فيها، وما كان في الدار غير عليّ وفاطمة عليها السلام والحسن والحسين عليهما السلام، فقالت فاطمة: **أفتحرق عليّ ولدي؟**.

فقال: إي والله أو ليخرجنَّ وليبايعنَّ[1].

هذا ما ظفرت به من المصادر المذكورة في كتب أهل السنَّة والجماعة. بعد عرض هذه النصوص التاريخيَّة انكشف لنا موقف بعض المسلمين تجاه أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، واتَّضح لنا أنَّ بعض الأفراد لم يراعوا حرمة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، ولا حرمة بيتها، ولا راقبوا كرامة زوجها أمير المؤمنين عليه السلام، ولا كرامة ولديها الحسن والحسين عليهما السلام، ولم يحفظوا فيهم حرمة الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله.

## المطلب الثاني: الزَّهراء عليها السلام تتصدَّى للمعارضة

هناك مجموعة أهداف مهمَّة كانت وراء طلب الزَّهراء عليها السلام لحقِّها، وهي:

**أوَّلًا**: أرادت الزَّهراء عليها السلام استرجاع حقّها المغصوب، وهذا أمر طبيعيّ لكلِّ إنسان غُصب حقَّه أن يطالب به بالطُّرق المشروعة.

**ثانيًا**: كان الحاكم قد استولى على جميع الحقوق السياسيَّة والاقتصاديَّة لبني هاشم، وألغى جميع امتيازاتهم الماديَّة والمعنويَّة.

وبالنسبة للأموال فقد منعوا بني هاشم فدك والميراث والخُمس، أي سهم ذوي القربى، واعتبروهم كسائر الناس.

(١) السيِّد محمَّد كاظم القزويني، الزَّهراء عليها السلام من المهد إلى اللحد، ص٢٦٥-٢٦٦.

وجعلت الزَّهراء عليها السلام من مطالبة بحقِّ بني هاشم وقتها، ومدافعة عنهم اعتمادًا على فضلها وشرفها وقربها من رسول الله صلى الله عليه وآله.

**ثالثًا**: استهدفت الزَّهراء عليها السلام، هي مطالبتها الحثيثة بفدك، فسح المجال أمامها للمطالبة بحقِّ زوجها. والواقع فدك صارت تتمشَّى مع الخلافة جنبًا إلى جنب، كما صار لها عنوان كبير، وسعة في المعنى، فلم تبقَ فدك قرية زراعيَّة محدودة بحدودها في عهد الرسول صلى الله عليه وآله، بل صار معناها الخلافة والرقعة الإسلاميَّة بكاملها، وممَّا يدلُّ على هذا تحديد الأئمَّة لفدك، فقد حدَّها عليّ عليه السلام في زمانه بقوله: حدٌّ منها جبل أُحد، وحدٌّ منها عريش مصر، وحدٌّ منها سيف البحر، وحدٌّ منها دومة الجندل، وهذه الحدود التقريبية للعالم الإسلاميّ آنذاك.

**رابعًا**: أرادت الزَّهراء عليها السلام بمنازعة أبي بكر، إظهار حاله وحال أصحابه للناس وكشفهم على حقيقتهم، ليهلك من هلك عن بيِّنة، ويحيى من حي عن بيِّنة، وإلَّا فبضعة الرسول صلى الله عليه وآله أجلُّ قدرًا وأعلى شأنًا من أن تقلب الدنيا على أبي بكر؛ حرصًا على الدنيا، ولاسيما أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله أخبرها بقرب موتها، وسرعة لحاقها به صلى الله عليه وآله.

ولذا لم ينهها الإمام عليّ عليه السلام عن منازعة أبي بكر في فدك، وهو القائل: «**وما أصنع بفدك وغير فدك، والنفس مكانها في غد جدث**»[1].

وهنا نتساءل، ما سبب إعطاء النبيّ صلى الله عليه وآله أرض فدك لفاطمة الزَّهراء عليها السلام أنَّ النبي صلى الله عليه وآله كان يرى أنَّ فاطمة عليها السلام مثل أمِّها خديجة الكبرى عليها السلام، التي دعمت النبيّ صلى الله عليه وآله ودين الله تعالى بأموالها، فهي أيضًا تعاضد عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ولا شكَّ أنَّ الشيء الوحيد الذي يقدر على جذب السواد الأعظم من الناس إلى شخص ما، أو يرفع العراقيل التي يضعها الأعداء في طريقه، هو وجود المال وإنفاقه عليهم، وكان إيراد فدك سنويًّا أربعة

(١) عبد الله عبد العزيز الهاشميّ، فاطمة الزَّهراء عليها السلام من قبل الميلاد إلى الاستشهاد، ص٢٥٥-٢٥٧.

وعشرين ألف دينار، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يعلم أنَّ فاطمة وعليّ عليهما السلام، لو عاشا بعده فقيرَين، فإنَّ سواد الناس لا يعاضدونهما فحسب، بل يصبحون عقبة في طريق هداية الناس.

ولذا وهب النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله فدكًا لفاطمة الزَّهراء عليها السلام، لكي تبقى بإشرافها معمورة، وتستغل فوائدها في الدعوة إلى الإسلام، والعمل على انتشاره[1].

لقد أوضحت الزَّهراء عليها السلام أنَّ إمامة عليّ عليه السلام هي بعد الرسول صلى الله عليه وآله، هي الامتداد الحقيقيّ للرسالة المحمَّديَّة، وكلَّفها هذا الموقف التضحية بنفسها الطاهرة، فظلامتها لم تكن من أجل قضيَّة هامشيَّة، بل من أجل قضيَّة كبرى، ألا وهي الإمامة والخلافة.

والجدير بالذِّكر أنَّ مظلوميَّة الزَّهراء عليها السلام تعدُّ من المسائل الثابتة والحوادث المهمَّة التي وقعت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، وجاء في صحيح البخاريّ: «**إنَّ فاطمة غضبت على أبي بكر، ومات وهي غضبى عليه**»، وقد طُرحت مظلوميَّتها من قِبَل أئمَّة أهل البيت عليهم السلام، ومن خلال أحاديثهم المتواترة، ومن هنا لم تعد هذه المظلوميَّة مسألة عاطفيَّة أو مجرَّد حادثة تاريخيَّة، لذا أخذت مظلوميَّة الزَّهراء عليها السلام بُعدًا آخر؛ لأنَّها ذات محتوى ومضمون خاص[2].

ذكر الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود في كتابه (الإمام عليّ بن أبي طالب)، ص٥٥: «واجتمعت جموعهم آونة في الخفاء وأخرى على ملأ، يدعون إلى ابن أبي طالب؛ لأنَّهم رأوه أولى الناس بأن يلي أمور الناس، ثمَّ تألَّبوا حول داره يهتفون باسمه، ويدعونه أن يخرج إليهم، يردُّوا عليه تراثه المسلوب.. فإذا المسلمون أمام هذا الحدث مخالف

(١) آية الله السيِّد حسن الأبطحيّ، أنوار الزَّهراء عليها السلام، الطبعة الثانية، مطبعة أفق، إيران، ص٤٢.
(٢) كاظم التصيدي الواسطيّ، أهل البيت عليهم السلام في الكتاب المقدَّس، الطبعة الأولى إيران، قم المقدَّسة ١٣٨٣ش/ ١٤٢٤هـ.ق، ص٨٨

أو نصير، وإذا بالمدينة حزبان، وإذا بالوحدة المرجوَّة شقَّان أوشكا على انفصال، ثمَّ لا يعرف غير الله ما سوف تؤول إليه بعد هذا الحال، فهلا كان عليّ (كابن عبادة) حريًّا في نظر ابن الخطَّاب بالقتل حتَّى لا تكون فتنة، ولا يكون انقسام».

وذكر ابن قتيبة في (الإمامة والسياسة)، ص١٩:

كيف كانت بيعة عليّ بن أبي طالب (كرَّم الله وجهه)؟ قال: وإنَّ أبا بكر تفقَّد قومًا تخلَّفوا عن بيعته عند عليّ (كرَّم الله وجهه)، فبعث إليهم عمر، فجاء فناداهم وهم في دار عليّ، فأبوا أن يخرجوا، فدعا بالحطب وقال: والذي نفس عمر بيده، لتخرجنَّ أو لأحرقها على مَن فيها، فقيل له: يا أبا حفص إنَّ فيها فاطمة؟ قال: وإن. فخرجوا فبايعوا، إلَّا عليًّا، فإنَّه زعم أنَّه قال: حلفتُ أن لا أخرج ولا أضع ثوبي على عاتقي حتَّى أجمع القرآن. فوقفت فاطمة على بابها، وقالت: **لا عهد لي بقومٍ حضروا أسوأ محضر منكم، تركتم رسول الله ﷺ جنازة بين أيدنيا، وقطعتم أمركم بينكم، لم تستأمرونا، ولم تردُّوا لنا حقًّا**[1].

## ما هي فدك؟

فدك اسم قرية معمورة بالكاد، مزروعة بالأشجار، في ضواحي المدينة المنوَّرة، وكانت هذه القرية تُعرَف بهذا الاسم منذ القِدَم أيضًا، وكانت فدك بحوزة اليهود، إلَّا أنَّه حين فتح المسلمون خيبر في العام السابع للهجرة، خاف يهود قرية (فدك)، فبعثوا رسولًا إلى رسول الله ﷺ، وطلبوا الصلح، فلبَّى رسول الله ﷺ طلبهم، وعقد معهم الصلح، وفي مقابل ذلك أعطى هؤلاء نصف أموالهم من بساتين وأراضي فدك إلى رسول الله ﷺ، أي إنَّهم خصُّوه بها دون سواه.

ومِن الأحكام الإسلاميَّة المتَّفق عليها، هو أنَّه إذا فتح المسلمون موضعًا دون أن

(١) محمَّد كاظم القزوينيّ، فاطمة الزَّهراء من المهد إلى اللحد، المطبعة العلميَّة قم، شارع ارم، ١٤١٤هـ.ق، ص٢٦٢، ٢٦٤-٢٦٥.

يوجفوا عليه بخيل أو ركاب، فإنَّه يعتبر من الصوافي التي تخصُّ رسول الله، وليس لمسلم أن يشاركه فيه، وبما أنَّ اليهود هم الذين قدَّموا (فدك) إليه بأنفسهم، فهي اذًا مُلك خاص به، ولا تتعلَّق بأي مسلم من المسلمين[1].

## حقُّ الزَّهراء عليها السلام في فدك:

فاطمة الزَّهراء عليها السلام هي الوريثة الوحيدة الشرعيَّة لأبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، عن أبي سعيد الخدريّ قال: لـمَّا نزلت آية ٢٦ من سورة الإسراء: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾، دعا رسول الله صلى الله عليه وآله: فاطمة سلام الله عليها فأعطاها فدكًا[2].

ومن جملة ما غنمه المسلمون أموال يهود خيبر، فأخذ النبيّ صلى الله عليه وآله سهمه وسهم الله، قال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ سورة الأنفال، آية: ٤١.

استولى أبو بكر بعد موت الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله على الحوائط السبعة، وعلى فدك، وعلى حقِّها في خمس خيبر. إنَّ أبا بكر منع فاطمة عليها السلام وبني هاشم سهم ذوي القربى، وجعله في سبيل الله في السلاح والكراع.

عن عائشة: إنَّ فاطمة عليها السلام بنت النبيّ صلى الله عليه وآله أرسلت إلى أبي بكر فسألته ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله.. إلى أن قالت: فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة عليها السلام منها شيئًا، فوجَدَت (أي غضبت) فاطمة عليها السلام على أبي بكر في ذلك، فهجرته فلم تكلِّمه حتَّى توفِّيت[3].

روى صاحب الاحتجاج والشيخ الأجل عليّ بن ابراهيم القمِّي، عن حمَّاد بن عثمان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لـمَّا بويع أبو بكر واستقام له الأمرعلى جميع المهاجرين

(١) السيِّد حسن الأبطحيّ، أنوار الزَّهراء عليها السلام الطبعة الثانية، مطبعة أفق، ص٤٠-٤١.
(٢) عبد الله عبد العزيز الهاشميّ، فاطمة الزَّهراء من قبل الميلاد إلى بعد الاستشهاد، ص٢٤٩-٢٥٠.
(٣) المصدر نفسه.

والأنصار، بعث إلى فدك أن أخرِج وكيل فاطمة بنت رسول الله ﷺ منها.

فجاءت فاطمة عليها السلام إلى أبي بكر فقالت: **لـمَ تمنعني ميراثي من أبي رسول الله ﷺ؟** فقال: هاتي على ذلك بشهود، فجاءت بأمِّ أيمن، فقالت: لا أشهد يا أبا بكر حتَّى أحتجَّ عليك بما قال رسول الله ﷺ. فقالت: أنشدك بالله، ألست تعلم أنَّ رسول الله ﷺ قال: إنَّ أمَّ أيمن من أهل الجنَّة؟ فقال بلى. قالت: فأشهد أنَّ الله عزّ وجلّ أوحى إلى رسول الله ﷺ ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾، فجعل فدك لفاطمة بأمر الله. وجاء عليّ عليه السلام فشهد بمثل ذلك، فكتب كتابًا لها ودفعه إليها.

فدخل عمر فقال: ما هذا الكتاب؟ فقال أبو بكر: إنَّ فاطمة عليها السلام ادَّعت في فدك. وشهدت لها أمّ أيمن وعليّ فكتبته. فأخذ عمر الكتاب من فاطمة ومزَّقه، وقال: هذا فيء المسلمين(١).

وقال مالك بن أوس بن الحدثان، وعائشة وحفصة، يشهدون على رسول الله ﷺ بأنَّه قال: إنَّا معاشر الأنبياء لا نورِّث، ما تركناه صدقة، فإنَّ عليًّا عليه السلام يجر إلى نفسه، وأم أيمن فهي امرأة صالحة، لو كان معها غيرها لنظرنا فيه.

وعن عليّ بن أسباط قال: لـمَّا ورد أبو الحسن موسى عليه السلام على المهدي العبَّاسيّ، رآه يردُّ المظالم، فقال: «يا امير المؤمنين، ما بال مظلمتنا لا تُرد. فقال له: و ما ذاك أبا الحسن؟ قال: إنَّ الله تبارك وتعالى لـمَّا فتح على نبيِّه ﷺ فدكًا وما والاها، لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، فانزل الله على نبيه ﷺ ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾، فلم يدرِ رسول الله ﷺ مَن هُم، فرجع في ذلك إلى جبرئيل، وراجع جبرئيل عليه السلام ربَّه فأوحى الله اليه أن ادفع فدكًا إلى فاطمة عليها السلام، فدعاها رسول الله ﷺ، فقال لها: **يا فاطمة إنَّ الله أمر بأن أدفع إليك فدكًا**. فقالت: **قد قبلت يا رسول الله من الله ومنك**. فلم يزل وكلاؤها فيها حياة رسول

(١) هشام آل قطيط، سلوا فاطمة عليها السلام عن مصائبها، طبعة أولى، بيروت، لبنان، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨، ص٣١٨-٣١٩.

الله صلى الله عليه وآله. فلمَّا ولي أبو بكر أخرج منها وكلاءها، فأتته فسألته أن يردَّها عليها. فقال لها: أئتيني بأسود أو أحمر يشهد لكي، فجاءت بأمير المؤمنين وأمّ أيمن فشهدا لها. فكتب لها بترك التعرُّض، فخرجت والكتاب معها، فلحقها عمر فقال: ما هذا معك يا بنت محمَّد؟ قالت: كتاب كتبه لي ابن أبي قحافة، قال: أرينيه، فأبت فانتزعه من يدها، ونظر فيه، ثمَّ تفل فيه ومحاه وخرقه، فقال لها: هذا لم يوجف عليه أبوك بخيل ولا ركاب، فضعي الحبال في رقابنا[1].

إنَّ أنكار أبي بكر فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وآله مع كونه مخالفًا للآية والإجماع وأخبارهم. وإلى أنَّه انتزع فدك من يد وكلاء فاطمة عليها السلام، وطلب منها الشهود مع أنَّها لم تكن مدَّعية.

فحكم بغير حكم الله وحكم الرسول صلى الله عليه وآله. وإلى طلب الشاهد الثالث من المعصومة، وردَّ شهادة المعصومين الذين أنزل الله تعالى فيهم ما أنزل، وقال فيهم النبيّ صلى الله عليه وآله ما قال، ومنعها ميراثها، خلافا لحكم الكتاب وافترائه على الرسول صلى الله عليه وآله بما شهد الكتاب والسنَّة بكذبه، فتبوَّأ مقعده من النار، وظلمه عليها صلوات الله عليها في منع سهم ذوي القربى، خلافًا لله تعالى ومناقضته لما رواه، حيث مكَّن الأزواج من التصرُّف في الحجر وغيرها. ممَّا يستنبط من فحاوي ما ذكر من الأخبار. ولا يخفى طريق استنباطها على أولي الأبصار[2].

فخرجت فاطمة صلوات الله عليها من عندهما باكية حزينة، فلمَّا كان بعد ذلك [هذا] جاء عليّ عليه السلام إلى أبي بكر وهو في المسجد وحوله المهاجرون والأنصار، فقال: يا أبا بكر منعت فاطمة ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد ملكته في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال

(١) آية الله العظمى السيِّد محمَّد الحسينيّ الشيرازيّ، فاطمة الزَّهراء عليها السلام في السُّنَّة المطهَّرة، الطبعة الأولى (١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م)، مطبعة العراق، كربلاء، ص٢٤-٢٥.

(٢) العلَّامة المولى الشيخ محمَّد باقر المجلسيّ، الفريدة في لوعة الشهيدة عليها السلام، موسوعة بحار الأنوار، الطبعة الأولى، نكارش، إيران، قم، ص٣٨٣.

أبو بكر: هذا فيء المسلمين، فإن أقامت شهودًا أنَّ رسول الله ﷺ جعله لها، وإلَّا فلا حقَّ لها فيه، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا أبا بكر تحكم فينا بخلاف حكم الله في المسلمين؟ قال: لا، قال: فإن كان في يد المسلمين شيء يملكونه، ثمَّ ادَّعيت أنا فيه، هل تسأل البيِّنة؟ قال: إيَّاك كنت أسأل البيِّنة، قال: فما بال فاطمة عليها السلام سألتها البيِّنة على ما في يدها، وقد ملكته في حياة رسول الله ﷺ وبعده، ولم تسأل المسلمين البيِّنة على ما ادَّعوها شهودًا، كما سألتني على ما ادَّعيت عليهم. فسكت أبو بكر، فقال عمر: يا عليّ دعنا من كلامك فإنَّا لا نقوى على حجَّتك، فإن أتيت بشهود عدول وإلَّا فهو فيء للمسلمين، لا حقَّ لك ولا لفاطمة.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا أبا بكر تقرأ كتاب الله؟ قال نعم. قال: أخبرني عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، نزلت فينا أم في غيرنا؟ قال: بلى فيكم. قال: فلو أنَّ شهودًا شهدوا على أنَّ فاطمة بنت رسول الله ﷺ أتت بفاحشة ماكنت صانعًا بها؟ قال: كنت أقيم عليها الحد، كما أقيم على نساء المسلمين، قال: إذًا كنتَ عند الله من الكافرين. قال: ولم؟ قال: لأنَّك رددت شهادة الله لها بالطهارة، وقبلت شهادة الناس عليها، كما رددت حكم الله وحكم رسول الله ﷺ، إذ جعل لها فدك وقبضته في حياته، ثم قبلت شهادة اعرابي بائل على عقبيه عليها، وأخذت منها فدك وزعمت أنَّها فيء للمسلمين[1].

وفي دراسة أخرى: لما أجمع أبو بكر على منع فاطمة عليها السلام فدك، وبلغها ذلك لاثت خمارها على رأسها واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لـمَّة من حفدتها ونساء قومها، تطأ ذيولها، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله ﷺ، حتَّى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنيطت دونها ملاءة، فجلست، ثمَّ أنَّت أنَّةً أجهش

(١) هشام آل قطيط، سلوا فاطمة عن مصابها، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ٣١٩-٣٢٠.

القوم لها بالبكاء، فارتجَّ المجلس، ثمَّ أمهلت هُنيئة حتَّى إذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم، افتتحت الكلام بحمد الله تعالى والثناء عليه، والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله، فعاد القوم في بكائهم، فلمَّا أمسكوا عادت في كلامها، فقالت عليها السلام[1]:

«**الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، والثناء بما قدم من عموم نِعم ابتداها، وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن أولاها جمٍّ على الإحصاء عددها، ونأى من الجزاء أمدها، وتفاوت في الإدراك أبدها وندبهم لاستزادها بالشكر لاتِّصالها، واستحى الخلائق بإجزالها وثنى بالندب من أمثالها. وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له كلمة جعل الإخلاص تأويلها، وضمن القلوب وصولها، وأنار في الفكر معقولها، الممتنع من الإبصار رؤيته، ومن الألسن صفته، ومن الأوهام كيفيَّته، ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها، وأنشأها بلا أحتذاء أمثلة امتثلها**»، إلى أن قالت سلام الله عليها: «**أيُّها الناس اعلموا أنِّي فاطمة وأبي محمَّد صلى الله عليه وآله أقول عودًا وبدءًا، ولا أقول ما أقول غلطًا، ولا أفعل ما افعل شططًا ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، فإن تعزوه وتعرفوه تجدوه أبي دون نسائكم، و أخا ابن عمِّي دون رجالكم، ولنعم المعزى إليه صلى الله عليه وآله، فبلَّغ الرسالة صادعًا بالنذارة، مائلًا عن مدرجة المشركين، ضاربًا ثَبَجهم، آخذًا بأكظامهم، داعيًا إلى سبيل ربِّه بالحكمة والموعظة الحسنة، يكسر الأصنام، وينكث الهام، حتَّى انهزم الجمع وولُّوا الدُّبر، حتَّى تفرَّى الليل عن صبحه، وأسفر الحقُّ عن محضه، ونطق زعيم الدين، وخرست شقاشق الشياطين، وطاح وشيظ النفاق، وانحلَّت عقد الكفر والشقاق، وفهتم بكلمة الإخلاص في نفر من البيض الخماص، الَّذينَ أَذْهَبَ الله عَنْهُمُ الرِّجس وَطَهَّرهُمْ تَطْهِيرًا، ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾، مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبسة العجلان، وموطئ الأقدام، تشربون الطَّرَق، وتقتاتون القدَّ أذلَّة خاسئين**

(١) آية الله سيِّد حسن الأبطحيّ، أنوار الزَّهراء عليها السلام، الطبعة الثانية مطبعة أفق، قم، ص٥٠.

**[صاغرين]، تخافون أن يتخطَّفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بأبي محمّدﷺ بعد اللّتيّا والّتي، وبعد أن مني ببهم الرجال وذؤبان العرب، ومردة أهل الكتاب»**[1].

وهناك مجموعة أهداف مهمَّة كانت وراء طلب الزَّهراءعليها السلام لحقِّها، وهي:

**أوَّلًا**: أرادت الزَّهراءعليها السلام استرجاع حقَّها المغصوب، وهذا أمر طبيعيّ لكلِّ إنسان غُصِب حقُّه أن يطالب به بالطُّرق المشروعة.

**ثانيًا**: كان الحاكم قد استولى على جميع الحقوق السياسيَّة والاقتصاديَّة لبني هاشم، وألغى جميع امتيازاتهم الماديَّة والمعنويَّة.

وبالنسبة للأموال، فقد منعوا بني هاشم فدك والميراث والخمس، أي سهم ذوي القربى، واعتبروهم كسائر الناس.

وجعلت الزَّهراءعليها السلام من مطالبة بحقِّ بني هاشم وقتها، ومدافعة عنهم، اعتمادًا على فضلها وشرفها وقربها من رسول اللهﷺ.

**ثالثًا**: استهدفت الزَّهراءعليها السلام في مطالبتها الحثيثة بفدك، فسح المجال أمامها للمطالبة بحقِّ زوجها. والواقع فدك صارت تتمشَّى مع الخلافة جنبًا إلى جنب، كما صار لها عنوان كبير وسعة في المعنى، فلم تبقَ فدك قرية زراعيَّة محدودة بحدودها في عهد الرسولﷺ، بل صار معناها الخلافة والرقعة الإسلاميَّة بكاملها، وممَّا يدلُّ على هذا تحديد الأئمَّة لفدك، فقد حدَّها عليّ عليه السلام في زمانه بقوله: **حدٌّ منها جبل أُحد، وحدٌّ منها عريش مصر، وحدٌّ منها سيف البحر، وحدٌّ منها دومة الجندل**. وهذه الحدود التقريبيَّة للعالم الإسلاميّ آنذاك.

**رابعًا**: أرادت الزَّهراءعليها السلام بمنازعة أبي بكر إظهار حاله وحال أصحابه للناس،

(١) هشام آل قطيط، سلوا فاطمةعليها السلام عن مصائبها، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص٣٢٩-٣٣٠.

وكشفهم على حقيقتهم، ليهلك من هلك عن بيِّنة، ويحيى من يحيى عن بيِّنة. وإلَّا فبضعة الرسول صلى الله عليه وآله أجلُّ قدرًا وأعلى شأنا من أن تقلب الدنيا على أبي بكر حرصًا على الدنيا. ولاسيما أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله أخبرها بقرب موتها، وسرعة لحاقها به صلى الله عليه وآله.

ولذا لم ينهها الإمام عليّ عليه السلام عن منازعة أبي بكر في فدك، وهو القائل: «**وما أصنع بفدك وغير فدك، والنفس مكانها في غدٍ جدث**»(١).

وهنا نتساءل ما سبب إعطاء النبيّ صلى الله عليه وآله أرض فدك لفاطمة الزَّهراء عليها السلام؟

إنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يرى أنَّ فاطمة عليها السلام مثل أمِّها خديجة الكبرى عليها السلام التي دعمت النبيّ صلى الله عليه وآله ودين الله تعالى بأموالها، فهي أيضًا تعاضد عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ولا شكَّ أنَّ الشيء الوحيد الذي يقدر على جذب السواد الأعظم من الناس إلى شخص ما، أو يرفع العراقيل التي يضعها الأعداء في طريقة، هو وجود المال وإنفاقه عليهم، وكان إيراد فدك سنويًا أربعة وعشرين ألف دينار، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يعلم أنَّ فاطمة وعليّ عليهما السلام لو عاشا بعده فقيرَين، فإنَّ سواد الناس لا يعاضدونهما فحسب، بل يصبحون عقبة في طريق هداية الناس.

ولذا وهب النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله فدكًا لفاطمة الزَّهراء عليها السلام، لكي تبقى بإشرافها معمورة، وتستغل فوائدها في الدعوة إلى الإسلام، والعمل على انتشاره(٢).

## المطلب الثالث: خطبة الزَّهراء عليها السلام مع نساء المهاجرين والأنصار

لقد انتشر خبر استياء فاطمة الزَّهراء عليها السلام من السلطة ونقمتها على الذين آزروا الحزب الحاكم بسكوتهم وصمتهم، وتناسوا كلَّ النصوص التي نزلت في

(١) عبدالله عبد العزيز الهاشميّ، فاطمة الزَّهراء عليها السلام من قبل الميلاد إلى الاستشهاد، ص٢٥٥-٢٥٧.

(٢) آية الله سيِّد حسن الأبطحيّ، أنوار الزَّهراء عليها السلام، الطبعة الثانية، مطبعة أفق، إيران، ص٤٢.

آل الرسولﷺ. وأعرضوا عن كلِّ حديث سمعوه من شفَتَي الرسولﷺ في حقِّ الزَّهراءعليها السلام وزوجها وولديها، وأخيرًا تولَّد شيء من الوعي عند الناس، وعرفوا أنَّهم مخطؤون في دعم السلطة الحاكمة التي لم تعترف بشرعيَّة الزعامة لآل الرسولﷺ، ولا تعير للحقِّ اهتمامًا، ولا للمنصف موقعًا، سوى القوَّة وحدّ السيف.

**عيادة النساء للسيِّدة الزَّهراءعليها السلام:**

لا نعلم بالضبط السَّير الحقيقي والدافع الأصليّ الذي دعا بنساء المهاجرين والأنصار لعيادة السيِّدة الزَّهراءعليها السلام، فهل كان ذلك بإيعاز من رجالهنَّ؟ وما الذي دعا أولئك الرجال لإرسال نسائهم إلى دار السيِّدة الزَّهراءعليها السلام؟ وهل حصل الوعي عند النساء وشعرن بالتقصير والخذلان[1] لبنت رسول اللهﷺ، فانتشر هذا الشعور بين النساء، فحضرن للعيادة والمجاملة، أو إرضاءً لضمائرهنَّ المتألِّمة ممَّا حدث وجرى على سيِّدة النساء؟.

كانت هناك أسباب سياسيَّة فُرِضت عليهنَّ، فحضرن لتلطيف الجوِّ وتخفيف التوتُّر في العلاقات بين بنت رسول اللهﷺ وبين السلطة الحاكمة في ذلك اليوم؟ خاصَّة وأنَّ الموقف الاعتزاليّ الذي اختارته السيِّدة فاطمةعليها السلام لنفسها، وانسحابها عن ذلك المجتمع لم يكن خاليًا عن التأثير، بل كان عاملًا مساعدًا لانتباه الناس، وبالأخص حين حمل الإمام أمير المؤمنينعليه السلام السيِّدة فاطمةعليها السلام يطوف بها على بيوت الأنصار، تستنجد بهم وتستنهضهم، فلم تجد منهم الإسعاف، بل وجدت التخاذل[2].

إنَّ عدد النساء اللاتي حضرن لعيادة الزَّهراء لم يكن قليلًا، فانتهزت السيِّدة فاطمة الزَّهراءعليها السلام الفرصة، واستغلت اجتماع النساء عندها لأن تضع النقاط على الحروف،

(١) هشام آل قطيط، سلوا فاطمة عن مصائبها، الطبعة الاولى، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، بيروت، لبنان، ص٥٩٨.

(٢) مجلَّة الصفحة الرئيسيَّة، مكتبة الموقع، مكتبة فاطمة الزَّهراءعليها السلام.

وتكتب في سجلِّ التاريخ الأعمال البشعة التي قام بها بعض المسلمين تجاه عترة نبيِّهم وذريَّته الطاهرة، فإنَّ النساء يشكِّلن نصف المجتمع أو اكثر من نصف، وكلُّ امرأة مرتبطة برجل من زوج أو أخ أو ابن، فهي بإمكانها أن تقوم بدور فعَّال في المجتمع، وخاصَّة في حقل الدعاية والإعلام والنشر، وهنا أجابت الزَّهراء عليها السلام على أسئلة النسوة كما تقتضي الحال فلا تتعجب إن كانت السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام ما نسيت أصول الفصاحة والبلاغة والأدب الرفيع والمستوى الأعلى بسبب انحراف صحَّتها بل قالت.. فاطمة الزَّهراء عليها السلام تضع النقاط على الحروف[1].

حدَّثنا أحمد بن الحسن القطَّان، قال حدَّثنا عبد الرحمن بن محمَّد الحسين، قال حدَّثنا أبو الطيِّب محمَّد بن الحسين بن حميد اللخميّ، قال حدثنا أبو عبد الله محمَّد بن زكريَّا، قال حدثنا محمَّد بن عبدالرحمن المهلَّبيّ، قال حدثنا عبدالله بن محمَّد بن سليمان عن أبيه عن عبد الله بن الحسن، عن أمِّه فاطمة بنت الحسين عليه السلام قال: لـمَّا اشتدت علَّة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله اجتمع عندها نساء المهاجرين والأنصار فقلن لها: يا بنت رسول الله كيف أصبحتي من علَّتك؟.

فقالت: «**اصبحت والله عائفة لدنياكم، قالية لرجالكم، لفظتهم قبل أن عجمتهم، وشنئتهم بعد أن مبرتهم، فقبحًا لفلول الحدِّ وخورة القناة وخطل الرأي ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾، لا جرم لقد قلدتهم رمقتها وشننت عليهم عارها مجدعات عقرا وسحقا للقوم الظالمين ويحهم انى زحزحوها عن رواسي الرسالة وقواعد النبوة ومهبط الوحي الامين والطبّين بأمر الدنيا والدين**[2]، **﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾، وما نقموا من أبي الحسن؟! نقموا**

(١) هشام آل قطيط، سلوا فاطمة عن مصائبها، ص٥٩٨.

(٢) سماحة الشيخ صالح الكرباسيّ، مجلَّة مركز الإشعاع الإسلاميّ للدراسات والبحوث الإسلاميَّة.

والله من نكير سيفه وشدَّة وطئه وثكال وقعته وتنمُّره في ذات الله عزَّ وجلَّ، والله لو تكافوا عن زمان نبذة رسول الله صلى الله عليه وآله إليه لاعتقله ولسار بهم سيرًا مسجحًا لا يكلم خشاشة ولا يتعتع راكبه ولأوردهم منهلًا نميرًا صافيًا رويًّا فضفاضًا تطفح ضفتاه ولا يترنق جانباه ولا صدرهم بطانا ونصح لهم سرًّا وإعلانًا، ولم يكن يحلى من الغنى بطائل ولا يحظى من الدنيا بنائل غير ري الناهل وشبعة الكافل ولبان لهم الزاهد من الراغب والصادق من الكاذب ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾، ﴿وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾[1].

ألا هلمَّ فاستمع، وما عشت أراك الدهر عجبًا، وإن تعجب فعجب قولهم ليت شعري إلى أيِّ إسناد استندوا، وعلى أيِّ عمادٍ اعتمدوا، وبأيِّ عروة تمسَّكوا، وعلى أيِّ ذريَّة أقدموا واحتنكوا، لبئس المولى ولبئس العشير، وبأسًا للظالمين بدلًا، استبدلوا والله الذنابى بالقوادم والعجزة بالكاهل، فرغمًا لمعاطس قوم يحسبون أنَّهم يحسنون صنعًا، ألَّا أنَّهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون، ويحهم أفمَن يهدي إلى الحقِّ أحقُّ أن يتَّبع أمَّن لا يهدي إلى أن يهدى فما لكم كيف تحكمون، أما لعمري لقد لقحت فنظرة ريثما تنتج ثمَّ احتلبوا ملء القعب دمًا عبيطًا وذعافًا مبيدًا، هنالك يخسر المبطلون ويعرف التالون غب ما أسَّس الأوَّلون، ثمَّ طيبوا عن دنياكم أنفسًا واطمئنوا للفتنة جأشًا وأبشروا بسيف صارم وسطوة معتد غاشم وبهرج شامل واستبداد من الظالمين، يدع فيئكم زهيدًا وجمعكم حصيدًا، فيا حسرة لكم وأنَّى بكم وقد عميت عليكم انلزمكموها وأنتم كارهون».

قال سويد بن غفلة: فأعادت النساء قولها على رجالهنَّ، فجاء إليها قوم من وجوه

(١) سماحة الشيخ عبد الله البحرانيّ، الجزء الثاني، مجلَّة موقع الشيعة، العوالم، خطبة فاطمة الزَّهراء عليها السلام أمام نساء المهاجرين والأنصار.

المهاجرين والأنصار معتذرين وقالوا: يا سيِّدة النساء لو كان أبو الحسن ذكر لنا هذا الأمر من قبل أن نبرم العهد ونحكم العقد لما عدلنا إلى غيره. فقالت: «**إليكم عنِّي فلا عذر بعد تعذيركم ولا أمر بعد تقصيركم**»[1].

من المعلوم والجليِّ أنَّ الخطبة كانت في بيتها الشريف، وذلك ظاهر لما جاء في متن الخطبة، وهو قول عدَّة من الرواة «لـمَّا مرضت فاطمة الزَّهراء عليها السلام المرضة التي توفِّيت بها، ودخل نساء المهاجرين والانصار عليها فقلن..»، وعلى الرغم من قصر الخطبة إلَّا أنَّها اشتملت على اسمى درجات البلاغة والفصاحة وفنون الأدب، واتَّخذت من آي القرآن ما يزيد في حسنها حسنًا وبلاغتها بلاغةً، بل لو إنَّ القارئ لا يعرف ما تلت في بعض مواضع خطبتها من آي القران لظنَّ أنَّه من كلامها دون القرآن؛ لأنَّها رقت سماء البلاغة والجزالة بما لا نظير له على مرِّ العصور، ولا عجب فإنَّها ابنة من قال: «**أنا أفصح مَن نطق بالضاد**»، وكذلك بعلها أمير المؤمنين عليه السلام يبيِّن حالها وحاله، حيث يقول: «**نحن أمراء الكلام، وفينا نشبت عروقه، وعلينا تهدَّلت غصونه**».

## الخاتمة

بعد ان انتهينا من البحث، توصلنا إلى مجموعة من الاستنتاجات والتوصيات، كما يأتي:

١. إنَّ لهذه السيِّدة الجليلة العظيمة من المنزلة الفضيلة السامية ممَّا جعلها أن تكون سيِّدة نساء العالمين، ويكون لها دور مهم في الرسالة المحمَّديَّة.

٢. إنَّ العامل الإنسانيّ هو المحرِّك الوحيد للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام في إرشاد الأمَّة لأصالة النظريَّة الإسلاميَّة في مرحلة ما بعد النبوَّة.

(١) هشام آل قطيط، سلوا فاطمة عن مصائبها، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، بيروت، لبنان، ص ٤١٢-٤١٤.

٣. لقد ركَّز البحث على المستوى الإنسانيّ المثالي لدى الزَّهراء عليها السلام، وعرض إلى الكيان الذاتيّ لها تكوينًا، ووقف قدر المستطاع عند جهادها وجهودها في سبيل الدين الجديد، وإعلاء كلمة الله في الأرض.

٤. أعطى الله سبحانه وتعالى فاطمة الزَّهراء عليها السلام أوفر حظٍّ من العظمة وأوفى نصيب من الجلالة، فهي زهرة أولياء الله الذين عرفت لهم السماء بالعظمة قبل أن يعرفهم أهل الأرض.

٥. إنَّ الزَّهراء عليها السلام هي الشخصية التي التزمت بالإسلام عقيدةً ونظامًا وفكرًا وسلوكًا، وكيف لا وهي أمُّ ابيها، وحجَّة الله الكبرى، ربيبة المكرمة العفيفة المعصومة، آية الله العظمى.

**التوصيات:**

١. أن ننتهج نهج سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء عليها السلام، حيث إنَّها لم تعش لنفسها أو تفكِّر في نفسها، وإنَّما كإنسانة عاشت لنهج الإسلام الأصيل.

٢. ضرورة إدخال سيرة الزَّهراء عليها السلام بكلِّ ما قدَّمته، والأدوار التي قامت بها داخل أسرتها، وإدخال هذه السيرة في مفاهيم الدراسة المدرسيَّة.

٣. توجُّه الإعلام لبيان دور السيِّدة الزَّهراء عليها السلام من خلال برامج الأطفال والبرامج التربويَّة.

٤. الدعوة بجعل اليوم العالميّ للمرأة هو يوم الزَّهراء عليها السلام، كونها تمثِّل كلَّ نساء العالمين.

٥. الخروج من عمليَّة الدفاع إلى عمليَّة التأسيس والتأصيل لتراث أهل البيت عليهم السلام وفق منهجٍ تربويٍّ منظَّم.

٦. تكثيف دور طلَّاب الحوزات العلميَّة في نشر سيرة الزَّهراء عليها السلام في المدارس الابتدائيَّة والمتوسِّطة والاعداديَّة، عن طريق محاضرات إرشاديَّة أثناء الدوام الرسميّ للطالبات.

٧. التنظيم والتنسيق بين إدارات المدارس الحوزويَّة وإدارات الجامعات للقيام بزيارة الجامعات حسب وقت وجدول محدَّد، لتوضيح ونشر سيرة الزَّهراء عليها السلام بين الطالبات؛ للاقتداء بها.

## المصادر

١. د. حسن حنفي، من النقل إلى العقل، علوم السيرة من الرسول صلى الله عليه وآله إلى الرسالة.

٢. أبو نصر إسماعيل بن حمَّاد الجواهريّ الفارابيّ، الصِّحاح، الجزء الثاني.

٣. عبدالله عبد العزيز الهاشميّ، فاطمة الزَّهراء عليها السلام من قبل الميلاد إلى الاستشهاد.

٤. آية الله سيِّد حسن الابطحيّ، أنوار الزَّهراء عليها السلام.

٥. هشام آل قطيط، سلوا فاطمة عليها السلام عن مصائبها.

٦. سماحة الشيخ صالح الكرباسيّ، مركز الإشعاع الإسلامي للدراسات والبحوث الإسلاميَّة.

٧. سماحة الشيخ عبدالله البحرانيّ، خطبة فاطمة الزَّهراء عليها السلام أمام نساء المهاجرين والأنصار.

٨. العلَّامة الشيخ محمَّد باقر المجلسيّ، الفريدة في لوعة الشهيدة عليها السلام.

٩. آية الله العظمى السيِّد محمَّد الحسينيّ الشيرازيّ، فاطمة الزَّهراء عليها السلام في السنَّة المطهَّرة.

١٠. كاظم النصير الواسطيّ، أهل البيت عليهم السلام في الكتاب المقدَّس.

١١. محمَّد كاظم القزوينيّ، فاطمة الزَّهراء عليها السلام من المهد إلى اللحد.

١٢. الدكتور عبد الرزَّاق مرزوك، مصطلح السيرة، أصله اللغويّ وحقله الدلاليّ.

١٣. عبد الواحد بآمري، أستاذ مساعد في قسم المعارف الإسلاميَّة، دراسة في طريق الاقتداء بالتركيز على التأسِّي بالسيرة الصحيحة للسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام.

١٤. أحمد مسلحان، فاطمة الزَّهراء عليها السلام، أحداث ما بعد رحيل الخاتم.

١٥. محمَّد حسين عليّ الصغير، الزَّهراء عليها السلام من الوجه الآخر.

١٦. ميثم العقيليّ، سيرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام.

١٧. السيِّد محمَّد باقر الحكيم، الزَّهراء عليها السلام أهداف مواقف نتائج.

١٨. عادل العلويّ، فاطمة عليها السلام مشكاة الأنوار.

١٩. السيِّد عادل عليّ عاشور، موسوعة فاطمة الزَّهراء عليها السلام.

٢٠. السيِّد محمَّد حسين المعموريّ، الزَّهراء عليها السلام كثر واتره وقلَّ ناصره.

٢١. عليّ الفتلاويّ، النوران الزَّهراء والحوراء عليهما السلام.

**المجلات والمقالات:**

٢٢. مجلَّة السير والتاريخ، نفحات في علوم المسلم.

٢٣. مجلَّة منتدى الوتشريس، المنتديات العامَّة، السيرة لغةً واصطلاحًا.

٢٤. مجلَّة مكتبة الموقع، مكتبة ناطحة الزَّهراء عليها السلام.

٢٥. منتديات ستار تايمز، تطوُّر السيرة عبر العصور.

٢٦. مقالة عليّ بن عمر بادحدح، السيرة النبويَّة.

# جهاد السيِّدة الزَّهراء عليها السلام

الباحثة زينب عبد الله حمود الخفاجيّ

## الملخَّص

الحمد للهِ ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين، وعلى أهل بيته الطيِّبين الطاهرين المعصومين، وأصحابه المنتجَبين.

عندما نقرأ عن حياة السيِّدة فاطمة الزَّهراء، نرى أنَّها قد ولِدت في بيت الجهاد، وقد قضت طفولتها في كنفِ أبٍ جليل، كان مستمرًّا في الجهاد في سبيل الله تعالى، واشتركت السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها الصلاة والسلام في الجهاد في سبيل الله بالمعنى الأعمّ، مثل الجهاد في الشِّعب، حيث حصر المشركون الرسول صلى الله عليه وآله وأهله في شِعب أبي طالب عليه السلام ثلاث سنوات، وكان ذلك من أعظم الجهاد، وكانت تلفحهم الشمس نهارًا، ويؤذيهم البرد ليلًا.

وبعد هجرتها إلى المدينة، أصبحت زوجة عظيمة لرجلٍ أمضى حياته جهادًا في سبيل الله تعالى، وكانت هذه السيِّدة الجليلة لائقةً لرجلٍ مجاهدٍ في ميدان الجهاد، ولا ننسى أيضًا جهادها في أموالها وأراضيها التي وهبها لها النبيّ صلى الله عليه وآله، إذ إن جهادها لم يكن جهادًا عاديًّا، لكنَّها عليها السلام جسَّدت دورَ المرأة القياديَّة المسؤولة عن تبليغ الرسالة الإلهيَّة للناس أجمع، والمستعدِّة دائمًا وأبدًا لمواجهة كلِّ الظروف، وتحمُّل كلِّ المسؤوليَّات التي يتطلَّبها المجتمع الإسلاميّ.

إنَّ جهاد هذه السيِّدة الجليلة في هذه الميادين المختلفة، هو جهاد يتَّصف بالنموذجيَّة في الدفاع عن الإسلام، والدِّفاع عن الإمامة والولاية، وفي حفظ أكبر قائد إسلاميّ، وهو أمير المؤمنين عليه السلام، وبالرغم من قِصَر حياتها سلام الله عليها، إلَّا أنَّها من ناحية الجهاد والصَّبر، والدَّرس والتَّعليم والتعلُّم والخطابة، والدِّفاع عن النبوَّة والإمامة والمنظومة الإسلاميَّة، كانت بحرًا من الجهاد والعمل والسعي، وفي النِّهاية الشهادة.

على هذا المنوال، سنقوم بتقسيم البحث على مقدمة وثلاثة مباحث:

**المبحث الأوَّل**: معنى الجهاد وموقف الإسلام من جهاد المرأة.

**المبحث الثاني**: جهاد السيِّدة الزهراء مع أبيها وزوجها عليهما السلام.

**المبحث الثالث**: جهاد الزَّهراء عليها السلام بعد استشهاد والدها صلى الله عليه وآله.

ثمَّ الخاتمة والتوصيات.. والله وليُّ التوفيق.

## المقدِّمة

تُظهر بعض المجريات رسوخ قدم سيِّدتنا فاطمة الزَّهراءعليها السلام في الجهاد، فجسَّدت بذلك الدور الذي أراده ربُّ العزَّة بالمرأة، فهي بالقدر الذي كانت فيه حريصة على ألَّا ترى رجلًا ولا يراها رجل، كانت مقدامة ومندفعة في أداء أدوار الجهاد في سبيل الله بالمعنى الأعمّ. في بحثنا سنتطرَّق إلى مواقف مهمَّة قامت بها السيِّدة الزَّهراءعليها السلام، وأنَّ المرأة تتألَّق في كلِّ زمانٍ ومكانٍ بمقدار تماثُلها للسيِّدة الزَّهراءعليها السلام، واقترابها من هذا المثال. وما أعوزنا اليوم إلى تجديد ذِكر السيِّدة فاطمة الزَّهراءعليها السلام؛ ليتأسَّى بها النساء والرجال ايضًا.

### أوَّلا: موضوع البحث

هناك نقطة مهمَّة في حياة السيِّدة فاطمة الزَّهراءعليها السلام، وهي الجمع بين حياة امرأة مسلمة في سلوكها مع زوجها وعائلتها وقيامها بمسؤوليَّاتها في البيت من جهة، وبين مسؤوليَّات المرأة المجاهدة التي تعرف كيف تتعامل مع الأحداث السياسيَّة المهمَّة، خصوصًا بعد رحيل الرسول الأكرمصلى الله عليه وآله، حيث جاءت إلى المسجد وخطبت واتَّخذت المواقف ودافعت وتحدَّثت، وكانت من جهاتٍ أخرى مجاهدة بكلِّ ما للكلمة من معنى، لا تعرف التعب، وتتقبَّل المحنة والصِّعاب في سبيل الله تعالى.

### ثانيًا: أهميَّة البحث

تعتبر شخصيَّة السيِّدة الزَّهراءعليها السلام في الأبعاد السياسيَّة والاجتماعيَّة والجهاديَّة شخصيَّة مميَّزة، بحيث إنَّ جميع النساء المجاهدات والثوريَّات والمميَّزات والسياسيَّات

في العالم يمكنهنَّ أن يأخذن الدروس من حياتها القصيرة، المليئة بالمحتوى والمضمون، وتتجلَّى لنا الصور التي رسمها الإسلام الذي ارتضاه خالق هذا الوجود للمرأة. إنَّ فترة ما بعد استشهاد الرسول صلى الله عليه وآله كان للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام دور كبير في تلك الفترة، وجميعنا نعلم لولا تضحياتها في ذلك الوقت لما استمرَّ خطُّ الإسلام المحمَّديّ الأصيل، وأنَّها في خطبتها لم تكن تخاطب السلطة الظالمة فقط، وإنَّما تخاطب الأجيال لكي يستمرُّوا على خطاها.

**ثالثًا: إشكاليَّة البحث**

هل إنَّ بكاء وجزع السيِّدة الزَّهراء على استشهاد رسول الله صلى الله عليه وآله، كان منقصة لها؟ وبالرغم من أنَّه أوصاها أن لا تقيم عليه نائحة؟ وهل كان خروجها من بيتها بعدما أُخرِج الامام عليّ عليه السلام من الدار منقصةً لها، بالرغم من أنَّها لم ترَ رجلًا، ولم يرَها رجلٌ قطُّ.

**رابعًا: منهجيَّة البحث**

لأجل الوصول إلى أهداف هذا البحث المبارك ستتَّبع المنهج التاريخيّ والتحليليّ؛ للوصول إلى هدف البحث.

**خامسا: خطَّة البحث**

**المبحث الأوَّل**: معنى الجهاد وموقف الإسلام من جهاد المرأة.

**المبحث الثاني**: جهاد السيِّدة الزَّهراء عليها السلام مع أبيها وزوجها عليهما السلام.

**المبحث الثالث**: جهاد السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بعد استشهاد والدها صلى الله عليه وآله.

## المبحث الأوَّل

### معنى الجهاد وموقف الإسلام من جهاد المرأة

#### المطلب الأوَّل: معنى الجهاد

عندما نقرأ مصادر التشريع الإسلاميّ في كتاب الله ﷻ، وفي أحاديث الرسول الكريم والأئمَّة عليهم السلام، نجد اهتمامًا كبيرًا بالجهاد في سبيل الله تعالى.

الجِهاد (فعال) من الجهد، وهو المشقَّة البالغة، لغةً، وشرعًا بذل النفس والمال في سبيل إعلاء كلمة الإسلام، وإقامة شعائر الإيمان، وهو من أعظم أركان الإسلام. فعن الرَّسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «**فَوقَ كُلِّ ذِي بِرٍ برٌ حَتَّى يُقْتَل فِي سَبيلِ اللهِ، فَإذَا قُتِلَ فِي سَبيلِ اللهِ فَلَيْسَ فَوْقَه بر**». ومن الآيات الدالَّة على الجهاد قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]. إنَّ الإسلام رسم للمرأة دورها في الحياة، وحدَّد لها وظيفتها الجهاديَّة، وراعى تكوينها الجسمانيّ والعاطفيّ، فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال: «**كتب الله الجهاد على الرجال والنساء فجهاد الرجل بذل ماله ونفسه حتَّى يُقتَل في سبيل الله، وجهاد المرأة أن تصبر على ما ترى من أذى زوجها وغيرته**»[2].

(١) الجواهر الفخريَّة في شرح الروضة البهيَّة، وجداني فخر، قدرت الله، دار الأميرة للطباعة والنشر ط١، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ج٥، ص٥.

(٢) الكافي، الشيخ الكلينيّ، محمَّد بن يعقوب بن إسحاق، المحقِّق، المصحِّح: غفاري، عليّ أكبر، وآخوندي، محمَّد، دار الكتب الإسلاميَّة، ط٤، ج٥، ص٩.

## المطلب الثاني: موقف الإسلام من جهاد المرأة

إنَّ الإسلام يفسح المجال للمرأة للمساهمة في معركة الرسالة الهجوميَّة ضدَّ قوى الاعتداء والكفر، بالقيام بالمهمَّات الجهاديَّة التي لا تتعارض مع ظروف المرأة وطبيعتها، ولا تؤثِّر على دورها وأعمالها الاجتماعيَّة الأخرى، فهي قادرة على إلهاب الحماس ورفع الروح المعنويَّة في نفوس المجاهدين وتشجيع المقاتلين، وعليها تموين الجيش بما يحتاج من الطعام والشراب وعلاج المرضى وتضميد الجرحى وسقايتهم الماء، وتبقى مسؤولة عن حفظ الأمن والاستقرار في داخل المجتمع أبان المعركة، فالجهاد الابتدائيّ ليس واجبًا على المرأة، لكنَّه جائز منها، فتحظى بشرف الجهاد والنضال، أما في حالة تعرُّض المجتمع الإسلاميّ للاعتداء، فإنَّ واجب الدفاع يشمل المرأة أيضًا، حينما تتطلَّب المعركة ذلك، وفي تاريخنا الإسلاميّ صور مشرقة للدور الجهاديّ العظيم الذي قامت به المرأة في معركة الرسالة ضدَّ أعدائها الكافرين الطغاة[1].

ومن أعظم صور الجهاد التي لمسناها من السيرة العطرة للنساء الصالحات في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، والتي تعدُّ من أصدق مضامين الجهاد التي تستطيع النساء المجاهدات في هذا الزمن أن تحذو حذوها، سنذكر بعضًا منها:

### أوَّلًا: الجهاد بالمال

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾[2]. يُعدُّ الجهاد الماليّ من الميادين الأخرى للجهاد، حيث اعتبر القرآن الكريم أنَّ الجهاد على قسمَين: جهاد بالمال، وجهاد بالروح، وأنَّه أوصى بالجهاد مطلقًا، وهو ما يشمل هذَين القسمَين معًا، نجدهُ قد ذكر كلًّا من هذَين القسمَين في إحدى عشرة آية وفي عشر من الآيات التي ورد فيها ذكر الجهاد بالمال جنبًا إلى جنب

(١) حسن الصفَّار، مسؤوليَّة المرأة، ص٣٩-٤٠.
(٢) التوبة: ٢٠.

مع الجهاد بالنفس، يُلاحظ تقدُّم الحديث عن الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس، ومن الممكن أن تكون الحكمة في هذا التقديم ما يأتي:

أوَّلًا: أنَّ أكثر المسلمين، إن لم نقل جميعهم، يحوزون شروط الجهاد بالمال، في حين أنَّ الجهاد بالنفس هو نصيب أفرادٍ محدَّدين يمتلكون شروط المشاركة فيه. فمع أنَّ القاعدين عن الخروج إلى الحرب بسبب الكهولة أو المرض.

**ثانيًا**: إنَّ الجهاد بالمال يُمثِّل في الغالب مقدِّمة للوصول إلى الجهاد بالنفس، حيث لا بدَّ للمجاهدين من صرف مقدار من أموالهم في تهيئة عدَّة الجهاد وعتاده، وذلك قبل التوجُّه إلى الجبهة ومواجهة العدو. إنَّ دائرة الجهاد بالمال أوسع من دائرة الجهاد بالنفس، وأكثر شمولًا لأفراد المسلمين. وفقط في مورد واحد ذُكِرَ الجهاد بالنفس قبل الجهاد بالمال، حيث يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[1]، والسبب في ذلك أنَّ الله تعالى قد أشار فيها إلى نفسه باعتباره مشتري أرواح المؤمنين وأموالهم، ومن الطبيعي حينئذٍ أنَّه ينبغي أن يختار تقديم البضاعة الأَنْفَس. جاء ذكرُ الجهاد بالمال والجهاد بالروح معًا في الروايات، ونذكر على سبيل المثال منها، عن رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله ﷻ ليُدخل في السهم الواحد الثلاثةَ الجنَّة: عامل الخشبة، والمقوي به، والرامي به في سبيل الله**». وفي بعض الروايات، اعتبر ﷺ المجاهدين بأموالهم كمن يُجاهدون بأرواحهم، ولكي يشجِّع الله تعالى الناس على الإنفاق في هذا الطريق، بشَّرهم بأنَّ كلَّ ما ينفقونه من أجل تأمين الجهوزيَّة الحربيَّة، سوف يُرَدُّ إليهم. حيث يقول تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ﴾[2]

(١) التوبة: ١١١.

(٢) لأنفال: ٦٠.

فهذا الوعد الإلهيّ يبعث الأمل في نفوس المؤمنين، ويدفعهم إلى الإنفاق في سبيل الجهاد بطمأنينة؛ لأنَّ هذه المعاملة هي مع الله، وأنَّ الله سوف يُثيبهم على ما فعلوا في هذه الحياة، أو في الحياة الآخرة[1].

إنَّ أروع مثال عن الجهاد بالمال هي السيِّدة العظيمة المجاهدة بكلِّ مالٍ لديها في سبيل إعلاء كلمة الإسلام، خديجة زوجة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وأمُّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، فلقد أنفقت هذه السيِّدة العظيمة بكلِّ ما لديها في سبيل الإسلام، وفي سبيل إعلاء كلمة الحقِّ.

**ثانيًا: الجهاد بالكلمة**

النهضة الرساليَّة تعني أنَّك حينما تجد انحرافًا في المجتمع، فعليك أن تسعى لإصلاحه بالكلمة الشجاعة، فإن لم تنفع فبالتخطيط الجهاديّ العمليّ، حتَّى لو أدَّى ذلك إلى استشهادك؛ لأنَّ ذلك سيُحدث موجة من المقاومة والتحدِّي داخل المجتمع. إنَّ القوانين الإسلاميَّة التي تقول بأنَّ أفضل الجهاد كلمة حقٍّ عند سلطانٍ جائر، وأنَّ الدفاع عن المظلومين والمستضعَفين واجب الإنسان المسلم، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الإمام الحسين عليه السلام عن جدِّه رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من رأى سلطانًا جائرًا، مستحلًّا لحرم الله، ناكثًا لعهد الله، مخالفًا لسنَّة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، ثمَّ لم يغيِّر بقولٍ ولا فعل، كان حقيقًا على الله أن يدخله مدخله**»[2]، ومن الضروريّ فضح سياسة السلطات الجائرة ورجالاتها، وتربية الناس على ذلك، ولا يخفى أنَّ فاطمة الزَّهراء (صلوات الله عليها) كانت تهدف من موقفها وخطبتها بالدرجة الأولى هدَفَين، هما أهمُّ من الجانب المادِّيّ، **أحدهما**: كشف القناع عن الحقيقة، وإثبات أنَّ

(١) مركز نون للتأليف والترجمة، كتاب باب الأولياء، جمعية المعارف الإسلاميَّة الثقافية، ط١، ص٣١-٣٢.

(٢) محمَّد تقي المدرِّسي، المجتمع الإسلاميّ منطلقاته وأهدافه، مكتبة الألفين، ط٥، مكتب العلَّامة المدرِّسيّ، ص٢١.

الحقَّ في أمر الخلافة مع الإمام عليّ (عليه الصلاة والسلام) عبر الاستدلال والمطالبة بحقِّه عليه السلام.

**ثانيهما**: نتائج معنويَّة وتاريخيَّة، عبر فضح الغاصبين إلى يوم القيامة، ورسم المقياس لمعرفة الحقِّ عن الباطل، وتربية الأمَّة على التصدِّي للجَور، وعدم السكوت عن الحقِّ، والتضحية بكلِّ غالٍ ونفيس في سبيل ذلك.

وقد حقَّقت عليها السلام كِلَا الهدفين، بالإضافة إلى تحقُّق الجانب المادِّيّ بعد حين، كما يدلُّ على ذلك ردُّ جماعة من الحكَّام فدك، وإن اغتصبها جماعة آخرون. وقد كشفت عليها السلام القناع عن وجه الحقيقة، وأثبتت أنَّ الحقَّ لعليّ أمير المؤمنين عليه السلام، وفضحت الغاصبين، ورسمت ميزان الحقيقة للأجيال، وأعطت خير نموذج للتصدِّي للجور والظلم. وإضافة إلى ذلك، فقد كان لدفاعها عن حقِّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أثر عميق في التاريخ[1].

وكان خطاب السيِّدة الزَّهراء عليها السلام أوَّل خطاب لمعارضة داعمة لأهل البيت عليهم السلام، بتعبير آخر، كانت عليها السلام هي اللسان الناطق عنهم، اذ لم يعد هناك خطاب واحد كما كان الحال في عصر الرسول صلى الله عليه وآله، بل ظهر خطاب التضادِّ أو الخطاب الرساليّ الذي يهدف إلى تأجيج الوعي في عقول الناس، وتحريك الاتِّجاهات في المسار الصحيح الموالي لآل البيت عليهم السلام[2]. نرى أنَّ هذه السيِّدة الجليلة، وبالرغم من إصابتها وفاجعتها برسول الله صلى الله عليه وآله، التي هي من عظائم المصائب، نرى أنَّها لم تترك كلمة الحقِّ، ولم تسكت على الباطل، بل أصرَّت على إعلاء كلمة الحقِّ، وفضح السلطان الجائر المغتصِب للخلافة والإرث.

(١) محمَّد الحسينيّ الشيرازيّ، من فقه الزَّهراء ج٢، ط١، مطبعة شريعت، ص٦٨-٦٩.

(٢) كفاح الحدَّاد، قراءة في السيرة الفاطميَّة، ط١، العتبة الحسينيَّة المقدَّسة، ص٥٠٩.

## المبحث الثاني

### جهاد السيِّدة الزَّهراء عليها السلام مع أبيها وزوجها عليهما السلام

حين نطالع الفترة التي ولدت فيها السيِّدة الزَّهراء عليها السلام آنذاك، نجد أنَّ مجتمع الجزيرة عاش أحداثًا خطرة وصراعات وأوضاعًا متأزِّمة، فالدعوة الجديدة التي جاء بها النبيّ الأكرم جعلت المجتمع على مُفترَق طرق. ومن الناحية الاقتصاديَّة كان فقيرًا بحكم طبيعته، إلَّا من حركة اقتصاديَّة ضعيفة كانت تقتصر على التجارة المحدودة مع بلاد اليمن والشام. ومن الناحية الاجتماعيَّة فقد كانت تسوده الديانة الكافرة والتقاليد البالية والعنصريَّة القَبَليَّة، وتطغى عليه الحروب والغارات التي تشنُّها قبيلة على أخرى؛ لأسباب قد لا تكون معقولة أبدًا، وكانت ظاهرة وأد البنات من أقسى ظواهره المتخلِّفة. في هذه الفترة بُعث النبيّ صلى الله عليه وآله وعمره أربعون عامًا فانطلق لوحده؛ ليقف بوجه الكفر العالميّ وعبادة الأصنام والشِّرك، ويغالب المشاكل والمتاعب الخطيرة، فبلَّغ بالدعوة سرًّا في أوَّل الأمر حفاظًا عليها من الأعداء، حتَّى جاء أمر الله بإعلان الدعوة، واقتحام صفوف الباطل، فأعلن الرسول صلى الله عليه وآله دعوته، ودعا الناس إلى الإسلام، وأخذ عدد المسلمين يزداد يومًا بعد يوم، وأحسَّ أعداء الإسلام بالخطر من هذا التيار الجديد، فوثبت كلُّ قبيلة على مَن فيها من مستَضعَفي المسلمين، فجعلوا يحبسونهم ويعذِّبونهم بألوان العذاب من الضرب والتجويع والتَّرك على حرِّ الرمال وكيِّهم بالنار، في محاولة منهم لافتتان المسلمين، وردعهم عن دينهم[1].

(١) لجنة التأليف، أعلام الهداية ج ٣، فاطمة الزَّهراء سيِّدة النساء، ط١، ١٤٢٢، المجمع العالميّ=

## المطلب الأوَّل: جهاد السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في شِعب أبي طالب

بعد يأسِ المشركين من ثني النبيّ صلى الله عليه وآله عن الدعوة لعبادة الله الواحد الأحد، وأحسُّوا بأنَّ كلَّ الطرق قد أُغلِقت لثنيه عن هذا العمل. قرَّروا أن يقتلوه، فطلبوا من بني هاشم أن يسلِّموا لهم النبيّ صلى الله عليه وآله، ولكن رفضوا هذا الطلب بكلِّ شجاعة، وأعلنوا للمشركين بأنَّهم سيدافعون عنه بكلِّ ما يستطيعون. ونتيجة لموقف بني هاشم في هذه القضيَّة، قررت قريش منابذتهم، وكان صاحب هذه الفكرة النَّضر بن الحارث العبدريّ، فقرَّرت قريش مقاطعة بني هاشم مقاطعة كاملة، فلا يُسمَح لهم بدخول أسواق قريش، ولا يتزوَّجون منهم، ولا يقبلون الصلح معهم، ولا يثنيهم عن ذلك سوى تسليمهم للنبيّ صلى الله عليه وآله، وكتبوا صحيفة بهذا الموضوع، وعلَّقوها في الكعبة. جمع أبو طالب (عمُّ النبيّ) بني هاشم وبني عبد المطَّلب، وأمرهم بأن يدخلوا بالنبيّ صلى الله عليه وآله بالشِّعب (الشق بين جَبَلَين)، ويمنعون المشركين من إيذائه. وكان دخولهم في الشِّعب في هلال محرَّم بعد أربع سنوات من النبوَّة، وكان عمر سيِّدتنا فاطمة الزَّهراء لا يتجاوز ثلاث سنوات، وقد أعطت السيِّدة خديجة كلَّ ما تملك للنبيّ، كي ينفقه على المسلمين في الشِّعب، وخرجت معه تاركةً الدنيا كلَّها خلف ظهرها[1].

كابدت السيّدة الزَّهراء عليها السلام أشدَّ العناء في فترة طفولتها، حينما أغلقت على المسلمين وعلى الرسول صلى الله عليه وآله منافذ العافية في شِعْب أبي طالب، فلم تتوفَّر لهم حينذاك متطلَّبات الحياة وأسباب العيش الكريم، وكانت فترة يسودها الاضطراب والفزع من غارات الأعداء، وتُباشر أسماعهم على الدوام الأخبار السيِّئة، وأصوات الأطفال وهم يتضوَّرون جوعًا، ناهيك عن شتَّى ألوان العناء والأذى، وما يلقونه في ذلك الشِّعْب

=لأهل البيت، قم، ص١٠٦.

(١) حسين جابر جمال، فاطمة الزَّهراء من قبل الولادة إلى ما بعد الاغتيال والشهادة من مصادر أهل السنَّة والجماعة، ص١٧-١٨.

الذي يلفُّه الجفاف، حيث أُرغمت تلك المجموعة من عوائل المسلمين على المكث فيه ثلاث سنوات. وكانت تلك الفترة من الفترات العسيرة التي مرَّت في حياة الرسول، الذي لم تنحصر مسؤوليَّته حينذاك في قيادة تلك المجموعة وإدارة شؤونها، بل كان ينبغي عليه أيضًا الدفاع عن موقفه أمام أصحابه الذين وقعوا في تلك المحنة، فنحن على بيِّنة أنَّ الجماعة الملتفَّة حول القيادة، تُبدي ارتياحها ورضاها في حال الرخاء، وتعبِّر عن امتنانها، ولكن حينما يعرَّضون للبلاء، أو يقعون في محنة، يبدأ الشكُّ يتسرَّب إلى نفوسهم، ويُلقون على تلك القيادة مسؤوليَّة قيادتهم إلى ذلك المآل، الذي لم يكونوا راغبين في الوقوع فيه أبدًا. وفي تلك الظروف الشَّديدة التي كان يواجهها رسول الله صلى الله عليه وآله، توفِّي في أسبوع واحد كلٌّ من أبي طالب الذي كان أكبر عون وأمل له، وخديجة الكبرى التي كانت خير سند روحيّ ونفسيّ له، فكانت حادثة مريرة، بقي الرسول على أثرها وحيدًا فريدًا، فكانت فاطمة عليها السلام في تلك الظروف بمثابة الأمِّ والمستشار والممرِّضة بالنسبة للرسول صلى الله عليه وآله.

ومن هنا أُطلق عليها (أُمُّ أبيها)، وهذه الصفة تتعلَّق بتلك الفترة التي تكون فيها صبيَّة عمرها ستّ أو سبع سنوات على هذا النحو. ألا يمكن لمثل هذه الفتاة أن تكون قدوة للفتيات؛ ليصبح لديهنَّ شعور مُبكِّر بالمسؤوليَّة، فانظروا إلى حياتها كيف كانت؟ كانت إلى قبل الزواج حينما كانت فتاة، تعامل أباها نبيّ الرحمة والنور، والقائد العظيم للثورة العالمية الخالدة، وحيث كان النبيّ صلى الله عليه وآله آنذاك يرفع راية تلك الثورة بصورة بحيث أصبحت (أمُّ أبيها)، ولم يقال اعتباطًا (أُمُّ أبيها)، فكانت عليها السلام سواء في مكَّة أو في شِعب أبي طالب، أو عندما توفِّيت خديجة، وبقي النبيّ وحيدًا مكسور القلب بوقوع حادثَتَين في فترة قصيرة، وفاة خديجة ووفاة أبي طالب، فأحسَّ النبي بالغربة، تزيل بيديها الصغيرتَين غبار الحزن والغمِّ عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله[1].

(١) من كلام السيِّد الخامنئي في مناسبات تخصُّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام

## المطلب الثاني: جهاد السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في الهجرة

قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وآله أمر عليًّا عليه السلام أن يبيت على فراشه، وأوصاه بما أهمَّه، وأن يلتحق به مع الفواطم، وهنَّ: فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وفاطمة بنت أسد، وفاطمة بنت حمزة، وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطَّلب (رضي الله عنهنَّ)، وكان عمر الزَّهراء عليها السلام عند الهجرة ثمان سنين، وبعد أن نفَّذ عليّ عليه السلام وصايا الرسول صلى الله عليه وآله، وأدَّى الودائع والأمانات لأهلها، هيَّأ للفواطم الرواحل، وأخرجهنَّ من مكَّة في طريقه إلى يثرب، خرج هو في وضح النهار بالفواطم، ومعه أيمن ابن أمِّ أيمن، وأبو واقد الليثي، فجعل أبو واقد يجدُّ السير مخافة أن تلحقهم قريش، وتحول بينهم وبين إتمام مسيرة الهجرة، فقال له عليّ عليه السلام: **ارفق بالنسوة يا أبا واقد**، وارتجز يقول:

ولـيـس إلَّا الله فـارفـع ظـنَّـكـا
يـكـفـيـكَ ربُّ الـنَّـاس مـا أهمَّـكـا

ولـمَّا شارف (ضجنان) أدركه طلب قريش، وكانوا ثمانية من فرسانهم، فاستقبلهم أمير المؤمنين عليه السلام بسيفه، وشدَّ عليهم حتَّى فرَّقهم عن ركب الفواطم، وقتل منهم جناح مولى حرب بن أُميَّة، ولاذ الباقون بالفرار، ومكث أمير المؤمنين عليه السلام في ضجنان قدر يومه وليلته، ولحق به نفرٌ من المستضعَفين من المؤمنين، وفيهم أُمُّ أيمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وآله، فظلَّ ليلته تلك هو والفواطم طورًا يصلُّون، وطورًا يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم، فلم يزالوا كذلك حتَّى طلع الفجر، فصلَّى عليّ عليه السلام بهم صلاة الفجر، ثمَّ سار لوجهه، فجعل يجوب منزلًا بعد منزل، لا يفتر عن ذكر الله، والفواطم كذلك وغيرهنَّ ممَّن صحبه عليه السلام حتَّى قدِموا المدينة، وقد نزل الوحي بما كان من شأنهم قبل قدومهم بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾.. إلى قوله: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم

مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ ﴾[1]، ولـمَّـا قدِمت المدينة، أنزلها النبيّ صلى الله عليه وآله على أمِّ أيُّوب الأنصاريّ، وخطب رسول الله صلى الله عليه وآله النساء، وتزوَّج سودة أوَّل دخوله المدينة، فنقل فاطمة عليها السلام إليها، ثمَّ تزوَّج أُمَّ سلمة، فقالت أُمُّ سلمة: تزوَّجني رسول الله صلى الله عليه وآله، وفوَّض أمر ابنته إليَّ، فكنت أدلُّها وأؤدِّبها، وكانت والله آدب منِّي، وأعرَف بالأشياء كلَّها، وكيف لا تكون كذلك، وهي سلالة الأنبياء[2].

نرى في موقف السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في هجرتها إلى المدينة أنَّها كانت مطمئنَّة بقضاء الله عزّ وجلّ، ومتَّبعة لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله، غير مرتعبة من هول الموقف، ومن غدر الكفار.

(١) ال عمران: ١٩١، ١٩٥

(٢) عليّ موسى الكعبيّ، سيِّدة النساء فاطمة الزَّهراء عليها السلام، ج١، مطبعة ستاره، ص٢٤-٢٥

## المطلب الثالث: جهاد السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في أثناء المعارك والغزوات

بعد أن وضَّحنا دور السيِّدة الزَّهراء في الحصار، وفي الهجرة، لا بدَّ أن نذكر مواقفها مع الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، ومع زوجها الإمام عليّ عليه السلام في المعارك التي خاضها ضدَّ كفَّار قريش، فالمتصفِّح للسيرة والتاريخ يجد أنَّها كانت إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وآله في بعض غزوات الإسلام الكبرى، تمسح الدَّم عن وجهه الكريم، وتضمِّد جراحه، وتجلب له المؤونة. ويروى أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله جُرِح يوم أُحد، وكُسِرت رباعيَّته وهُشِّمت بيضته على رأسه، فكانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله تغسل الدم، وكان عليّ بن أبي طالب عليه السلام يسكب عليها بالمجَنّ، فلمَّا رأت فاطمة أنَّ الماء لا يزيد الدَّم إلَّا كثرة، أخذت قطعة حصير فأحرقته حتَّى صار رمادًا، ثمَّ ألصقته بالجرح، فاستمسك الدم. ويُذكَر أنَّ فاطمة عليها السلام خرجت في نساء، وقد رأت الذي بوجهه صلى الله عليه وآله فاعتنقته، وجعلت تمسح الدَّم عن وجهه، ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «**اشتدَّ غضب الله على قومٍ أدموا وجه رسول الله**»، وذهب عليّ عليه السلام يأتي بماءٍ من المهراس، وقال لفاطمة عليها السلام: **أمسكي هذا السيف غير ذميم**، فأتىٰ بماءٍ في مِجَنِّهِ، فمضمض منه رسول الله صلى الله عليه وآله فاه للدم الذي في فيه، وغسلت فاطمة الدَّم عن أبيها. وجاء في أغلب التواريخ أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله ناول سيفه ابنته فاطمة عليها السلام بعد غزوة أُحد، وقال لها: **اغسلي عن هذا دَمَهُ يا بنيَّة**، وناولها عليّ عليه السلام سيفه، وقال:

**أفاطم هاك السيف غير ذميمِ**
**فلست برعديد ولا بلئيمِ**
**أفاطم قد أبليت في نصر أحمدٍ**
**ومرضاة ربٍّ بالعباد رحيمِ**
**أميطي دماء القوم عنه فإنَّه**
**سقى آل عبد الدار كأس حميمِ**

وكانت لها إسهامات في حروب الإسلام المصيريَّة تناسب شخصيَّتها وقدراتها، ففي واقعة أُحد كانت قد جاءت مع أربع عشرة امرأة يحملن الطعام والشراب على ظهورهنَّ، ويسقين الجرحى ويداوينهم. وعندما أُصيب سيِّد الشهداء حمزة بن عبد المطلب عليه السلام، كانت الزَّهراء عليها السلام من المبادرات إلى مصرعه مع صفيَّة بنت عبد المطَّلب، وكانت تبكي، وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يبكي لبكائها[1].

وليست هذه العاطفة وتلك العناية والمشاركة مع الأب القائد والرسول الأعظم صلى الله عليه وآله من ابنته فاطمة عليها السلام هي كلُّ ما تقدِّمه لأبيها من إيثارها له واهتمامها به ومشاركتها له في شدَّته وعسرته، إنَّها جاءت يوم الخندق ورسول الله صلى الله عليه وآله منهمك مع أصحابه في حفر الخندق لتحصين المدينة وحماية الإسلام، جاءت وهي تحمل كسرة خبز، فرفعتها إليه، فقال صلى الله عليه وآله: **ما هذه يا فاطمة؟** قالت: **من قرصٍ اختبزته لابنيَّ، جئتك منه بهذه الكسرة.** فقال صلى الله عليه وآله: **يا بنيَّة أما إنَّها لأوَّل طعام دخل في فم أبيك منذ ثلاث**[2].

من خلال هذه المواقف الجميلة للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، نرى أنَّها شاركت وساهمت بكلِّ ما لديها لنصرة الرسول الكريم، ولنصرة زوجها أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، ولنصرة هذا الدين العظيم.

## المطلب الرابع: حُسنُ التَّبعُّل

لقد وضع رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، منهجًا في العلاقات بين الزوجَين، يعصم الحياة الزوجيَّة من التصدُّع والاضطراب، فأكَّد على الزوجة ألَّا تكلِّف زوجها ما لا يطيق في أمر النفقة، وهو أمر يسبِّب كثيرًا من المتاعب في الحياة الزوجيَّة ويضرُّ بصفوها وانسجامها، قال صلى الله عليه وآله: «**أيّما امرأة أدخلت على زوجها في أمر النفقة وكلَّفته**

(١) عليّ موسى الكعبيّ، سيِّدة النساء فاطمة الزَّهراء عليها السلام، ج١، ص٨٠.

(٢) لجنة التأليف، أعلام الهداية ج٣، فاطمة الزَّهراء سيِّدة النساء، ط١، ١٤٢٢، المجمع العالميّ لأهل البيت، قم، ص١٠٦.

**ما لا يطيق، لا يقبل الله منها صرفًا ولا عدلًا إلَّا أن تتوب وترجع وتطلب منه طاقته»**. وحثَّ ﷺ المرأة على إصلاح شؤون البيت، واستقبال الزوج بأحسن استقبال، فقال صلوات الله عليه: «**حقُّ الرجل على المرأة إنارة السراج، وإصلاح الطعام، وأن تستقبله عند باب بيتها فترحِّب به، وأن تقدِّم إليه الطشت والمنديل**»، وأكَّدت الروايات على مراعاة حقِّ الزوج، واتِّباع الأساليب الشيِّقة في إدامة أواصر الحبِّ والوئام، وخلق أجواء الانسجام والمعاشرة الحسنة داخل الأُسرة، ولأهميَّة مراعاة هذا الحقِّ، قال رسول الله ﷺ: «**لا تؤدِّي المرأة حقَّ الله ﷻ حتَّى تؤدِّي حقَّ زوجها**». وذكر ﷺ طاعة الزوج في سياق ذِكره لسائر العبادات والطاعات التي توجِب دخول الجنَّة، حيث قال: «**إذا صلَّت المرأة خَمسها، وصامت شهرها، وأحصنت فرجها، وأطاعت بعلها، فلتدخل من أيِّ أبواب الجنَّة شاءت**»[1].

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «**إنَّ الله ﷻ كتب على الرجال الجهاد، وعلى النساء الجهاد، فجهاد الرجل أن يبذل ماله ودمه حتَّى يُقتل في سبيل الله، وجهاد المرأة أن تصبر على ما ترى من أذى زوجها وغيرته**». ويترك هذا الأمر أثرًا كبيرًا في دوام السعادة والراحة في بيت الزوجيَّة، حيث ينعكس بشكلٍ إيجابيّ على حياة الزوج في داخل الأسرة وخارجها، ويصل إلى مكان عمله، فيقوم بوظيفته مع راحة نفسيَّة وأجواء هادئة ملؤها الاطمئنان والسكينة، وقد وعد الله تعالى الزوجة الصالحة التي تُحسن المعاملة مع زوجها، وتراعي الأسباب التي تدعو إلى راحته وتخفيف الهموم عنه، بشيء يفوق تصوُّرها، وهو أن بشَّرها بالجنَّة[2].

كان بيت الإمام عليّ عليه السلام والسيِّدة فاطمة عليها السلام أروع نموذج في الصفاء والإخلاص والمودَّة والرحمة، تعاونا فيه بوئام وخلوص على إدارة شؤون البيت

(١) سعيد كاظم العذاريّ، آداب الأسرة في الإسلام، ط٢، مطبعة ستاره، ص٦٣-٦٤.

(٢) إعداد ونشر: جمعيَّة المعارف الإسلاميَّة الثقافيَّة، الحياة الزوجيَّة، ط١، ص٧١-٧٥.

وإنجاز أعماله. وقد تقاضيا في إبان حياتها الزوجيَّة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في الخدمة، فقضى على فاطمة عليها السلام بخدمة ما دون الباب، وقضى على عليّ عليه السلام بما خلفه. ولم تستنكف وحيدة الرسول، وهي بنت أعظم رجل في الإسلام والعالم، من العمل في البيت، ولم تتنصَّل من أداء مهامِّ البيت، حتَّى أنَّ عليًّا عليه السلام رقَّ لحالها، وامتدح صنعها، فقال: **إنَّها كانت عندي، وكانت من أحبِّ أهله عليه السلام إليه، وإنَّها استقت بالقربة حتَّى أثَّر في صدرها، وطحنت بالرحى حتَّى مجلت يداها، وكسحت البيت حتَّى اغبرَّت ثيابها، وأوقدت النار تحت القدر حتَّى دكنت ثيابها، فأصابها من ذلك ضرر شديد**[1].

على الرغم من صعوبة الظروف في ذلك الزمن وعسرة الحال، نرى أنَّ سيِّدة نساء العالمين عليها السلام لم تترفَّع عن أداء واجباتها الزوجيَّة والمنزليَّة، بل وأدَّتها بأفضل صورة، فكانت المثل الأعظم لنساء هذا العصر، فما الذي يمنع من أن تكون المرأة في هذا العصر قائمة بكلِّ واجباتها الزوجيَّة والمنزليَّة، أسوة بسيِّدة نساء العالمين عليها السلام.

(١) إبراهيم الأمينيّ، فاطمة الزَّهراء المرأة النموذجيَّة في الإسلام، بهمن، قم، ص٦١.

## المبحث الثالث

### جهاد السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بعد استشهاد والدها صلى الله عليه وآله

إنَّ رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله لا يمكن تصوُّر انعكاساته، ونتوقَّع من بضعته السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وهي العارفة به حقَّ المعرفة، أن ترثيه وتندبه بما يتناسب وشخصيَّته صلى الله عليه وآله، وقد ورد عن أنس بن مالك في حديثٍ قال: فلمَّا مات رسول الله، قالت فاطمة عليها السلام: «**يا أبتاه مَن أجاب ربًّا دعاه. يا أبتاه مَن جنَّة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه**»، وفي ذِكر ما أنشدته وأنشأته عليها السلام من الشعر في رثاء أبيها صلى الله عليه وآله[1]:

**إذا اشتدَّ شوقي زُرتُ قبرك باكيًا**
**أنوح وأشكو لا أراك مجاوبي**
**فيا ساكن الرَّمضاءِ علمتني البكا**
**وذِكرُك أنساني جميع المصائبِ**
**فإن كنتَ عنِّي في التراب مُغيَّبًا**
**فما كنت عن قلبي الحزين بغائبِ**

(١) مرتضى الرضويّ، بضعة المصطفى ويعفى ثراها، ط٢ مطبعة محمَّد، مؤسَّسة السبطَين العالميَّة، ١٤٢٧، ص٢٥٩-٢٦٠.

## المطلب الأوَّل: مطالبتها بحقِّها

فدك وعوالي: هي سبع قرى زراعيَّة حوالي المدينة المنورة، كانت تمتدُّ من سفح الجبال إلى سيف البحر، ومن العريش إلى دومة الجندل. كانت فدك نِحلة لفاطمة أنحلها رسول الله صلى الله عليه وآله، ولذا كان بعض الخلفاء يردُّونها على أولاد فاطمة، وكان آخرون يغصبوها اقتداءً بأبي بكر(١).

بعد أن فاضت روح النبيّ صلى الله عليه وآله إلى الرفيق الأعلى، نشبت خلافات عظيمة بين المهاجرين والأنصار حول الخلافة، وبدأ الأنصار ذلك الخلاف بأن اجتمعوا في (سقيفة بني ساعدة)؛ لترشيح سعد بن عبادة للخلافة، وعلم المهاجرون بذلك، وهالهم الأمر، فتدخَّل عمر بن الخطَّاب، وأبو بكر، وأبو عبيدة الجرَّاح في النزاع كممثِّلين عن المهاجرين، وبعد مناوشات ومفاوضات وخطب وتهديدات من الطَّرَفين، تنازل الأنصار عمَّا كانوا يهدفون إليه، فوافقوا على أن يكون منهم أمير، ومن المهاجرين أمير، فأجابهم عمر بأنَّه لا يلتقي قرنان في رأسٍ واحد، وطلب أن يكونوا هم الأمراء، والأنصار الوزراء، وأخيرا تمَّت البيعة لأبي بكر. كلُّ هذا والنبيّ صلى الله عليه وآله مسجَّى في داره، وعليّ عليه السلام مشغول بتكفينه وتجهيزه والصلاة عليه، ويخرج الإمام أمير المؤمنين بعد ثلاثة أيَّام، ليرى أنَّ المؤامرة قد أحبكت خيوطها، ودُبِّرت على أتمِّ ما يكون؛ لنزع الخلافة عنه، وإيكالها إلى غيره. ويتسلَّم أبو بكر زمام الأمر، ويبدأ حركته، وفي مقدِّمة قائمة المشاريع التي يجب تنفيذها، منازعة السيِّدة فاطمة عليها السلام في أمر فدك، وإرجاعها إلى بيت مال المسلمين(٢).

وعندما بلغ السيِّدة فاطمة عليها السلام أنَّ عمَّالها طُرِدوا من فدك، حزنت وأصبحت في مواجهة مشكلة جديدة؛ لأنَّ الخلفيَّات والبواعث الكامنة وراء تحرُّكات الجهاز الحاكم

(١) جواد التبريزيّ، فدك، ج١، ١٤٢٧هـ، قم، إيران، ص١٥-١٦.
(٢) فاضل الحسينيّ الميلانيّ، فاطمة الزَّهراء أمُّ أبيها، مطبعة الأدب في النجف الأشرف، ١٣٨٨هـ، ص١٥١.

واضحة لدى الإمام عليّ والسيِّدة فاطمة عليهما السلام، فكان أمامها عليها السلام طريقان:

**الطريق الأوَّل**: اختيار السكوت وغضِّ النظر عن حقِّها المشروع، باعتبارها عازفة عن المال والدنيا وزخرفها، ولكن ليس بوسعها عليها السلام اختيار هذا الطريق، لأنَّها تعلم بما يجري خلف الكواليس، فالغرض الأساسيّ هو قطع الشريان الاقتصادي للخليفة الحقيقيّ(عليّ بن أبي طالب)؛ ليحدَّد نفوذه، ويؤمِّن جانبه من أي حركة تستهدف الحكم، وأخيرًا غصب فدك يعني أن توصَد باب الإمام عليّ عليه السلام إلى الأبد.

**الطريق الثاني**: أن تدافع عن حقِّها بما لها من قوَّة، وتغتنم الفرصة، فهذا خير مستمسك وأهم وثيقة تُدين بها حكومة الشورى وتفضحها أمام الملأ، وتنشر الوعي في صفوف الجماهير المظلَّلة.

فكرت السيِّدة فاطمة عليها السلام في أنَّها إذا ما رزحت تحت الظلم، وتخاذلت أمام الجَور، وسكتت عن حقِّها، ستقوى شوكة الخليفة، ويعتاد على الظلم والجَور وسحق حقوق الأخرين، وأيضًا أنَّها لو تخاذلت عن حقِّها المشروع، وغضَّت الطَّرف عنه، وهي بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وسيِّدة نساء العالمين؛ لصار سنَّة، وتوهَّم المسلمون أنَّ المرأة محرومة من الحقوق الاجتماعيَّة، وليس لها الدفاع عن حقوقها[1]، فقامت تلك السيِّدة الجليلة في موقف المعارضة لهذا الحكم، وطالبت بحقِّها كما سنرى.

يروى أنَّه لـمَّا قُبِض رسول الله صلى الله عليه وآله جاءت السيِّدة فاطمة عليها السلام تطلب فدكًا. فقال أبو بكر: إنِّي لأعلم إن شاء الله أنَّك لن تقولي إلَّا حقًّا، ولكن هاتي بيِّنتك. فجاءت بعليّ عليه السلام، فشهد، ثمَّ جاءت بأمِّ أيمن، فشهدت. فقال: امرأة أخرى أو رجلًا، فكتبتُ لكِ بها. قال العلَّامة المجلسيّ: أقول: هذا الحديث عجيب، فإنَّ السيِّدة فاطمة عليها السلام كانت مطالبة بميراث، فلا حاجة بها إلى الشهود، فإنَّ المستحقَّ للتركة لا يفتقر إلى الشاهد إلَّا إذا لم يُعرَف صحَّة نسبه واعتزائه إلى الدارج، وما أظنُّهم شكُّوا في نسب السيِّدة فاطمة عليها السلام،

(١) إبراهيم الأمينيّ، فاطمة الزَّهراء المرأة النموذجيَّة في الإسلام، ص١٣٣.

وكونها ابنة النبيّ صلى الله عليه وآله. وإن كانت تطلب فدكا، وتدَّعي أنَّ أباها صلى الله عليه وآله نحلها إيَّاها ،احتاجت إلى إقامة البيِّنة، «على فرض عدم العلم بصدقها. ولكن هذا الفرض غير ممكن، لأنَّ الله تعالى شهد على صدقها وطهارتها من كلِّ رجس»، ويروى أنَّ أبا بكر قال لها: إنَّ نبيَّ الله لا يورَث. فقالت: أكفرت بالله، وكذبت بكتابه؟ قال الله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾[1].

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّ السيِّدة فاطمة عليها السلام جاءت إلى أبي بكر بأمر من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وقالت له: **ادَّعيت مجلس أبي وأنَّك خلفته، وجلست مجلسه، ولو كانت فدك لك واستوهبتها منك لوجب عليك ردَّها عليَّ**. فقال: صدقتِ، ودعا بكتاب فكتب فيه بإرجاع فدك، فخرجت والكتاب معها، فلقيها عمر فقال: يا بنت محمَّد ما هذا الكتاب الذي معك؟ قالت: **كتاب كتبه لي أبو بكر بردِّ فدك**. فقال: سلِّميه إليّ، فأبت أن تدفعه اليه، فرفسها برجله، ثمَّ لطمها، ثمَّ أخذ الكتاب فخرقه، فقالت: **بقرتَ كتابي بقرَ الله بطنك**[2].

نرى أنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام قد خرجت ظافرة منتصرة من هذه المرحلة، بمنطقها السليم واحتجاجها القويم وأدلَّتها المحكمة، التي اضطرَّت أبا بكر للاعتراف بحقِّها، وكتب صحيفة لها بذلك، إلَّا أنَّ عمر دخل الميدان بمنطق القوَّة، فأخذ الكتاب ومزَّقه، واختلق قصَّة نقصان البيِّنة[3].

(١) محمَّد باقر الموسويّ، الكوثر في أحوال فاطمة بنت النبيّ الأعظم، ج٦، ط١، ص٩٥.
(٢) محمَّد كاظم القزوينيّ، فاطمة الزَّهراء من المهد إلى اللحد، مطبعة سيِّد الشهداء، قم، ١٤١٤هـ.
(٣) إبراهيم الأمينيّ، فاطمة الزَّهراء المرأة النموذجيَّة في الإسلام، بهمن، قم، ص٣٣.

## المطلب الثاني: الجهاد بإعلان المظلوميَّة والحزن

روي أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام قال على قبر رسول الله صلى الله عليه وآله ساعة دُفِن: «**إنَّ الصبر لجميلٌ إلَّا عنك، وإنَّ الجزع لقبيحٌ إلَّا عليك، وإنَّ المُصَاب بك لَجَليلٌ، وإنَّه قبلك وبعدك لَجَلَلٌ**»[١]. لـمَّا قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله افتجع له الصغير والكبير والرجال والنساء، وكثر عليه العويل والبكاء، فصارت المدينة ضجَّة واحدة تذري الدموع عليه بالأسجام، ولأهلها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج أذا أهلُّوا بالإحرام، فلم يكن إلَّا باكٍ وباكية، ونادبٍ ونادبة، وعظم رزؤه على أهل بيته الطيِّبين، لاسيما الإمام عليّ ابن عمِّه وأخيه أمير المؤمنين عليه السلام، فنزل به من وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ما لم يكن يظن الجبال لو حملته كانت تنهض به، وكان أهل بيته ما بين جازع لا يملك جزعه، ولا يضبط نفسه، ولا يقوى على حمل فادح ما نزل به. قد أذهب الجزع صبره وأذهل عقله، وحال بينه وبين الفهم والإفهام، والقول والاستماع، وسائر الناس من غير بني عبد المطَّلب بين مُعَزٍّ يأمر بالصبر، وبين مساعد باكٍ لبكائهم، جازع لجزعهم، ولم يكن بين الجميع أشدَّ حزنًا من مولاتنا فاطمة الزَّهراء[٢].

يروى عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال: «**إنَّ الله لـمَّا قبض نبيَّه صلى الله عليه وآله، دخل على فاطمة عليها السلام من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلَّا الله عزَّ وجلَّ**». كان حزنها حزنًا رساليًّا وإعلامًا واضحا أمام الناس كلّهم، فلا بدَّ ان يستمرَّ التذكير بالرسول صلى الله عليه وآله، ولا بدَّ أن يستمرَّ التعريف بمظلوميَّتها ومظلوميَّة زوجها، ولهذا كان حزنها أمام الملأ. وقد قال السيِّد منير الخبَّاز في إحدى محاضراته المنبريَّة: إنَّ الزَّهراء عليها السلام لم تبكِ في البيت أمام زوجها، بل كانت تبكي أمام الملأ!. وأقول: لأنَّ هذا البكاء كان يراد منه غايات وغايات، وكان لا بدَّ أن يكون معلَمًا مستمرًّا يشهده أهل المدينة كلّهم، ويشهده الحسَنان عليهما السلام، اللذان

(١) نهج البلاغة، ج٤، شرح: الشيخ محمَّد عبده، ط٤، ١٤١٢هـ، ص٧١.

(٢) عبَّاس القمِّيّ، بيت الأحزان، ج١، دار زينب الكبرى، ص٦٣١.

سيكملان مسيرة المظلوميَّة[1].

وكانت عليها السلام تذهب إلى قبر رسول الله وقبور الشهداء، ولا تزيد عن القول: ها هنا كان رسول الله، لتذكِّر الناس كي لا ينسوا رسول الله في مسجده، وفي مواقعه التي كان يتجوَّل فيها، وكانت تأخذ الإمامَين الحسن والحسين عليهما السلام إلى قبر جدِّهما وتحدِّثهما عن حركة أبيها هنا وهناك. كان حزنها حزنًا رساليًا هادئًا منفتحًا على الرسالة في تذكّرها لرسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأنَّ التذكُّر لرسول الله صلى الله عليه وآله كان يحمل الانفتاح على الإسلام كُلِّه، ويقول بعض الرواة عن أمير المؤمنين عليه السلام وهو يعظ الناس: «**مروا أهاليكم بالقول الحسن عند موتاكم**»، ويستشهد الإمام عليّ عليه السلام في هذا الخطِّ بالزَّهراء عليها السلام، فقال: «**فإنَّ فاطمة لـمَّا قُبِضَ أبوها صلى الله عليه وآله، أسعدتها بنات هاشم على طريقة النساء عند الموت. فقالت: اتركن التعداد، أي لا تعدِّدن الآلام والأحزان، وعليكنَّ بالدعاء**».

هكذا كانت الزَّهراء عليها السلام تفهم قضيَّة الاحتفال بمناسبة الموت، حتَّى لو كان الميت رسول الله صلى الله عليه وآله، لذلك فإنَّ هؤلاء الذين يتحدَّثون بهذه الطريقة عن الزَّهراء عليها السلام في جزعها يُسيئُون إليها، باعتبار وصيَّة رسول الله صلى الله عليه وآله، ووعي الزَّهراء وعصمتها، فالزَّهراء لم تكن في موقع الإمامة، ولكنَّها كانت في موقع العصمة؛ لأنَّها أوَّلًا كانت من أهل هذا البيت الذين أذهب الله عنهم الرِّجس وطهَّرهم تطهيرًا، وهذا دليل عصمة عليّ والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام[2].

(١) كفاح الحدَّاد، قراءة في السيرة الفاطميَّة، ط١، العتبة الحسينيَّة المقدَّسة، ص٤٦٠.
(٢) مركز الأبحاث العقائديَّة، موسوعة الأسئلة العقائديَّة، ج٤، ص٥٠.

## المطلب الثالث: الدفاع عن الولاية الشرعيَّة بالكلمة

قامت السيِّدة الزَّهراء بالكثير من المواقف التي تدافع فيها عن الإمام عليّ عليه السلام، وعن أحقيَّته في الخلافة، وذلك من خلال ما سيأتي ذِكره:

في رواية كتاب سليم بن قيس الهلاليّ، قال: سمعت سلمان المحمَّديّ رحمه الله.. إلى أن قال: قال سلمان: فلمَّا كان الليل حمل عليّ عليه السلام فاطمة عليها السلام على حمار، وأخذ بيد ابنَيه الحسن والحسين عليهما السلام، فلم يدع أحدًا من أهل بدر من المهاجرين، ولا من الأنصار إلَّا أتاه في منزله، فذكَّرهم حقَّه، ودعاهم إلى نصرته. فما استجاب له منهم إلَّا أربعة وأربعون رجلًا، فأمرهم أن يصبحوا بكرة محلِّقين رؤوسهم، معهم سلاحهم ليبايعوه على الموت، فأصبحوا فلم يوافِ منهم أحد إلَّا أربعة. فقلت لسلمان: مَن الأربعة؟ فقال: أنا وأبو ذرّ والمقداد والزبير بن العوَّام. ثمَّ أتاهم عليّ عليه السلام من الليلة المقبلة، فناشدهم، فقالوا: نصبحك بكرة، فما منهم أحد أتاه غيرنا. ثمَّ أتاهم الليلة الثالثة، فما أتاه غيرنا.. إلى أن قال: فقال عمر لأبي بكر: ما يمنعك أن تبعث إليه فيبايع، فإنَّه لم يبقَ أحد إلَّا وقد بايع غيره وغير هؤلاء الأربعة. فتحدَّث عمر إلى أبي بكر: نرسل إليه قنفذًا، فهو رجل فظٌّ غليظ جاف من الطلقاء. فأرسله وأرسل معه أعوانًا فقال عمر: إذهبوا، فإن أُذِن لكم وإلَّا فادخلوا بغير إذن. فانطلقوا فاستأذنوا. فقالت فاطمة عليها السلام: **احرِّج عليكم أن تدخلوا عليّ بيتي بغير إذن**. فرجعوا وثبت قنفذ الملعون، فقالوا: إنَّ فاطمة عليها السلام قالت كذا وكذا، فتحرَّجنا أن ندخل بيتها بغير إذن. فغضب عمر، وقال: ما لنا وللنساء، ثمَّ أمر اناسا حوله بتحصيل الحطب، وحملوا الحطب، وحمل معهم عمر، فجعلوه حول منزل عليّ عليه السلام، وفيه عليّ وفاطمة وابناهما عليهم السلام. ثمَّ نادى عمر حتَّى أسمع عليًّا عليه السلام وفاطمة عليها السلام: والله؛ لتخرجنَّ يا عليّ! ولتبايعنَّ خليفة رسول الله، وإلَّا أضرمت عليك النار. فقامت فاطمة عليها السلام، فقالت: يا عمر! ما لنا ولك؟ فقال: افتحي الباب، وإلَّا أحرقنا عليكم بيتكم. فقالت: يا عمر! أما تتَّقي الله تدخل عليَّ بيتي؟ فأبى أن ينصرف، ودعا عمر

بالنار، فأضرمها في الباب، ثمَّ دفعه، فدخل فاستقبلته فاطمة عليها السلام، وصاحت: يا أبتاه! يا رسول الله! فرفع عمر السيف وهو في غمده، فوجأ به جبينها. فنادت: يا رسول الله! لبئس ما خلفك أبو بكر وعمر. فوثب عليّ عليه السلام فأخذ بتلابيبه، فصرعه، ووجأ أنفه ورقبته، وهمَّ بقتله، فذكر قول رسول الله صلى الله عليه وآله وما أوصاه به وساق الحديث.. إلى أن قال: فحالت بينهم وبينه فاطمة عليها السلام عند باب البيت، فضربها قنفذ الملعون بالسوط، وأنَّ في عضدها مثل الدملج من ضربته لعنه الله[1].

إنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بعد استشهاد رسول الله صلى الله عليه وآله، قد سلكت كلَّ الطرق لكي تبلِّغ الناس بالرسالة الحقيقيَّة وبولاية أمير المؤمنين عليه السلام، وذلك بالرغم من حزنها وآلامها وبذلك لم تترك سيِّدة نساء العالمين عليها السلام أيَّ حجَّة لهم.

ولـمَّا أُخرج أمير المؤمنين من منزله، خرجت فاطمة صلوات الله عليها خلفه، فما بقيت امرأة هاشميَّة، إلَّا خرجت معها حتَّى انتهت قريبًا من القبر، فقالت لهم: خلُّوا عن ابن عمِّي، فو الذي بعث محمَّدًا بالحقِّ، لئن لم تخلُّوا عنه لأنشرنَّ شعري، ولأضعنَّ قميص رسول الله على رأسي، ولأصرخنَّ إلى الله، فما ناقة صالح بأكرم على الله من ولدي. فقال سلمان: فرأيت والله أساس حيطان المسجد تقلعت من أسفلها حتَّى لو أراد رجل أن ينفذ من تحتها نفذ، فدنوت منها وقلت: يا سيِّدتي ومولاتي إنَّ الله تبارك وتعالى بعث أباك رحمة، إلى أن قال سلمان: فرجعت الحيطان حتَّى سطعت الغبرة من أسفلها، فدخلت في خياشيمنا. وقد ذكرت في خطبتها التي ألقتها في مسجد أبيها صلى الله عليه وآله، على مسمع ومرأى من المسلمين، وبضمنهم الحكومة الجديدة، فكان ممَّا قالته: «**أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمِّي؟**». وذكرت: «**أبعدتم من هو أحقُّ بالبسط والقبض**»، فقد أشارت إلى أهميَّة الإمامة، فقالت عليها السلام: «**وطاعتنا نظامًا للملَّة، وإمامتنا أمانًا من الفرقة**»، وهذا أمر مهمّ للغاية في بيان إمامة أمير المؤمنين عليه السلام،

(١) محمَّد باقر الموسويّ، الكوثر في أحوال فاطمة بنت النبيّ الأعظم، ج٥، ط١، ص٣٠٤.

وبخاصَّة أنَّنا إذا تتبَّعنا الأحداث فيما بعد، نجد أنَّ الخلفاء عمومًا سواء العبَّاسيُّون أو الأمويُّون ادَّعوا الإمامة ظلمًا وعدوانًا، وذلك في مخطط التضليل الإعلاميّ الخطير الذي كان يهدف إلى إسباغ الشرعيَّات على وجودهم في السلطة، وسحب البساط عن أهل البيت عليهم السلام عمومًا. وقالت: أنسيتم قول رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خم: «**مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه**»، وقوله صلى الله عليه وآله: «**أنت منِّي بمنزلة هارون من موسى**»؟![1].

نرى من موقف السيِّدة الزَّهراء عليها السلام أنَّها دافعت عن الولاية، وعن أمير المؤمنين عليه السلام، بالرغم من شدَّة مرضها وإصابتها، إلَّا أنَّها لم تتهاون في الدفاع عن إمام زمانها المستحِقِّ لخلافة رسول الله صلى الله عليه وآله.

(١) كفاح الحدَّاد، قراءة في السيرة الفاطميَّة، ص٥٣٢-٥٣٥.

## المطلب الرابع: الجهاد بالأموال

تطرَّقنا في المباحث المتقدِّمة أنَّ الجهاد بالأموال هو من أسمى أنواع الجهاد، بل وتمَّ تقديمه في القرآن الكريم على الجهاد بالنفس. وفي هذا المبحث نرى إسهام السيِّدة الزَّهراء عليها السلام وجهادها في أموالها، وكيف ساهمت في رفع الفقر عن الناس، فعن زيد بن عليّ قال: أخبرني عن الحسن بن عليّ عليهما السلام قال: «هذه وصيَّة فاطمة بنت محمَّد، أوصت بحقِّ أرطها السبع: العواف والدلال والبرقة والمبيت والحسنى والصافية وما لأمِّ إبراهيم، إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام؛ فإن مضى عليّ فإلى الحسن بن عليّ عليهما السلام، وإلى أخيه الحسين صلوات الله عليه، وإلى الأكبر فالأكبر من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله»(١).

ويروى أيضًا عن أبي جعفر محمَّد بن عليّ عليهما السلام: إنَّ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، كتبت هذا الكتاب: **بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ هذا ما كتبت فاطمة بنت محمَّد صلى الله عليه وآله، في مالها: إن حدث بها حادث، تصدَّقت بثمانين اوقيَّة تنفق عنها، من ثمارها الَّتي لها كلَّ عام في رجب بعد نفقة السقي ونفقة العمل، وأنَّها أنفقت أثمارها العام وأثمار القمح عامًا قابلًا في أوان غلَّتها؛ وأنَّها أمرت لنساء محمَّد أبيها صلى الله عليه وآله خمسًا وأربعين أوقيَّة، وأمرت لفقراء بني هاشم وبني عبد المطَّلب بخمسين أوقيَّة؛ وكتبت في أصل مالها في المدينة، أنَّ عليًّا عليه السلام سألها أن تولِّيه مالها، فيجمع مالها إلى مال رسول الله صلى الله عليه وآله فلا تفرق، ويليه ما دام حيًّا؛ فإذا حدث به حادث، دفعه إلى ابنيَّ الحسن والحسين، فيليانه، وإنِّي دفعت إلى عليّ بن أبي طالب على أنِّي أحلِّله فيه، فيدفع مالي ومال محمَّد صلى الله عليه وآله ولا يفرِّق منه شيئًا، يقضي عنِّي من أثمار المال ما أمرت به وما تصدَّقت به، فإذا قضى الله صدقتها وما أمرت به، فالأمر بيد الله تعالى، وبيد عليّ عليه السلام، يتصدَّق وينفق حيث شاء لا حرج عليه، فإذا حدث به حدث دفعه إلى ابنيَّ الحسن والحسين المال جميعًا، مالي ومال محمَّد صلى الله عليه وآله، ينفقان و يتصدَّقان حيث شاءا**

(١) أحمد الرحمانيّ الهمدانيّ، فاطمة الزَّهراء بهجة قلب المصطفى، ج١، ط١، ١٤١٠هـ، مؤسسة البدر للتحقيق والنشر، ص٥١٤.

**ولا حرج عليهما، وإن حدث بأحد ممَّن أوصيت له قبل أن يُدفع إليه، فإنَّه ينفق عنه في الفقراء و المساكين، وإنَّ الأستار لا يستر بها امرأة إلَّا إحدى ابنتي، غير أنَّ عليًّا يستتر بهنَّ إن شاء ما لم ينكح؛ وإنَّ هذا ما كتبت فاطمة عليها السلام في مالها وقضت فيه؛ والله شهيد، والمقداد بن الأسود والزبير بن العوَّام؛ وعليّ بن أبي طالب كتبها، وليس على عليٍّ حرج فيما فعل من معروف»**[1].

السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام في هذا الجهاد أسهمت في تحسين الوضع الاقتصاديّ لجمع من الناس الفقراء.

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين رسولنا الكريم وعلى إله الطيِّبين الطاهرين، اللهمَّ صلِّ على محمَّد وآل محمَّد، اللهمَّ إنِّي لو وجدت شفعاء أقرب إليك من محمَّد وآهل بيته الأخيار، الأئمَّة الأبرار، لجعلتهم شفعائي، فبحقِّهم الذي أوجبت لهم عليك، أسألك أن تدخلني في جملتهم، العارفين بهم وبحقِّهم، وفي زمرة المرحومين بشفاعتهم، إنَّك أرحم الراحمين، وصلَّى الله على محمَّد وآله وسلم.

(١) عبد الله البحرانيّ الأصفهانيّ، مستدرك عوالم العلوم والمعارف من الآيات والأخبار والأقوال، ج١١، ط٣، مؤسَّسة الإمام المهدي، قم، ١٤١٥هـ، ص١٠٦٢-١٠٦٣.

## الخاتمة

بعد اختتام هذا البحث، توصَّلنا إلى بعض الاستنتاجات والتوصيات.

١. إنَّ السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام هي في الظاهر بصورة امرأة بشريَّة، لكنَّها في المعنى هي حقيقة عظيمة ونور إلهيّ وأَمَةٌ صالحة وامرأة مميَّزة ومصطفاة، فلا يمكن لنا أن نحيط بأطراف العلم الفاطميّ لسعته وشموله وتعدُّد مناحيه، فإنَّها المعصومة، بل هي الحجَّة على أبنائها.

٢. انَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام زوجة في بيتها، وامرأة بالنحو الذي يريده الإسلام، وكانت مشاكل الحياة قد جعلتها كمركز لمراجعات النساء المسلمات المؤمنات.

٣. كانت السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام عالمة ومتكلِّمة عظيمة، فتلك الخطبة التي ألقتها في مسجد المدينة هي خطبة عظيمة، ويحتاج فطاحل الفصحاء والعلماء ليفسِّروا كلماتها وعباراتها.

**التوصيات:**

١. أن نجعل في ذكرى ولادتها أسبوع الولادة؛ لكي يتسنَّى لجميع الفئات من الشباب والأطفال والكبار معرفة هذه السيِّدة العظيمة المجاهدة. وفي هذا دعوة مهمَّة لكِلَا الطرفَين من الرجال والنساء من اتِّباع فاطمة الزَّهراء للاقتداء بها، والإحاطة بقدر الإمكان بمكانة العلم والمعرفة لدى الزَّهراء عليها السلام.

٢. يجب أن تكون قراءتنا للسيرة الفاطميَّة المباركة من جميع الجوانب، وليس الجانب التاريخيّ فقط.

٣. إقامة فعاليَّات وتأليف كتب مصغَّرة للأطفال والناشئين؛ لكي يتعرَّفوا

ولو قليلًا على هذه السيِّدة الجليلة.

٤. الإكثار من الفعاليَّات والمهرجانات في معرفتها وتعريفها للناس من نواحي عديدة، وإن لا تكون مقتصرة في المولد الشريف لها، أو في استشهادها عليها السلام.

## المصادر

* القرآن الكريم.

١. إبراهيم الأمينيّ، فاطمة الزَّهراء المرأة النموذجيَّة في الإسلام، بهمن، قم.

٢. أحمد الرحمانيّ الهمدانيّ، فاطمة الزَّهراء بهجة قلب المصطفى، ج١، ط١، ١٤١٠هـ، مؤسَّسة البدر للتحقيق والنشر.

٣. إسماعيل الأنصاريّ، الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزَّهراء عليها السلام، ج٢، ط٢، نكارش، طهران.

٤. إعداد ونشر جمعية المعارف الإسلاميَّة الثقافيَّة، الحياة الزوجيَّة، ط١.

٥. جواد التبريزي، فدك، ج١، ١٤٢٧هـ، قم، إيران.

٦. حسن الصفَّار، مسؤوليَّة المرأة.

٧. حسين جابر جمال، فاطمة الزَّهراء من قبل الولادة إلى ما بعد الاغتيال والشهادة من مصادر أهل السنة والجماعة.

٨. سعيد كاظم العذاريّ، آداب الأسرة في الإسلام، ط٢، مطبعة ستاره.

٩. عبَّاس القمِّيّ، بيت الأحزان، ج١، دار زينب الكبرى.

١٠. عبد الله البحرانيّ الأصفهانيّ، مستدرك عوالم العلوم والمعارف من الآيات والأخبار والأقوال، ج١١، ط٣، مؤسَّسة الإمام المهدي، قم، ١٤١٥هـ.

١١. عليّ موسى الكعبيّ، سيِّدة النساء فاطمة الزَّهراء عليها السلام، ج١، مطبعة ستاره.

١٢. فاضل الحسينيّ الميلانيّ، فاطمة الزَّهراء أمُّ ابيها، مطبعة الأدب في النجف الأشرف، ١٣٨٨هـ.

١٣. كفاح الحدَّاد، قراءة في السيرة الفاطميَّة، ط١، العتبة الحسينيَّة المقدَّسة.

١٤. الكلينيّ، الكافي، ج٥، ط٣، مطبعة حيدري، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران، إيران.

١٥. لجنة التأليف، أعلام الهداية، ج٣، فاطمة الزَّهراء سيِّدة النساء، ط١، ١٤٢٢، المجمع العالميّ لأهل البيت، قم.

١٦. محمَّد الحسينيّ الشيرازيّ، من فقه الزَّهراء، ج٢، ط١، مطبعة شريعت.

١٧. محمَّد باقر الموسويّ، الكوثر في أحوال فاطمة بنت النبيّ الأعظم، ج٥، ط١

١٨. محمَّد تقي المدرِّسيّ، المجتمع الإسلاميّ منطلقاته وأهدافه، ط٥، مكتب العلَّامة المدرِّسيّ.

١٩. محمَّد كاظم القزوينيّ، فاطمة الزَّهراء من المهد إلى اللحد، مطبعة سيِّد الشهداء، قم، ١٤١٤هـ.

٢٠. مرتضى الرضويّ، بضعة المصطفى ويعفى ثراها، ط٢، مطبعة محمَّد، مؤسَّسة السبطين العالميَّة، ١٤٢٧.

٢١. مركز الأبحاث العقائديَّة، موسوعة الأسئلة العقائديَّة ج٤.

٢٢. مركز نون للتأليف والترجمة، كتاب باب الأولياء، جمعيَّة المعارف الإسلاميَّة الثقافية، ط١.

٢٣. من كلام للسيِّد الخامنئيّ في مناسبات تخصُّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام.

٢٤. وجداني فخر،الجواهر الفخريَّة في شرح الروضة البهيَّة، ج٥، ط١، ٢٠١٠، مطبعة الأميرة، بيروت، لبنان.

## فهرس المحتويات


**محورُ الدِّراساتِ التاريخيَّة والسياسيَّة/ ٢** **٥**

**غَضَبُ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام تأسيس لمنهج المعارضة المتَّزن بإقامة الحجَّة ومواجهة التضليل (في مصادر المذهب السُّنِّيّ)** **٧**

م.د. محمَّد منصور حسين البياتيّ

المديريَّة العامَّة لتربية بابل

**إيديالِيَّة الزَّهراء عليها السلام ورؤيتها الرِّساليَّة الثَّاقبةخطبة فدك أنموذجًا** **٤٩**

د. ريما حسين أمهز

الجامعة اللُّبنانيَّة/ كليَّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة

**السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام في كتاب الخصائص الفاطميَّة للكجوريّ (دراسة تاريخيَّة)** **٧٧**

د. مبارك حسن ذياب الماجد

**زواج النور من النور في ضوء روايات الخوارزميّ الحنفيّ (ت٥٦٨هـ/ ١١٧٢م) دراسة تاريخيَّة** **١٠٧**

م.م. علاء حسين خليف الجبوريّ

جامعة بابل

**مصادرة الموارد الماليَّة للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام من خلال مؤلَّفات القاضي النعمان المغربيّ (ت٣٣٦هـ)** **١٤٣**

م. محمَّد جاسم علوان السلطانيّ

مديريَّة تربية بابل

**الزَّهراء عليها السلام بين الشفافيَّة وقوَّة المقاومة** ١٧١

الباحثة عهود فاهم العارضيّ

بكالوريوس علوم حياة

**الصورة الاستشراقيَّة للسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام في الفكر الاستشراقيّ** ٢٠١

الباحثة نور الهدى جابر جياد

**السيِّدة الزَّهراء عليها السلام عند الاستشراق المعاصر (Modern Orientalism) قراءة نقديَّة ورصديَّة** ٢٢١

شريف عصام حيدر

طالب بحث خارج ومدرِّس في حوزة بقيَّة الله الأعظم عجل الله فرجه الشريف

**نمط الحياة الجهاديّ؛ دراسة في ساحات الحياة الجهاديَّة للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام** ٢٦١

نعيم حسيني كُردكندي

طالب بحث خارج/ الحوزة العلميَّة في قم

**دور السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في الدفاع عن حقِّ الإمامة** ٢٧٧

الباحثة نغم جبَّار جاسم

**المبنى الفكريّ للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام في تأصيل الحقوق والحريَّات** ٣٠٥

الباحثة إسراء فاضل حبيب العيفاريّ

**حياة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بعد النبيّ صلى الله عليه وآله في ضوء الخطبة الفدكيَّة** ٣٤٥

الباحثة زينب عليّ حسين الحسناويّ

**سيرة الزَّهراء عليها السلام ومكانتها بين وجود أبيها صلى الله عليه وآله وفقده** ٣٧٥

الباحثة سناء حسين عليّ الكنانيّ

**جهاد السيِّدة الزَّهراء عليها السلام** ٤٢٣

الباحثة زينب عبد الله حمود الخفاجيّ